المركز الثقافي الآسيوي

مشروع الرحلات

(٥)

نَشْوَةُ المُدامِ في العَوْدِ إلى مَدِينَةِ السَّلام

السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

(١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢- ١٨٥٤م)

تحقيق

الدكتور/ أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

الطبعة الأولى
1

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

اسم الكتاب: نَشْوَةُ المُدامِ في العَوْدِ إلى مَدِينَةِ السَّلام

تأليـــف : السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

تحقيـق : د. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي.

موضوع الكتاب : تاريخ ، رحلات .

عـــدد المـلازم: ٢٦ ملزمة

مقـاس الكتـاب: ١٧ × ٢٤ سم

الترقيم الدولـي: ٢-١-٦٩٧٤٢-٦٠٥-٩٧٨

مركز التاريخ العربي للنشر
Arab History Publishing

التوزيع والنشر

6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201027013326 - 00201555566139
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

نَشْوَةُ المُدامِ في العَوْدِ إلى مَدِينَةِ السَّلام

شهاب الدين السيد محمود أفندي آلوسي زاده

(١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢- ١٨٥٤م)

إهـــداء

إلـــى إبنتـــي بسنـــت

زهرة الدنيا وضحكتها

مشروعُ الرّحلات

الرّحلة هي متعةُ التّاريخ وتاريخُ المتعة، والرحلة هي لذّةُ المشقّة، وعين الجغرافيا، ومنظارُ الفلك، ومسبارُ الأنثروبولوجيا، وجسرُ الخبرات بين الأمم، وهمزة الوصْل بين الشّعوب، والرحلةُ هي سفير السّلطان، ووثيقةُ المؤرّخ ومكتبة العالم وحنكةُ السياسي، ورافدُ الأديب الذي لا ينضب.

ويكأنّ الإنسان مخلوقٌ رحّالة، من عصرٍ إلى عصر، ومن مرحلةٍ إلى أخرى، يعيش حياته متنقّلاً عبْر الزّمان والمكان، يرتادُ الآفاق، ويخترقُ الأعماق، ما بين إسراءٍ بالجسد، ومعراجٍ بالرّوح، وسياحةٍ بالعقل.

ولا أظنّني مبالغًا فيما وصفت؛ فقد بدأتِ الرّحلة منذ برهةٍ وجيزة تعود لتكشف عن أهميّتها في المجال البحثي الأكاديمي، وترتقي مرّةً أخرى مكانتُها التي تبوّأتها من قبْل كإحدى رائداتِ العلم؛ مصدراً ومنهاجًا.

فالرحلةُ تمنح الباحثَ في التّاريخ، والجغرافيا، والسّياسة، والاقتصاد، والأنثروبولوجي، والآثار ... وغيرها من مجالات العلم، تمنحُهم مصدراً ثريّاً وواقعيّاً نابضاً بالحياة، بعيداً عن رتابة كتب الوقائع، ومَللِ كتب الحوليّات، وجفاف كتب التّاريخ الرسمي، ونفاقِ المؤرّخين المكلّفين، وجمودِ جامعي الأخبار وناقلي الروايات.

الرّحلة-إذا أحسنَ القارئ قراءتها والكاتبُ تدوينها-تصيرُ حياة ثلاثيّةَ الأبعاد يحياها القارئ والمستمع، فتعطيه العلمَ مع المتعة، والخبرةَ مع المعايشة، والدقّةَ مع الواقعية، والعمقَ مع الثّراء.

ويبدو الآن الاتّجاهُ قويّاً لدى الباحثين والمحقّقين في الاعتماد على كتب الرّحلات، سواء العناية بتحقيقها وإخراجها من مظانّها، وسواء بالاعتماد عليها كمصدرٍ أكاديمي، وهو ما يُعطي قفزةً نوعيّة في البحث العلمي، شريطة الانتخاب الواعي والاستشهاد الممحّص، والاستنتاج المنطقي، والنّظرة الفاحصة، والاستقراء المتأنّي المتدرّج، الذي يَصُفُّ الجزئيات بعضاً إلى بعض، فيرسم منها لوحة فُسيفساء، ولا يفعل العكس، فيعمدُ إلى اختلاق التّعميمات من الأحداث الجزئية، ولا يعتمدُ على الغثّ في إدامه، ولا الهزيل في طعامه.

وعلى قدر ما تحملُ الرّحلة من أهمية، لا تخلو أيضًا من زلّات، قد تكثر فتصبح مضلّلات، إذ نرى بعضَ الرّحالة يأتي إلى قطرٍ غريب عن مشاربه، وهو يحملُ في جُعبته خلفيّته الثّقافية والعقائدية، محبًّا أوْ كارهًا، عميق الثقافة أو ضحلْها، فاحصَ النّظرة أو سريعَ الانفعال، متقلّبَ الآراء والأحوال، بل ترى البعض يكذب مدّعيًا أنّه رأى ما لم يره الآخرون، واطّلع من الأسرار على ما لم يستطعْه غيره، فيستجلبُ إعجابَ القارئ والمستمعِ على حساب الحقيقة والواقع.

لكنْ بين أهمّية الرّحلة وخطورتها، يقف الباحث المدقّق صاحبُ النظرة الفاحصة، فيستشفّ الحقائق، ويستنبط الأسرار، ويستنتجُ ما وراء الأحداث، ويقرأ ما بين السّطور.

ونحن في "**المركز الثّقافي الآسيوي**" نحاول من خلال "**مشروع الرحلات**" أنْ نقدّم مجموعةً منها في شتّى المناطق والعهود لتغطية أكبر مساحةٍ ممكنة في الزمان والمكان لتكون حلقاتٍ مسلسلةً في التاريخ، وخبراتٍ متوارثةً في الجغرافيا، ومعلوماتٍ متراكمةً في غيرها من العلوم، ومنبعًا ثريًّا وغيرَ تقليديّ في البحث العلمي..

ومن خلال هذا المشروع نفتح البابَ للتعاون مع الباحثين والمحقّقين والمترجمين للتّواصل والتّعاون؛ كي نسهمَ -جميعًا- في السّعي نحْو خطوة جديدة في طريق التّقدم.

والله ُ وليّ التوفيق.

المقدمة

نقدم في هذا الكتاب إحدى الرحلات المميزة والفريدة من ثلاثية العلامة الآلوسي عميد الأسرة الآلوسية في العراق وصاحب تفسير "روح المعاني".

وصاحب الرحلة ليس رحالة بالمعنى المعتاد، وليس أديبًا بالمعنى المعهود، وإن كان قد أبدع في كلا الجانبين.

جاءت رحلاته الثلاث بأسلوب أدبي وبلاغي رصين، لا تكاد تخلو عباراته من السجع ولا من الصور البيانية، ومعظمها في غير تكلف، فقد كانت اللغة وبلاغتها طوع بنانه، كما يتجلى الذوق الأدبي فيما يورد أو يختار من أشعار، حتى عبارات المديح والإطراء التي هي محل التكلف، نجدها مستساغة -في الغالب- بما يضفيها عليها المؤلف من شعوره بالامتنان لأصحابها.

هذه الرحلة "**نَشْوَةُ المُدامِ في العَوْدِ إلى مَدِينَةِ السّلام**" هي ثان رحلاته الثلاث، بدأها من عاصمة الخلافة/استانبول، أو إسلامبول كما دعاها المؤلف، وكانت محطتها الأخيرة مدينة السلام/بغداد، وهي رحلة العودة من رحلته الأولى "**نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول**".

وأخيراً رحلته الثالثة الفريدة من نوعها، وهي رحلة عقلية وسياحة علمية فصّل فيها المؤلف ما أجمله في رحلتيه السابقتين، وأفاض في شرح ما تناوله من مسائل علمية خلال رحلتي الذهاب والعودة، وترجم للأعلام والعلماء الذين لقيهم فيهما، لذا فقد سماها: "**غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في السفر والإقامة والإياب**".

جمعت هذه الرحلة –أو الرحلات الثلاث- الكثير من ميزات كتب الرحلات السابقة؛ سواء الرحلات المشرقية أو الرحلات المغربية والأندلسية، وسمات تطور وتنوع أهداف الرحلة على مر القرون السابقة.

فقد حرص المؤلف على إيراد بعض التفاصيل الجغرافية والبيئية والاجتماعية والإدارية عن المناطق التي مر بها، وحرص كذلك على مناقشة الأمور العلمية في مجال تخصصه، بل عقد مجالس لمنح الإجازات، حتى هو نفسه سعى لنيل إجازات من قابلهم من العلماء.

أضف إلى ذلك أسلوب الكتابة والسرد الذي لم يشوبه كثيراً تقعر العلماء وبرود أسلوبهم وملل سجعهم، وإن كان لا يخل من بعض التعقيد الناشئ من الصور البلاغية المركبة التي استخدمها المؤلف مع الكثير من التناص أو التضمين لأبيات من الشعر والأمثال العربية وغيرها من الروافد التراثية. وربما خفف من ذلك، تلك الروح المرحة التي تمتع بها المؤلف في وصف المواقف التي عانى فيها من صعوبات الطريق وحشراته، وبعض من لقيهم من الثقلاء.

وجهة الرحلة هذه المرة مختلفة تماماً عن عهدنا بالرحلات، فلم تكن إلى العواصم والمعاهد العلمية لنيل الإجازات أو تحصيل الأسانيد العالية، ولا هي إلى الحرمين للحج والزيارة والمجاورة، كما أنها ليست سياحة في الأرض بغرض الوصف الجغرافي، أو رواية الأخبار والطرائف والغرائب، ولا هي كذلك لمجرد المتعة الشخصية، إنما كانت رحلة إلى عاصمة الدولة لتوضيح موقفه وتحسين صورته التي شوهها الوشاة من أعدائه لدى المسئولين حتى تم عزله عن وظائفه، وربما كان هذا النوع من الرحلات متعدداً في العهد العثماني، لكن لم يقم أحد -فيما أعلم- بتدوين رحلته تلك في سفر مستقل سوى القليلين.

قام الرجل برحلاته في فترة عصيبة من عمر الدولة العثمانية، وكذلك في عمر العراق، إذ كانت فترة انتقالية بعد إنهاء حكم داود باشا آخر ولاة المماليك في العراق، وبداية عهد جديد للدولة العثمانية الساعية إلى التحكم المركزي في تعيين الولاة وعدم الاعتماد على الأسر المحلية الحاكمة في الولايات.

ورغم أن المؤلف كان من المقربين إلى داود باشا، واتهمه الوشاة بأنه شارك في المقاومة أو الثورة ضد ولاة الدولة العثمانية الجدد، إلا أنه لقي من الدولة تسامحاً شديداً معه، ربما تقديراً لمكانته العلمية، وربما محاولة منها لفتح صفحة جديدة مع العهد الجديد، تمثل هذا التسامح وذلك التقدير فيما لقيه من حفاوة من الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، واسترداده لمكانته السابقة، وتوليته وظائف جديدة، بل الأكثر من ذلك، وهو الإنعام عليه من السلطان من السلطان بالوسام المجيدي.

وفي الرحلة الكثير من الإشارات إلى الأحوال العلمية والتعليمية في الدولة العثمانية، وكذلك النواحي الإدارية فيها.

وهي رؤية عالم متعدد المشارب العلمية والروافد الثقافية، مطلع على أمور الحكم والإدارة في ولايته، يتمتع في الكثير من المواقف بالروح والشفافية التي تمنحه نفاذ في بصيرته ؛ فيحكم على الأمور من خلال بصر نافذ وميزان دقيق.

كما وجه الآلوسي الكثير من الانتقادات لبعض أحوال الدولة العثمانية ورجالها، بل ومواطنيها في بعض البلدان التي مر عليها، كما أدلى برأيه في التنظيمات وما رآه من بعض نتائجها، هذا غير الكثير من التراجم التي جاءت عن معاملة ومعايشة ربما ترسم جوانب مختلفة عما تورده كتب التراجم الأخرى، والكثير من المواقف الأخرى التي أشار المؤلف إليها بقلمه السيال وعينه الفاحصة، وتوازنه في المثالب والمميزات، واستخدامه أسلوبا دبلوماسيا في توجيه الانتقادات لما يرى انه يجر عليه بعض المشكلات من رجال السياسة والحكم.

وبعد، ، فالكتاب مصدر ثري بالمعلومات والجوانب التي قلما نجدها في كتب التاريخ التقليدية، ومن ثم فإننا نوجه الدعوة للباحثين ليجعلوا هذه الرحلة وأخواتها موضع دراستهم ومصدرا من مصادرهم.

والله من وراء القصد

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

مقدمة التحقيق

أولا : المؤلف :

السيد شهاب الدين محمود أفندي الآلوسي

(١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢- ١٨٥٤م)

أبو الثناء شهاب الدين، السيد، محمود أفندي الألوسي الحسيني، صاحب تفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

نادرة الزمان، سيبويه العربية، مفتي الأنام، خاتمة المفسرين، بحر البيان، فخر الإسلام، المتفرد في جميع العلوم بالاتفاق، شيخ علماء العراق[١].

---

(١) محسن عبد الحميد: «الآلوسي مفسراً»،مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، (ص: ٨٢).

اسمــه:

هو فريد عصره، ونسيج وحده السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش البغدادي مولداً ونشأةً ووفاةً[(١)].

نسبــه:

ينتهي نسب الآلوسي وأسرته إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، فهو حسيني الأسرة، وأسرته مشهورة معروفة بالعراق.

وينسب إلى ألوس فيقال الألوسي، بالمد والقصر، وأهلها ينطقونها بالمد فيقولون آلوس، وهو اسم رجل سميت به بلدة على ناحية الفرات قرب عانات الحديثة، ولا صحة لرواية جرجي زيدان وغيره أن أجداده قد فروا إليها من هولاكو وسكنوا بها ونسبوا إليها[(٢)].

---

(١) خير الدين الزركلي: «الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ٥٣/٨؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م، ١٧٥/١٢؛ خليل مردم بك: أعيان القرن الثالث فى الفكر والسياسة والاجتماع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، (ص: ١٦٥). محسن عبد الحميد: «الآلوسي مفسراً»،

(٢) البلاذري: «فتوح البلدان»، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م، ٢٤٦/١؛ يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات، مكتبة مرعشى، القاهرة، ١٩٢٨م، ١٤٧/٢.

ويروي أحد مؤرخي الآلوسي وهو محمد بهجت الأثري أن لهذه الأسرة نشأتين ببغداد، نشأة قديمة كانت في القرن الحادي عشر الهجري حين ارتحل في أواخره من كان ساكنا ببغداد إلى الحديثة وآلوس، وهي مجهولة عندنا لا نعرف من أمرها شيئا، ونشأة حديثة في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، وذلك حين جاء محمود ابن درويش الخطيب الآلوسي إلى بغداد فاتخذها وطنا، وتوفي فيها في أوائل القرن الثالث عشر[١].

كنيته ولقبه :

يكنى أبو الثناء، أو أبو عبد الله الألوسي، ويلقب شهاب الدين[٢].

---

(١) محمد بهجت الأثري: أعلام العراق، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ص ٨؛ محمود شكري الآلوسي: المسك الأزفر، مطبعة الآداب، بغداد، ١٩٣٠، ص ٢٩.

(٢) الزركلي: الأعلام، ٨/٥٣؛ معجم المؤلفين ٨١٥/٣٠؛ محمود شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ، ٣/١.

مذهبــــه :

كان الإمام الألوسي سلفي العقيدة، في غير تعصب، ولا ميول منحرفة، وكان أسلافه على مذهب الإمام الشافعي في الفقه، وقد درس هو الفقه عنهم، وأخذ منهم وقد نزع هو مع شافعيته إلى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، حتى صار من فقهائه، وأكبر علمائه، ونبغ فيه إلى أن صار إماماً للمذهب، مفتياً للحنفية سنة (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م).

فالألوسي على عقيدة أهل السنة والجماعة، ومذهبه الفقهي الشافعي، مع نبوغه في مذهب الإمام أبى حنيفة الذي تولى الإفتاء باسمه.

وقد أخذ الطريقة الصوفية النقشبندية على الشيخ أبى البهاء خالد النقشبندي.

فالألوسي سني من أهل السنة والجماعة، شافعي المذهب حنفي الفتوى والإفتاء، نقشبندي الطريق والسلوك[١].

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان فى علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ٨٤/١؛ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٩٦م، ٣٥٢/١؛ الفضل بن عاشور: التفسير ورجاله، مطبعة الاستقامة، تونس ١٣٦٦هـ، ١٦٥/٢ .

مولده :

ولد الإمام الألوسي في يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان سنة ألف ومئتين وسبع عشرة، وذلك بجانب الكرخ ببغداد[١].

نشأته:

نشأ الشهاب الألوسي في بيت علم وأدب، وكان والده مدرس العلوم ببغداد وفقيه الحنفية وإمام الشافعية، فربى ولده على حفظ القرآن، فحفظه وأخذ منه الأدب والبلاغة والحديث.

كانت الأسرة الألوسية خاصة، وبغداد عامة هي منبع العلم ومستقر الأدب، وكانت أسرته من أكبر الأسر في بغداد، ووالده مفتيها وإمامها، وفى هذا الجو نشأ طود الأدب وعلم البلاغة، وأمير البيان الإمام الألوسي، فعندما وصل عمره ثلاث عشرة سنة كان قد أجيز في تدريس العلم، وبدأ في الدعوة إلى الله، ولما وصل العشرين، كان والده قد توفي في سنة (١٢٤٢هـ) بالطاعون الذي ضرب بغداد[٢].

---

(١) خليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ١٦٧؛ البلازري: فتوح البلدان، ٤٩٤/٤.

(٢) خليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر ١٦٧؛ يوسف سركيس: معجم المطبوعات ٣/١.

وبعد ذلك رحل الألوسي وهجر داره وسكن جوار مسجد الشيخ عبد الله العاقولى بالرصافة. وفى عام (١٢٣٨هـ) تولى الوعظ في جامع الشيخ عبد الله العاقولى، فسمع وعظه مرة الوزير علي رضا، فدعاه لزيارته، وولاه أوقاف المدرسة المرجانية، وقد كانت مشروطة لأهل بغداد. ثم انتشر اسمه وذاع صيته، حتى أمه الناس وصار علماً في الفقه الحنفي فعيّنه علي رضا مفتياً للحنفية[١].

وفى هذه الفترة بدأ في تفسير روح المعاني، وألف كثيراً من الكتب، وراسله الأدباء وشرع في تدريس العلوم بداره، حتى ذاعت شهرته وطبقت الآفاق وملأت العراق وراجت في أركان الدنيا.

وفى هذه الأثناء عُزل رضا باشا عام (١٢٥٨هـ) وخلفه محمد نجيب باشا فعزل الألوسي بعد أن استمر في الفتوى والتدريس خمس عشرة سنة وذلك في سنة (١٢٦٣هـ) فاشتغل الألوسي بالتفسير، حتى أتمه عام (١٢٦٧هـ)[٢].

---

(١) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٨١٥/٣.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي: هداية العارفين، ٦٥٢/١؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ٨١٥/٣.

شيوخه :

تلقى العلامة الألوسي العلم يافعاً، وحرص على الازدياد منه، فجالس العلماء وأجازه الفضلاء وتلقى من أهل الأدب واللغة والحديث والتفسير حتى اجتمع له شيوخ أهل زمانه، وأخذ عنه طلاب عصره وأوانه.

وقد أخذ العلم من عدد من أهل ذلك الزمان أشهرهم:-

١- والده السيد عبد الله بن محمود الألوسي، وقد تلقى منه القرآن وأتقنه على يديه، وقد كان والده إمام زمانه حتى توفى سنة (١٢٤٢هـ) وتلقى عنه بداية المذهب الشافعي، ومدخل العلوم[١].

٢- علي بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن الحسين السويدي، المعروف بعلي أفندي المتوفى (١٢٣٧هـ) مؤرخ أديب، ولد في بغداد وتوفي في دمشق، وصنف عدداً من المؤلفات أشهرها العقد الثمين في بيان مسائل الدين[٢].

---

(١) سركيس: معجم المطبوعات، ١/٣، خليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ١٦٧.

(٢) كحالة: معجم المؤلفين، ٢/٥٠٦ .

٣- علاء الدين علي الأفندي الموصلي ت (١٢٤٢هـ) محدث من آثاره تصنيف أسانيد الكتب الستة. وقد لازمه الألوسي أربع عشرة سنة وتلقى عنه التوحيد والحديث وعلومه حتى أتقنها[١].

٤- الشيخ أبو البهاء خالد بن الحسين، ضياء الدين النقشبندى (ت ١٢٤٢هـ)، جاء من جهات شهرزور، وهاجر إلى بغداد وكان عالماً عاملاً، زاهداً، تلقى على يده العلوم العقلية والنقلية وألف فيه الألوسي (الفيض الوارد في مرثية مولانا خالد)، وقد نشر الطريقة النقشبندية في بغداد، وشرح مقامات الحريرى في مؤلف مشهور، وقد أخذ عنه الألوسي الطريقة النقشبندية[٢].

٥- الشيخ محي الدين المروزى العمادي (ت ١٢٥٥هـ) أصله من العمادية من الأكراد وقد أخذ عنه الألوسي كثيراً من العلم[٣].

---

(١) كحالة: معجم المؤلفين، ٥٤٦/٢؛ أنور الجندي: تراجم العلماء المعاصرين في العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠١ه/ـ١٩٨١م، ص ٤٨١.

(٢) الزركلي: الأعلام، ٣٣٤/٣؛ الفاضل ابن عاشور: التفسير ورجاله، ص ١٣٨.

(٣) مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ١٨٤؛ كحالة: معجم المؤلفين ٩٣/٤.

٦- أحمد عارف حكمت بن إبراهيم الحنفى، مفتى الإسلام، التقاه الشيخ الألوسي في اسطنبول، وأجازه بما عنده من أسانيد، ولد سنة (١٢هـ) وتوفى (١٢٧٥هـ) وقد صنف كثيراً من الكتب[١].

٧- عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب، المعروف بعبد الغفار الأخرس، أو ابن غياث الدين، قرأ عليه الإمام الألوسي، كتاب سيبويه، فأجازه فيه، توفى سنة (١٢٩١هـ) قد تلقى عنه الألوسي النحو وعلوم العربية وأجازه فيها[٢].

٨- عبد الرحمن الكربزي شيخ الألوسي قاضي عالم بالحديث، ولد في دمشق سنة (١١٨٤هـ) وتوفى في مكة (١٢٦٢هـ)[٣].

وقد تلقى الإمام العلم والأدب واللغة عن أفاضل العراق ونجبائها وعلمائها، حتى صار علماً ومرجعاً لأهل زمانه ومن بعدهم.

---

(١)الزركلي: الأعلام، ١/١٣٨ البغدادي: هداية العارفين ١/١٠١.

(٢) سركيس: معجم المطبوعات ١/٤، علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني والثالث عشر، دار الجمهورية، بغداد، العراق ١٩٦٧م، ص ٣٥٦.

(٣) الزركلي: الإعلام ١/١٣٨.

٩- الملا حسين الجبوري: درس عليه القرآن الكريم، وكان رجلا تقيا صالحا، وكان مقيما في مسجد سوق الحمادة[١].

١٠- عبد العزيز أفندي شواف زاده (ت ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) قرأ عليه حاشية الفاضل مير أبو الفتح على الرسالة الوضعية العضدية مع حواشي أخرى لها، وهذه الرسالة هي في علم الوضع. وكذلك قرأ عليه آداب المسعودي وعبد اللطيف في علم آداب المناظرة، وشرح السراجية في الفرائض للسيد الجرجاني، وكتبا ورسائل أخرى.

وكان شيخه هذا علامة فاضلا مشهورا بعلم العربية حتى سمي بسيبويه الثاني، وكان متواضعا يجري مع الحق، يقول عنه الآلوسي (ما رأيته غلط في جواب) والذي لا يعرفه يسكت عنه[٢].

---

(١) محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ص ٧ .

(٢) حاج حمد تاج السر حاج حمد: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥) صفر ١٤٣١هـ فبراير ٢٠١٠م .

١١- السيد محمد أمين بن السيد علي الحلي:(ت ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) قرأ عليه شرح الوضعية لمولانا عصام في علم الوضع، وكان فصيحا مولعا بنقل الغريب، قال عنه الآلوسي لا يبالي أيخطئ أم يصيب، وقد كثر لغطه فكثر غلطه، مع أنه أذكي من إياس[1].

١٢- عبد الله أفندي العمري(ت سنة ١٢٩٧هـ/١٨٦٤م): أخذ منه قراءة أبي عمرو وقراءة ابن كثير، وقراءة نافع.

تلامذته[2]:

قد تلقى العلم على يدي الشيخ عدد لا يحصى، صار بعضهم أعلاماً لا تخطئها عين، وأشهر تلاميذ الإمام الألوسي:

١- عبد الفتاح بن الحاج شواف زاده، البغدادي، الحنفي، وقد ترجم لشيخه في كتاب سماه (حديقة الورود في ترجمة أبى الثناء شهاب الدين محمود) توفى سنة (١٢٧٢هـ)[3].

---

(١) محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب، ص ٨ .

(٢) حاج حمد تاج السر: التعريف بالإمام الألوسي .

(٣) مردم: أعيان القرن الثالث، ص: ١٨٣؛ البغدادي: هداية العارفين ٣١٧/١.

٢- ابنه سعد الدين بن محمود المعروف بعبد الباقي الألوسي، من فضلاء العراق ورث الفضل عن أبيه، ودرس عليه العلوم من حساب وفقه وفى العلوم النقلية كافة، ولد (١٢٤٨هـ) وتوفى (١٢٩١هـ) ودفن إلى جانب أبيه، وله عدة مصنفات مشهورة[١].

٣- ابنه نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي، عالم فاضل حنفي المذهب، كان رئيس المدرسة المرجانية ببغداد، ولد (١٢٤٢هـ) وتوفى (١٣١٧هـ) وله عدة مصنفات ومؤلفات[٢].

٤- محمد أمين أفندي، (ت١٢٧٢هـ) تلميذ الشيخ، وقد كتب تقريظاً على روح المعاني مع مجموعة من تلاميذه وعلماء زمانه[٣].

---

(١) البغدادي: هداية العارفين ٢٥٩/١، سركيس: معجم المطبوعات ٤/١.

(٢) البغدادي: هداية العارفين ٧١٠/١؛ سركيس: معجم المطبوعات ٧/١.

(٣) الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص ٣٨.

٥- عبد السلام الحاج سعيد البغدادي الحنفي، مدرس المدرسة القادرية وإمامها من تلاميذ الإمام، ولد سنة(١٢٣٧هـ) وتوفي (١٣٢٠هـ)[1]. قد تتلمذ على الإمام، وأخذ عنه عدد من علماء ذلك الزمان، نالوا منه صنوف العلم، في القرآن وعلومه والسنة وفنونها، واللغة وآدابها والنحو والصرف، وعلوم الفلك، وعلم الكلام، والتصوف واشتهر منهم أبناؤه أجمعون، وعمه عبد الحميد، وكثير ممن جاء بعده[2].

محنتـــه :

كانت العراق قد عرفت حكما ذاتيا للمماليك الكوله مند تحت مظلة الحكم العثماني، يشبه ما تمتعت به الأسر الحاكمة الوراثية في بعض الولايات العثمانية، وبدا ذلك بتولية الكتخدا سليمان باشا سنة ١١٦٣ه/١٧٥٠م، وانتهت باستسلام داود باشا ١٢٤٦هـ/١٨٣١م، وكان داود باشا من الولاة الذين أثروا النهضة العلمية والأدبية في بغداد، إذ قرب إليه العلماء والشعراء –إلى جانب إصلاحاته في عدة ميادين أخرى– وكان هو نفسه من أهل العلم،

---

(١) البغدادي: هداية العارفين ١/٣٠٤.

(٢) الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، ص ٣٨ وما بعدها؛ مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ١٥٢.

حتى حاول الاستقلال عن تبعيته للدولة العثمانية، وما أعقب ذلك من أحداث كان آخرها وقوع طاعون في بغداد جعله يستسلم للوالي الجديد المرسل من قِبَل الدولة العثمانية مع جيش كبير، وكانت الطبقة المثقفة في بغداد قد التفت حول واليها العالم والإصلاحي أثناء الحصار، وكان من هؤلاء شهاب الدين الآلوسي، مما جعله غرضا لسهام المغرضين من الوشاة، فلم يلبث الولاة الجدد أن عزلوه عن وظائفه وقطعوا عنه سبل العيش والرزق، فلم يجد بدا من الرحلة إلى العاصمة العثمانية ليعرض حالة ويبرئ ساحته من التهم التي ألصقها به الوشاة، وكان قد انتهى في أثناء فترة عزله من تأليف تفسيره الشهير (روح المعاني)[١].

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣١٤-٣١٥؛ علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، مكتبة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص ٢٢٢-٢٣٦ .

رحلاته وأسفاره :

سافر الألوسي إلى القسطنطينية ليعرض على السلطان كتابه روح المعاني في التفسير، وليعرض أسانيده وعلمه على علماء السلطنة، ويلتقي من لم يسمع منه من علمائها .

فسافر من دار السلام بغداد ونزل بدار الضيافة السلطانية، ورفع مذكرة للصدر الأعظم (رئيس الوزراء) مصطفى باشا راشد، وقابل السلطان محمود خان العدلي ابن السلطان عبد الحميد [الأول] وهو الذي اختار اسم هذا التفسير[١].

وجلس في رحلته هذه إلى الشيخ أحمد عارف حكمت الحنفي، مفتى البلاد وشيخ الإسلام، فأجاز الألوسي على ما عنده من أسانيد، وألف فيه كتابه (شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولى النعم أحمد عارف حكمت) وبعد ذلك عاد إلى بغداد وألف كتابه (نشوة الشمول في السفر إلى استانبول) وصف فيه رحلته منذ خروجه من بغداد حتى وصوله إلى الأستانة.

---

(١) الآلوسي: روح المعاني ٣/١.

وألف كتابه الآخر المسمى (نشوة المدام في العودة إلى دار السلام) شرح فيه عودته إلى بغداد. وألف كتابه) غرائب الاغتراب) جمع فيه الرحلتين السابقتين، ووصف فيه من لقيه من أهل العلم، ومن أجازه من أهل الفضل، وما جرى من محاورات علمية في رحلته هذه[١].

مؤلفاته وآثاره (المطبوعة والمخطوطة):

ترك لنا العلامة الآلوسي الكثير من الآثار العلمية والأدبية، تم نشر بعضها، وبعضها الآخر ما زال حبيسا في خزائن المكتبات العامة والخاصة، وكل هذه الآثار المطبوعة والمخطوطة على السواء تحتاج إلى جهود كبيرة لتحقيقها وإخراجها بشكل منهجي أكاديمي ليعم نفعها.

هذه الآثار والمؤلفات في العديد من العلوم، مثل: في الأدب واللغة، البحث والمناظرة والأجوبة، التراجم، الرحلات، المقامات، ومؤلفات أخرى.

---

(١) خليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ٥١.

أولا : في الأدب واللغة[1]

١- حاشية شرح القطر– لابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، وصل فيه إلى باب الحال وأتمها بعد وفاته ولده نعمان وسماها (الطارف والتالد في إكمال حاشية الوالد) ولها ثلاث نسخ مخطوطة، إحداها توجد في مكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٦١٢). وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٢٠هـ/١٨٩٨م.

٢- كشف الطرة عن الغرة: شرح به درة الغواص للحريري، وفيه مقدمة لابن المؤلف نعمان. وقد طبع في دمشق ١٣٠١ه، ومنه نسخة محفوظة بخط نعمان خير الدين في مكتبة الأوقاف المرفوعة (٣٧٢).

٣- كتاب حاشية عبد الملك ابن عصام في علم الاستعارة: ألفها وهو ابن ست عشرة تقريباً.

(١) علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني والثالث عشر، ص ٢٩ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام٧/١٧٦؛ نخبة من تلاميذ الآلوسي: أريج الند والعود في ترجمة أبي عبد الله محمود، مطبوع في مقدمة تفسير روح المعاني، الدار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ص ٢٨؛ سركيس: معجم المطبوعات، ١/٤.

٤- الفيض الوارد على رياض مرثية مولانا خالد : كتاب شرح مرثية الشيخ خالد النقشبندي، شرح بها القصيدة الدالية للسيد محمد الجواد السياه بوشي. طبع بالهند (١٢٧٨هـ).

٥- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب: وهى قصيدة عبد الباقي العمري الفاروقى في الشيخ عبد القادر الجيلانى أتم تأليفها في رمضان (١٢٥٥هـ) وطبع في مطبعة الفلاح بمصر على الحجر.

٦- شرح سلم العروج في المنطق. وقد فقد.

٧- شرح العينية المسمى (الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينة): وهى القصيدة التي نظمها عبد الباقي الموصلي العمري في مدح أمير المؤمنين على أبى طالب كرم الله وجهه، وبعدها ينتقل إلى تفصيلات نحوية، وقد طبع في مصر.

ثانيا : في البحث والمناظرة والأجوبة[1]

٨- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية: ألفها سنة(١٢٥٤هـ) وقد طبع في المطبعة الحميدية في بغداد. وتوجد منه نسخة بخط المؤلف كتبت في رمضان سنة (١٢٥٤هـ) خزانة المرحوم السيد هاشم الألوسي.

٩- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية: وهى أجوبة لأسئلة وردت إليه من الشيعة في إيران. أولها من شرح بالجواب صدر السائلين، طبعت بهامش كتاب (خواتم الحكم) لعلي دده المولى مصر (١٣١٤هـ) في مطبعة دار مكتبة الصنائع في الأستانة (١٣١٧هـ) ومنه نسخة توجد في خزانة السيد هاشم الألوسي.

١٠- سفر الزاد لسفرة الجهاد: حث فيها على الجهاد ورد الغزاة عندما ثارت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠هـ، طبعت بدار السلام بغداد سنة (١٣٣٣هـ) ومنها نسخة بخط المؤلف في خزانة السيد هاشم.

(١) الزركلي: الإعلام، ٧/١٧٦؛ أريج الند والعود، ص ٢٨، سركيس: معجم المطبوعات ١/٤.

١١- البيان شرح البرهان في طاعة السلطان: مخطوط، ولم يطبع منه نسخة في خزانة السيد هاشم الألوسي بخط السيد أحمد شاكر.

١٢- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة: اختصر فيه التحفة الاثنى عشرية، ولم يتمه وقد داهمه المرض، وهو مخطوط في خزانة السيد هاشم، ونسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العامة رقم (٦٧٨٧).

ثالثا : في التراجم:

١٣- شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم عارف حكمت[١].

رابعا : في الرحلات[٢]:

١٤- نشوة الشمول في السفر إلى استانبول. وبين فيه ابتداء رحلاته إلى استانبول سنة(١٢٦٨هـ). وقد طبع في بغداد سنة (١٢٩٣هـ).

١٥- نشوة المدام في العودة إلى دار السلام، وشرح فيه عودته إلى بغداد عند الإياب. وقد طبع في بغداد (١٢٩١هـ).

---

(١) البغدادي: هداية العارفين ١٠١/١.

(٢) الزركلي: الأعلام ١٧٦/٧؛ كحالة: معجم المؤلفين،٨١٥/٣، سركيس: معجم المطبوعات ٣/١.

١٦- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب والذهاب والإقامة والإياب ووصف فيه رحلته إلى القسطنطينية، وذكر من لقيه من أهل العلم والأدب. وقد عنى بطبعة نجله السيد أحمد شاكر وفى صدره ترجمة للمؤلف مطبعة الشابندر، بغداد (١٣١٧هـ).

خامسا : في المقامات وهي التصوف والأدب والأخلاق[1]

١٧- أنباء الأبناء لأطيب الأنباء. وهو وصية لأبنائه، توجد في خزينة السيد هاشم مع المسودة.

١٨- المقامات: طبع ببغداد أو كربلاء (١٢٧٣هـ).

١٩- سجع القمرية في ربع القمرية. ومنه نسخ في مكتبة الأوقاف رقم (٥٦٣) وقد طبعت في كربلاء سنة (١٢٧٣هـ).

٢٠- زجر المغرور عن رجز الغرور.

٢١- قطف الزهر من روض الصبر.

---

(١) علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر، ص٣٠؛ الطيب أحمد منهج: الألوسي في التفسير، ص ٢٨؛ سركيس: معجم المطبوعات ٤/١ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام ١٧٦/٧.

سادسا : مؤلفات أخرى[1]

وللإمام الآلوسي مؤلفات أخرى منها حواش قيمة، ومختصرات نافعة ومؤلفات مطولة، لم يقف الباحث على تفاصيلها وأهمها:

- دقائق التفسير.
- الفوائد السنية في علم أدب البحث. وهى حواش على أمير الحنفية.
- حواش على أبى الفتح في الآداب.
- الشجرة الفاطمية.

وقد تكون هذه المؤلفات حواشي أو أجزاء، أو كتباً فقدت لم يقف عليها الباحث.

---

(١) سركيس: معجم المطبوعات ٣/١ وما بعدها؛ أريج الند والعود، ص ٧.

وفاتــه[١]:

مرض الألوسي بالحمى والتي عاودته بعد أن شفي منها، حتى تمكنت منه مرة أخرى، وأبلت جسده، فانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبعين ومئتين وألف (١٢٧٠هـ) بعد أن صلى الظهر إيماءً، وغسله طلابه، وشيعه أهل بغداد، ودفن في جنازة مهيبة لم تعرفها بغداد من قبل، ووري جثمانه الثرى في مقبرة الشيخ معروف الكرخي[٢] بالكرخ في بغداد، ولم يتجاوز عمره الخمسين إلا قليلاً، وقبره الآن مشهور يزار[٣].

---

(١) حاج حمد تاج السر: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره .

(٢) معروف الكرخي، أحد الأعلام الزهاد المتصوفة، ولد في كرخ بغداد وتوفى سنة ٢٠٠هـ، انظر: الزركلي: الأعلام ١٨٥/٨.

(٣) مردم: أعيان القرن الثالث عشر، ص ٥١؛ سركيس: معجم المطبوعات ٣/١.

أولاده[١]:

توفى الشيخ وترك خمسة أولاد هم:

- عبد الله بهاء أفندي (١٢٤٨- ١٢٩١هـ/ ١٨٣٢-١٨٧٤م)
- عبد الباقي سعد الدين (١٢٥٠ – ١٢٩٨هـ/ ١٨٣٤- ١٨٧٤م) .
- نعمان خير الدين المعروف (١٢٥٢-١٣١٧هـ/ ١٨٣٦-١٨٩٩م)
- محمد عاكف (١٢٦١-١٢٩٠هـ/ ١٨٤٥- ١٨٧٣م).
- أحمد شاكر (١٢٦٤-١٣٣٠هـ/ ١٨٤٨-١٩١٢م)

ثناء العلماء عليه[٢]:

كان الإمام الألوسي ورعاً تقياً، له ملكة في الوعظ وقوة الشخصية وبلاغة وفصاحة فطرية، وذاكرة حافظة، وقريحة متوقدة حتى أنه قال في حق نفسه (ما استودعت ذهني شيئاً فخانني)[٣].

---

(١) كحالة: معجم المؤلفين، ٢/٤٥.

(٢) حاج حمد تاج السر: التعريف بالإمام الألوسي .

(٣) محمود شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني، ١/٣.

وقد أثنى عليه المفسرون من بعده، وبينوا فضله واتساع علمه[١].

قال الفاروقي:

يقولون مات الشهاب أبو الثناء * وباتت عليه أعين العلم باكية**

فقلت لهم ما مات من زال شخصه * وروح معانيه إلى الحشر باقية**

وقد أثنى عليه عبد الغفور أفندي قال: (لله دره من مؤلف فاق جميع المؤلفات وتاه جملة المصنفات)[٢].

وأثنى عليه جملة من العلماء منهم الشيخ محمد سعيد أفندي مفتى بغداد، حيث مدح كتاب روح المعاني فقال: (وجدته شاملاً لما بيّن بالعقل والسمع، عاماً للغة وأحكامها مع النفع، تجرد من الحشو الزائد مع القطع)[٣].

(١) نعمان الألوسي: جلاء العين في محاكمة الأحمدين، دار المدني للطباعة، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤٤؛ أريج الند والعود، ص ١٩؛ ابن عاشور: التفسير ورجاله، ص ١٥٣.

(٢) مقدمة روح المعاني، التقريظ، ص١١؛ الطيب أحمد عبد الله: منهج الألوسي في التفسير، ص ٣٤.

(٣) أريج الند والعود، ص ٦؛ الطيب أحمد عبد الله: منهج الألوسي، ص ٣٣.

وقد مدح الشعراء الألوسي، وأخذ عنه العلماء، واعترف بفضله النبلاء، وكتبوا في ذلك تقاريظ متفرقة على مقدمة روح المعاني[١].

وقد عاصر الإمام عدداً من الولاة الذين تعاقبوا على حكم بغداد، أشهرهم[٢]:

١- داود باشا والي بغداد الذي تولى في الفترة من (١٢٣٢هـ- ١٢٤٧هـ) (١٨١٧م-١٨٣١م) وهو آخر باشا من قبل المماليك يحكم بغداد .

٢- علي رضا باشا، والي بغداد من قبل السلطان العثماني، بعد سقوط دولة المماليك وهو الذي تعاون معه الألوسي، وكان مصدر ثقته، وتقديره واحترامه، وسعى معه لتوحيد المسلمين وتولى منصب الإفتاء في زمنه، وإمامة الحنفية، وكان ذلك منذ أن تولاها (١٢٤٧هـ) وحتى (١٢٥٨هـ).

---

(١) نعمان الألوسي: جلاء العين، ص ٤٤، أريج الند والعود، ص١٩؛ الفاضل ابن عاشور: التفسير ورجاله، ص ١٥٣؛ الطيب أحمد عبد الله: منهج الألوسي في التفسير، ص ١٣٥ وما بعدها؛ مردم: أعلام القرن الثالث عشر، ص ٥١.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م،

٣- نجيب باشا الذي تولى بغداد في الفترة (١٢٥٨هـ ـ ١٢٦٥م) وقد جاء والألوسي يبذل جهده، ويفني عمره لتقوية شوكة الإسلام وكان ذلك بعد عزل رضا باشا، فعزل الألوسي وحرمه من الأوقاف في سنة (١٢٦٣هـ) فتفرغ لإتمام تفسيره، وللفتوى والعلم[١].

رحلة العودة من إسلامبول إلى بغداد:

كانت رحلته الاولى إلى رحلة الذهاب من بغداد إلى العاصمة العثمانية اسلامبول، والتي دونها في كتاب مستقل بعنوان (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) وقد مكث هناك(..أحداً وعشرون شهراً وخمسة أيام..)، ثم بدأ رحلة العودة إلى بغداد/ دار السلام، وهي هذه الرحلة التي بين أيدينا.

دوافع تدوين أحداث الرحلة :

كانت الحالة النفسية للمصنف لا تسمح له بالكتابة والتدوين، لكنه كان ملزما بذلك أدبيا، فهي عادة جرى عليها من سبقوه من أهل العلم في تدوين رحلاتهم وأسفارهم:

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العرب الحديث، ص ١٢٢؛ نخبة من علماء التاريخ بالعراق: العراق في التاريخ، د. ت.، ص ٦٣١.

".... ولولا أن عادة أمثالي الإسفار عما وقع لهم في أسفارهم، وتحرير ما شاهدوه بالأبصار في سطور صفائح أسفارهم، لكسوت فمِّي من السكوت لثاماً، ولاتخذت لكميت قلمي من السكون لجاما.."

كما إنه أحب أن يكمل ما بدأه من تدوين رحلة الذهاب، فيشفعها بتدوين رحلة العودة:

"... فإني كنت ذكرت في وريقات بعض ما وُفِّقتُ فوَقَفتُ عليه أثناء سيري إلى محروسة القسطنطينية، فأحببت أن أشفعه ببعض ما كان أثناء عَوْدي إلى منبت عُودي مدينة السلام المحمية. . "

الإهداء / الرسم :

ظلت عادة الكثير من المصنفين، والكثير من كبار رجال الدولة والنخب من رجال السيف والقلم والحكم والغدارة، أن يكلفوا أهل العلم بالتصنيف في موضوعات معينة، أو أن يقوم المصنف بعمل كتاب في موضوع ما ثم يهديه إلى احد هؤلاء، فيحصل على عطاياه المادية والمعنوية، أو يكون ذلك الإهداء ردا للجميل واعترافا بالفضل أو محبة خالصة. وقد تبين من سياق الرحلة مدى العلاقة القوية التي تربط المصنف الجليل بالوزير حمدي باشا، وبالتالي فقد كتب هذا الكتاب برسمه، وأهداه إليه :

"رسم لخدمة حضرة سنيِّ الأخلاق، ومن فاق بكل كمالٍ جميع الوزراء على الإطلاق، صادق الدين والدولة، ومَن جعل جبرَ قلوبِ المنكسرين شُغْلَه، حضرة أفندينا وليّ النِّعَم، وفيّ الذمم، وافر الجود والكرم، محمد حمدي باشا، زاده الله تعالى انتعاشا، وأعطاه مرامه كما شا، ولا زالت أنظاره شاملة جميع الداعين له، مسبغا عليهم وإن أذنبوا عفوه وفضله، آمين.. آمين.

منهجه في النقد وذكر الأحداث:

المؤلف رجل عاين أمور الإدإرة، وعانى أمور السياسة والحكم، ولاقى منها ما لاقى، لذا نراه يبدأ صفحة جديدة بعيدة عن التعرض لأهل الحكم والإدارة، ويوجه انتقاداته إليهم بأسلوب مجازي أو تعريضي وغير مباشر، وانتقاداته غالبا عامة وليست موجهة لشخص بعينه من كبار المسئولين، لكنه أطلق لنفسه العنان في انتقاد صغار أهل العلم والإدارة، ممن لا يُخشى انتقامهم ولا سطوتهم، لكن انتقاداته كانت في محلها، وهو يومىء إلى أنه سكت عن الكثير وألجم لسان قلمه عن الخوض في بعض الشئون، ليس فقط خوفا من الولاة وكبار المسئولين، إنما ايضا من حسد الحاسدين والوشاة والمتربصين من الحاقدين :

".... وقد عصبت شجة رأس القلم؛ لئلا تملأ دماؤها الدأماء، وجبذت بعنان البنان ذلك الأدهم؛ مخافة أن يغبر عليّ بعثير عدوه قلوب أهل الغبراء، لما أن الحق مُرّ.."

لكنه يؤكد أن انتقاداته ليست من حظ نفسه وهواه، إنما هي حق رآه فقاله، ورأي اعتقده فدونه :

".... والله تعالى العاصم بعدها من اتخاذه الباطل مداداً، والحافظ من جعله لبنان الافتراء جواداً.. "

أسلوب الكتابة:

يدعي المؤلف –تواضعا منه- أنه كتب رحلته وهو في حالة لا تسمح بالكتابة، فجاءت بلا بلاغة ولا حسن ديباجة، وأنه احيانا تجد فيها بعض لمحات بلاغية، ليس رغبة منه في تزيين رحلته، وإنما لترغيب القراء فيها وإسعادهم بطرائفها:

".. وربما نسج في بعض المقامات بروداً حريرية، ليس الغرض منها- وحرمة الأدب- إلا تزيين خريدة الفكاهة بالمحاسن البديعية".

تاريخ بداية طريق العودة:

"ركبت سفينة النار.. في اليوم الحادي والعشرين من شوال الساعة الرابعة من شيار (يوم السبت)".

تاريخ الوصول إلى بغداد:

"يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين وتسع وستين من الهجرة".

رفقاء مراحل رحلة العودة:

من رفقاء المرحلة الأولى في طريق العودة، وكانت عبر الوابور أو السفينة:

- وقد ركب فيها حضرة مشير عساكر أناطول سليم باشا الذي كان والي شهرزور
- وحضرة مصطفى ظريف باشا والي أرزن الروم، وهو الذي كان والياً في حلب.

وكان من رفقاء الحجرة التي اتخذها الآلوسي في السفينة:

- محمد أمين بك ابن المفتي عبد الرحمن باشا الوالي سابقاً في أرزن الروم.

- ولده (عبد الباقي)
- فتاه الزنجي (نصيف)
- هذا غير الرفقاء الآخرين الذين صحبوا القافلة المسافرة، والذين كانوا يتبدلون في بعض منازل السفر، ومن لفيهم في بعض البلدان واستضافوه أو زاروه.

منازل / بلدان رحلة العودة:

ذكر المؤلف ثمانية وأربعين منزلا نزلها أثناء رحلته، أولها كانت (صمصوم) وآخرها كانت (الجديدة/جديدة الأغوات)، هذا غير البلدان التي مر عليها ولم ينزل فيها، أو لم يعدها ضمن المنازل ربما لأنه قضى فيها سويعات قليلة للراحة والطعام، وهذه المنازل بعد من نقطة الانطلاق (القسطنطينية) حتى نقطة الوصول وهي مدينة السلام بغداد.

ثانيا : المخطوط :

جاء في النسخة المطبوعة من الكتاب، في الصفحة الأولى قبل المقدمة :

كتاب نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام، رحلة علامة عصره وفهامة مصره، خاتمة المفسرين المرحوم المبرور، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود باشا آلوسي زاده، المفتي ببغداد، لا زال رافلاً في دار السعادة فائزاً بالحسنى والزيادة، وهي رحلة لم ير مثلها في سالف الزمان، ولم تسافر بشبهها عين إنسان، وقد حوت كل معنى مأهل غريب وأسلوب عجيب، لا برح واصلة إليه رحمة الملك القريب، بالطلوع والمغيب، آمين.

وصف النسخ :

وقد اعتمدت في تحقيق هذه الرحلة على نسختين إحداهما مخطوطة والثانية مطبوعة:

أولا: النسخة المحفوظة في مكتبة بلدية إستانبول - تركيا. وهي نسخة المؤلف بخطه، قام المؤلف نفسه بمراجعتها على مسودته، كما نص على ذلك في ختام المخطوطة، وهي نسخة ممهورة بخاتم المؤلف في ورقتها الأخيرة.

وبيانات هذه النسخة كالتالي :

Istanbul Belediyesi

Belediye Kutuphanesi

N. ٠, ٤٤

عدد المجلدات : ١.

عدد اللوحات : ٨٥، في كل لوحة صفحتان.

العنوان : نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام

المؤلف : محمود شهاب الدين أفندي البغدادي الشهير بآلوسي زاده.

متوسط عدد الأسطر في الصفحة : ٢٤.

متوسط عدد الكلمات في السطر : ١٣ كلمة.

تاريخ النسخ : ٢٧ ربيع الآخر ١٢٧٠هـ.

وفي الصفحة الأخيرة من هذه النسخة كتب الناسخ :

[بلغ مقابلة على مسودة مؤلفه، وذلك على يد مؤلفه غريق إحسان حضرة المشار إليه، السيد محمود الحسيني الشهير بـ (آلوسي زاده)، كان الله تعالى له يوم العرض عليه. سنة ١٢٧٠، ٢٧ ربيع الآخر].

أول هذه النسخة: (سبحان الذي أسرى بعبده فأراه من آياته الكبرى، ثم عاد به قرير العين برفده، فيا له من عود، ويا له مَن أَسرى، اللهم فصل وسلم على ذلك العبد والسيد الذي ما ساد مثله، ولا يسود من قبل ومن بعد، فهو درة تاج سلطنة العبودية ...) .

وآخرها : (رسم لخدمة حضرة سنيِّ الأخلاق، ومن فاق بكل كمالٍ جميع الوزراء على الإطلاق، صادق الدين والدولة، ومَن جعل جبرَ قلوبِ المنكسرين شُغْلَه، حضرة أفندينا وليّ النِّعَم، وفيّ الذمم، وافر الجود والكرم، محمد حمدي باشا، زاده الله تعالى انتعاشا، وأعطاه مرامه كما شا، ولا زالت أنظاره شاملة جميع الداعين له، مسبغا عليهم وإن أذنبوا عفوه وفضله، آمين .. آمين) .

ثانيا : النسخة المطبوعة :

وهي التي تمت طباعتها بمطبعة ولاية بغداد في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٣هـ، كما جاء في صفحة العنوان، وعدد صفحاتها ١٣٦ صفحة.

أول هذه النسخة : (كتاب نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام، رحلة علامة عصره وفهامة مصره، خاتمة المفسرين المرحوم المبرور، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود باشا آلوسي زاده، المفتي ببغداد، لا زال رافلاً في دار السعادة فائزاً بالحسنى والزيادة، وهي رحلة لم ير مثلها في سالف الزمان، ولم تسافر بشبهها عين إنسان، وقد حوت كل معنى مأهل غريب وأسلوب عجيب، لا برح واصلة إليه رحمة الملك القريب، بالطلوع والمغيب ... آمين).

وآخرها :

فثنائي أبا الثناء تثنى * طرباً من بيانكم وتباهى**

زفه الفكر عاجلاً فاعذروه * دمتم للعلوم قطب رحاها**

وهما بيتان من آخر قصيدة التقريظ الأول في النسخة المخطوطة.

منهجي في التحقيق :

أغنتني نسخة المؤلف التي كتبها بخطه الجميل، والتي هي في الأصل راجعها المؤلف نفسه على المسودة، أغنتني هذه النسخة عن الاعتماد على نسخ اخرى مخطوطة، ولكني قارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد بمطبعة الولاية، فوجدت اختلافات يسيرة بينها وبين النسخة المطبوعة، أشرت إلى تلك الاختلافات في الحاشية بعد ان وضعتها في المتن بين معقوفين [ ].

وبعد ذلك قمت بما يتعين علي في التعليق على النص، وهو :

-إكمال ما قام به المصنف من وضع عناوين للفصول والمسائل والمراحل في الحاشية، فما وجدته منها في الحاشية أثبته في المتن، وما لم أجده وضعته معتمدا على النص في المتن بين حاصرتين معقوفتين هكذا [ ].

-ضبط الآيات القرآنية بالشكل، وذكر رقمها والسورة التي وردت فيها.

- ضبط الكثير من الأبيات الشعرية، وعزوها إلى قائليها.

- التعريف ببعض الأعلام الواردة أسماؤهم كلما تيسر.

- التعريف ببعض المواضع والبلدان الواردة في الرحلة.

- تفسير المصطلحات التاريخية العثمانية.

- شرح بعض الغوامض من الكلمات والعبارات والأمثال السائرة.

- عمل الفهارس الفنية أو الكشافات مثل: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأبيات الشعرية، فهرس الأعلام، فهرس المواضع والبلدان، فهرس الكتب والمتون العلمية، فهرس المسائل والمباحث العلمية، فهرس المصطلحات العثمانية...

وفي الختام ...

لا أدعي أنني محقق محترف يسير بدقة وفق المنهج العلمي للتحقيق، وإنما هي محاولات مجتهد محب للتراث، فما كان من صواب فهو توفيق الله، وما كان غير ذلك فنرجو غفرانه سبحانه، ونسأله أن يجبر كسرنا في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعل هذا العمل وأمثاله خالصاً لوجهك الكريم، واجعله جهادنا في الدنيا، وفخرنا في الآخرة، واجر علينا به الحسنات بعد الممات إلى أن نلقاك، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، واغفر لنا ولوالدينا ولأساتذتنا، وكل من له فضل علينا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون،

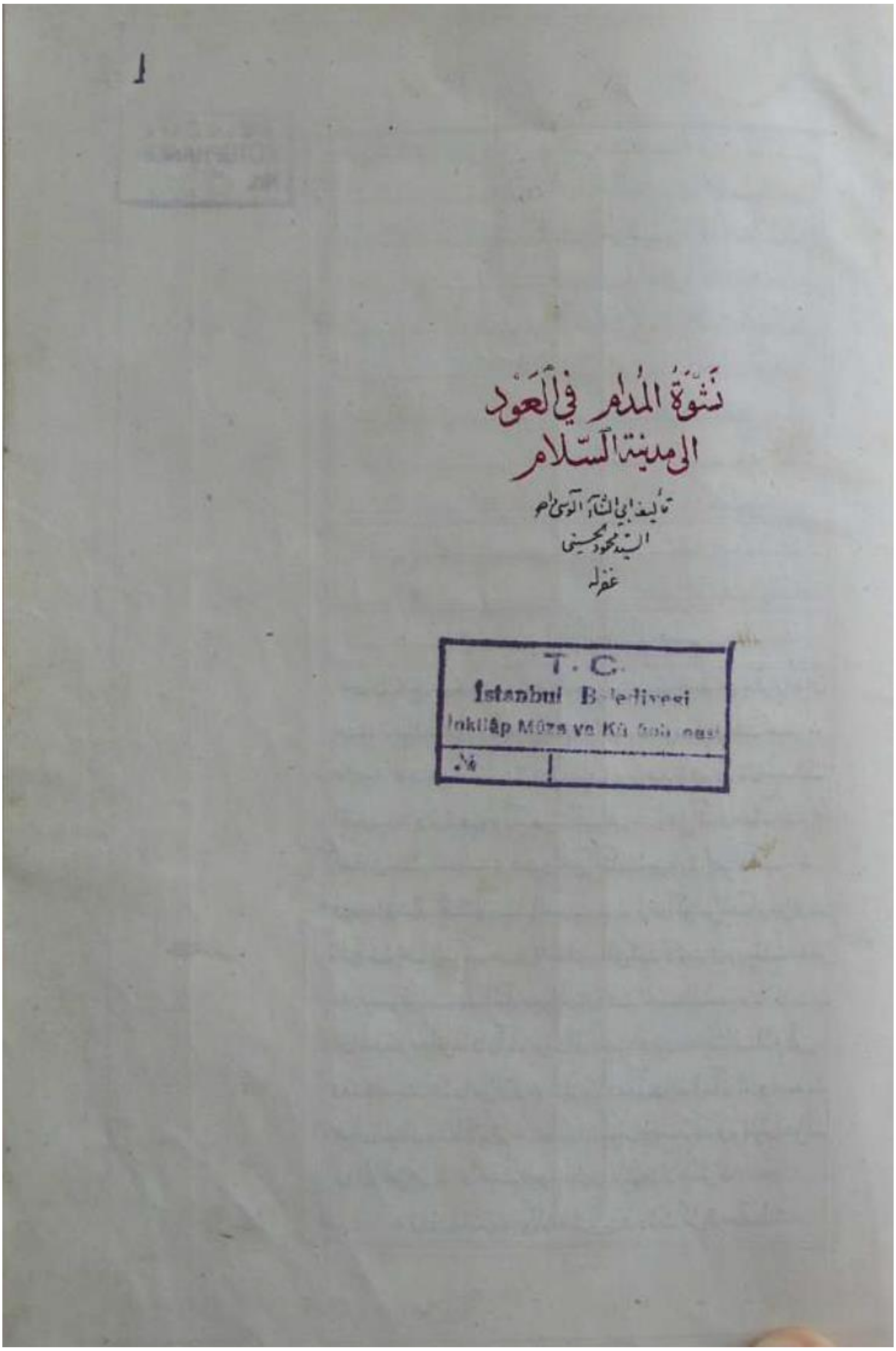
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الشرقية - ٢٠١٦م

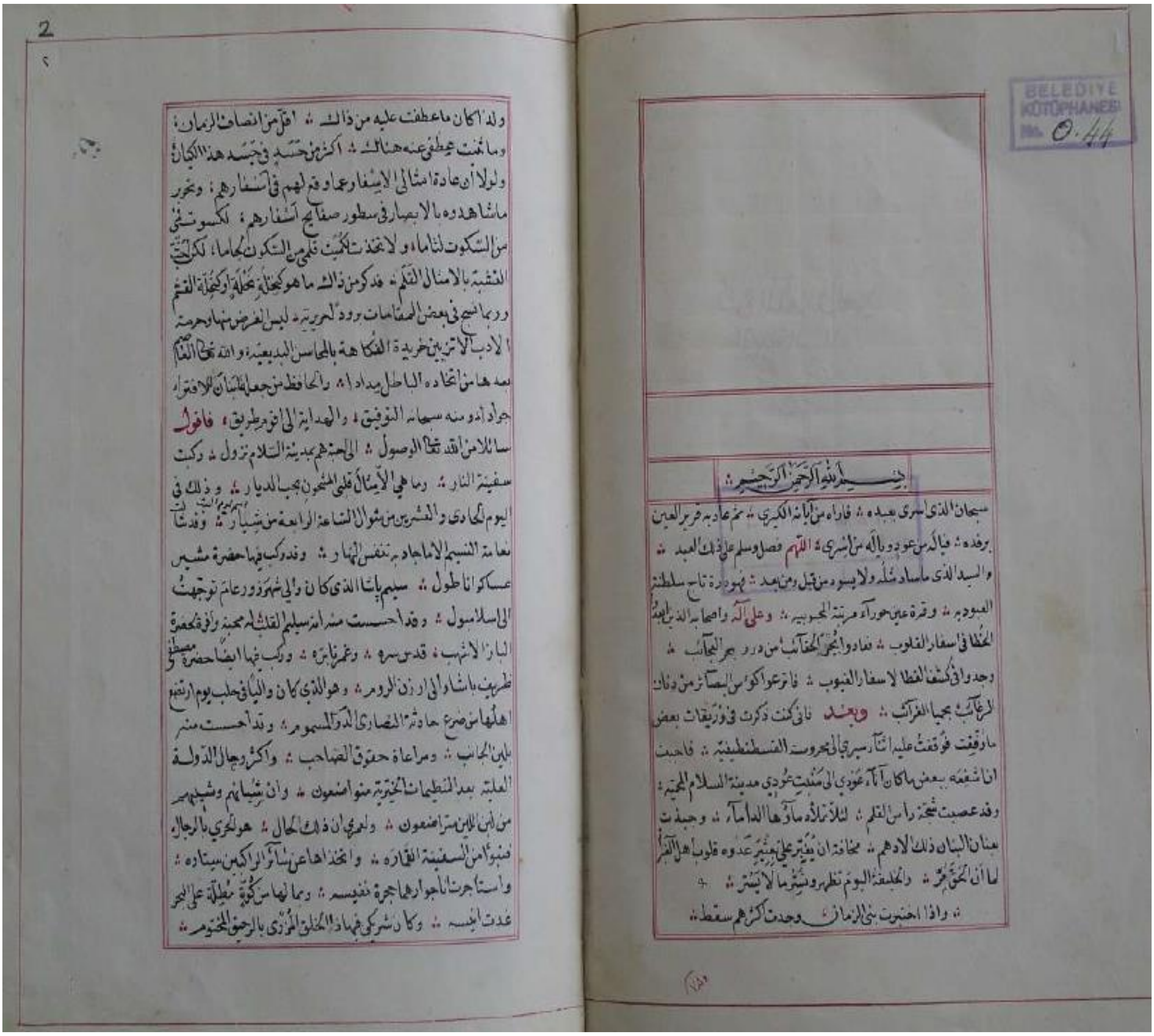
أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

صفحة العنوان من النسخة المخطوطة

وعليها خاتم مكتبة بلدية استانبول



الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة



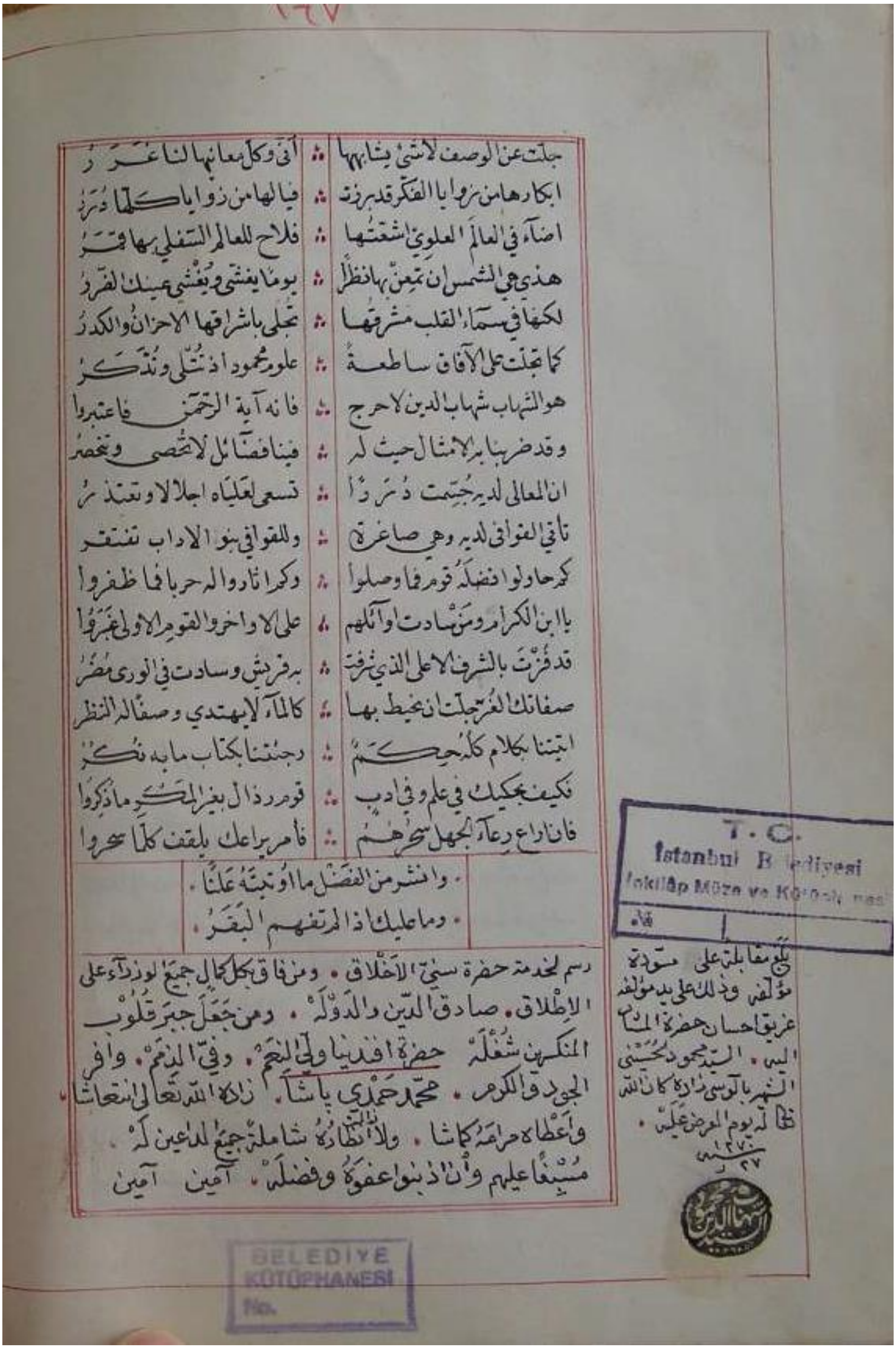
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ∴ فأراه من آياته الكبرى ∴ ثم عاد به قرير العين
برفده ∴ فيا لك من عود ويا له من أسرى ∴ اللهم فصل وسلم على ذلك العبد ∴
والسيد الذي ما ساد مثله ولا يسود من قبل ومن بعد ∴ فهو درة تاج سلطنة
العبودية ∴ وقرة عين حوراء مرتبة المحبوبية ∴ وعلى آله وأصحابه الذين أبعدوا
الخطا في أسفار القلوب ∴ فعادوا بجواهر الخطاب من درر بحر العجائب ∴
وجدوا في كشف الغطا لأسفار الغيوب ∴ فأترعوا كؤوس البصائر من دنان
الرغائب بحيا القرائب ∴ وبعد فإني كنت ذكرت في وريقات بعض
ما وقفت عليه أثناء سيري إلى محروسة القسطنطينية ∴ فأحببت
أن أشفعه ببعض ما كان أثناء عودي إلى منبت عودي مدينة السلام المحمية ∴
وقد عصبت شجة رأس القلم ∴ لئلا تسيل دماء الدماء ∴ وجذبت
عنان البيان ذلك الأدهم ∴ مخافة أن يعثر على عثير عدوه قلوب أهل الفن
لما أن الحق مر ∴ والحقيقة اليوم تظهر وتسير ما لا يسر ∴
∴ وإذا اختبرت بني الزمان ∴ وجدت أكثرهم سقط ∴

ولذا كان ما عطفت عليه من ذلك ∴ أقل من إنصاف الزمان ∴
وما ثنيت عطفي عنه هنالك ∴ أكثر من حسد في جسد هذا الكيان ∴
ولولا أن عادة أمثالي الإسفار عما وقع لهم في أسفارهم ∴ وتحرير
ما شاهدوه بالأبصار في سطور صفائح أسفارهم ∴ لكسوت فمي
من السكوت لثاما ∴ ولاتخذت لكميت قلمي من السكوت لجاما ∴ لكن أحب
التشبه بالأمثال الكمل ∴ فذكرت من ذلك ما هو كنحالة نحلة أو كنخالة القمح
وربما أنسج في بعض المقامات برود الحريرية ∴ لبس الغرض منها وحرمة
الأدب إلا تزيين خريدة الفكاهة بالمحاسن البديعية ∴ والله تعالى العاصم
بمنه من اتخاذه الباطل مدادا ∴ والحافظ من جعل لسان الافتراء
جوادا ∴ ومنه سبحانه التوفيق ∴ والهداية إلى أقوم طريق ∴ فأقول
سائلا من الله تعالى الوصول ∴ إلى أحبتهم بمدينة السلام نزول ∴ ركبت
سفينة النار ∴ وما هي إلا أمثال قلبي المشحون بحب الديار ∴ وذلك في
اليوم الحادي والعشرين من شوال التاسع عشر الرابعة من شباط ∴ وقد ساقت
نعامة النسيم إلا ما جاد به تنفس النهار ∴ وقد ركب فيها حضرة مشير
عساكر أناطول ∴ سليم باشا الذي كان والي شهرزور وعام توجهت
إلى إسلامبول ∴ وقد أحسست منه أن سليم القلب له محبة وافرة لحضرة
الباز الأشهب ∴ قدس سره ∴ وعمر تابره ∴ وركب فيها أيضا حضرة مصطفى
ظريف باشا والي أرزن الروم ∴ وهو الذي كان والي حلب يوم ارتفع
أهلها من ضرع حادثة النصارى الدم المسموم ∴ وقد أحسست منه
بلين الجانب ∴ ومراعاة حقوق الصاحب ∴ وأكثر رجال الدولة
العلية بعد التنظيمات الخيرية منوا ضعون ∴ وإن شبانهم وشيبهم
من لين الإلين مرتضعون ∴ ولعمري إن ذلك الحال ∴ هو الحري بالرجال ∴
فنبوا من السفينة القاره ∴ واتخذاها عن سائر الراكبين ستاره ∴
واستأجرنا أجوارهما حجرة نفيسه ∴ وما لها من كوة مطلة على البحر
غدت أنيسه ∴ وكان شريكي فيها ذا الخلق المزري بالرحيق المختوم ∴

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة

وعليها مقابلة للمؤلف، وخاتمه



١٦٧

جلت عن الوصف لا شيء يشابهها ∴ أنى وكل معانيها لنا غرر
أبكارها من زوايا الفكر قد برزت ∴ فيا لها من زوايا كلها درر
أضاء في العالم العلوي أشعتها ∴ فلاح للعالم السفلي بها قمر
هذي هي الشمس إن تمعن بها نظرا ∴ يوما يغشى ويغشي عينك القمر
لكنها في سماء القلب مشرقها ∴ تجلى بإشراقها الأحزان والكدر
كما تجلت على الآفاق ساطعة ∴ علوم محمود إذ تتلى وتذكر
هو الشهاب شهاب الدين لا حرج ∴ فإنه آية الرحمن فاعتبروا
وقد ضربنا بها الأمثال حيث لم ∴ فينا فضائل لا تحصى وتحصر
إن المعالي لديه جمعت دررا ∴ تسعى لعلياه إجلالا وتعتذر
تأتي القوافي لديه وهي صاغرة ∴ وللقوافي بنو الآداب تفتقر
كم حاولوا انضده قوم فما وصلوا ∴ وكم أثاروا له حربا فما ظفروا
يا ابن الكرام ومن سادت أوائلهم ∴ على الأواخر والقوم الأولى غبروا
قد فزت بالشرف الأعلى الذي شرفت ∴ به قريش وسادت في الورى مضر
صفاتك الغر جلت أن نحيط بها ∴ كالماء لا يهتدي وصفا له النظر
أتيتنا بكلام كله حكم ∴ وجئتنا بكتاب ما به نكر
فكيف نحكيك في علم وفي أدب ∴ قوم رذال بغير المكر ما ذكروا
فإن أراع رعاع الجهل سحرهم ∴ فأمر يراعك يلقف كلما سحروا

. وانشر من الفضل ما أوتيته علنا .
. وما عليك إذا لم تفهم البقر .

رسم لخدمة حضرة سني الأخلاق . ومن فاق بكل كمال جميع الوزراء على الإطلاق . صادق الدين والدولة . ومن جعل جبر قلوب المنكسرين شغله . حضرة أفندينا ولي النعم . وفي الذمم . وافر الجود والكرم . محمد حمدي باشا . زاده الله تعالى انتعاشا . وأعطاه مرامه كما شا . ولا زالت أنظاره شاملة جميع الداعين له . مسبغا عليهم وإن أذنبوا عفوه وفضله . آمين آمين

بلغ مقابلة على مسودة مؤلفه وذلك على يد مؤلفه غريق إحسان حضرة المشار إليه . السيد محمود الحسيني الشهير بالآلوسي زاده كان الله تعالى له يوم العرض عليه .
١٢٧
سنه
٢٧

السيد شهاب الدين محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده فأراه من آياته الكبرى، ثم عاد به قرير العين برفده، فيا له من عود، ويا له مَن أَسرى، اللهم فصل وسلم على ذلك العبد والسيد الذي ما ساد مثله، ولا يسود من قبل ومن بعد، فهو درة تاج سلطنة العبودية، وقرة عين حوراء مرتبة المحبوبية، وعلى آله وأصحابه الذين أبعدوا الخطا في أسفار القلوب، فعادوا بجر الحقائب من درر بحر العجائب، وجدّوا في كشف الغطا لأسفار الغيوب، فأترعوا كؤوس البصائر من دنان الرغائب بحميا الغرائب.

وبعد،

فإني كنت ذكرت في وريقات بعض ما وُفِّقتُ فوَقَفتُ عليه أثناء سيري إلى محروسة القسطنطينية[1]، فأحببت أن أشفعه ببعض ما كان أثناء عَودي إلى منبت عُودي مدينة السلام[2] المحمية، وقد عصبت شجة رأس القلم ؛ لئلا تملأ دماؤها الدأماء، وجبذت بعنان البنان ذلك الأدهم؛ مخافة أن يغبر عليّ بعثير عدوه قلوب أهل الغبراء، لما أن الحق مُرّ، والخليقةُ اليوم تظهر وتُسِرُّ ما لا يَسُر.

---

(١) **القسطنطينية**: المدينة المشهورة، وكانت قرية من قرى روملي، وكانت تسمى إذ ذاك ليفوس، وبعد أن نزل عندها قبائل اليونان سميت بوزنطيا، ولما صارت تحت مملكة الرومانيين سميت يني روما -أي روما الجديدة- ثم أبدلوا ذلك بالقسطنطينية، وفروق كما في القاموس، وسميت بعد الفتح إسلامبول، والعامة تقول اسطنبول، وفي كتب تاريخ لمسقو تسمى زرعرود أي المدينة الملكية، والبلغار والأولاق يسمونها زرغوراد وأهل جزير إسلندة والسكندنادية فكانوا في العاشر من تاريخ الميلاد يسمونها مكلا غرد أي المدينة الكبيرة، ولسان القلم عاجز عن أداء حق وصفها، لا زالت دار الخلافة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها [المؤلف] .

(٢) يعني بها مدينة بغداد .

وإذا اختبرت بني الزمان * وجدت أكثرهم سقط[(١)]**

[٢/أ] ولذا كان ما عطفت عليه من ذاك أقل من إنصاف الزمان، وما ثنيت عطفي عنه هناك، أكثر من حسد في جسد هذا الكيان، ولولا أن عادة أمثالي الإسفار عما وقع لهم في أسفارهم، وتحرير ما شاهدوه بالأبصار في سطور صفائح أسفارهم، لكسوت فمِّي من السكوت لثاماً، ولاتخذت لكميت قلمي من السكون لجاما، لكن أحب التشبه بالأمثال القلم، فذكر من ذاك ما هو كنِحلة نَحلة أو كتحلَّة القسم، وربما نسج في بعض المقامات برودًا حريرية ، ليس الغرض منها -وحرمة الأدب- إلا تزيين خريدة الفكاهة بالمحاسن البديعية، والله تعالى العاصم بعدها من اتخاذه الباطل مدادًا، والحافظ من جعله لبنان الافتراء جوادًا، ومنه سبحانه التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

---

(١) البيت من المقامة الشعرية للحريري ضمن قصيدة جاء فيها:

سامِحْ أخاكَ إذا خلَطْ ... منهُ الإصابَةَ بالغلَطْ
وتجافَ عنْ تعْنيفِه ... إنْ زاغَ يوماً أو قسَطْ
ولَذاذَةُ العُمرِ الطَّوي ... لِ يَشوبُها نغَصُ الشَّمَطْ
ولو انتقَدْتَ بَني الزّما ... نِ وجَدْتَ أكثرَهُم سقَطْ
رُضْتُ البَلاغَةَ والبَرا ... عَةَ والشّجاعَةَ والخطَطْ
فوجَدتُ أحسنَ ما يُرى ... سبْرَ العُلومِ معاً فقَطْ

الحريري: المقامات، المقامة الشعرية، ٥٢/١.

فأقول، سائلاً من الله -تعالى- الوصول إلى أحبة هم بمدينة السلام نزول، ركبت سفينة النار[1]، وما هي إلا مثال قلبي المشحون بحب الديار، وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شوال الساعة الرابعة من شيار[2]، وقد شالت نعامة النسيم إلا ما جاد به تنفس النهار.

(١) وتسمى بالوابور، ومعناه في اللغة الفرنساوية: البخار على ما حققته من بعض الكبار، وقيل موقد النار، وسمعت من بعض الأجلة أن هذه السفينة كانت زمن معاوية رضي الله عنه، وأظن أنها التي كانت تسمى أسطولاً، وبها أتى بالبطريق من القسطنطينية ليقتص منه لمن صفعه من المسلمين، الحكاية المشهورة، وهجرت زمن المأمون العباسي لشكوى التجار كساد تجارتهم بسببها، ثم تقادم الزمان حتى نسي كيفية عملها، ثم ظفرت بها الأكفار .. والله أعلم. [المؤلف]

(٢) **الشيار**: بكسر الشين المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية يوم السبت. [المؤلف]

وقد ركب فيها حضرة مشير عساكر[1] أناطول[2] سليم باشا الذي كان

(١) **مشير العساكر:** في عام ١٨٣٢م استحدثت الدولة رتبة المشير أعلى الرتب في الجيش، وأصبح توالي الرتب العسكرية في الجيش من أسفل إلى الأعلى على النحو التالي: الجندي المستجد "نفر"، ثم الأونباشي، ثم أمين البلوك " بلوك أميني "، ثم الجاويش "جاوش"، ثم الجاوش الأول "باش جاوش"، ثم الملازم، ثم الميرلوا، ثم الفريق، فالمشير، وفي عام ١٨٣٤م أقامت كلية حربية"حربية مكتبي" لتنشئة الضباط اللازمين للجيش، كما أوفدت الطلاب للدراسة في النمسا. أنشأت خلال ذلك العام وحدات احتياطية "رديف" في الولايات المختلفة. وأصبحت العساكر المنصورة تعرف بعد ذلك باسم " العساكر النظامية".

انظر: أكمل الدين أوغلو: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ٤١٠/١ .

(٢) **أناضولي/الأناضول:** شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالاً البحر الأسود، وغرباً بحر إيجة، وجنوباً البحر المتوسط، وشرقاً جبال إرمينية، يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق ١٠٠٠ كم تقريباً، وبين ٤٥٠ و ٦٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب، تقع بين خطي عرض ٣٦، ٤٣، فهي بهذا تقع على الخط نفسه مع الأندلس وصقلية، وهي مسطح مائل نحو الشمال الغربي تحيط به السلاسل الجبلية المرتفعة. وقد ظل الجغرافيون العرب والأتراك أنفسهم يطلقون عليها بلاد الروم حتى وقت متأخر من العهد العثماني.

أصل الكلمة يوناني بيزنطي، وكان يدل على تقسيم إداري في الإمبراطورية البيزنطية، حل مكانه مع امتداد الفتح العثماني دلالة أكثر عمومية للاسم الذي أصبح أناضولو Anadolo بلسان الترك. كان الاسم يشمل بداية الأناضول الغربية فقط، ولدى إعادة تقسيم الولايات في عهد التنظيمات -منتصف القرن ١٩- صارت الأناضول مجرد تسمية جغرافية لا تطلق سوى على شبه الجزيرة نفسها (تقريباً حتى خط طربزون - أرزنجان - برجق - الإسكندرونة) واليوم يعني الأتراك بقولهم: الأناضول القسم الآسيوي من تركية بما فيها المناطق التابعة جغرافياً لأعالي ما بين النهرين (الجزيرة "ديار بكر"، أرمينية "قارص") عدا جزر بحر إيجه.

انظر: س. موستراس: المعجم الجغرافي، ١٥ .

والي شهرزور[١] عام توجهت إلى إسلامبول[٢]، وقد أحسست منه أنه سليم القلب له محبة وافرة لحضرة (الباز الأشهب)[٣] -قدس سره، وغمرنا بره- [وأكثر سكنة بلاد الروم لم يتخذوا غير الانتساب لحضرات المشايخ جنة، واعتقدوا أنه هو الوسيلة إلى الحلول في أعلى غرف الجنة][٤].

---

(١) **لواء شهر الزور:** هو في بلدة كركوك على مسافة ٢٣ ساعة، ويحتوي على ٢٢ ألف نسمة، جسيم، ومعمور، ويجري في دجله نهر الخاصة، ويلتقي بـ(نهر الأدهم) الذي يأتي من الجنوب. أرضه زراعية ومنبتة كافية. الأقضية والنواحي التابعة له: قضاء كركوك نفسه، قضاء أربيل.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ٢٥٢

(٢) **إسلامبول:** من أسماء استانبول، ويقال في أصل كلمة استانبول إنها كلمة يونانية تتألف من كلمتين Istin وPolin بمعنى نحو المدينة، وقيل إن البيزنطيين حينما تجاوزوا أسوار القسطنطينية وخرجوا لملاقاة العثمانيين وجدوا أنه لا طاقة لهم بملاقاتهم فقالوا Polin Istin أي نحو المدينة أي عودوا وادخلوا المدينة، ومن أسمائها آستانة وبلدة الطيبة ودار الملك، ودار السلطنة والدار العليا ودارکاه سلاطين أي عقبة السلاطين في الفارسية وسدة السلطنة أي باب السلطنة ومحروسة قسطنطينية اسمها بالروسية بمعنى مدينة القيصر.

وكان علماء الدين إلى وقت قريب يسموها إسلامبول، وكانت تكتب استامبول على العملة في زمن أحمد الثالث. ويقال إن محمد الفاتح سماها (إسلامبول) بمعنى مدينة الإسلام بعد فتحها.

حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٢٤

(٣) هو الشيخ خالد النقشبندي.

(٤) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وركب فيها أيضاً حضرة مصطفى ظريف باشا والي[١] ....

أرزن الروم[٢]،

---

(١) **لوالي/ميرميران/البكلربكي**: وهو رأس الحكم في الإيالة، وأطلقت عليه المصادر العثمانية إلى جانب ذلك أسمي: ميرميران، وأمير الأمراء، ثم أصبح اسمه الوالي مع مقدم القرن الثامن عشر. وكان يستخدم في النظم العثمانية في البداية بمعنى القائد "قومندان" صاحب الصلاحيات العسكرية الواسعة، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية معاً. كما كانت تستخدم البكلربكية في القرن الخامس عشر رتبة ودرجة تُمنح لكبار رجال الدولة، ولاسيما بكلربكية الروملي.

وتتوزع مهام البكلربكي على حالتين أساسيتين؛ الأولى هي: حالة السلم، والأخرى: حالة الحرب. وكانت عملية توفير الأمن في الإيالة واحدة من بين مهامه الأساسية. ونظراً لأن البكلربكي كان رأس النظام العسكري في إيالته، والقائد العام عليها، فقد تعددت صلاحياته، وازدادت مسئولياته. وكان يقضي ثلثي حياته الوظيفية تقريباً وهو يخوض الحرب بالفعل، أو أن ينشغل بالإعداد لها. وكانت تختلف بكلربكية الروملي عن باقي البكلربكيات من حيث أنها كانت الأولى في الدولة، ومن حيث منطقة الروملي نفسها باعتبارها "دار الجهاد"، كما كان يشارك بكلربكي الروملي في اجتماعات الديوان الهمايوني.

وعلى الجانب الآخر فإن البكلربكيين الذين تولوا على إيالات مهمة مثل: مصر، وبودين، والشام، وبغداد، والحبشة، والأحساء، واليمن كانوا يحوزون رتبة الوزراء. والمعروف أن للبكلربكي مكانة مهمة في التشريفات "البروتوكول". والحاصل منهم على رتبة الوزراء كان يلقب بلقب "أمير الأمراء الكرام"؛ بينما يلقب غير الحاصل عليها بلقب "الدستور المكرم".

انظر: أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ١٩٨/١.

(٢) **أرزن الروم**: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الزاي، وبعدها نون، وهي مضافة الروم بلدة من الخامس من أرمينية وآخر حد بلاد الروم من الشرق، طولها على ما في الأطوال (سط) وعرضها (ماد) وفي الرسم الطول (سوة) والعرض (لط يه) وقال ابن سعيد الطول (سده) والعرض (مبدل) وبالإضافة يحترز عن (أرزن) بلا إضافة وهي (بلدة من الرابع من أطراف أرمينية عن خلاط ثلاثة أيام طولها على ما في الأطوال (سه) وعرضها (لج) واليوم هي كخلاط خراب؛ بل لا عين ولا أثر [المؤلف] .

وهو الذي كان والياً في حلب[١] يوم ارتضع أهلها من ضرع حادثة النصارى الدر المسموم، وقد أحسست منه بلين الجانب ومراعاة حقوق الصاحب.

وأكثر رجال الدولة العلية بعد التنظيمات الخيرية[٢] متواضعون، وإن شبانهم وشيبهم من لبن اللين متراضعون، ولعمري إن ذلك الحال هو الحري بالرجال.

---

(١) **حلب**: بلد عظيمة من الرابع من قواعد الشام، ونشأ فيها علماء أعلام، طولها على ما في الأطوال سب ى وعرضها لدل وفي القانون طولها سج وعرضها لدل وشاع أن إبراهيم عليه السلام كان مقيماً في أرضها، وكانت له بقرة شهباء، فإذا قام بحبلها يقال حلب الشهباء، فاتخذت مدينة هناك وسميت بذاك وهو كلام استمرى من ضرع الكذب، فلا تسقه رضيع ذهنك [المؤلف] .

(٢) **التنظيمات الخيرية**: حركة الإصلاح العثماني الذي أعلن في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ (٣ تشرين الثاني ١٨٣٩م) بقصر كلخانه في استانبول. وقد قرأ متنها الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا مع خط همايوني السلطان عبد المجيد. وهي حركة تجديدية إدارية وسياسية كانت ترمي إلى التقريب بين المجتمع العثماني والمجتمعات الغربية. وقد عرفت بهذا الاسم لأنها تميزت بـ (تنظيم) شؤون الدولة وفق أسس جديدة في جميع المجالات الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٧٥-٧٦.

فتبوأ من السفينة القمارة، واتخذاها عن سائر الراكبين ستارة، واستأجرت أنا جوارهما حجرة نفيسة، وبما لها من كوة مطلة على البحر غدت أنيسة، وكان شريكي فيها ذو الخلق المزري بالرحيق المختوم [٢/ب] محمد أمين بك(١) ابن المفتي عبدالرحمن باشا الوالي سابقًا في أرزن الروم، وقد شاهدت منه مزيد عفة وصلاح، واختبرته فلاح لي فيه عظيم فلاح.

---

(١) **بك BEY** : ولقب " بك " تركي الأصل، ومختصر أو تحوير من كلمة " بيوك " أي الكبير، وأصل الكلمة تكتب بالكاف التركية " بك "، وهي من الكلمات الغزية التركمانية القديمة التي جلبها العثمانيون من موطنهم الأصلي، ويلاحظ أن لقب بك كأي لقب يلحق بالاسم، ومنها جاءت كلمة " أتابك "، وتعني الأمير في اللغة التركمانية القديمة؛ حيث "أتا– أطا" تعني الأب، وبك وتعني الأب، ثم استعملت بمعنى الكبير أوالسيد، وقد جاء هذا اللقب في رحلة ابن بطوطة؛ حيث كان يطلق على أحد الملوك؛ حيث فسر ابن بطوطة معنى "بك" بالملك، وقد أطلق هذا اللقب على أمراء أذربيجان وديار بكر في القرن ٩هـ-١٥م، كما أطلق على هذا اللقب على سلاطين السلاجقة خاصة في الأناضول.

وعلى العهد العثماني، كان لقب "بك" يطلق على مجموعة كبيرة من الرتب والوظائف الرسمية وغير الرسمية؛ حيث كان يعني: الرئيس، رئيسًا لعشيرة، حاكم، أمير، والي، آمر، ضابط، ضابط بحري "قبطان"، أمير السنجق "سنجق بك"، ويطلق لقب بك في الجيش العثماني على رتبة القائم قام "العقيد"، و العميد "مير آلاي" خصوصًا، وأطلق على القناصل الأجانب المعتمدين في الدولة العثمانية من قبيل التبجيل، وأطلق على عدد كبير من الموظفين الملكيين في الدولة العثمانية، وله استعمالات كثيرة في الدولة العثمانية، وأصبح الآن من ألقاب الاحترام فقط .

انظر: أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، ١/١٦٠ .

وذكر لي أنه من السادات الأكارم، حسيني النسب[١] من ولد السيد إبراهيم المرتضى ابن سيدي الإمام موسى الكاظم[٢]،

(١) السادات والأشراف هم نسل النبي صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة رضي الله عنها، وهما الحسن والحسين رضي الله عنهما .

(٢) موسى الكاظم (١٢٨- ١٨٣هـ/٧٤٥-٧٩٩م): موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الأئمة الإثنى عشر، عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد. ولد في الأبواء (قرب المدينة) وسكن المدينة، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة. وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حج مر بها (سنة ١٧٩ ه) فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى ابن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفى فيها سجينا، وقيل: قتل. وكان على زى الأعراب، مائلا إلى السواد. وفى فرق الشيعة فرقة تقول: إنه (القائم المهدي) وفرقة أخرى تسمى (الواقفة) تقول: إن الله رفعه إليه وسوف يرده. وسميت بذلك لأنها وقفت عنده ولم تأتم بإمام بعده.

له (مسند) سبع صفحات من تأليف موسى بن إبراهيم المروزى .

ابن خلكان: وفيات الاعيان، ١٣١/٢؛ ابن خلدون: العبر، ١١٥/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨٣/١٠؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة ١٠٣/١، الزركلي: الأعلام ٧ /٣٢١.

وأن من أجداده نجوم الهدى مولانا (شمس تبريز)[1]، قدس الله -تعالى شأنه- سره العزيز، وقد أخذ الطريقة على الشيخ عثمان الأرزنرومي النقشبندي أحد خلفاء

---

(١) **شمس الدين التبريزي:** محمد بن أحمد بن حاجي مولانا شمس الدين التبريزي ثم المقدسي الشافعي ويعرف بابن عذيبة لملازمته العذبة. ولد قبيل سنة خمس وخمسين وسبعمائة بتبريز واشتغل قديماً وارتحل إلى أقصى العجم والهند والروم واليمن والحجاز للتجارة مع اشتغاله بالفقه والعربية والصرف والقراءات؛ ودخل مصر في زمن الأسنوي وحلب في زمن الأذرعي والشام في زمن ابن كثير وابن رافع وحضر عندهم وعند غيرهم وحصل كتباً جيدة ودخل القدس في سنة خمس وتسعين وعرف بالخواجا وجاور سنين بمكة قبل الفتنة. ذكره ابن أبي عذيبة وقال إنه به عرف وأنه قرأ عليه في العربية والتفسير والقراءات وجاور معه بمكة سنة أربع وثلاثين، وكان أحد رجال الدهر كرماً وديانة وتصوفاً وتخشعاً ومحبة في أهل العلم والخير وفضلاً ذا نعمة طائلة وثروة مع سرقة كثيرة من ماله وغرفه. مات بمكة في المحرم سنة خمس وثلاثين بعد مرض طويل رحمه الله. وهو أستاذ جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية، وقد كان مولانا جلال الدين الرومي من معلمي العلوك الشرعية، =وكان لقاءه بالتبريزي هو الذي أحدث انقلابا في حياته، وقيل في ذلك: إن سبب عدول الجلال المذكور عن التصدي بالاشتغال بالعلوم، وإن توجهه إلى الحال التى تنقل عنه، أنه كان جالساً يوماً في بيته وحوله الكتب والطلبة، فدخل عليه الشيخ شمس الدين التبريزي: فسلّم وجلس فقال: ما هذا؟ وأشار إلى الكتب والحالة التي هو عليها، فقال جلال الدين: هذه لا تعرفها، فما فرغ الجلال من هذه اللفظة إلا والنار قد عملت في البيت، فقال الجلال للتبريزي: ما هذا؟ فقال له التبريزي: هذا لا تعرفه، ثم قام وخرج من عنده: فقام الشيخ جلال الدين وخرج وراءه ولم يجده، ثم ترك كتبه واشتغاله وأولاده وخرج منقطعا، وهو الذي سماه شمس تبريز، بل وكتب أشعارا جمعها في ديوان سماه كذلك " شمس تبريز " .

السخاوي: الضوء اللامع، ٩٧/٦؛ بدر الدين العيني: عقد الجمان، ١٤٠/١ .

حضرة مولانا الشيخ خالد العثماني السليماني المجددي[1]، وهو ممن اجتمعت به وأحببت أن أكون لصلاحة من صحبه، واستحسنت مسلكه، حيث رأيته لم يتخذ الطريقة شبكه.

---

(١) **الشيخ خالد النقشبندي** (١١٩٠ - ١٢٤٢ هـ/١٧٧٦ - ١٨٢٧م): خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي المجددي: صوفي فاضل. ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان. وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا (والي العراق) وتوفي في دمشق بالطاعون. من كتبه (شرح مقامات الحريري) لم يتمه، و(شرح العقائد العضدية) ورسالة في (إثبات مسألة الإرادة الجزئية) واسمها (العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري) و(جلاء الأكدار) ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم، و(ديوان فارسي) وجمع أسعد الصاحب رسائله في كتاب سمي (بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد) ولعثمان بن سند، كتاب فيه، سماه (أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد ط)، كما أن للشيخ محمود الآلوسي كتابا فيه سماه (الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد)، ولابن عابدين كتابا فيه اسمه (سل الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي).

الزركلي: الأعلام، ٢ /٢٩٤.

وفارقت الرفيق المومئ إليه من صمصوم[1]، متوجهاً بحراً على طريق طربزان[2] إلى أرزن الروم، وذكر لي أنه يتوجه من هناك إلى تفليس مأموراً من جهة الدولة العلية، قائماً بمصالح تجارها المسلمين دافعاً عنهم المظالم المسقوفية[3]، حيث إن البلدة اليوم -والأمر لله تعالى- تحت أيديهم، سلط الله تعالى بلطفه الشامل من ينتزعها منهم على رغم أنوفهم، وينحيهم.

---

(١) **صمصوم /صامسون (بريان):** قرية في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية آيدين، لواء صوغله، تقع على سفح جبل، في موقع يسيطر على السهول التي يجري فيها نهر بيوك مندرس.

س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص ٣٢٧.

وقد اعتمدت كثيراً في تعريف المدن والقرى الواردة في الرحلة على هذا الكتاب، رغم قلة معلوماته في كثير من الأحيان، إلا أن أهميته تعد إلى كون مؤلفه س. موستراس، كان قنصلاً لروسيا في إزمير، وقد وضع كتابه هذا في عام ١٨٦٣م، وهي فترة قريبة جداً من زمن الرحلة، كما أنه أحد المراجع القليلة جداً المترجمة للعربية وتتناول جغرافيا العثمانية، كما أن المترجم قد أضاف تعليقات قيمة زادت من أهمية الكتاب .

(٢) **طربزان/طرابزون:** بفتح الطاء والزاي المهملتين، ثم باء موحدة، ثم زاء معجمة، ثم ألف ونون، وقد يقال لها طرابزون بالألف بعد الراء وواو بعد الزاي، واسمها في القديم طرابزند وهي فرضة مشهورة على بحر نيلش المسمى بالبحر الأسود، وهي من الإقليم الرابع وطولها عند ابن سعيد سدل وعرضها مون، وفي القانون طولها (سح وعرضها مح) [المؤلف] .

(٣) نسبة إلى موسكو حاضرة روسيا القيصرية .

وتسمى السفينة التي ركبناها بالطائف البحري، ولولا كثرة العاكفين فيها لأزرت في سرعة السير بالطائر البري، وكان طولها على ما حققته إحدى وسبعين ذرعًا، وارتفاعها على ما يخمنه الناظر في جوفها نحو أحد عشر باعًا، وفيها من النفوس نحو الألف، ومن الحمول ما لا يكاد يحويه ظرف، وأجرة الحجرة فيها من القروش الرومية(١) مائتان وخمسون، وأجرة غيرها مائة وعشرون.

---

(١) **قروش Kurus**: الاسم الذي أطلق على المسكوكات الأجنبية المستعملة أو المتداولة في الدولة العثمانية بوجه عام. فإن كانت ذهبًا أطلق عليها القرش الأحمر، وإن كانت الكلمة مجردة من الإضافة قصدت بها السكة الفضية. ولها أنواع:

١. القرش الأسود: ويطلق على العملة الألمانية والأسبانية.
٢. القرش الأسدي:عملة فلمنكية (هولندية) وتساوي ثلث الذهب العثماني.
٣. قرش سوليا: وهي العملة الفضية للويس الحادي عشر .
٤. قرش بوليا: وهي عملة إمارة بوليا الواقعة في جنوب إيطاليا التي استولى عليها العثمانيون لفترة مؤقتة.

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك القرش العثماني الذي استخدم في نهايات القرن السادس عشر الميلادي، وكان مساويًا لثمانين أقجة، وقد ارتفع سعره في القرن الثامن عشر إلى مائة وعشرين أقجة. وهي وحدة نقدية أخذها العثمانيون عن الأوربيين، وقد بدأ ضربها في البلاد العثمانية في عهد سليم الثالث (١٢٠٣– ١٢٢٣هـ) وكانت من الذهب عيار (٨٣٣) وتزن ستة دراهم، وقطرها أربعون مليمترًا، وكان أول سكة لها في ١١٠٨هـ، ثم بدأ ضربها من الفضة عام ١١٤٧هـ، وكان وزنها تسعة دراهم من الفضة، وأطلق عليها (ريال قروش) ثم بدأت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أقل من نصف درهم.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٧٨؛ محمد عبد اللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين، ص ١٥٦.

[سينـاب][1]:

وقد سارت بنا تخفق بجناحي نسر، وتنفس الصعداء أن قصرت بها قوادمها عن إدراك الهواء إذا يسر.

فأتينا سيناب[2] يوم الاثنين ، فأقمنا يومنا وهو منا بحيث يجاوزه سهم شعاع العين، فركبنا زورقًا وعبرنا إليه، فدخلنا جامعًا فيه ينسب للسلطان علاء الدين السلجوقي -رحمة الله تعالى عليه-، ونُقِلَ لنا أنه كان قد تداعت أركانه، وأذنت تدعو أهل الخير لإقامتها، وقد آذنت بالسجود جدرانه، فلم يجب أحد آذانها،

---

(١) سينوب **Sinob**: (Sinope, Sinope) مدينة في تركية الآسيوية/الأناضول مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه في ولاية قسطموني على البحر الأسود، فيها حوالي ٨٠٠٠٠ نسمة. وتقع على دائرة العرض ٤١,٠١ والطول ٣٥,٠٩.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣١٥ .

(٢)كذا يقال اليوم، وكان يقال أولا سينوب، وهي مدينة من السادس، وهي فرضة مشهورة، قال ابن سعيد طولها نز وعرضها موم [المؤلف] .

ولم يسرّ واحد بطيب وعدٍ آذانها، حتى وفق الله تعالى [٣/أ] خادم الحرمين(١) حضرة السلطان عبد المجيد خان(٢)،

---

(١) **لقب (خادم الحرمين)** من الالقاب التي تطلق على الخلفاء، وقد حرص السلاطين العثمانيون على التلقب به منذ بسط سيطرتهم على الحرمين الشريفين عقب فتح الشام، وظل اللقب متداولا ليس فقط في المكاتبات الرسمية بل في العملات العثمانية المسكوكة في مختلف عهود السلاطين، ويزعم بعض الكتاب أن العثمانيين لم يحرصوا على التلقب بـ (خليفة) أو (خادم الحرمين) إلا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) في محاولة منه لرفع شعارات دينية تسهم في دعم موقف دولته المتداعية، وهو ادعاء منافٍ للواقع والحقيقة .

(٢) **السلطان عبد المجيد خان** ابن السلطان محمود خان الثاني: ولد سن ١٢٣٧هـ، وجلس عام ١٢٥٥ بالغاً من العمر ١٨ سنة وعقيب جلوسه أقام خسرو باشا صدراً أعظم فلم يستطع أن يستميل إليه كبار رجال الدولة، وقد جاراهم في بعض الأمور، فوقع النفور بينه وبينهم، واستحكمت حلقاته حتى لم يعد في الإمكان إصلاح ذات البين، وبالنظر لما وقع من الشقاق تأخرت أحوال العمار البحرية التي أرسلتها الدولة إلى مصر، وحينئذ أقال السلطان من منصب الصدارة خسرو باشا، وعين مكانه رشيد باشا الذي شمر عن ساعد الجد، وابتدأ في إجراء التنظيمات وسائر ما من شأنه أن يمهد أمام العباد سبل الراحة والإسعاد، ثم اصدر منشوراً تضمن إجراء العدالة ورفع المظالم، تلاه في الكلخانة بحضرة السلطان الأعظم وشيخ الإسلام والوزراء العظام، وسائر العلماء الفخا، وبعد ذلك سعى في حسم مسألة مصر، فأنهاها بما يوافق مصالح الدولة، ومنع سف الدول الحربية من الدخول في بوغاز البحر الأسود والبحر الأبيض، وفي سنة ١٢٦٥ ساح السلطان في جهات الروم إيلي الشرقية، ثم عاد إلى القسطنطينية، وشرع في إصلاح الأحوال الداخلية، وفي السنة ذاتها نقضت الروسية العهود وطلبت من الدولة وضع حمايتها على سائر المنسوبين إليها، المقيمين في الممالك المحروسة، فأبت الدولة ذلك، وامتنعت عن القبول بأمر ليس فيه للحق وجه، ولما اعتلمت الروسية بعدم إجابة طلبها اشتهرت الحرب على الدولة عام ١٢٧٠ ، فسارت الجنود الشاهانية إلى جهة = الأناضول والروم إيلي، واقتتلت مع عساكر الروس عند سواحل نهر الطونة فأهلكتهم، وحينئذ جمعت الروسية كل قواها وألفت جيشاً كثيفاً من تسعمائة ألف رجل ساقتهم إلى حقول المعركة، فلما رأت الدول ذلك فقهت وخامة العاقبة واتحدت إنجلترا وفرنسا وسردينيا مع الدولة العلية وأرسلن

فأعاده لوجه الله -عز وجل- إلى نحو ما كان.

ورأيت مقابله مدرسة تنسب أيضًا إلى علاء الدين - أسكنه الله تعالى أعلى غرف عليين-، وهي مدرسة في وجهها اليوم من أظفار الزمان خموش، وقد مزقت أسفًا على دروس سكانها ثوبها المنقوش، فدخلتها فرأيت على بعض مصاطبها شيخًا غدا عكازه وترًا لقوسه، واستلب الهرم شعار قواه حتى لم يبق له شعورًا بنفسه،

مراكبهن تحمل المدافع والجنود، فأخربت قلع سواستبول وسائر شطوط الروسية البحري، وأوقفوا الروس عند حدودهم.

وعقيب ذلك عقدت معاهدة باريس، وتم بموجبها الصلح عام ١٢٧٣، وتفرغ السلطان لسن النظامات المتعلقة بالتجارة والصناعة والزراعة، فشكل محاكم التجارة، وأسس المكاتب الرشيدية، واعتنى في نشر المعارف والعلوم وتعميم العدالة والأمن، وفي عام ١٢٧٧ توفي إلى رحمة الله عن عمر أربعين سنة، قضى منها على عرش الملك ٢٢ عامًا، ودفن في جوار جامع السلطان سليم في تربته المخصوصة رحمه الله رحمة واسعة.

يوسف آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ١٢٠ - ١٢١ .

فسألت عنه فقيل هو مفتي[1] سيناب، فكان لي ذلك عن أسئلة أضمرتها أفصح جواب، ووقفت على ما حرره وأملاه؛ فرأيتهما أضعف بكثير من قواه، لكن حسنت الظن بشيبته، واستظهرت بنورها حسن طويته، فتبركت بتقبيل يده، وطلبت منه دعاء الوالد لولده، وأفهمته ذلك بالإشارة، لعسر إسماعه -من غير إسرافيل عليه السلام- العبارة.

---

(١) **المفتي / الإفتاء:** عرفت وظيفة المفتي في كافة الدول الإسلامية القديمة والحديثة، وفي عهد المماليك، كانت وظيفة المفتي تتعلق بدار العدل، أو كان يطلق عليه اسم مفتي دار العدل؛ حيث كان يجلس السلطان لفصل الخصومات، وإلى جانبه المفتي، للإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل، وكانت الدولة العثمانية أكثر الدول الإسلامية عناية بهذه الوظيفة، وقامت بتأسيس دار الفتوى "فتوى خاله" في العاصمة، ضمن مؤسسة شيخ الإسلام، وقامت بتعيين المفتين في كافة مراكز الولايات العثمانية وفي الألوية والأقضية والنواحي والمدن والقرى، وكان جهاز الفتوى في الدولة العثمانية جهازاً واسعاً وكبيراً.

انظر: أكمل الدين أوغلو: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ٣٠٢/١.

المنزل الأول : صمصوم :

وفي الساعة الثانية من ليلة الاثنين طاف بنا الطائف البحري، ولم يزل يلطم بجناحيه وجه البحر الأسود وعلى رغم أنفه يجري، حتى ضَمَّهما ضحوة يوم الثلاثاء إلي جنبيه ووكر تجاه صمصوم[1]، [فطارت الزوارق زرافات إليه، فنقل أكثر الناس أمتعتهم عليها إلى صمصوم][2]، ولم يبق إلا من قَصْدُهُ طربزان أو أرزن الروم، وكنت آخر من عبر، فاستأجرت حجرتين هما من أواسط الحجر، واخترتهما لي منزلاً؛ حيث لم أر في البلد لرعاية الضيوف مُتَأهِّلاً: [وقد رأيت كثيراً من سكان هاتيك البلاد يفزع من الضيف، ويجزع من إلمامه به ولو كان ذلك بالطيف، ومن هذا القبيل في العرب أقل قليل، ولعل ذلك من الضروريات فلا ضرورة بنا لنقل الشواهد والحكايات.

---

(١) كذا يقال اليوم، وفي أوضح المسالك سامسون بالسين المهملة، ثم ألف وميم وسين ثانية، وواو ثم نون، وهي مدينة من السادس، سميت بسام بن نوح عليهما السلام، وطولها (نطك) وعرضها (مولح) وأظن أن السامسوني صاحب التعليقات على حواشي السيد على شرح مختصر المنتهى منسوب إليها [المؤلف] .

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وأُخبرت أن حضرة سليم باشا[١] أوصى قبل عبوري أن أنزل في بيت مفتيها، فدعوت نفسي فشردَت عليّ ولم أقدر على تلاقيه؛ [لعلمها ما بين رقاع مرقعته، وبما كور من الحيل تحت براقع مسكنته، فقد زارني من قبل فأحسست منه بحال وراء طور العقل، وأيد ذلك بعض النقلة ممن لا أكاد أتهمه فيما نقله، نسأل الله - تعالى- العليم القادر أن يصلح منا الظواهر والسرائر][٢].

---

(١) باشا: كلمة باشا معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه، ثم صار معناه "مستخدماً "، واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات، وأخيراً أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة. وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية، وأطلق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على الذين يرقون إلى درجة وزير وأمير الأمراء"مير ميران"، كما استخدم للعسكريين الحائزين على رتب أمير اللواء والفريق والمشير، يضاف إليه أنه منح إلى بعض شيوخ القبائل وإلى من كان ذا موقع مرموق.

= وقد ورد هذا المصطلح في كتاب "تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل" على النحو التالي: الباشا كلمة تركية ما زال أصلها الاشتقاقي مصدر خلاف، فقيل: إنها من "باش أغا" أي رئيس الأغوات، أو كبير الخصيان، وقيل إنها من الكلمات الفارسية "بادشاه"، وقيل إنها من "باش" بمعنى الرأس والرئيس. وهو لقب كان يطلق على رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلى أعيان المدنيين، ووكلاء الوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار وملاك الأراضي.

سهيل صابان: معجم، ص ٥٢-٥٣

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وجاءني إلى قرب الساحل رجل من المدرسين الأفاضل، ذو خلق سوي، يدعى بـ محمد أفندي[1] القروي، وقد دعاني للنزول في مدرسته والإقامة -إلى أن تسير الرفاق- في حجرته، وكان ذلك بعد نقل المتاع إلى ما استأجرته من البقاع، فأجبته تطييباً له، وجلست عنده حتى شربت القهوة، ثم قمت معتذراً شاكراً فضله، فشيعني إلى محلي، ولم يقطع أمله مني حتى وصلت رحلي .

---

(١) **الأفندي:** كلمة رومية – بيزنطية انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدئ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف، حيث حلت محل كلمة جلبي المماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمراء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

وقيل استخدمها العثمانيون في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، للدلالة على الإنسان المثقف ذي التربية القويمة، ثم أطلق على العالم وعلى بعض رجال الدولة، ثم استخدمت لقباً رسمياً للأمراء العثمانيين وكبار علماء الدين في الدولة، بالإضافة إلى استخدامها للضباط من رتبة الملازم حتى رتبة البكباشي، كما كان طلاب المدارس العسكرية يخاطبون بها رسمياً، ثم ألغيت الكلمة من دائرة الألقاب الرسمية في تركيا بالقانون رقم ٢٥٩٠ الصادر عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٤م. وقد استخدمت كذلك لرئيس الكتاب (ناظر الخارجية) قبل عهد التنظيمات ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٣٤ .

وبعد أن استقر بي المقام، ذهبت [٣/ب] لإزالة الدرن إلى الحمام[١]، فرأيت دلاكيه ظباء إلا أنها أوانس، وغواني غير أنها لا ترد يد لامس، لم أر مثلهم في حمامات دار الخلافة[٢]، مع أن دلاكيها قد ارتدوا بالحسن واتزروا بالظرافة، فهوى أحدهم إليّ، وأخذ بيده يمنى يدي، فَسَرَتْ أَسِرَّةُ طُرَّتيه، فغورت في الخصر منه وأنجدت في نجده، فاقشعرت جلدتي، وأعظَمَت ذاك ديانتي وغيرتي، وجعلت أسأل الله تعالى العصمة، وأصعد النظر وأصوبه في تصحيح تحريم النظر إلى المرد كما حكى عن بعض الأئمة مع أنه-والحمد لله تعالى- لا يزدهيني حسن أمرد، ولا يستميلني بتمايله قوام أملد، قد حبب لي نحو ما حبب لجدي رسول الله -عليه الصلاة والسلام- النساء والطيب،

---

(١) يذكر ويؤنث على ما ذهب إليه صاحب المكمل شرح المفصل وذكره الخفاجي في شرح الدرة، لكن قال النووي أنه مذكر باتفاق أهل اللغة [المؤلف] .

(٢) يعني بها مدينة استانبول حاضرة الدولة العثمانية، وربما عني بها أيضا بغداد حاضرة العباسيين .

وجعلت قرة عيني في الصلاة، فلذا تراني كثيراً ما أترحم على الشاعر الأمجد عصريِّنا الشيخ صالح التميمي[1]، حيث أنشد:

سلوا عن مذهب الولدان غيري * وعن دين العذارى فاسألوني**

واستظرف قولي بعض الظرفاء من رجال سويداء الأدباء:

مـن قــال بالمــرد فإنــي * امرؤ إلى النسا ميلي ذوات الحجال**

ما في سويدا القلب إلا النســا * ما حيلتي ما في السويـدا رجـال[2]**

---

(١) **صالح التميمي** (١١٩٠- ١٢٦١هـ/١٧٧٦- ١٨٤٥م): صالح بن درويش بن علي بن محمد حسين ابن زين العابدين الكاظمي، النجفي، الحلي، البغدادي، المعروف بالشيخ صالح التميمي (أبو سعيد). أديب، ناثر، ناظم. ولد في الكاظمية في حدود ١١٩٠هـ، ورحل إلى النجف، وتوفي ببغداد لست عشرة خلون من شعبان. من آثاره: شرك العقول وغرايب المنقول، وشاح الرود في نظم الوزير داود (والي بغداد) الأخبار المستفادة من منادمة الشاه زاده، الروضة التميمية، وديوان شعر.

الآلوسي: المسك الأذفر، ١٤٨–١٥؛ علي الخاقاني: شعراء الحلة، ٣/١٤٢– ١٥٩؛ العاملي: أعيان الشيعة، ٣٦/٢٠٧-٢٣٧؛ المغربي: مجلة المجمع العلمي العربي، ٢٤/٣٠٦، ٣٠٨، كحالة: معجم المؤلفين، ٥/٧.

(٢) قال ابن حجة الحموي في خزانة الأدب: فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية رحمه الله قوله مع حسن التضمين:

مقلتــــه الســوداء أجفانهــــا ... ترشق في وسط فـؤادي نبـال

ويقطـع الطـرق علـى سلوتي ... حتى حسبنا في السويدا رجال

وألم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله:

مــن قال بالمرد فإنــي امــرؤ ... ميلــي إلــى النســوة ذات الجمــال

ما في سويدا القلب غير النسا ... ما حيلتي ما في السويـدا رجـال

ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، ٢ /١٥٧ .

لكني شاهدت ما كاد يحيل الطبع ويحل -والعياذ بالله تعالى- عصام العصمة عما لم يُحدِّدهُ دليلُ العقل والسمع، وقد رأيت الجائين إلى الحمام كلهم يكرمون الخدم على كيسه، وهو - قاتله الله تعالى- يخطف العقول بابتسامة ولا يروع أحداً بتعبيسه:

وفي عينيه نرجسة ذبولُ * تعلـق بالقلــوب لهـــا ذبـــال**

ولعمري إنه يخيله وقد رشح عرقًا من حب، شجرة من فضة نقية حملها اللؤلؤ الرطب، إلى محاسن بلغت في الحسن الثريا، وشمائل تكاد تنشق من حلاوتها مرارة الحميا، يصحبها غنج ألفاظ أخلب للقلوب من غمزات ألحاظ، وحركات أطراف أجلب للبلاء من لين أعطاف [٤/أ]، فهو من غير تطويل ممن يهدي إلى الضلال ويضل عن سواء السبيل.

فأين هذا من الدلاكين في حمامات العراق، الذين تقطر لحاهم البيض عرقًا أسود أنتن مما تمجّه أفواههم من البُصاق، فما رؤية أولئك إلا سُقام، وما دخول حمّام هم فيه إلا حِمام.

ثم إن هذا الذي قلته إنما هو بالنسبة إلى اللذائذ النفسية والشهوات الطبيعية البشرية، وإلا فالشريعة المحمدية والغيرة العربية تأبيان كون الدلاك أمرد يتمايل بذوائبه كالغصن إذا تأوَّد، جسده ألين مَسًّا من الزبد، ورضابه -ولم أذقه- ألذ مَصًّا من الشهد، مع أوصاف يثمل القلم من خندريس حلاوتها، ويتلجلج لسانه فلا يقدر إلا أن ساعده الباري على تلاوتها، وعبارات تلتقط بلا أذن السمع حبات القلوب، وإشارات تدخل على الصالح بلا رضى الطبع حيات الذنوب.

نعم لم يحكم عقل ولا نقل بالاتفاق أنه ينبغي أن يكون الدلاك كأكثر دلاكي حمامات العراق، فالإنصاف أن ذلك مما لا يتحمله البشر، اللهم إلا أن يكون طبعه الشريف قد قُدَّ من حجر، وكأن وجه اختيار بعض الناس ذاك، أن الكيس ربما لا يكون خشنًا فتقوم مقامه لخشونتها كف الدلاك، أو ربما لا يحضر عند الدلك بالصابون الليف، فيقوم مقامه ذقن ذلك الدلاك الكثيف.

وبعد كل حساب ينبغي أن لا يختار المرء لتدليكه إلا امرأته أو جاريته، فإنه اليوم ممن كان سوى ذلك يدنس من فاعله ديانته، إذ لا يخلو من تمكينه الدلاك من النظر إلى عورته، ومسه بلا حائل ما يحرم على الأجنبي مسه من بشرته، وتفصيل الكلام فيما يلزم داخل الحمام، قد نظّفَه في كتبهم من كل درن الفقهاء الأعلام، فائتزر بمئزر ما يلزمك منه، ولا أظنك في غنى عنه.

[قمل الخشب] :

ثم لما اختبت الغزالة وخبت منها سواطع الأنوار، وكَرّ نجاشيُ الليل بجنوده وفَرّ قيصرُ النهار.

نادى منادٍ بين قمل الخشب، أن قم من منامك فهذا وقت الطلب، فخرجت مستكناته من الزوايا تسعى، وأقبلت كأن كلاً منها- لا عفا الله تعالى عنها- أفعى [٤/ب]، فجعلت تطرّز بإبر أنيابها مني الأديم، وتظهر فيه أنواع ألوانٍ فيها ألوان العذاب الأليم، فتراني لاختلاف ألواني :

كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ * مصبّغة والبعض أقصر من بعض**[1]

ثم إنها نزحت دمي من أعماق عروقه، وسلكت في علك لحمي غير سبيل الاقتصاد وطريقه، وباتت ترعاه رعي منهوم، وتقول : من يقول لحم العلماء مسموم؟ وألقت العداوة بين الأشفار، فلم تتصافح إلى أن تصافح الليل والنهار، وأعظمت في جسمي الحكاك، فأنستني ما آنستني من خدمة الدلاك؛

---

(١) البيت في الأصل ضمن أبيات قيلت في وصف قوس قزح، قال الأزدي:

ما قيل في تشبيه قوس قزح والثلج والبرق والغيم. ومن أحسن ما قيل في قوس قزح قول سيف الدولة بن حمدان، وينسب إلى ابن الرومي، وهو الصحيح:

وساقٍ صبيحٍ للصبوحِ دعوته ... فقامَ وفي أجفانهِ سنةُ الغمضِ

يطوفُ بكاساتِ العقارِ كأنجمٍ ... فمنْ بينِ منقضٍّ علينا ومنفضٍّ

وقد نشرت أيدي الجنوبِ مطارفا ... على الجودُ كناً والحواشي على الأرض

يطرزها قوس الغمام بأصفرٍ ... على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ

كأذيالِ خودٍ أقبلتْ في غلائلٍ ... مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

ابن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، ١/١١ .

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرّ ُقْش في أنيابها السّم ناقع**[1]

فلم أجد من الحجرة مفراً ولم أستطع فيها - هُدِمَت على رأس بانيها- مقراً، وكنت إذا قتلت واحدة عصبت أنفي مخافة أن يجلب عليّ نتن ريحها حتفي، فيا لها من دويبة أنتن ريحة من فم أسد، وأمتن شوكة من العقرب وأشد، ظفر الظفر بها من العجب؛

---

(١) **والضئيل** ضرب من الثعابين. البيت من قصيدة للنابغة الذبياني من اعتذارياته المشهورة للنعمان بن المنذر، منها:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكسٌ والضواجع
فبت كأني ساورتني ضئيلةٌ ... من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من نوم العشاء سليمها ... لحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طوراً وطوراً تراجع
أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً ... وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع
حملت علي ذنبه وتركته ... كذي العر يكوى غيره وهو راتع
فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
= خطاطيف حجنٌ في حبال متينةٍ ... تمد بها أيد إليك نوازع

سليمان بن بنين الدقيقي النحوي: اتفاق المباني وافتراق المعاني، ١/١٨٤؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١/١٥٤.

إذ هى كالشنفرى[1] في عدوها إذا أحسَّت من عدوها بطلب، ولم أر مثلها في الدبيب من شُبٍّ إلى دُب[2]، ومن أمرها العجيب أنها حيوان رعبوب تنشب بالهزبر أظفار الرعب، أسأل الله تعالى أن يسلطها على من جعلني نزيلها في ضيق قبره، ويجعل خشب عظامه عقيلها بعد نشره ومحشره.

حتى إذا بدأ الفجر كذنب السرحان، وصبغ قاني الشفق ثوب الأفق كما صبغ بُردي بدمي ذلك الحيوان.

---

(١) **الشنفري** (ت نحو ٧٠ ق هـ/٥٢٥م): عمرو بن مالك الازدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: "أعدى من الشنفرى" وهو صاحب "لامية العرب" التي مطلعها: "أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل" شرحها الزمخشري في " أعجب العجب " .

الزركلي: الأعلام، ٥/٨٥ .

(٢) يقال: "أعييتني من شبّ إلى دبّ" أي أعييتني من لدن شببت إلى أن دببت على العصا، يقال ذلك للمرأة والرجل. وروى الزمخشري: أَعْيَيْتَنِي مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ: بضمهما وفتحهما والتنوين أي من حين شببت إلى حين دببت يعني من الصبا إلى الهرم ويروى من شب إلى دب بغير تنوين على طريق حكاية الفعل يضربان للبغيض قال مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

يا ضل سعيك ما صنعت بما ... جمعت من شب إلى دب

انظر: الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ١/٢٥٧؛ أبو علي القالي: الأمالي، ١/٩٦؛ النيسابوري: مجمع الأمثال، ٢/١٧ .

سألت عن حال السبيل ودعوت المكاري الرحيل، فأخذ مني ما أراد من الكِرى وهو على العلات دون أخذ قمل الخشب من عيني الكرى، وهو نصراني يدعى أوانيس، وليته كان ليسا بعد أنيس، فلكم آذاني بقلة مدارة الحمول مراراً، وكلما دعوته إلى ترك الغفول استمرت مريرته فأصر واستكبر استكباراً، ومعه غلام له اسمه كيركوت خباثته بالنسبة إليه تهون، وله -عوفيتم - محبان لوطي ومأبون.

فخرجت في الساعة السابعة في يوم الأربعاء [٥/أ] شاكراً للواحد الأحد سبحانه على أن خلصني من بلاء هاتيك الأرجاء، وجاء لوداعي من أهل البلدة، القروي السالف ذكره لا زال في نعيم يسمو على النعائم قدره. وسألته عن المفتي الذي كان قد جاء يوم مروري الأول عندي، فقال يا سيدي تعني به من زارك من قبل الرجل المدعو أحمد أفندي.

فقلت : نعم، عدتك النقم

فقال: إنه عزل منذ شهور، وهو اليوم جليس بيته لا يزار ولا يزور

[فقلت: ما سبب عزله وعلة فصله بعد وصله ؟

فقال : شكاية أهل مصره من تجرع مر شره.

فقلت: سبحان الله كنت أظن أن ذلك موجب لثباته وعلة تامة لبقائه مفتيًا إلى أن يكون الله تعالى قاضيًا بمماته][1].

ثم قلت له: ما نعت من نصب بدله

فقال: فضل وعلم وحياء وجباء وحلم

فقلت: أَبِن اسمه لي

فقال: هو محمود أفندي الجهارشنبلي

[فكان عجبي من نصب هذا أعظم من عجبي من عزل ذلك، وسبحان المالك المتصرف حسبما يشاء في العباد والممالك][2].

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

ثم قال لي: قد سمعت أن هذا المفتي قد عزم الليلة على عزيمتك، وتهيأ اليوم للوصول إلى خدمتك.

فقلت: بلغه سلامي عليه، ولولا أن رجلي بالركاب لسعيت راجلاً إليه.

ثم تفقدنا متاعنا فإذا بشمسية جليلة الشان، يستعملها السيد الشريف ومن غدا قطباً تدور عليه رحا الأعيان، قد أضاعها خادمنا المغفل صالح، والإضاعة عادة لم يضعها غادياً ورايح.

المنزل الثاني : أزْغُر :

وسرنا ساعتين فنزلنا الساعة التاسعة بين جبلين، وتبوأنا محلاً يقال له (أُزْغُر). وجعلت لقلة مسافة السير أحمد الله تعالى وأشكر، وسألت عن ضبط ذلك الاسم بعض الأخلاء، فقال: هو بضم الهمزة والغين المعجمة وبينهما زاي ساكنة وآخره راء. وبتنا هناك نعدّ ما رصّع أديم الخيمة الزرقاء من فرائد النجوم، وجعلنا نذود بأكف التوكل فراش الوساوس وهو على ذبالة الأذهان يحوم.

وعندما انهار جرف الليل وانثال، وجرى نهر النهار وسال كوّرِنا الحمول من غير خمول للمسير، وعليها من طلّ الليل بلل كثير، وتفقدنا المتاع لنرى أسُرِقَ منه شيء أم ضاع، فوجدنا أن قد فقدت منه شمسية، كانت لي في الحفظ عن أسنة حرارة الشمس في جميع المطالع سابغات داودية[1]، وغلب على الظن أنه أضاعها أيضًا القطب ولكن للقبايح، الخادم الطالح أسود الوجه صالح.

فسرنا الساعة العاشرة من يوم الخميس السادس والعشرين من شوال، بين سهول وحزون وأودية وأُكُمٍ وجبال، وقد شاهدنا كثيرًا من الجبال يعجن صباحًا خمير البخار في إجانة واديه، فتأخذه خبازة الحرارة وتمده بنشابة الريح أرغفة رقاقًا على تختة الجوّ بإذن منشيه.

---

(١) يعني كانت درعه الواقي من لهيب الشمس، والسابغات هي دروع المقاتلين، وصفنها الداودية نسبة إلى نبي الله داوود -عليه السلام- الذي اشتهر بصناعة هذه الدروع، وفق الأمر القرآني (أن اعمل سابغات) .

ومن الأكم ما رأيناه قد وضع على هامته [٥/ب] قلنسوة من البخار تحكي بلونها وهيأتها قلنسوة مؤنس الأحبة الشيخ قادر أفندي الشواني في اليوم الحار. ومنها ما يشبه كمرة سلس خشي أن يصيب البلل ثيابه، فعمد إلى بعض عمائمه البيض فجعله لها لمزيد التعصب في الديان عصابة. ومررنا على قوم يحصدون، وكان ذلك في يوم الثلاثين من تموز[١]، إلا أن برودة الوقت شابه بالنسبة إلى برودة العراق أيام العجوز.

---

(١) شهر تموز في التقويم السرياني، هو شهر يوليو في التقويم الجريجوري، الشهر السابع في التقويم الجولياني .

[جقال خان][1]

ولم نزل نسير حتى نزلنا (جقال خان) وكأننا ومخرج الثمار أسود ما فينا عَيّان، وكان ذلك في الساعة الثالثة من النهار، فأكلنا ما تيسر وشكرنا الله تعالى على فيض فضله المدرار، ثم أحسسنا بورود ذلك المشير[2] فأزمعنا من غير ريث على المسير، خشية أن يضيق الخان عليّ وعلى بغلتي، فتتسع إذ ذاك شُقَّة المشقة، وتعظم حيرتي.

---

(١) غير واضحة في النسختين، قد تكون (حفال خان) .

(٢) **مشير Musir**: كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠٩ .

المنزل الثالث: قواق [1]:

فركبنا الساعة السابعة متوجهين إلى (قواق)، ولم يصحبنا إلا أقل قليل من الرفاق، وكنا في أغلب المسير واضعي البطون على ظهور الأكوار؛ خشية أن تختطف عمائمنا المكورة أيدي الأشجار، فوصلنا المنزل في الساعة العاشرة ،

---

(١) ربما يعني بها فواق التي قال عنها في رحلته الأولى "نشوة الشمول": .. فلم نزل نسير حتى حللنا(فواق) وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو خمسين، ولم نر فيها والحمد لله تعالى غير المسلمين، وفيها جامع ذو منارة خشبية، وكان على ما قيل كنيسة، فكنست ظلمتها أنوار الملة المحمدية، وفيها عدة خانات وعدة دكاكين وحمام، وقد يضطر للاستحمام به بعض المارين، وحذائها نهر جار تحتقره الأرجل والأبصار، وفيها نائب لطيف اسمه شريف، ومفتي أواه اسمه عبد الله، وأنزلنا القدر في خان نصراني اسمه إسكندر، وفي أوائل مسيرنا بل ثيابنا قطر الندا بين شجر منه فاكهي ومنه لا، ولكن لم يخلق سدى، وعارضنا نهر " لا ديك " حيث لا دجاجة ولا ديك، فنزلنا عنده لنرفع بعض نصب السرى ونجر من أعيننا ما منع فتحها من سنة الكرى، ثم سرنا أيضاً بين أشجار كان لها لعظم تطاولها عند السعد الرامح ثأر، وقد تشابكت أصابع أغصانها، واحتبكت السواعد منها بالسواعد، وفرجت ساقاتها لراحة كل ماش في ظليل ظلها وقاعد، فنزلنا للغداء في خان قد خانته قواه لمرور الزمان، ثم سرنا بين ما يحكي هاتيك الأشجار، وما أكثرها وأكبرها في تلك الديار، وفي الطريق مياه كثيرة جداً غالبها عذب فرات، لو أجرى على مقبرة لحيي بإذن الحي القيوم ما فيها من الرفات، وفيه عدة خانات وقرى يشاهد بعضها من بعض ويرى، وبيوت جميعها من خشب منضود يتعاصى لغلظه على النار ذات الوقود، .."

وكانـت هذه النزلـة فيـه النزلة الآخرة ،

وكان حلولنا في أحد خاناته[1] وهو منسوب إلى بعض أغواته.

وزارنا بُعَيْدَ نزولنا النائب وهو من أذكياء طلبة العلوم، يدعى شريف أفندي ابن الحاج أمين أفندي من أهالي صمصوم، فرحب بنا ترحيبًا، ورضجّ بِنَا وقد رثجّب منا ترجيبًا.

ولما اصفرّ وجه الشمس خوف الفراق، وكاد يمد الفلك الدوار على سكان البسيطة من ظلام الليل الرواق جاءت جماعة من أتباع المشير، فنزلوا من غير استشارة في الخان الذي نزل فيه الفقير، فأكثروا الهياط والمياط، كأنه أصاب عقولهم أسوأ ضروب الاختلاط، فضيقوا عليّ -لواسع سوء أدبهم- المكان، فانزويت في حجرة كجحر ضب خرب أنا والقِذان، وعادت إليّ ليلتي في صمصوم،

---

(١) **الخانات** منازل صغيرة ونوع من المؤسسات الخيرية التي تقدم خدماتها من الطعام والمئوى للمسافرين والمحتاجين، والنوع الكبير منها يسمى كروانسراي، وكان يشيد كالقلاع في طرق المسافرين ليقدم لهم الطعام والمأوى ويحمي بضائعهم من اللصوص وقطاع الطرق، وكان من الناحية المعمارية قطعا فنية رائعة .

انظر: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ٢/٢٩٤ .

وصرت انقلب علي فراش من قمل الخشب والبرغوث والفَرَاشُ عليّ يحوم، والعجب أن هاتيك البراغيث إذا عضت ورَّمَت الجسد، وإن خراطيمها على حقارة أجسامها أسنّ من الأسنة وأَحَدّ، وأنه متى وجدت أحدها على نحو ثوب وضعت عليه بنانك لتمسكه غاص، فكأنه -لا أباله- سمكة رملٍ [٦/أ] أو فتى من أهل البحرين غواص، وأعجب من هذا إذا قُصّ، أنه يسمع غناء البعوض فيتواجد طربًا ويرقص، ثم يضرب رأسه على صفوات عظامي فيكاد يهدّ أركاني، فكأنه من يوم خلق انتظم في سلك السالكين على يد الشيخ الطالباني، فتطاول عليّ الليل، وجعلت أنشد إذ ضقت ذرعًا من عريض الويل :

تطاول ليلي في قواق ولم يكن * بوادي الفضا ليلٌ عليّ يطولُ**

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلــة * وليس لبرغوث عليّ سبيل**[1]

والعجب أيضاً: أن قمل الخشب خفاف عراض كالأظفار،

(١) البيت الثاني في الأصل للصحابي الجليل بلال بن رباح، أو ربما كان يتمثل بها، وقد أخذها المؤلف أيضا متمثلا بها لكن بعد تحريفها لتناسب المقام. وقد جاء في السير أنه بعد قدومهم المدينة بشهر، وعك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعكا شديدا فدخلت عائشة على أبى بكر وهو يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أقرب من شراك نعله

ثم دخلت على عامر بن فهيرة وهو يقول:

كل امرئ مدافع بطوقه ... الثور يحمى جلده بروقه

فدخلت على بلال وهو يقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولــى إذخــر وجليــل

وهل أردن يوما ميــاه مجنــة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

أبو حاتم البستي: الثقات، ١/١٣٨ .

وأنه إذا لسع أسرع في الهرب فلا يظفر به بريد الأبصار، وأعجب من هذا كله وقوعي في ذلك الفخ، وخروجي من قرارة داري إلى هذه الديار وأنا الذي يعيبه العبور من الرصافة للكرخ، وعطاس القلم من انتشاق عطر منشم(١) السبب لذلك يرعف أنوف القلوب دماً، فلنكف عن بيان ذلك إلى أن يعطس صبح يوم وضع الموازين من انتشاق أمر رافع السما، فهنالك ينتصف من الظالم للمظلوم، فأقول: يا رب هذا الذي كان السبب فيما قاسيت في قواق وصمصوم.

[وادي قَـرَه دَرَه]:

ولما رعت غزالة الشمس نرجس الكواكب، وولت الأدبار من الليل المواكب. دعوت المكاري للسير

---

(١) بنت الوجيه العطارة بمكة، وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى، فقالوا: أشأم من عطر منشم [المؤلف].

أَشْأَمُ مِنْ مِنْشَمٍ: ويروى مشأم ويروى من عطر منشم وهي امرأة عطارة غمسوا أيديهم في عطرها وتحالفوا بالاستماتة في الحرب وقيل كانت امرأة تبيع الحنوط وسموه عطرا لأنه طيب الموتى وقيل هى امرأة افترعها زوجها صبيحة عرسها فأدماها فقيل لها بئس ما عطرك زوجك وقيل المنشم شيء يكون في سنبل العطر يسمى قرون السنبل وهو سم ساعة قالوا هو البيش وقيل المنشم الشر بعينه مأخوذ من شم فى الشر إذا أخذ فيه قال زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، ١/١٨٤ .

وكنت أتمنى لو أعارني جناحيه طير، فسرنا في الربع الرابع من الساعة التاسعة بين جبال ضخمة وأودية كأودية فتن العراق ممتدة واسعة، وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين من الشهر المذكور، جعل الله تعالى أيام عامه ولياليه ظروف المسرة والحبور، وكان أكثر مسيرنا في وادٍ يقال له قره دره، بَيّض الله تعالى صفحتي وجهه فقد سقانا ماءً لو ذاقه الخضر لكان به إليه دون ماء الحياة شَرَه، وفيه أشجار جسيمه كالأشجار السوالف، وأعظِم بما لها من الذوائب المرسلة والسوالف، وإن كنت يا أخي تريد في وصفها الحق، فتلك تخطف العمائم وهذه - ورأسك العزيز- تشق الذقون شق، والمياه في الطريق متكثّرة، وعلى بعضها لعِظَمِه قنطرة.

المنزل الرابع : الخان الصغير :

ولم نزل [٦/ب] من غير نزول في البين نسير، حتى نزلنا في الربع الأول من الساعة السادسة في (خان صغير) وفيه قَيِّم يقال له السيد حسن بن السيد عبد الرحيم مازن زاده، يشاهد من أمعن النظر في وجهه نور الصلاح ونور العبادة، وذكر لي أن أحد أجداده من ذوي العرفان والتحقيق، يقال له السيد أحمد الكبير له تربة مشهورة في قرية (لاديق) [١]، وهي قرية صغيرة في تلك الناحية قرب خرشنة المعروفة بأماسية، وغلب علي ظني أنه كريم الأب وسيد صحيح النسب،

---

(١) **قضاء لاديق**، على شمال لواء أماسية، وعلى بعد مسافة ٧ ساعات في اماسيه، فيه بركة يصاد منها السمك. ولواء أماسيه هو في قسم شمال غرب ولاية سيواس، على مسافة ٣٦ ساعة من الولاية. ويحتوي على ١٩ ألف نسمة من الذكور.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ١٤٤ .

وأكثر سادات تلك الأطراف ليسوا على ما يقال في الحقيقة من الأشراف، وإنما صانوا دماءهم بدعوى ذلك لما عرج الطاغية تيمورلنك[1] إلى سماء الاستيلاء على هاتيك الممالك، فإنه على علاته كان يظهر لأهل البيت حبًا عجبًا، ويتحرج من الإساءة إلى من انتسب إليهم ولو كان كذبًا،

---

(١) تَيْمورلَنْك: (٧٣٧؟-٨٠٨هـ/١٣٣٦؟ - ١٤٠٥م) قائد مغولي مسلم أقام إمبراطورية مترامية لكنها كانت قصيرة الأجل، ويُشار إلى تيمورلنك أيضًا بتيمور الأعرج. كان تيمورلنك من التتار، مغوليًا من سلالة جنكيزخان، وهو غازٍ آخر. وُلد تيمورلنك في أسرة لزعيم بالقرب من سمرقند في تركستان. وفي شبابه أصبح مشهورًا ببراعته الرياضية. وبعد عام ٧٦٠هـ، ١٣٥٨م اشترك في حروب كثيرة (قبل إسلامه). واعتلى عرش سمرقند سنة ٧٧١هـ، ١٣٦٩م، وحكم مملكة واسعة في آسيا الوسطى. وبعد عام ١٣٦٩م انطلق جيشه غربًا وجنوبًا إلى أفغانستان وبلاد فارس والهند وآسيا الصغرى. فتح تيمورلنك الهند سنة ١٣٩٨م، واتجه إلى سوريا سنة ١٤٠١م. واستولى على بغداد، وفي ١٤٠٢م دمر الجيش التركي الذي أُرسل لمقاومته، بأكمله. استولى على دمشق وهزم الجيوش المصرية. وبذلك أصبح حاكمًا لإمبراطورية شاسعة كان مركزها في تركستان. وتحرك بعد ذلك ليغزو الصين. ولكنه قبل أن يحقق هدفه مات بالحمى في معسكره. وتفككت إمبراطوريته بعد ذلك بزمن قصير.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

وأين هذا من طاغية آذى الأموات منهم والأحياء، واعتقد بفتيا إبليسية أن ذلك سبب نجاته -لا نجى- في يوم القضاء، فتبًا لشقي مغرور لم يعرج إلى ما عرج إليه -من حب أهل البيت- تيمور[١]:

بأيـة آيـة يأتـي يزيـد * غـداة صحائف الأعمـال تتلـى**

وقام رسول رب العرش يتلو * وقد صمتت جميع الخلق قل لا[٢]**

---

(١) يشير إلى ما اشتهر به تيمور لنك من محبته لآل البيت وتعظيمه للمنتسبين إليهم من الأشراف ولو ادعاءا، وذلك عندما اجتاح المشرق الإسلامي، فكان البعض يدعي أنه من الأشراف أي من سلالة لآل البيت نجاة من بطشه.

(٢) استشهد المؤلف بالبيتين في تفسيره عند تفسير آيات سورة الشورى، وعزاهما إلى أحد اقاربه المعاصرين وهو السيد عمر الهيتي. الآلوسي: روح المعاني، ٣٣/٩ .

ولما ابتلعت العين الحمئة عين الشمس، وحلقت باليوم عنقاء مُغْرِب[1]

فذهب كأن لم يغن بالأمس خشينا أن يهجم علينا نحو ما هجم قبل من أتباع المسير، فيشق إذ ذاك أمر المقام المُرّ وأمر المسير، فعزمنا على السُّرَى لبعض القُرى، فلم يرض المكاري إلا بأن نزيده على الكرى الذي جرى، فلم يكن منا أحد يزيد وتركنا ما كنا نريد، فبتنا -ولله تعالى الحمد- بعافيه وعيشه من قذاء الأغبار صافيه، بيد أنه لم وكر غراب ظلام الليل على وكر البسيطة طار هجوعي، وشرع أبو طامور يصلي صلاة التهجد وينقر نقر أبي اليقضان في محاريب ضلوعي، فما أدري والله كم ركعة صلى هذا الكلب،

---

(١) قال عنها الألوسي في تفسيره "روح المعاني" عند الكلام عن "أصحاب الرس": العنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير وكان فيها من كل لون وسميت عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد ولاتيانها بهذا الأمر الغريب سميت مغرباً، وقلي: لأنها اختطفت عروساً، وقيل: لغروبها أي غيبتها، وقيل: لأن وكرها كان عند مغرب الشمس، ويقال فيها عنقاء مغرب بالتوصيف والإضافة مع ضم الميم وفتحها .

وكأنه لكثرة ركوعه وسجوده أصبح [٧/أ] أحدب، وأما البعوض فلم يزل يصيح [في أذني][١]: يا شيخ جيء بعقلك إلى رأسك، فقد مص البرغوث بمحجمة خرطومه دمك ويوشك أن يأتي على نفسك، فقم واعمل بالسنة واتخذ نومك في الفراش متجرداً من ثيابك عن أسنة أذاه مجنة، ومرام هذا الخبيث أن أُخَلِّص له من يد البرغوث بقية دمي، فيكون لي كحجام ساباط، حتى يلحقني- قاتله الله تعالى- بأبي وأمي، فلا تكاد تخلص من الدسايس نصيحة خبيث أبداً، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

فبت أشكو إلى مولاي من فئة* لا يقنعون بشيء غير شرب دمي**

وقبل أن يروع ذوائب الليل المشيب، ويطفىء قناديل نجومه فم المغيب شددنا حُزُمَ الحَزْم، وأثرنا يعملات السرى بعصى العزم، فبقي البرغوث ينقز ألما من فقداننا، والبعوض يئن حزناً على ما فاته من شرب دمائنا.

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

حتى إذا تنفس محبوس الصباح، وأوشك أن يرينا طلعة غانيته الرداح نزلنا عن الأكوار فصلينا الصبح في غاية الإسفار، ثم ركبنا وسرنا، ولعلبة الأنفية لغلبة العجلة أضعنا، وأغلب ما يخطر لعقلي أنها سقطت مني ولم أشعر وأنا أصلي، فبقيت في مصلاي لمن شاء مولاي، وكانت من ذوات القيم، تساوي خمسمائة درهم.

وكان مبدأ سرانا متوكلين على الملك المتعال، الساعة الثامنة من ليلة السبت الثامنة والعشرين من شوال، وقد لبسنا لمزيد البرد مُضاعف الأَبْرَاد، وكادت أناملنا لا تقدر على إمساك اللجم حالتي الإصدار والإيراد، وتألمنا جداً من شدة البرودة وفرط قرصها، حتى إنا تخيلنا أن الشمس تحسر النار إلى قرصها، فأسرعنا في السير

لإثارة الحرارة، ويقصر عن شرح حالي وقت العدو طويل العبارة، فإني -والمغيرات صبحاً- إلى الآن لم أتعلم غير الطراد في ميدان القِرْطَاس علي كُمَيت القلم، ولعل ذلك الأمثل بأمثالي، والأوفق بمن وافق حاله حالي.

المنزل الخامس: أماسية[(١)]:

ولم نزل نسير بين جبال منها ما شمخ أنفه، ولكن يسرح في ذروته إذا شاء من الطرف طرفه، حتى وصلنا في الساعة السادسة من النهار (أماسية) ولم تكن النفس الأبية [٧/ب] لما شاهدته من قاضي خانها الخائن ناسية[(٢)].

---

(١) **أماسيه/آماسيه** **Amassia** (Amasea): مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - على نهر يشيل إرماق، مركز لواء يحمل الاسم نفسه، في ولاية سيواس، مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية. تقع على دائرة عرض ٤٠،٣٩ وخط طول ٣٥،٥١.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ١٠٤ .

(٢) راجع قصته مع قاضي أماسيه في رحلته (نشوة الشمول) .

فعارضنا في الطريق العام رجل من العامة، فأقبل وقبّل يدي ببشاشة كحيلته تامة، فساررت القلب فيه فقال لا أعرفه ولا أدريه، وراجعت إنسان العين فقال: أخيل أني رأيته في الزوراء مرة أو مرتين، فقلت: اكشف لي عن سرك، وأصدقني هديت سنّ بكرك، فقال: أنا -فديتك- أحمد أغا[(١)] ابن حسن، خدمت المرحوم علي رضا باشا في بغداد جملة من الزمن، وكثيراً ما أكلت من خبزك، وأصبت من خيرك، ولبست من بزك. ففرحت ورحت آنساً به،

---

(١) **آغا Aga:** مصطلح من أصل فارسي، ويعني "السيد"، وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة؛ منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الانكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة. ومنها أيضاً صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللقب مهماً للغاية في عهود القوة والنفوذ.

وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح يطلق على الإنسان الكريم صاحب المكانة العالية، وصاحب الفضيلة، كما كان يدل في الوقت ذاته على التكبر والتفاخر، ويذكر أن هذه الكلمة محرفة من كلمة "آقا" المغولية-وقيل الفارسية – المستخدمة صفة للعلماء.

وإن لم أكن متحققاً صدقه من كذبه، فسألته عن خان أنزل فيه غير خان القاضي، الذي علمت من ماضي حاله أن حكمه غير ماضي، وأنه أشبه القضاة بقاضي سدوم[1]، له عدول تأتيه على ما يقال إذا تغورت النجوم، فجاء بي إلى خان سواه، لكني مرآه دون مرآه، فنزلت منه بحجرة، جاهلاً حلوه ومره، فعندما وضعت قدمي رفع رأسه البرغوث وقمل الخشب، ثم ما عرجا حتى عرجا لتقبيل يدي وسائر جسدي كأنما يؤديا أمراً وجب.

---

(١)**(سدوم)** بفتح أوله: مدينة من مدائن لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، ويضرب به المثل، ويقال: أجور من قاضى سدوم، وأجور من سدوم، وسَدُومُ بفتح السين مدينة بحِمْص ويقال لقاضيها قاضي سَدُومَ، قال الشاعر:

كذلك قَومُ لوطٍ حين أَمْسَوْا ... كعَصْفٍ في سَدُومِهِمُ رَمِيمِ .

بينما جاء في مجمع الأمثال: أَجْوَرُ مِنْ قَاضِي سَدُومَ، إنما هو سذوم بالذال المعجمة والدال خطأ، قال الطبري: هو ملك من بَقَايا اليونانية غَشُوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين

ابن منظور: لسان العرب، ٢٨٣/١٢؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٦٤/١؛ أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ٧٢٩/٣ .

فقلت في نفسي سبحان الله تعالى، كأن الطبيعة تنضج الدم نهاراً ؛ لترتضعه هؤلاء الأشرار من ثدي المسام سراً وجهاراً، وليت شعري أجُعِل دمي وحدي لهم رزقاً، وخُصّ جلدي من بين الجلود لشرابه زُقّاً، وتحققت من فعلهم حسبما أدى إليه فهمي، أنهم إذا هجع النوام اقتسموا فيما بينهم دمي ولحمي، ولم يبقوا سوى أقلام عظام، قد براها ما عراها من عظائم عظام، هم في الحقيقة طغام.

وبينما أنا في هذه الحال، إذ الخان قد أُترِع بقرع النعال، فنظرت فإذا هو غاص بخيول السواريّة[1]، المأمورين بمعية الحضرة المشيرية، فزاد ذلك في شطرنج الأفكار جَمَلا،

---

(١)**طوبراقلي سواريسي:** وحد عسكرية من وحدات الجيش العثماني قبل إلغاء الإنكشارية، عناصرها من الخيالة المحلية لكل ولاية، مهمتهم تحصيل العشر أثناء الحرب من أصحاب الإقطاعات الخاصة والزعامت والتيمار، أطلق علي أفرادها لقب: الأمناء، لأنهم كانوا يؤتمنون علي تحصيل أموال السلطان من تلك الاقطاعات ويحصلون علي مرتباتهم من الأموال المجباة.

مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات التاريخية، ص ٥ .

ولم يبق لي إلا التسليم لمولاي -جل وعلا- موئلاً، ولم أخبر بقدومي الوالي عمر باشا كما أخبرته يوم مروري، خشية أن يأمر كما أمر من قبل نزولي عند ذلك القاضي فيقضي على سروري، ولم أنزل ضيفًا عند أحد من أعيان[1] أهل البلد ترفعًا بنفسي أن تكون على أحد ثقيلة، لاسيما وأوقات الإقامة سويعات كالنجابة هناك قليلة، وكان ولدي الذي ليس له في الذكاء [٨/أ] ثاني، السيد محمد أفندي ابن الفاضل إسماعيل أفندي الشرواني، أعلى الله تعالى في الدارين جليل مراتبه، وأعلى سبحانه بصحبته قدر خليله ومصاحبه، قد كتب من إسلامبول لأخيه الحاوي من الكمال ما عَزّ مَن يحويه، جناب ولدي السيد أحمد أفندي أن يترصد زمان قدومي أماسيه فيحلني من بيته العلي غرفه العالية،

---

(١) **أعيان Ayan:** أشراف البلد، ويطلق على فئة إقطاعية بدأت بممارسة النفوذ منذ القرن الثامن عشر الميلادي في مختلف مناطق الدولة العثمانية، وأصبحت ذات امتيازات وصلاحيات، وقد قضى عليها السلطان محمود الثاني بعد صراع طويل معها.

= وهو الاسم الذي أطلق أيضاً على الوسطاء الذين يقومون بتنظيم العلاقات بين الدولة والمجتمع العثماني في المدن والقرى. ويشمل بشكل عام القاضي والمفتي والمدرس والسيد وشيخ الطريقة، وكبار رجال الجيش، وكبار التجار، وأعيان البلد. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص٣٣ .

واقترح هو أيضاً بنفسه عليّ لما جاء للوداع إليّ، أن أنزل في بيته المعمور، حيث نصب لي فيه سرر السرور، فبعد ما حللت في الخان، وكان من أمري فيه ما كان، علم الأخ المومئ إليه بالقدوم، فأتى يهرول كأنما أحيا الله تعالى والده المرحوم، وقبيل مجيئه أخبرني أحمد أغا أنه هيأ لنا الطعام، واقترح أن لا أذهب إلى وليمة غيره من الأنام، فأجبته جزاء ما شاهدت منه ظاهراً من مكارم الأخلاق، وحرصه على أداء ما يدعيه من حقوق كانت في العراق، فأفدت المولى المومئ إليه الخبر من مبتداه، وكان لازم فائدته الاعتذار من ترك العشاء بمغناه،

ووعدته بالمجيء بعد العَشَاء، والوصول إلى بيته الجامع للمحاسن قبل صلاة العِشَاء، فقبل قسراً، ولم يرهقني من أمري عسراً، وبعد سويعة حضر الطعام، فوجده الذوق طبق المرام، وإذا بولدي أحمد أفندي قد حضر بجمع من طلبة العلم عندي، فذهب بي وبولدي (عبد الباقي)(١) إلى بيته الشريف، وأحلنا منه-لا زال محرماً على الحوادث- بقصر منيف، ورأينا هناك الشيخ حسين الكردي حاجب عين الأولياء حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي، وجاء من طلبة العلم من جاء، واستأنسنا إلى أن صلينا بالجماعة العشاء، وأشربنا قهوة البن والشاي، وأكرم بهما ذلك الكريم كل جاي، ثم أحضر فاكهة نفيسة، واستدعاني للتفكه منها بألفاظ أنيسة.

---

(١) عبد الباقي الآلوسي (١٢٥٠-١٢٩٨هـ/١٨٣٤-١٨٨١م): عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الآلوسي، البغدادي، الحنفي (سعد الدين) عالم مشارك في بعض العلوم. قرأ الاصلين والتفسير والحديث وغيرها من العلوم، وولي الإفتاء ببغداد، وسافر إلى الحجاز، وتقلد = مناصب سامية، منها: قضاء كركوك، وتوفي، ودفن بمقبرة الكرخي. من تآليفه: أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج، الفوائد الآلوسية على الرسالة الاندلسية في العروض، البهجة البهية في إعراب الآجرومية، القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي، والفوائد السعدية في شرح العضدية.

كحالة: معجم المؤلفين، ٥/٧٥؛ الآلوسي: المسك الاذفر، ١/٤٦-٥١؛ الأثري: أعلام العراق، ٥٣-٥٥؛ سركيس: معجم المطبوعات ٥- ٦؛ البغدادي: هدية العارفين ١/٤٩٧ .

ثم هيأ حسبما أهوى الفِراش، حيث رأى طائر النوم على مصباح عيني كالفَرَاش؛ بل أَحسّ أن كل أركاني أكف تجذبه، وعلم من سمات أجفاني أنه ولو كان سمًا تسربه وتشربه، فقمت ونمت نومة العروس، لا أعرف سوى الاستغراق بلذيذ النوم من بوس، فلم أشعر [٨/ب] إلا وضياء الصبح ينادي من كوى الآماق، اقعد يا كثير النوم فقد سار سائر الرفاق

فانتبهنا وانتهبنا صلاة الفجر من يد الشمس، وقد كادت تذهب لولا التوفيق ذهاب أمس، وسألت عما يصنع الأصحاب، فقيل قد بكروا في السير ولا بكور الغراب، فأرسلت ولدي عبد الباقي إلى الخان، فحمل الحمول وجاء بدابتي مع الغلمان. فسرنا صبيحة يوم الأحد أول الساعة العاشرة، بحال حسنة ومسرة -والحمد لله تعالى- وافية وافرة.

وبالجملة؛ رأيت هذا الولد ذا أخلاق جميلة قلما يجمعها من أفراد الناس أحد، وهو اليوم يقرأ شرح العضدية في الكلام، وعمره بارك الله تعالى فيه تسعة عشر عام. وشيعنا أحمد أغا ابن حسن، ووصلناه عند الفراق بشكر فعله الحسن، فرأيت آجن العبوسة يمور في أسارير جبينه، وحبلى بشرته قد جاءها المخاض لوضع ثقل جنينه، فلم اكترث وسقت الجواد، لأستظهر بذلك حقيقة ما أراد، فلما كدت ان أحتجب عن سهم نظره، واحتفى بعلم هناك عن العلم بإظهار مضمره، سار فسارَّ عبد الباقي، فجاء يعدو كأنه يريد سباقي، فقال: يا أبتي إن الرجل ندم على إكرامه وهو الآن يطلب مِنًّا ثمن شرابه وطعامه. فقلت على الرأس والعين خذ فأعطه بدل الواحد اثنين، فالرجل على ما أتوسمه لئيم، ودون تحمل مِنَّتِهِ العذاب الأليم، فأخذ وأعطاه، فرجع إلى مرصده ومثواه.

وليست هذه القصة أول ما حدث، فقد وقع نحوها للإمام الشافعي والناس في مصر بها تتحدث، ومع هذا هو خير من ذلك القاضي بألف قاط، ولولا التقى لقلت هذا هدهد وذاك إبرة خياط.

وقد سألت ولدي أحمد أفندي عن حال أماسيه فقال : هي وما أدراك ما هيه، بلدة يغلب فيه الرخاء، وفاكهتها غير مقطوعة في الصيف والشتاء، ماؤها عذب إلا أن هوائها كإست قاضيها السابق رطب، وفيها من المدارس ما يزيد على ثلاثين، ومن المساجد الجوامع ما يقرب من خمسين، وقد حوت جملة من العلماء الأجلة.

منهم المفتي حافظ محمد [٩/أ] أفندي جاذِكلي زاده، وهو من مشايخ التدريس والإفادة، ونسبته إلى جاذِك- بكسر النون- قرية قرب صمصوم، وبيته بالفضل لا ينتطح كبشان في أنه يناطح النجوم.

ومنهم الحاج حليم أفندي بياسي زاده، وهو من المدرسين الأعضاء الرئيسة لمجلس الشورى المعتادة، والبياسي بالباء العجمية أوله نسبة إلى بياس[١] قرية حاضرة البحر قرب آدنة[٢]، خرج منها جملة من الأكياس، وقد سمع بمجيئي ليلاً فأرسل لي ولده يقول أهلاً وسهلاً، وهو يظن إقامتي اليوم الثاني مع المشير فسهل له هذا الظن، ولا بأس ما كان من التأخير .

ومنهم فخر ذوي الفطن مصطفى أفندي ابن حسن، وهو مشهور بكَمَرباشي مصطفى أفندي زاده، جعل الله تعالى له العلم والعمل قوته وزاده،

---

(١)**بياس Payass**: بلدة في تركية الآسيوية/الأناضول، لواء عزير، على خليج الإسكندرونة، وتبعد مسافة ٣ ساعات. وبياس؛ تقع شمال مدينة الإسكندرونة، على خط العرض ٣٦،٤٧ والطول ٣٦،١٠.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٠٩ .

(٢) **أدنة Adana**: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، مركز لولاية ولواء يحملان الاسم ذاته، على نهر سيحون، على بعد ٢٥ كم من البحر المتوسط. وعدد سكانها حوالي ٤٠٠٠٠ نسمة، مقر أسقفة يونانية تتبع بطريركية أنطاكية، ذكرها كل من بطليموس ووبيلينس وغيرهما من القدماء. هي مدينة أضنه وأطنه وأدنه، تقع على خط العرض ٣٧،٠١ والطول ٣٥،١٨.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣٧ .

ومعنى كَمَر باشي على ما سمعت رئيس المدرسين، وهو معنى لم أسمعه في كل مغنى إلى ذلك الحين، وقد زارني هذا الفاضل مراراً، وأظهر لي من خالص الإخلاص لجيناً ونضاراً، وذكر لي أنه كم عزم على السفر للقراءة عليّ، وإناخة عيس الطلب ويعملاته لديّ، لكن لم تساعده الأقدار ولم تساعفه على السير مطايا الليل والنهار، واستجازني فأجزته، ولو أقراني الوقت سعة لأقرأته، ووعدته أن أكتب الإجازة له، لما تحققت من محاوته فضله، وأخبرني أنه يقرأ شرح مختصر المنتهى، وإليه في الديار الرومية المنتهى، فمن أصول المشايخ هناك ان من انتهى إليه من الطلبة أعطوه الإجازة، وعدوه ممن رقى فروع الفضل وحاز حقيقته ومجازه، وإن كان بين القوم اجهل من ابن يوم.

ومنهم محيي ميت العلوم، وناشر دائرة المعاني في هاتيك المغاني، مبرأ أكمة الجهل رئيس المدرسين عيسى أفندي الشرواني، وهو صهر حضرة إسماعيل أفندي لا زال مشمولاً برحمة المعيد المبدي، وكان يوم قدومي في طربزان[1]، وأُخبِرت أنه ما ذهب إليها إلا بعد أن آيس من ورودي في هذا الزمان، وسمعت من غير واحد أنه في العلم داهية، وأنه بالإجماع أعلم علماء أماسية، وليس بينهم شافعي المذهب سواه، أطال الله تعالى بقاءه وأغلى قدره وأعلى مرقاه.

وقد أحاط بأماسيه جبلان [٩/ب] مقوسان مرتفعان أسودان ؛ أحدهما غربي والآخر شرقي، فتخالها كأن الأرض حنقت عليها، فأرادت لحنقها خنقها، فطوقتها بفتريها، أو أنها شغفت بها حباً، وخشيت عليها نهباً، فأحاطتها بعضديها،

---

(١) يعني بها (طرابزون)، وهي: طرابزون Trabizoun (طرابزوس Trapezus): مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - مركز الولاية واللواء اللذين يحملان الاسم نفسه، على البحر الأسود، يقطنها حوالي ٣٠ ألف نسمة، مركز تجاري هام، مقر أسقفية يونانية تتبع بطريركية القسطنطينية، كانت طرابزون إحدى مقاطعات سنوب. تقع على دائرة عرض ٤١,٠٠ وخط طول ٣٩,٤٣.

س .موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣٤٥ .

أو خبتها عن عين الدهر الغدار بين جفنيها. وفي أعلى الجبلين غيران تسامت العيّوق لا تكاد يصل إليه إلا الأنوق، ونقل لي أن في بعضها اليوم بعض السياحين من القوم، تبوأه لعبادته، واتخذه روضة لرياضته، وأظن أن مثل ذلك لا يليق في هذا الزمان بالعارف السالك، اللهم إلا أن يكون الغرض التأسي من غير رياء بما كان منه -عليه الصلاة والسلام- من الخلق في غار حراء.

ثم إنها هي التي كان يقال لها خرشنة[1] بزنة خردلة على ما ضبطه بعض اللغويين وبَيَّنَهَ، سميت باسم مُمَصِّرِها خرشنة بن روم بن سام، ابن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام،

---

(١) **خرشنة**: مدينة في بلاد الروم أظنها في الثغور الشامية، فيها كان أسر أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، وهو ابن عم سيف الدولة ممدوح المتنبي، قال أبو منصور الثعالبي: لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب وأصابته عين في الكمال أسره الروم في =بعض وقائعه وهو جريح، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه وحصل مثخناً بخرشنة سنة ثم بقسطنطينية، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة، وقد قيل: على كل محج رقيب من الآفات. وهو القائل بخرشنة:

إن زرت خرشنة أسيراً ... فلقد أجلت بهـا مغيـرا
ولقد رأيت النـار تـن ... هب المنـازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يـج ... لب نحونا حواً وحـورا
من كان مثلي لم يبت ... إلا أميـراً أو أسيـرا
ليسـت تحـل سراتنـا ... إلا الصدور أو القبورا

الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٤٢ .

وقد غزاها سيف الدولة الحمداني[1]، وفي ذلك يقول المتنبي دقيق المعاني:

حتّى أقامَ على أرْباضِ خَرْشنــةٍ * تَشْقَى به الرُّومُ والصُّلبانُ والبِيــعُ**

---

(١) **سيف الدولة الحمداني** (٣٠٣-٣٥٦هـ/٩١٥-٩٦٧م): علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة: الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه. يقال: لم يحتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر ! ولد في ميافارقين (بديار بكر) ونشأ شجاعا مهذبا عالي الهمة. وملك واسطا وما جاورها. ومال إلى الشام فامتلك دمشق. وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣ ه، وتوفي فيها. ودفن في ميافارقين. أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة. وكان كثير العطايا، مقربا لأهل الأدب، يقول الشعر الجيد الرقيق، وقد ينسب إليه ما ليس له. وهو أول من ملك حلب من بني حمدان. وله أخبار كثيرة مع الشعراء، خصوصا المتنبي والسري الرفاء والببغاء والوأواء وتلك الطبقة. ومما كتب في سيرته " سيف الدولة وعصر الحمدانيين " لسامي الكيالي.
الزركلي: الأعلام، ٣٠٣/٤ .

للسَّبْيِ ما نَكَحُوا والقَتْلِ ما وَلَدُوا *** والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ مَا زَرَعُوا(١)

---

(١) من قصيدة لأبي الطيب، يمدح بها سيف الدولة، وقد مر في غزاة السنبوس بسمندو وعبر آلس، وهو نهر عظيم ونزل، على صارخة وخرشنة، فأحرق ربضهما وكنائسهما، وقفل غانماً، فلما صار على آلس راجعاً وافاه الدمستق، فصافه الحرب، فهزمه، وأسر من بطارقته، وقتل، ثم سار فواقعه في موضع آخر، فهزمه أيضا، ثم واقعه على نهر آخر، =وقد مل أصحابه السفر، وكلوا من القتال، واجتاز أبو الطيب ليلا بقطعة من الجيش نيام بين قتلى الروم، فقال يذكر الحال وما جرى في الدرب من الخيانة وهي:

غيري بأكثرِ هذا الناس ينخدَع ... إن قاتلوا جَبُنوا أو حدَّثوا شَجُعوا

أهلُ الحفيظــة إلا أن تجربهــم ... وفي التجارب بعد الغي ما يــزع

يوسف البديعي: الصبح المنبي، ١/٨٧ .

وهي -على ما في التقويم- من بلاد سادس إقليم، وذكر في الرسم أن طولها (يزل) وعرضها (مه) [1] والله تعالى أعلم.

---

(١) استخدم المؤلف "حساب الجمل" في تحديد المسافات، وحسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم. يقوم حساب الجُمَّل، الذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أبْجَدْ، هوز، حطّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغٌ. ومجموعها ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، وتسعة للمئات، وحرف للألْف. وطريقة حساب الجمّل كالتالي: إذا قرأت عن حدث وقع في سنة (جمر) مثلاً، فهذا يعني في حساب الجمّل أنّ الحدث قد وقع سنة (٢٤٣)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (٣)، والحرف (م) يقابله الرقم (٤٠)، والحرف (ر) يقابله (٢٠٠). فمجموع الحروف ج + م + ر = ٣ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٤٣. فإذا زاد العدد على الأَلف (ويقابله الحرف غ) وُضع قبل الحرف (غ) حرف مناسب. فالخمسة الآلاف يقابلها (هغ) وهي تساوي (٥ × ١٠٠٠)، وأربعون ألفًا يقابلها (مع) وتساوي (٤٠× ١٠٠٠). وهكذا يكون تركيب أيّ عدد تريده بالحروف التي تلائمه.

وقد استخدم العرب منذ الجاهلية إلى صدر العصر العباسي طريقتين للعدّ الحسابي، فكانوا إذا أرادوا أن يسجلوا عدداً في البيع والشراء مثل: (٩٥٠ دينارًا) دوّنوه كتابة بالحروف هكذا :تسعمائة وخمسون دينارًا، أو سجّلوه بحساب الجمّل هكذا :ظن؛ لأن قيمة الظاء (٩٠٠) وقيمة النون (٥٠). ثمّ انتشر استخدام هذه الطريقة في العصور المتأخرة، خاصة في العصر المملوكي في ما عرف بالتاريخ الشعري الذي ظل معروفًا مستخدمًا إلى زمان قريب. والتاريخ الشعري يقوم على إيراد الحدث المؤرخ له ضمن بيت من الشعر أو قِسْم منه، ويكون غالبًا بعد كلمة أرّخ أو أحد مشتقاتها، ومثاله قول أحدهم يذكر تاريخ طبع كتاب المخصّص في اللّغة لابن سِيْدَه في سنة ١٣٢١ هـ:

أقول لمّا انتهى طَبْعًا أؤرّخُهُ جاء المخصّص يروي أحسنَ الكَلِم.

وبجمع قِيَم حروف الشطر الثاني من البيت -وهو القِسْم الواقع بعد كلمة أؤرخه- نحصل على التاريخ المطلوب، فكلمة (جاء) قيمة حروفها (٤)، والهمزة لا قيمة لها، وكلمة (المخصص) قيمتها (٨٥١)(وكلمة (يروي) قيمتها (٢٢٦) وكلمة (أحسن) =قيمتها (١١٩) و(الكلم) قيمتها (١٢١) فيكون المجموع ٤ + ٨٥١ + ٢٢٦ + ١١٩= ١٣٢١ وهو التاريخ الذي تمّ فيه طبع الكتاب.

وتتميز هذه الطريقة بالاختصار وجمع الأعداد الكثيرة في كلمة واحدة أو كلمات، وهذا ما جعل حساب الجمّل سهل الاستخدام في نَظْم العلوم والمعارف وتاريخ الأحداث.

المنزل السادس : خان أزينه بازار[1]

ثم إنا لم نزل نسير، بتعب لِوَعْرٍ في الطريق كثير، حتى نزلنا في الساعة الخامسة من النهار، عند خان يقال له (خان أزينه بازار) وينسبونه للسلطان فاتح بغداد مراد خان[2]،

كما يمكن أن يكون نوعًا من التَّعْمية أو التَّشْفير بتحليل الأعداد المعطاة إلى مجموعة حروف مكونة بذلك لُغْزًا أو شفرة.

الموسوعة العربية العالمية .

(١) أزينه بازاري: ربما عني بها آينة بازاري Aine-Pazari: وهي بلدة في تركية الآسيوية -الأناضول- في ولاية ولواء آيدين، على نهر بيوك مدرس جايي، على مسافة ستة كيلو مترات من آيدين كوزك حصار، إلى الجنوب آثار مدينة مغنيسيا Magnisia التي على نهر المياندر Maendrum القديمة.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ١٣٤ .

(٢) مراد الرابع: تملك عام ١٦٢٣م، رفعه إلى عرش آل عثمان الانكشارية لحداثة سنه حتى يصفو لهم الجو ويفرضون ما تملى عليه أهواءهم، وداموا على هذا من حالهم طيلة الأعوام العشرة الأولى من حكم هذا السلطان. وكانت فرصة مواتية لشاه إيران الذي وسع رقعة ملكه، فانتزع من أملاك الدولة العثمانية المتاخمة لأملاكه فخرج (حافظ باشا) الصدر الأعظم إلى بغداد ليستردها من الإيرانيين وحاصر بغداد، ولكن الانكشارية تمردوا واستكبروا، حتى اضطر حافظ باشا إلى رفع الحصار والعودة إلى الموصل، ومنها إلى ديار بكر، وفيها تمادى الانكشارية في عصيانهم وتمردهم فعزل الصدر الأعظم، وخرج جيش العثمانيين ثانية إلى بغداد تحت إمرة (خليل باشا) الصدر الأعظم واستولى على بغداد، وثارت فتنة الانكشارية فهدموا قصر السلطان وقتلوا حافظ باشا.

وشفي السلطان مراد الرابع غيظه من الانكشارية بقتل كل من ثبت أن له ضلعًا في إثارة الفتنة، وحاول من يدعى (رجب باشا) إثارة الانكشارية، لكن سرعان ما أمر السلطان بقتله وإلقاء جثته من نافذة القصر ليكون عبرة لمن يعتبر، ومن تحدثه نفسه =بإثارة الفتن، فأمن الناس على النفس والمال بعدما كابدوا من ثورات الانكشارية ما كابدوا من شدائد ومحن. وأرسل السلطان إلى والي دمشق يأمره بمحاربة (فخر الدين) أمير الدروز بعد خروجه على الدولة، ثم مضى مراد الرابع بنفسه على رأس جيشه إلى إيران

وقد ترجلت في بعض الطريق، لَمّا تفرست إني لو لم أفعل لهلكت من الضنك والضيق.

وضاع يا ربعي حذائي، أضاعه رفيقي الملا موسى الكردي وكان يمشي ورائي، وكنت أظنه تقدس عن الغفلة في السفر تقديسًا، فظهر أنه اتخذها -لا بارك الله تعالى له فيها- دون السفر أنيسًا، ويوشك أن يغفل -سلمه الله تعالى- عن لحيته، فتقتسمها أمواس شظايا أشجار الأودية، أو تنسفها عواصف ذرى الجبال فتودعها عند سعد بُلَع أو سعد الأخبية.

ولما نزلنا ما رأينا في الخان أحدًا، فنادينا فلم يتصدَ لرد الجواب سوى الصدى، [١٠/أ] ثم ظهر علينا رجل من كوخ عنده مبقلة، فأخلى كوخه لنزولي وقد كان منزله، وجعلنا الأمتعة في حجرة، ولم نسكنها إذ كان فيها من البراغيث كثرة، وقضيت نهاري أسرح طرف طرفي في البقول، وأفكر في رياض آلاء ملك عظيم لا تحوم حول حمى ذاته أطيار العقول.

ليسترد ما سبق للسلطان سليمان القانوني أن استولى عليه من البلاد، وفتح مدينة تبريز، وتوفي عام ١٦٤٠م، ومع أنه قضى طفولته في القصر إلا أنه كان ذا نزعة حربية عارمة، ومع ذلك كان أديبًا ذواقة وشاعرًا مجيدًا.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٢٠٩.

حتى إذا احتجبت عروس النهار، وبدت غواني الليل للأبصار نمنا تحت الخيمة الخضراء عند خضرة وماء، على سطح كأسطحة دور الزوراء، لا يدور على سطحه طولاً وعرضًا سوى الاستواء، إلا أنه ليس له حجار، ففي النوم عليه لولا الضرورة ما جاء في الآثار، وحضلّ كلٌ منا الحزام، متوكلاً على الحي القيوم الذي لا ينام.

وقبل أن يفرخ طائر النوم في عش الأجفان، ونحن على ألذ حال أطاره المكاري النصراني بضرب ناقوس أجراس بغاله للترحال، فقمنا وللأنامل شغل بالآماق، وبين جباهنا وجباه الأكوار تقبيل وعناق.

فسرينا قسراً وأعين النجم سهرى، حتى إذا كاد الأفق يغرق بدم زنجي الليل القتيل، وأوشك أن يملأ الديك قنص الجو تحسراً على بيض النجوم بالصياح والعويل.

نزلنا عن الأكوار فجعلنا الصلاة عنوان صحيفة النهار، ثم سرنا.

[جنكل][(١)]:

حتى إذا قبّلت الشمس بشفاه أشعتها وجنات الجبال وأفواه الوديان تاقت أنفسنا لرشف قهوة البن من فم الفنجان، فلاح لنا بغاز[(٢)] جنكل، وعنده خان يشرب فيه القهوة غالب من أقبل، فنزلنا فشربناها فيه، وكانت حلاوتها في القلب -على مرارتها- فوق ما نبتغيه.

---

(١) **جنكل:** قال عنها المؤلف في رحلته الثالثة "غرائب الاغتراب": وصدرت أنا إلى بيت (حمدي باشا) فوردت فيه من حياض الراحة ما زادني انتعاشاً. وكان ذلك البيت الأجل عند الساحل. في محل يسمى جنكل. وهو بمرأى من القسطنطينية ومسمع. ومقعد بين شعبها الأربع. فبقيت هناك مدة. قعيد مخدرة الوحدة.

فلا صديق إليه مشتكى حزني ... ولا أنيس إليه منتهى جذلي

وعطرت هناك أردان وحدتي. بنفحة رسالة ذكرت فيها إلى الريحانتين نسبتي. مع ذكر نسبة آخرين. غدوا في البلاد متفرقين. وبعد عدة أيام دخلت القسطنطينية.

(٢) **بوغاز:** البوغاز هو المضيق ومدخل السفن إلى الميناء .

رب سوداء في الكؤوس تجلّت *** تهب الروح نفحة من حياةِ

عندمـا ذقتُهـا تحققـتُ منهـا *** أن ماء الحياة في الظلماتِ

وما أنصفُ مَن قال وأحسن في المقال :

يقول شراب البُنِّ فيه مـرارة *** وشربة صافـي الشَّهد ليس لها مثل

فقلت على ما عبتــه بمــرارة * قــد اخترتُهُ فاختر لنفسك ما يحلو**[١]

المنزل السابع: طورخال[٢]**:**

ثم سرنا خفافًا مع الأثقال حتى وصلنا الساعة الثالثة إلى (طور خال)، وذلك يوم الإثنين أول أيام ذي القعدة الحرام، فحللنا تكية الحاج مصطفى [١٠/ب] النقشبندي خليفة الشيخ عثمان دفين دمشق الشام، اختارها لنا جناب الممثل بليث الوغى، والمدير الحامل لمشاقِّ المأموريات هناك القسطموني خليل أغا،

---

(١) البيتان عزاهما ابن العماد في شذرات الذهب للشاعر برهان الدين إبراهيم بن المبلط القاهري (ت ٩٩١هـ). مع اختلاف في بعض كلماتها حيث رواهما كالتالي:

يقول عذولي قهوة البــن مــرة ... وشربــة حلو المــاء ليس لهــا مثــل
فقلت على ما عبتها من مرارة ... قد اخترتها فاختر لنفسك ما يحلو

ومن شعره في القهوة أيضا:

أرى قهوة البن في عصرنا ... على شربها الناس قد أجمعوا
وصـــارت لشرابهــا عــادة ... وليســت تضـــر ولا تنفــــع

وقال:

يا عائبــا لســواد قوتنــا التــي ... فيها شفاء النفس من أمراضهــا
أو ما تراها وهي في فنجانها ... تحكي سواد العين وسط بياضها

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٤٢١/٧ .

(٢) طورخال Tourkhal: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية ولواء سيواس. طورخال=كشان؛ تعرف اليوم بالاسم الأول، ويكتب: Turhal، تقع بين مدينتي أماسية وتوكاد على خط العرض ٤٠,٢٤ والطول ٣٦,٠٦.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣٥٢.

وقد رأيته حاوياً لصفات تحكي النجوم السيارات، ودلني عليه لما دخلت البلد القادري البندنيجي الحاج محمد، وصحبني ماشياً من منزله إلى الحجرة، وأظهر لقدومي عليه غاية المسرة. وجاءني شيخ التكية[1] الشيخ بكر، وهو سبط الحاج مصطفى السالف الذكر، وقدم لنا بطيخاً أخضراً يحكي بلذيذ حلاوته سكراً، وفيه حداثة والمشيخة فيه وراثة، والتكية على شاطئ نهر صغير، تئن عليه بضلوع تعد عِدّة نواعير، وقد ذكرتني مرائيها قول من ألغز فيها :

---

(١) **التكية:** وهي كلمة فارسية الأصل، جاءت من أصل كلمة "تكين" وتعني وحيد - فريد، وتعني أيضاً المنقطعين عن الدنيا، بقصد العبادة أو الانقطاع للعبادة، وتعني الزاهد والناسك، ثم أصبحت تطلق على المكان الذي يمارس فيه هؤلاء الزاهدين عبادتهم؛ =لتعرف فيما بعد بالمكان الذي يلتقي فيه المتصوفة وأصحاب الطرق؛ ليمارسوا عبادتهم ودروسهم وخلوتهم.

انظر: أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، ١/٢٥٤.

يا أيها المولى الذي * علم العروض به امتزج**

بيـــن لنـــا دائـــرة * فيها بسيـــط وهـــزج[1]**

وما نظم في الناعور شعراء الزمان وأدباؤه، أكبر من أن يحيط به طوقه وأكثر من أن تنزفه دلاؤه، وجداول هذا الكتاب أضعف من أن تدير بمياه مدادها هذا الدولاب.

ثم إني بعد أن اجتمعت حواسي، وهدأت من الكد أنفاسي، تشرفت بزيارة مرقد ذي الفضل البدي مولانا السالف ذكره الحاج مصطفى أفندي، وعنده مراقد أبنائه الكرام أسكنهم الله تعالى جميعاً غرف دار السلام، وهم في حجرة بناها كسائر حجر التكية الشيخ المشار إليه، جعل الله تعالى عمله بأسره مقبولاً لديه، وقد تنمق في بناها، فرفع سمكها وسواها، لما أنه قد حل من بلغ الثريا فضلاً في ثراها،

---

(١) من الألغاز الشعرية المشهورة التي لا يُعرف صاحبها. وكان ممن فسره علي بن أحمد ابن محمد المعروف بابن بجع البعلي الأصل الدمشقي الشافعي، حيث قال: قال سألني عنه بعض الإخوان فأجبته بديهاً بأن المراد بالدائرة الدولاب وأراد بالبسيط فيه الماء وأراد بالهزج صوت الدولاب فيكون المعنى بين لنا دائرة جمعت بين البسيط والهزج لا المذكورين في علم العروض والمعروف أن بعض العلماء سئل عن هذين البيتين ففكر ساعة ثم أجاب فقال له السائل أجبت الجواب الحق ولكن درت في الدولاب كثيراً.
المحبي: خلاصة الأثر، ٢/٢٠٩.

فلقد سمعت الناس هناك يقول فيها صحابي يسمى (كيسِك باش)، وينقلون في شأنه حكايات تستوحش منها غواني الصحة غاية الاستيحاش، ولعمري إن ذلك بناء على غير أساس، وجثة -ورأسك العزيز- بلا رأس، ومثل ذلك كثير في أكثر البلدان، وهي في هذا الأمر أبناء أعيان، قد اتخذ الناس فيها قبوراً هي عندهم من السِماك أسمى، وشغفوا بها شغف المجنون بليلى، وإن هي إلا أسما، [١١/أ] وأظن أن الزائر يثاب على نيته، ولا أظن المزَوِّر للقبر مثاباً على تزويره وحيلته.

وعندما ازرَقّت شفة الأفق الحمراء، وابيضت صحيفة المؤمن بنور صلاة العشاء قال المكاري: هاؤم البغال، ودونكم فحملوا الأثقال، فالأرض ليلاً تطوى، والقوي على السير أقوى، فقمنا لذلك بجد، حيث رأينا هوى صادف القصد، وحَمّلنا الحمول وسقنا، وبرفيق التوفيق الإلهي وثقنا، حتى إذا كان المسير بين سَحْر السَحَرِ ونحره، واستنشقت الأنوف نسيماً آثاره خفق غراب الليل جناحه للطيران عن وكره، وبدت الثريا كعنقود ملاحية حين نور، وتلتها الجوزاء بمنطقها تزهو وتتبختر، دبت في مفاصل الحواس دبيب النمل حميا النعاس، فخرجت حركات الرؤوس عن الانتظام، وكادت تقبل بأعلى الهام أسفل الأقدام:

وصرت بحيث لو كلفت جفنـــي * بكــاء كــان يبكــي لــي نعاساً**

وأحسب ما بطرف النجـم منــي * عــراه ذاك من طرفي انعكاسا**

مع أني -ولله تعالى الحمد- ممن يُعرف منه قلة النعاس، وتصفه بذلك على عدم إنصافها الأذكياء الأكياس، وجعلت الدواب تتلقى الأرض بمشافرها، فتخالها من كثرة ما تكبو قد اختارتها على حوافرها، وكانت تخبط خبط عشواء، وتتمنى لخلاصها لو كانت عمياء، فبينما تشكو إليّ ما أشكو إليها ابتسم ثغر الصبح الوَضّاح يضحك عليّ وعليها، فشكرنا المولى على جزيل ما أولى، وقلنا قرب أن تسلمنا كف المسير إلى يد الراحة، وأوشك أن يخفض لنا محل النزول -رحمة بنا- جناحه.

المنزل الثامن: توقات[1]:

ولما رأينا حمرة عين الشمس تحكي في وجه الأفق حمرة العين الرمداء نزلنا سراعًا فأدينا ما فرض علينا من صلاة الصبح أحسن أداء، ثم لم نزل نسير في وادٍ سهل كبير، إلى أن وصلنا مع شدة التوق إلى (توقات)[2]، وذلك يوم الثلاثاء ثاني الشهر، وقد مضى منه ثلاث ساعات، وغالب سيرنا في ذلك الوادي، وهو بين جبلين لا يسمع منهما لمزيد تباعدهما التنادي، وبحذاء أحدهما [١١/ب] نهر صغير وماؤه عذب نمير، يخرج من محل قرب البلد، ويمر على أماسية

---

(١) **توقاد:** توقاد Tokad (Comana Pontica): مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - في ولاية ولواء سيواس. تقع على دائرة عرض ٤٠,١٩، وخط طول ٣٦,٣٤.
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٢٢.

(٢) **توقات** في أوضح المسالك بضم المثناة الفوقية، وسكون الواو، وفتح القاف، ثم ألف وتاء مثناة من فوق بلدة صغيرة في الروم، من الخامس، وهي في لحف جبل من تراب أحمر، وطولها على ما في الأطوال سال وعرضها ماي [المؤلف] .

وغيرها، لكنه حالٍ عند كل أحد، وينصب في بحر قِرم، فيذهب فيه ولا ذهاب الغثاء بالسيل العرم، ويخيل أن ذلك الوادي كان بالماء مفعماً فشربته أفواه الحوادث، وكم شربت ولم تروا -لا در درها- من ماء، وتبدلات أحوال الغبراء لا ينكرها من صَوَّبَ نظره وصَعَّدَهَ في بوادق الأرجاء.

وتوقات -على ما حققت- عذبة الماء، طيبة التربة معتدلة الهواء، كثيرة الفاكهة جداً قد جاوزت في الفخر بذلك على أكثر البلاد حداً، وقد أرخى الرخاء فيها زمامه، وأعطاها دون ما سواها دَمامه، دخلتها في سادس شهر آب[1]، ولماء المزن في أرجائها انصباب، واستمر بعد دخولي ساعات، وعاد في اليوم الثاني على نحو ما فات، وله عندها إذ ذاك نفع غزير، لكن على ما شعرت في غير الحنطة والشعير، وهو صيفاً في مدينة السلام يُكثِران أنفق الأسقام والهوام، وقد شاهدت ذلك منذ سنين فقلت لبعض الأصحاب: هل أَرَّخْتَ ما وقع؟ فقال: نعم أرخت (عاماً شديد العذاب).

(١) شهر أغسطس.

وقد مدحها في أوضح المسالك بما يوضح امتيازها على كثير من الممالك.

بحث: خان أفندي ابن نوح أفندي-سلَّمَه المُعيد المُبدي-:

ونزلت بأثقالي في منزل بهجة بيت المعالي، مجدي كل مستجدي حضرة ذي الرياستين خان أفندي، وهو رجل جليل الشأن أصله من (غازي قُمُق) قاعدة ممالك داغستان[١] من بيت فضل ورياسة، ونجابة نجيبة وكياسة، قد ملئت شهرته بلاده، ودعى بين الأحمر والأبيض بـ (سُرْخي خان زاده). ولما استولى على مملكته يرملوف المأمور من قبل دولة المسقوف[٢]، هاجر في السنة الرابعة والأربعين من المائة الثالثة عشر إلى أرزن الروم، حيث إنها بلد لا يطير غرابها وتطير عن ساكنها عقبان الهموم،

---

(١) داغستان إحدى دول القوقاز .

(٢) يعني بها روسيا القيصرية .

ثم لما استولى عليها مسنكويج المأمور بدلاً من ذاك، هاجر إلى سيواس، فتوطنها تسع سنين بغاية رفاهية ونهاية استيناس، حيث إن المرحوم السلطان الغازي [1] محمود خان -تَوَّجَه اللهُ تعالى على كرسي الرضا بتاج الرحمة والغفران- أكرم هجرته وأعظم من بيت المال شهريته، وفي السنة الرابعة [١٢/أ] والخمسين سافر إلى توقات، فتاقت نفسه للإقامة فيها ما دامت الحياة، فهو اليوم فيها معزّز مُكرم، معزر محترم معظم، لا يفارق منزله كبارها، ولا تختار مرجعاً سواه خيارها، وقد رأيته مدينة علم حصينة، ومن رأى مثلي خانا غدا مدينة، قد غمس يده في كل فن،

(١)**غازي:** الغازي معناها في اللغة العربية: محارب أو مقاتل من كلمة الغزو، ولكن في اللغات الإسلامية كالتركية والفارسية والأوردية لها معنى خاص وهو المجاهد أو المقاتل في سبيل الله. وهذا الاستعمال ناشئ منذ زمن النبي ﷺ فيما يعرف بغزوات رسول الله ﷺ، وكان لقب الغازي أسمى الألقاب التي يلقب بها الفاتحون المسلمون .

سهيل صابان: معجم، ص ١٥٧

وله خط كحظه حسن، لم أشاهد -علم الله تعالى- بعد حضرة شيخ الإسلام[1] في الديار الرومية[2] فاضلاً مثله في العلوم العربية والفنون الأدبية، وله اشتغال تام بكتب التفسير، مع إطلاع على البطون وفير، وهو شافعي المذهب، يرى تقليد غير العجب الأعجب، وقد استأنست بمحاوراته وآنست نور اللطف في فكاهاته، فخيِّلتُهُ :

---

(١) **عارف حكمت** (١٢٠٠- ١٢٧٥هـ/١٧٨٥-١٨٥٨م) أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن اسماعيل رائف باشا، ينتهي نسبه إلى بيت النبوة، من نسل الحسين: قاض، تركي المنشأ، مستعرب، اشتهر بخزانة كتب عظيمة له في المدينة المنورة، تعرف إلى اليوم بمكتبة عارف حكمت. تقلد قضاء القدس، ثم قضاء مصر، فقضاء المدينة المنورة، وانتهى به الصعود إلى أن ولي مشيخة الإسلام في الآستانة سنة ١٢٦٢هـ، فاستمر سبعة أعوام ونصف عام، وأقيل سنة ١٢٧٠ فانكب على العبادة والمطالعة إلى أن توفي بالآستانة. له نظم باللغات العربية والفارسية والتركية، وكتاب بالعربية سماه (الاحكام المرعية في الاراضي الاميرية) و(مجموعة تراجم) لعلماء القرن الثالث عشر، لعلها بالعربية، اقتبس منها صاحب (هدية العارفين). وله (ديوان شعر-ط) بالعربية والتركية والفارسية. ونظمه العربي جيد. وللشهاب محمود الالوسي كتاب في ترجمته سماه (شهي النغم، في ترجمة عارف الحكم-خ) قلت: اشتهرت كتابة اسمه(عارف حكمت) بالتاء المبسوطة، على الطريقة التركية، ثم رأيت (خاتمه) الذي كان يصدر به كتبه الموقوفة في المدينة، واسمه فيه: (أحمد عارف حكمة الله) .

الزركلي: الأعلام ١٣٨/١؛ البغدادي: هدية العارفين، ١٨٨/١؛ البغدادي: إيضاح المكنون ٣٧/١، ٤٣٨/٢ .

(٢) كان معظم العرب يطلقون اسم الروم وبلاد الروم على الأتراك ومنطقة آسيا الصغرى والأناضول، حتى فترة متأخرة من عهد الدولة العثمانية .

لو مُثِّلَ اللُطفُ جسمًا * لكان للطف رُوحًا**

ورأيت فيه من مكارم الأخلاق ما يضيق عن حصر خصره النطاق، وشاهدت ابني عمه عنده، قد تبعا خُلقه وشابَه مجدُهما مجدَه، وهما : داود بك ابن خالد بك، وله مشاركات أدبية، وحسن تَلضقٍّ للدقائق العلمية. وحمزة بك ابن زكريا بك، وهو حَيِيّ نجيب قليل الكلام، لكن متى تكلم يصيب.

بحث: حضرة أفنديـنا حمدي باشا - نال بعون الله تعالى ما شا- :

وقد أمر بي بالنزول عند هذا الرفيع الشان، الذي ما نقض الكرم عهده معه ولا خان، حضرة فخر الوزراء،

وفجر نهار البهاء، الذي لم تر عيني وزيراً يدانيه، ولا نجيباً حوى من النجابة عشر ما فيه، أفندينا محمد حمدي باشا[1]

---

(١) **محمد حمدي باشا:** قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): (ومحمد حمدي باشا) هو رجل من رجال إسلامبول. ولد على أيدي قوابل الاعتبار والقبول. وارتضع لبان المجد. وامتهد حجور السعد. حتى ترعرع وبرع. وورد منهل المجرة وشرع. وفاق الأقران. وزاحم منكبه كيوان. فهو اليوم لا يجارى بكرم. ولا يبارى بمحاسن شيم. ذو وفاء وافي. وطبع من كل غش صافي. ورد بغداد في معية حضرة فاتحة قرآن العرفاء. وخاتمة قرون الوزراء (علي رضا باشا) كان له رضى مولاه سبحانه غطاءاً وفراشاً. فنلت إذ ذاك تفضله. ورقيت إلى ما رقيت بإخلاصي له. فأنا ربيب نعمته. وغرس أيادي أياديه وهمته.

وبقي في بغداد مدة مديدة. وأعواماً على عامة أهل وداده سعيدة. وهو في جميع تلك المدة بدر سماء وزارة ذلك الوزير. ونجمها الذي يهتدى به في ليل المشكلات ذلك المشير. وكان عليه الرحمة وهو المهاب يهابه. ويهوله وهو البحر الخضم عبابه. ثم رجع لأمرٍ ما إلى الأستانة العلية. فخطبته حوراء الوزارة البهية. ولم تزل تراوده حتى نكحها كرهاً وما كان في قلبه من قبل أن يمنحها وجهاً.

وقد تشرفت بولايته عدة أيالات. وما انفصل من أيالة إلا واصل أهلها البكاء لما أضحكهم من أياديه السالفات. وكان بينه وبين المرحوم (علي رضا باشا) قرابة سببية. وكانت أقوى من كثير من القرابة النسبية. وذلك أنه كان متزوجاً بخالته. ولذا اتحدت حالته بحالته. وكان هو متزوجاً ببنت درويش باشا الصدر الأعظم. وبعد وفاته خرجت عليه الصدور فصودر بما الله تعالى بمقداره أعلم. وكان أبوه رئيس وزراء =العساكر البحرية. وكان داهية دهما مع ديانة وأياديه البيض أدهمية. وهو زاده الله تعالى في الآخرة انتعاشاً. مشهور في البر والبحر بسيدي (علي باشا). وسبب ذلك أنه كان والياً في الجزائر. وكان يجلب بملاطفته قلوب أهلها الأكابر والأصاغر. فكانوا يخاطبونه على وجه التعظيم بسيدي بالتخفيف. وكذا كانت عادتهم في خطاب كل جليل شريف. فاشتهر بذاك. من بين وزراء الأتراك. تغمده الله تعالى برحمته. وأسكنه الغرف العلية من جنته. وبالجملة، حضرة المترجم. حفظه الله من كل ألم. لا نظير له في الوزراء حسباً ونسباً. وأنه لكريم الطرفين أماً وأباً. أسأل الله تعالى أن يعطيه سؤله. ويبلغه عن قريب مأموله. ويوالي مواليه. ويعادي سبحانه معاديه .

أنعشه الله تعالى بحميا اللطافة إنعاشاً، وذكر لي -أيده الله تعالى- أن المومئ إليه يحب لرفعه شأنه نزولي لديه، وأنه قد رجا ذلك من حضرته حين مروره ذاهباً إلى الآستانة لزيارة والدته، وذكر لي -حفظه الله تعالى- من خبره ما صدقه خُبْرُه، ومن ظاهر أمره ما وافقه سِرُّه، وقد أنشدته إذ شهدته:

كانت مسائلة الركبان تخبرني * عن جعفر بن سعيدٍ أطيبَ الخبر**

حتــى التقينا فلا والله ما سمعت * إذني بأطيب مما قد رأى بصري[1]**

(١) روي هذاتن البيتان باسمين مختلفين، تارة (أحمد بن سعيد) وأخرى (جعفر بن فلاح) وقد جمع المؤلف هنا بين الروايتين والاسمين. وصاحب البيتين الذين أوردا اسم الممدوح (أحمد بن سعيد) هو الشيخ أبو بكر عبد القادر محيي الدين البكري الصديقي الشافعي الدمشقي، أما صاحب البيتين الذين أوردا اسم الممدوح (جعفر بن فلاح) فهو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي، يمدح بهما جعفر بن فلاح الأمير. وقد جاء في ترجمته: " والي دمشق من قبل المعز صاحب مصر. وهو أول أميرٍ وليها لبني عبيد، وكان قد خرج المذكور مع القائد جوهر وفتح معه مصر ثم سار فغلب على الرملة سنة ثمان وخمسين وبعد أيام غلب على دمشق بعد أن قاتل أهلها أياماً، وكان بها مريضاً، على نهر يزيد فسار لحربه الحسن بن أحمد القرمطي وقتله سنة ستين وثلاثمائة وقتل من خواص الأمير جعفر جماعة وكان رئيساً جليل القدر ممدحاً " .

الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٦/٤؛ المحبي: خلاصة الأثر، ٥٦/١ .

وبعد أن حللت منزله، واستحليت تفضله، اقترح علي أن أقيم اليوم الثاني [١٢/ب] عنده لتنحل ما عقده على المسير من شدة الشدة، فأجبته طايعًا ملبيًا، وعن السير في اليوم الثاني وعليه مثنيًا.

وممن زارني وأطال الجلوس عندي: المدرس الفاضل عبد الرحمن أفندي، فرأيته قد ضم إلى المعقول منقولاً، وإلى الفروع أصولاً، وله بين أقرانه يد طولى في الأدب، وهو في معظم علماء الروم -على أدبهم فعلاً وقولاً- من العجب، وهو ممن تخرج على فاروق فروق[1]، والطائر بجناحي النسر في مكارم الأخلاق إلى العَيّوق، ذي الفضل الجليل الجلي: المرحوم الحاج عمر أفندي الأقشهرلي. وقد دعي إلى الإفتاء مرارًا، فاختارت فتوته الخمول شعارًا ودثارًا،

---

(١) **فروق (وتكتب أحيانا فاروق)** اسم من أسماء العاصمة العثمانية، استخدمه العرب في وصفهم ورحلاتهم إليها، يقول الشيخ محمد بيرم الخامس في علة هذه التسمية: القسطنطينية، وتسمى فاروقاً لفرقها بين أرض آسيا وأوربا، ولفرقها بين البحر الأبيض والبحر الأسود، فكان لها بهذا الموقع عظيم الاعتبار.

انظر: محمد بيرم الخامس التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار، الجزء الأول، المطبعة الاعلامية بمصر، سنة ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م، ص٣.

وهو فقير الحال مع كثرة عيال، واعتذر لي عما كان معي في العام السابق من برودة المفتي أحمد أفندي يوز زاده، فندمت على ما ذَدَّ منِي في معاملته لما أبى نزولي عنده وأكلي زاده، حيث أفادني أنه رجل أبله، لا يعلم أن عمدة في الدنيا يداني فضله فضله، ويحسب أن الكبرياء من اللوازم العقلية لفتاة الإفتاء، وأنه ممن يستطيب دخول النار ولا خروج الدينار، ووصال الهمِّ ولا فراق الدرهم :

فالشمس أقرب من دينار صرته * والصخرة أندى يدا منه لطالبه**

أشين الأشياء عنده إكرام الضيف، وأشد البلاء عليه نزوله في بيته ولو بالطيف، ولذلك كم سَدَّ في وجه ضيف بابه، وشد عن إطعامه جرابه، [فهو يأكل وحده، وفيه يقول أهل البلدة:

خوَانٌ لا يلِمّ به ضيوفٌ *** وعِرضٌ مثل مِنْدِيل الخوِان[1]

فالإنصاف أن لا يعتب على مثله، ويترك على حمقه وجهله][2]، وهو أيضًا ممن تخرج على الأقشهرلي، لكن -سوّد الله تعالى حظه- خرج عن التخلق بخلقه العلي، وأفادني وهو الصدوق عندي المولى الأمين خان أفندي، أن له نوعًا من الاطلاع على بعض العلوم العقلية، وأنه أجهل من ابن يوم في العلوم النقلية لاسيما الأدبية، فهو من الأدب أعرى من إبرة، وليس فيه أرب بالمرة، ومع ذا هو أعلم علماء توقات، لكن بعد الفاضل عبد الرحمن أفندي ذي التحقيقات، إلا أن حسده ملأ جسده، فكاد يقطر سمه من أهابه، ويوشك أن يهلك إذا رأى عالمًا من أليم ما به. وحكى لي من آثار ذلك ما تقشعر منه جلود المؤمنين، وتمجه أفواه أسماع سائر السامعين، نسأل الله تعالى العافية مما ابتلاه، إنه عز وجل لا يُخَيِّب عبدًا دعاه [١٣/أ].

---

(١) البيت عزاه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف لأبي الغنايم بن أبي المكارم الرملي، وقال عنه: " في الهجا بيتا نادرا كالمعجز في فنه "، كما أورده الثعالبي في المنتحل كالتالي: **خِوانٌ لا يلمّ بهِ صديقٌ ... وعِرضٌ مثلُ منديلِ الخوانِ**

وعزاه لمحمد أبو العنبس الصيمري. الثعالبي: المنتحل ٣٧/١؛ إبن أبي الدنيا: قرى الضيف، ٨٢/٥؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ٢٥٥/٢ .

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

واشتهر عبد الرحمن أفندي بـ (الفِرَنْكَوي) بين الناس، وهو نسبة إلى (فَرَنْكَة) قرية من ملحقات مدينة سيواس.

وزارني المقدس الفاضل السيد محمد أفندي التوقاتي، وقد طابت به -وإن كان ممن ناهز القبضة- أوقاتي.

وكذا حضرة عبد السلام أفندي القاضي الأفضل، الذي أنزلني عنده مع مزيد احترام في العام الأول، ولم يزل -وهو سيواسي الأصل- منذ سنوات، قاضي الشرع ماضي الحكم في بلدة توقات، حيث جُبِلَ على المحاسن ومكارم الأخلاق مع الظاعن والقاطن، ينهلّ من وجهه حيا الحياء، وينحل من كفه حبا الحباء، ذا عفة وديانة، وأمانة لا تعرف جناية الخيانة، رأيته قد ثقلت على عين قلبه حركة المفتى ثقل الضمة على لامه، فمتى شرع فى الاعتذار عنها تعثر لسانه حياء بأذيال كلامه، كثّر الله تعالى فى القضاة من أمثاله، وأفاض عليه سجال مِنَنِه وأفضاله.

وجاء أمين الفتوى مع جمع، وما جاء-والسماء والطارق- إلا لاستراق السمع، وجلس بعد تقبيل يدي من المجلس في جانب، ولم يعلم بعقله المثقوب أني الشهاب الثاقب.

وجاء إليّ رجل يسمى خُرشيد، يلوح كالشمس من بروج حركاته أنه رشيد، وهو من موالي بهرام باشا أحد المتصرفين في كردستان[١]، إذ الناس ناسُ والزمان زمان، ففاوضته الحديث من قديم وحديث، فرأيته يبدي من الإخلاص ما يبدي لحضرة العُذَيق المُرَجَّب شعبان بك أفندي، فدارت في البين من كئوس مدائحه الحسان، ما هو ألذُّ من الزلال البارد في تموز صادف رمضان في بغدان. ولما ودعني أودعني سلاماً عليه، وسأوصله إذا وصلت مدينة السلام بالسلام إليه.

وأما الزائرون من سائر الطلبة فكثيرون، وكلهم تقبل الله -عز وجل- منهم لي داعون.

---

(١) ولاية كردستان(مركزها مدينة ديار بكر)، وهي ثلاث ألوية: ماردين، وإسعرد، وديار بكر.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٤ .

وقد جرت ليلاً ونهاراً أنهار أبحاث علمية، وتبخترت في البين عشياً وأبكاراً أبكار غوان أدبية، وكثرت الأسئلة في التفسير، بناء على ما يظنه الناس في شأنه بهذا العبد الفقير.

فمن ذلك ما جرى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1][١٣/ب] إلى قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2]، فبينت أنه لا حجة فيه على تفضيل الملَك على البشر بالمعنى المتنازع فيه كيفما كانت، وفصلت ذلك ولله تعالى الحمد تفصيلاً.

ومنه ما جرى في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾[3] الآيتين، فأتيت بتوفيق الله تعالى في أمر الاستثناء بما يقر العين ويجلو الغين، ورجحت أن ذلك في قوة شرطية، لكن لا يقع مقدمها بالكلية.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣) سورة هود، الآية ١٠٦.

ومنه ما جرى في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ﴾[1] الآية، وقد وقع السؤال عما يتعلق به الكلام في النهاية، وهو أن ابن جرير لما قال فيما له من التفسير ما حاصله أن الجمهور قرأوا "لأهب" بالهمز، ولا همز عليهم في ذلك ولا لمز، وقرأ أبو عمرو "ليهب" بالياء مخالفًا لما في جميع مصاحف الأمصار، وقد قالوا: كل ما خالف سواد المصحف الإمام لا يقتدى به وليس له اعتبار. فهذه القراءة لا يعول عليها، ولا يركن -على جلالة قارئها- إليها.

وقد استشكل ذلك صاحب البيت الخان، وقال: أعياني حل هذا المشكل وحيرني أمره منذ زمان.

فقلت: يا مولاي إن ابن جرير وإن كان من كبار أهل التفسير، قد أخطأ في رد قراءة أبي عمرو، وما تثبت -عفا الله تعالى عنه- في هذا الأمر، فالقراءات السبع كلها متواترة على ما هو المنقول، وقد تلقتها الأمة سلفًا وخلفًا بالقبول،

---

(١) سورة مريم، الآية ١٩.

والمصحف الإمام غير منقوط كما هو المحقق المضبوط، ومن المعلوم أن فيه ما يخالف قاعدة الرسوم، فيحتمل أن الهمزة كتبت بصورة الياء في ذاك، كما فى أؤلئك وبئس ما أدراك. على أن في النفس شيئا من كلية تلك القضية، ولعل المراد ما خالف مخالفة كلية، لا ما يعمها والجزئية، وإلا لزام رد كثير من ذلك القبيل، كقراءة ﴿مَلِكِ يَوۡمِ الدِّينِ﴾[1] و(جبرائيل)، ولا أظن أحداً يلتزم ذاك، ولو التزمه لم يقبل منه، وإن بلغ في الفضل بُلَعَ والسِّماك.

(١) سورة الفاتحة، الآية ٤.

ثم انجرّ الكلام، فيما قاله ابن خلدون[1] في رسم المصحف الإمام، من أن كُتّاب الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- لم يكونوا إذ ذاك محكمين صنعة الكتابة لقرب زمان وصولها إليهم، وورودها من [١٤/أ] أكناف الكوفة عليهم، وجهل الجليل الشان بالصناعة لا يحط قدره، ولا ينقص جلالته ولو قَيْدَ شعره.

فقلت: هذا الكلام لا يخلو ظاهره عن بشاعة، وإن كانت الكتابة حديثة الورود وكانت صناعة.

(١) **ابن خلدون**(٧٣٢ - ٨٠٨ هـ/١٣٣٢ - ١٤٠٦م): عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فارس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزين بزي القضاة محتفظاً بزي بلاده، وعزل، وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة. كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية، ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه.

اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها، وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه، ثم أفرد هذا الفصل، فتبسط فيه، وجعله ذيلاً للعبر، وسماه (التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غرباً وشرقاً) وله شعر. ومن كتبه: (شرح البردة)، وكتاب في (الحساب)، ورسالة في (المنطق)، و(شفاء السائل لتهذيب المسائل).

الزركلي: الأعلام، ٣/٣٣٠ .

ومنه غير ما ذكر مما يطول، فاعفني عن ذكره فأنا على كور السفر والقلم مثلك ملول.

ولما بدت الغزالة ترعى نرجس الظلم وصاح المكاري الحمار: قد ظهر من عرينه أسدُ حَرِّ الظهيرة وهجم. قمنا فرحّلنا البغال، ورحلنا متوكلين على الملك المتعال، وشيّعنا كلُ من في ذلك البيت المعمور، لا زال محط رحال شيع السرور، وذلك يوم الخميس رابع ذي القعدة، حَلّ اللهُ تعالى فيه عنا عقدة كل شدة.

فلم نزل نسير في وعر غير يسير، وفي الطريق ماء فرات، يكاد يحيا به الرفات؛ حتى وصلنا الساعة السادسة عريشًا فيه جمع من الضبطية[١]، فاستطيبنا الهواء واستعذبنا الماء، واشتقنا رشف شرب القهوة البنية، فنزلنا ذلك العريش، وفي الدواب من مزيد السير رهيش، وسرنا بعد ساعة، ومعنا من الراحة خير بضاعة.

---

(١) قوة الشرطة التي يعهد إليها القيام بالخدمة ضمن مراكز الأقضية لتبليغ المذكرات الإدارية والعدلية ولمساعدة مشايخ القرى في جباية الأموال الأميرية .
انظر: لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات، ص ٢٠٢.

المنزل التاسع : قارقين[1]

ولم نزل نذرع الأرض بخطا البغال، ونقرع صفوان الجبال بما لها من النعال، حتى أتينا الساعة الحادية عشرة إلى قرية (قارقين) ولنا كأنضائنا من فرط الأين أنين، وقد صحبنا مَن له من النجابة غواشي، ولدي القلبي أحمد أغا بينباشي،

(١) ربما يعني بها قارخين التي قال عنها في رحلته الأولى "نشوة الشمول": .. فسرنا بين أودية وتلال وجبال تضاءلت من صنع حوادث الأيام والليال، حتى أتينا- ولنا من الأين أنين - قرية يقال لها (قارخين) وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو خمسين ولم نر فيها والحمد لله سوى المسلمين، وفيها جامع لهم قدموا فيه للصلاة بهم أجلهم، وأمامها فضاء عظيم، يتنزه فيه عليل النسيم، وأكلنا أثناء السير مشمشاً قيسياً لو رآه قيس غيلان لحسبه نجوماً ملئت حميا، ونزلت للغداء وإراحة فرسي على شاطئ نهر جار قرب مكان يسمى (أوزمش تكيه سي) وهنا قبر عليه قبة ثلجية قد زرناه، فلم نحس منه بروحانية، ومررنا على جبل في الجملة طاغي يسمى فيما يقال يلدز داغي .

وكان نعم الرفيق، وقائم مقام فريق، حيث تخلف عنا الملا موسى، ولم ندر أصاب خيراً أم حل بؤساً، فوقعها في حيص بيص[1] لانبهام أمره، وكاد أن تكون الخاتمة قراءة الفاتحة لروحه وإن لم ندر محل قبره، فاهتم الأغا اهتمام ليث الوغا، وصال وجال حتى أوقفنا على حقيقة الحال، وأنه قالت له قوى بغلهِ: يا موسى ادع لنا ربك، ودَعنا قبل أن تضيع حزبك، وإن لم تفعل كلفناك بعد ساعة بحمل السمر، على ما أنت فيه من حمل أعباء السفر. فجعل يمشي على رجليه،

---

(١) قال أبو هلال العسكري: وقعوا في حيص بيص إذا وقعوا في أمر ينشب بهم، ولم نعرف تفسير "حيص بيص"، وقد حكى ياقوت تفسير ذلك في ترجمة ابن الصيفي التميمي، قال: شهاب الدين أبو الفوارس، المعروف بحيص بيص، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبارالعرب ولغاتهم وأشعارهم، أخذ عنه الحافظ أبو سعدٍ السمعاني وقرأ عليه ديوان شعره وديوان رسائله، وذكره في ذيل مدينة السلام وأثنى عليه، وأخذ الناس عنه علماً وأدباً كثيراً، وكان لا يخاطب أحداً إلا بكلام مغربٍ، وإنما قيل له حيص بيص، لأنه رأى الناس يوماً في أمر شديدٍ، فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب. وفي معناها أيضا قولهم: جعلوا الأرض عليه حيص بيص، وحيصا بيصا. أي ضيقوا عليه ومنعوه من التصرف.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٥٧/٩؛ أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ٣٣٤/٢ .

وليس في بغلِه حركة بسوي عينيه، وهو بلسان حالة يشتكيه، اشتكاء الابن جور أبيه، فما وصل إلينا إلا وقد غربت الشمس، ولولا فضل الله تعالى لذهب ذهاب أمس [١٤/ب].

وكان نزولنا عند العبد الصالح بلا فرية، السيد محمد أفندي خطيب تلك القرية، وهو رجل إلى الغاية فقير، وما كنت لأنزل عنده لولا اقتراحه الكثير، ولم يُبْقِ من استطاعته في إكرامنا باقية، وأخشى الله تعالى أن أقول شعرة من إسته أطهر من لحية قاضي أماسية، [فأسأل الله تعالى أن يرزقه في الدنيا والآخرة العافية الصافية][1].

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

[نهر قزل أورماق][1]:

ولما بُدِّلَتْ كافورة الفجر بِعَنْدم، وكاد ذنجي الليل الجريح يتناول دينار الشمس صلحًا عن دم رحّلنا البغال، وقد كللت بالكلال، فجعلت تسير والحرب بينها وبين الحصا سجال، وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة، حل الله تعالى من درر الطاقة عِقده، وقد ضممنا من البرد إلى ثيابنا بعض الثياب، مع أنا إذ ذاك في ثامن شهر آب.

---

(١) **قزل إرماق Kizil Irmak** (هاليس Halys) نهر في تركية الآسيوية - الأناضول- ينبع في الطرف الجنوبي لجبل كمن بلي داغ Guemin- beli- Dagh، في قبدوقية، ويصب في البحر الأسود بين مدينتي سينوب وصامسون. قزل إرماق أي:"النهر الأحمر"، طوله ١٤٠٠ كم، أطول أنهار تركيا، قديمًا: هاليس Halys، نهر كبير في آسيا الصغرى.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص٣٩٨ .

ولم نزل نسير، والطريق -ولله تعالى الحمد- يسير، حتى نزلنا بعد نحو ثلاث ساعات في عريش ضبطية، لنستريح هنيئة ونتهنى فيه برشف القهوة البنية، وكان على نهر سائل إلى نهر لسيواس مسمى بقزل أورماق، وماؤه غير كثير إلا أنه عذب نمير صافٍ برّاق، وينصب بعد الامتزاج عند قرية (فَرَه) في البحر الأزرق، فيذهب فيه كصاحبه شذر مذر كأن لم يُخلق، ومبدؤه من جبل يسامت النجم بأنف طاغي، وكأنه لذلك يسمى فيما بين الروم[١] بـ(يلدز طاغي[٢]) وقد رأيت بعض العيون تمده بماء كثير، ولها وسامع الصوت رغاء بعير.

---

(١) **الروم:** اللقب الذي استخدمه العرب والفرس للعثمانيين، نسبة لأراضي الروم التي كانت تابعة للدولة البيزنطية، والتي سميت بروما الشرقية، وقد أطلقت على ولاية سيواس في بدايات عهد الدولة العثمانية ولاية روم، كما أطلقت التسمية على المنسوبين للعرق الألني (اليوناني).

سهيل صابان: معجم، ص ١٢٨-١٢٩

(٢) من جبال ولاية سيواس: قسمها الجنوب الشرقي إلى الفرات ونهر سيحان إلى هذه الأنهار المشهورة، وقسمها الباقي على جبال البحر الأسود، بعدما يمتد شعبات جبال =طوروس المشهورة إلى أرضروم يمدون أيضاً إلى شمال شرقي وجنوب غربي ولاية سيواس. ومن المشهور منها جبال كمى بل، وقره بل، وقورد قولات، وجبل ترحيل، هذه الجبال تفرق بين نهر سيواس ونهر قزيل ايرماق. وأيضاً من جبال ولاية سيواس جبل كوسه، جبل يلدز، وجبل جاملي بل. وهذه المذكورات يفرقون بين نهر قزيل ايرماق يعني النهر الأحمر، وتوابع النهر الأخضر، ويوجد في شمال غرب الولاية جبال طاوشان، وقارجاق، وبجلا قرق دلم، وأيضاً هؤلاء يفرقون بين النهر الأحمر، وما بين النهر الأخضر.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ١٤٠.

المنزل العاشر: سيواس[1]:

ثم سرنا حتى دخلنا الساعة الثامنة (سيواس)، ونسيم الصّبا تهب فيها حاملة أنفاسُها ريّا الإيناس، وقبل أن أصل هوى بي لوجهه البغل، وأراد أن يكسر رقبتي ذلك النغل، وإلا فلا سبب لما فعل، لكن تلقتني أكف الألطاف، وكفت عني براحتها ما أخاف،

(١) **سيواس:** ولاية سيواس واقعة داخل آسيا الصغرى، ويحدّها شمالًا طربزون، وشرقًا أرضروم إلى معمورة العزيز، وجنوبها الشرقي حلب، وجنوبًا آطنه، وغربًا أنقره وقسطموني. ولواء سيواس الذي هو مركز الولاية ٤٠/و٣٩° عرض شمال ٤٣/و٣٤° طول الشرق، فتحت في عهد السلطان بايزيد خان في سنة ٨٩٨هـ. ودخلت في عداد الممالك العثمانية. يوجد في نفس البلد (٥) آلاف خانه، وألف وخمسمائة دكانًا، و٤٤ جامعًا، وعدد كبير من المساجد المتعددة، والمدارس، وفيها دار المعلمين، و٢٣ حمامًا وخانًا، ومكتب رشدية عسكرية، ومكاتب، وسائره، وتحتوي على ٣٥ ألف نسمة. ويمرّ من هذا البلد على بعد نصف ساعة من جهة جنوب الشرقي قزيل ايرماق، ونهر طاوره الذي ينبع من مضيق طاوره، ويُشغل هذا النهر مصانع دقيق وطاحونة، وينقسم إلى قسمين، وقسم يأتي إلى المساجد والجوامع والكنائس، وبعدما يروي أراضي البلد ينصبّ الزائد في النهر الأحمر (قزل أرمق). وفي وسط أناطول الصغرى، وهي مقرّ القول اردوي العسكري الرابع، وهي على مسافة ٥٤ ساعة على ميناء صامسون، وعلى مسافة ٢٠ ساعة عن معمورة العزيز، وتستعمل فيما بينهما عربات الخيل، فيسهل النقل بذلك، وهي من أجل عدم حكم الفصول الأربعة من البلاد الباردة. ومن الأقضية والنواحي التابعة لهذا المركز: قضاء سيواس نفسه، النواحي التابعة لهذا القضاء جنوب شرقًا من سيواس ناحية (دليكلي طاش، وقنغال، الاجه خان) وشرقًا (كونش، وكول، وكاهكك)، وجنوب غربًا (خانلي، وبدرله).

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ١٤٠-١٤٢.

فأقعدتني على الأرض متربعًا، ثم نهضتني لا متثاقلاً ولا وجعًا، وكان ذلك عند نهر (طُوْره) الخارج من مرعى كُون، وبينه وبين سيواس نحو ساعة وربع على ما أخبرني به المفتي عبد الله أفندي جاشغون[1].

ويدخل هذا النهر في طرقاتها، وتستخدمه سكنة البيوت في حاجاتها، ويكنس لهم المراحيض، فتتغير منه الأوصاف، وتأبى استعماله نفوس غير [١٥/أ] الدباغين وتعاف، ولها نهر آخر يجري فيها، وقد قسم بالعدل بين نواحيها، ويسمى(كبنك) بباء عجمية بعدها نون، ويخرج على ما سمعت من عشرة عيون، وهي قريبة من البلد، شاهدها من أهلها كل أحد، وماؤها صاف كقلوب سكنتها، عذب فرات كأخلاق أجلتها. والبلد من خامس إقليم، وبردها على ما في أوضح المسالك عظيم، والشجر فيها قليل، والهواء من تعفن طرقاتها عليل.

---

(١) **جاشغون أفندي**: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): فيها علماء أفضلهم (جاشغون أفندي) المفتي وهو على كبر سنه أشد حياءً من ذوات الحجال. وعلى قلة ذات يده أكرم من ابن مامة وابن سعدي بين الأمثال. وفيها وجوه أوجههم من زمرة العلماء.

وكنت قبل أن أدخلها أحكمت عَقدي، على حلو الحلول عند حر الأخلاق عبدي أفندي. فواجهني علي بك أمين النفوس أثناء الطريق، فقال: قد نزل عنده من دائرة المشير من لا أرى نزولك معه يليق، والرأي الصالح عندي أن تسلك الطريق إلى بيت حضرة المفتي السابق (أوليا) أفندي[١]، ووجوه سيواس إن أردت الحق، جمع ليس بينهم في وحدة الوجود فرق، وهم على العلات في الحقيقة أبناء أعيان، وكبيرهم وصغيرهم في سلوك طريقة إكرام الضيف سيان، فتوجهت إلى المومأ إليه على هذه الرابطة معولاً على ما حصل لي بالكشف والشهود قبل من الضابطة، فلما حلت ركابي في داره رحلت أكداري، وطابت من طيبها نفسي حتى تخيلت أني قد حللت بحبوحة داري، ورأيته قد فرح بي أكثر من خاصة أهلي وصحبي، وذلك لما منح من حسن الأخلاق وعراقة الكرم وكرم الأعراق.

---

(١) **أوليا أفندي:** قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): رجل يقال له (أوليا أفندي) كان مفتياً فترك باختياره الإفتاء. حيث رأى الابتلاء بذلك من مر القضاء. فهو اليوم في ذلك البلد. محترم مكرم عند كل أحد. ذو خلق ألطف من النسيم. وفكاهة ألذ من التسنيم. ولباس كلباس الشيوخ. غير أنه ليس له مثلهم فخوخ. فكأنه أحد الأولياء. في هاتيك الأرجاء.

وكان هذا الرجل من قبل مفتيًا، فترك الإفتاء اختيارا لسلوك طريق الأولياء، فتراه اليوم ذا جناحين، وبيته بلا جناح وكر الطائفتين، ويرى الإفتاء من مُرّ القضاء، والذهاب إلى الولات من أدهى البليّات، وطوبى لمن وفقه الله تعالى لنحو ما وُفّق له، وأَهلّه جل شأنه لمثل ما أَهّله.

وعندما سمع بي ذو الخلق الوردي رقيق الحاشية عبدي أفندي، جاء إليّ يعدو عَدو السّلَيك[1]، فقال: قد فرقت خدمي في مجامع الطرق يفتشون عليك، فما سبب إعراضك عنا، وما الداعي إلى نفرتك منا؟ فإن كان قصور في خدمتنا الأولى، فالعفو ممن كان من أهل بيت النبوة أولى [١٥/ب]، فقلت: أستغفر الله تعالى من أن يكون مر بخيالي إعراض، وأنا عنكم وعما كان منكم راضٍ، ثم راضٍ، ثم راض.

---

(١) السليك بن السلكة، الشاعر، أحد أغربة العرب وعدائيها .

ثم نقلت له ما كان في وجه اختياري هذا المكان، فقال الفرق بين جمعنا معدوم، وعقعق العقوق والنفسانية على أوكار قلوبنا لا يحوم، فاستقر حيث طاب لك القرار، وكل نجد للعامرية دار[1]، ولم يزل يتردد إليّ في قضاء مصالحي السفرية، ويعتني بها غاية الاعتناء كأنها من ضرورياته البيتية.

---

(١) مر المجنون على منازل ليلى بنجد فأخذ يقبل الأحجار، ويضع جبهته على الآثار فلاموه على ذلك، فحلف أنه لا يقبل في ذلك إلا وجهها ولا ينظر إلا جمالها، ثم رؤي بعد ذلك وهو في غير نجد يقبل الآثار ويستلم الأحجار فليم على ذلك، وقيل له: إنها ليست من منازلها. فأنشد:

لا تقل دارها بشرقي نجـد ... كل نجد للعامرية دار

فلها منزل على كل أرض ... وعلى كل دمنــة آثــار

البهاء العاملي: الكشكول، ٢٤٣/١ .

ودعاني في اليوم الثاني المفتي عبد الله وجيه أفندي الشهير بجاشغون، وهو عالم وجيه له دعابة الزمن الزرجون[1]، إلا أن الدهر قد ناء عليه بكلكله،

---

(١) **الزَرَجونُ**: الخمر، ويقال الكَرْمُ. قال الأصمعي: وهي فارسيّة معربة، أي لون الذهب. وقال الجرميّ: هو صِبْغٌ أحمر.

وتفصيل ذلك ما أورده ابن منظور في لسان العرب: الزّرَجُون الماء الصافي يَسْتَنقِع في الجبل عربي صحيح والزّرَجُون بالتحريك الكرْم قال دُكَين بن رجاءٍ وقيل هي لمنظور بن حَبّة كأَنّ باليُرَدَّإِ المَعْلول ماءَ دَوالي زَرَجُونٍ ميلِ قال الأَصمعي هي فارسية معرّبة أَي لون الذهب وقيل هو صبغ أَحمر قاله الجَرْميّ وقيل الزّرَجون قُضْبان الكرم بلغة أَهل الطائف وأَهل الغَوْر قال الشاعر:

بُدّلوا من مَنابِتِ الشّيحِ والإِذْ ... خرِ تِيناً وياذِعاً زَرَجُوناً

قوله: «بدلوا من منابت إلخ» قال الصاغاني يعني أنهم هاجروا إلى ريف الشام.

وقال أَبو حنيفة الزّرَجُون القضيب يغرس من قضبان الكرم وأَنشد إليك أَميرَ المؤمنينَ بَعَثْتُها من الرّمل تَنْوي مَنبتَ الزّرَجون يعني بمنبت الزّرَجون الشأْم لأَنها أَكثر البلاد عنباً كل ذلك عن أَبي حنيفة والزّرَجون الخمر قال السيرافي هو فارسي معرّب شبه لونها بلون الذهب لأَن زَرْ بالفارسية الذهب وجُون اللّون وهم ما يعكسون المضاف والمضاف إليه عن وضع العرب قال ابن سيده وقول الشاعر هل تَعْرِفُ الدارَ لأُمّ الخَزْرَجِ منها فَظَلْتَ اليومَ كالمُزَرّجِ فإنه أَراد الذي شَرِب الزّرَجون وهي الخمر فاشتق من الزَرجون فعلاً وكان قياسه على هذا أَن يقول كالمُزَرْجَنِ من حيث كانت النون في زَرَجُون قياسها أَن تكون أَصلاً لأَنها بإِزاء السين من قرَبوس ولكن العرب إذا اشتقت من الأَعجمي خلطت فيه وذكر الأَزهري في ترجمة زرج قال الزّرَجُون الخمر ويقال شجرتها ابن شميل الزّرَجُون شجر العنب كل شجرة زَرَجونة قال شمر أُراها فارسية معرّبة ذردقون قال وليست بمعروفة في أَسماء الخمر غيره زَرَكون

ابن منظور: لسان العرب، ١٩٦/١٣؛ الجوهري: الصحاح في اللغة، ٢٨٥/١؛ ابن سيده: المخصص ١٩٤/٥ .

والضّعف قد سطا على قواه بخيله ورجله. ولد في رجب السنة الحادية والتسعين من المائة الثانية عشرة من هجرة واحد العالم الذي لا ثاني له في الشرف في الملك والجن والبشر، صلى الله تعالى وسلم عليه، وعلى آله وصحبه وسائر من ينسب إليه.

وزارني أكثر كبارها ومعظم خيارها، واجتمع عليّ غالب مدرسيها وطلبتها يؤملون -لحسن ظنهم- من أدعيتي وأنفاسي مزيد بركتها، ولم يدروا أن دعائى لا يُرفع إلى راسى، وأن أنفاسى تقصر عن إصلاح نارٍ أقد منها نبراسي،

لكن ماذا أقول لمن حَسَّن ظنَّه، وحسب الجحيم جَنة والهشيم جُنة، واستسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم[١]، سوى أني أسأل الله تعالى أن لا يحرمهم بركة حسن الظن، وأن يمنحهم مزيد المنح ويحميهم من جميع المحن، ودعاء غريب الديار مستجاب على ما ورد في الآثار.

ولم أذكر فيما بينهم بحثًا علميًا، سوى البحث عن معنى قوله -عليه الصلاة والسلام- لا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا[٢]، وذلك لمناسبة عرضت وحكاية اعترضت، وذكرت كلام المجد الفيروز آبادي، وإن كان البعد على ساحل قاموسه ينادي، ثم قلت لعل الأقرب إلى الأذهان، حمل العربي على الفرد الكامل مرادًا به القرآن.

---

(١) **أستسمن ذا ورم**: تقول: استسمنت الشيء إذا عددته سمينا؛ والورم نتوء وانتفاخ في الجسد يقال، ورم الجسد بالكسر ورما، تورم واستسمن ذي ورم هو إنَّ يرى الحجم الناتئ من علة فيحسب ذلك سمنا وشحما. والمثل مشهور عند المتأخرين يضربونه عند خطأ الرأي في أستجادة القبيح واستحسان الخبيث واستصواب الخطأ لأمارة وهمية كاذبة: قال أبو الطيب:

أعيذها نظرات منـك صادقـة ... أنَّ تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استـوت عنـده الأنوار والظلـم

وفي المقامات الحريرية: قد استسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم.

اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ١/٣٣٣.

(٢) أقول هذا البحث مبسوط في جامع الرحلتين التي سماها نزهة الألباب في العود والإقامة والذهاب، فإن أردته فارجع إليها ترى العجب العجاب [نعمان، نجل المؤلف].

وزارني وأطال القعود عندي القاضي مصطفى نجيب بك أفندي سنانك مفتيسي زاده، أناله الله تعالى في الدارين مراده، وأودعني إذ ودعني تبليغ الدعاء لحضرة فخر وزراء الزوراء [١٦/أ] محمد نامق باشا[١]، ذاب من عضب غضبه كل باغ وتلاشى.

بحث : حضرة أفندينا حمدي باشا

وبالجملة؛ قد سررت بأهل سيواس، استأنست بهم غاية الاستيناس، ومنشأ ما كان عند التحقيق أمران : أولهما ما جُبِلُوا عليه من مكارم الأخلاق التي قلما يوجد مثلها في أماثل العراق. وثانيهما علمهم بأن ذلك يسر حضرة الوالي المتبوء بصفاته العلية قُنّة قُبّة المعالي، فخر وزراء الغبراء، وفجر صبح البهاء، أفندينا محمد حمدي باشا، لا زال خد حمد وجوه العراق لأقدام إحسانه فراشاً.

---

(١) **نامق باشا** (محمد): مشير من المشيرين المتأخرين في الدولة العثمانية، أرسل في بعثة إلى أوربا من أجل التعرف على النظم العسكرية الحديثة، والاقتباس منها وتطبيقها في العسكرية في تركيا. ولما عاد من أوربا أدى مهامه على ما ينبغي. وقد نال رتبة المشير في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وكان قائداً عاماً للجيش في عهد السلطان عبد العزيز، كما تولى وزارة البحرية مرتين، تولى عدة مناصب رئاسية، وتوفي عام ١٣١٠ للهجرة.

حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٤٧

ولما أماطت يد قدرة الواحد الأحد -جل شأنه- عن وجه الإثنين اللثام، وبدت غادة النهار تجر فاضل برد ضياها على هام الربى والآكام سرنا متوكلين على الله عز وجل، متضرعين إليه سبحانه أن يقينا بلطفه كل وجل. وذلك ثامن هذا الشهر المبارك، حملتنا فيه إلى الأوطان أيدي ألطافه تعالى شأنه وتبارك.

وركبت أنا حصاني الأزرق، الذي يساوي ملء أهابه من الذهب الأحمر، وطالما أسعدني في اليوم الأسود، وكان مطيتي لطلب العيش الأخضر، وركب ولدي (عبد الباقي) بغلته الشهباء، التي كان قد ركبها يوم خرج من الزوراء، وهي في حسنها وجمالها أشبه شيء بأخوالها، وكنا تركناها وديعة في إصطبل خيل أفندينا المشار إليه، فكانا من أصحاب الرتب الثانية في الفوز بعناية مدير الإصطبل الموكل عليه، وخرجنا صبحةً صُحبة الخزنة المرسلة لمصالح عسكر بغداد؛

لما تحقق من الأخبار المرفوعة أن طرق الواردات منقطعة لتسلسل منكر الفساد، حتى أنه لم يبق قيد ميل من بيداء العراق وعراً وسهلاً، إلا وقد استحال ترابه من توقد نار الفتنة لأعين المفسدين كحلاً، وكم عذلوا بشفاه الأشفار وألسنة الصعاد، فعموا وصموا ونادوا : هيهات هيهات فنحن بواد والعذول بواد[1].

وتفصيل ذا الإجمال يقصر دونه * خطا قلمٍ مضنىً بعلّة أَسفارِ**

وإني لأرجو أن يحــرر بعضــــه * إذا مدّه فجر السرور بإسفار**

ولم يتفق نحو هذا الإرسال فيما عهدنا، فقد كان العراق يَسقِي ويُغذِي [١٦/ب]

---

(١) أشار إلي من أثار هذه الفتنة وادي بك شيخ قبيلة زبيدة وهي مشهورة [المؤلف] .

فصار يُسقَي ويُغذَي :

وكم لله من سِرّ خفيّ * يدق خفاء عن فَهْم الذكيّ**[1]

المنزل الحادي عشر : ألاش [2]:

ولم نزل نسير على مثل الراحة، وقد خفض الحر لنا -رحمة بنا- جناحه، حتى نزلنا في آخر الساعة السابعة (قرية أُلاش) وهي بضم الهمزة، وتفخيم اللام قرية أرمنيين غالبهم أوباش، وتشتمل من البيوت على نحو ثمانين، وفيها كنيسة يقيم فيها سكنتها الأيين، ولها نهر ينصب في قزل أورماق يقال له(تَجَرْ)،

---

(١) البيت مقتبس من مقطوعة مشهورة تنسب للإمام علي –كرم الله وجهه- يقول فيها:

وكم لله من لطف خفيٍّ ... يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذّكيِّ
وَكَمْ يُسْرٍ أتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ ... فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ
وكم أمرٍ تساءُ بِه صباحاً ... وَتَأتِيكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فَثِقْ بالواحدِ الفَرْدِ العَلِيِّ
تَوَسّلْ بالنَّبِيِّ فكُلُّ خَطْبٍ ... يَهُونُ إذا تُوُسِّلَ بالنَّبِيِّ
وَلاَ تَجْزَعْ إذا ما نابَ خَطْبٌ ... فكم لله مِن لُطفٍ خفي

(٢) ربما يعني بها **الاجه Aldja**: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية ولواء بوزاووق. تقع على خط العرض ٣٨,١٥ والطول ٤٠,٠٥ .

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٨٨ .

وهذا في الحقيقة اسم لجبل هنا جرى منه ماؤه وانهمر، وحللت منها في بيت رجل يسمى إسحاق، له في الجملة خدمة حسنة، وحسن أخلاق.

[دلكلي طاش][(١)]:

ولما انحل من النهار قماطه الأسود، وابيَضَّ وجهُ الأرض فرحًا برؤية طالعه الأسعد قمنا خفافًا إلى الأثقال، فنقلناها وثقلنا بها ظهور البغال، وركب بغلته الشهباء ولدي، وركبت أنا جوادي النجدي، فغرنا وللحصا تطاير من وقع الحوافر، بل طرنا في جو بر لا يعرف له كدائرة أشواقنا أول من آخر، وجئنا إلى مكان يعرف بـ (دلكلي داش) بعد نحو ست ساعات، وأظن أنه كان جبلاً فشقته كعادتها أيدي الحادثات، فشربنا من ماء عند فمه، وشكرنا الله تعالى على مسلسل نعمه.

---

(١) **دليكلو طاش Dilikli-Tasch**: بلدة في تركية الآسيوية – الأناضول – في ولاية ولواء سيواس. تكتب أيضًا: دليكطاش، تقع على خط العرض ٣٩,٢١، والطول ٣٧,١٣.
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٦٦.

وسرنا مرمى سهم، فوصلنا قرية تسمى بهذا الاسم، وتشتمل من البيوت على نحو ستين، وليس فيها -والحمد لله تعالى- غير المسلمين، وفيها مسجد خطيبه الدَّرَندلي المُلا عثمان، وهو هناك أيضاً معلم للصبيان، فجلسنا في رحبة المسجد، وأكلنا ما تيسر، وفَكَّهَنَا الخطيب بمشمش أصفر وآجاص أخضر، ولله تعالى درهما ما أكثر ماؤهما.

المنزل الثاني عشر : قنقال[1] :

ثم سرنا حتى نزلنا آخر الساعة السابعة على أرفه بال، قرية حولها مبقلة، ومياه مطلقة مسلسلة تسمى (قُنْقال)، وهي بضم القاف الأولى وسكون النون قرية تشتمل على نحو سبعين بيتاً منهم مسلمون وأرمنيّون، ولكلٍ معبد، وفرق بَيِّنٌ بَيْنَ مَن ثلَّث ومَن وحَّد، وقد يقال: (قُنْقَل) بلا ألف، مع فتح القاف الثاني وضم الأول.

---

(١) قنغال Kanghal: بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، مركز ناحية في ولاية ولواء سيواس. قنغال وقانقال: تقع جنوب شرق مدينة سيواس، على خط العرض ٣٩,١٥ والطول ٣٧,٢٤ .

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٠٤ .

وقبل أن أستقر في منزلي، جاءني الخطيب حسن أفندي الدرندلي، وقد أسرع إليّ عدواً كجلمود صخر حطه السيل من علِ[(١)]، فرأيته أرق طبعاً من النسيم، وأحلى فكاهة [١٧/أ] من التسنيم، وباشر بنفسه خدمتي، وسرني بها أكثر من خَدَمتي وأسرتي.

ونزلت في بيت رجل اسمه حُسين، وقرّت بحُسن إكرامه وجعفر احترامه مِني العين، وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة الحرام، جعل الله تعالى لياليه وأيامه من خير الليالي والأيام.

ومررنا على بيداء أوسع من قلب خليّ، وأترع بالخير من صحيفة تقي، ذكروا أنها قُبيل هذا الزمان مصيف قبيلتين من الأكراد : أوشار ورشوان، وكانتا على ما يقال من أشر الأشرار وأفجر الفجار، يقتل الواحد منهما لسلب درهم مالك بن دينار[(٢)]، واليوم صار لهم السيف المجيدي[(٣)] مصيفاً، وتابوا عما كانوا عليه بعد أن ذاقوا منه حتوفاً :

---

(١) شطر بيت من شعر امرؤ القيس وهو:

قِفا نبكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزل * بسقط اللِّوَى بين الدَّخول فَحَوْمَلِ**

(٢) **مالك بن دينار** (ت١٣١هـ/٧٤٨م) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالأجرة. توفي في البصرة.

الزركلي: الأعلام، ٢٦١/٥ .

(٣) يعني به سطوة وإدارة السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م).

كل قومٍ لهم نذيرٌ ولكن *** خَلْقَ السيفُ للئيم نذيراً

وصادفت عند نزولي ذلك المكان، أقرب النصارى مودة للذين آمنوا (نيقو بك) الترجمان، وأودعني عرض خالص العبودية، لمشير الحجاز والعراق والي مدينة السلام المحمية، وملأ حقائبي أمانات السلام لوجوه بغداد الأجلة الفخام.

ورأيت فيها من الكلاب السلوقية ما هو أكثر من العجائب، وقد أعدها أهلها الثعالب على ما سمعت منهم لصيد الأرانب، وذكر لي أن ما بين دلكلي طاش وقنقال كم طاش من شدة الشتاء عقل، وكم هلك رجال! وأحمد الله تعالى أن مررت بذلك المكان، وأرضه أجف من أيدي أغلب أمراء الزمان، وجوّه أعرى من إبرة، وشمسه أحر من جمره.

ولما تنفس الصعداء محبوس الصباح، وانتعش الديك إذ رأى الفجر كذَذَبِ السرحان فأذن خوفاً وصاح تأهبنا لصلاة الصبح واهتممنا لأمرها اهتماماً، إلا أنا لم نصلّها حتى أوشكت أن تكون الشمس لنا إماماً، وبعد الأداء قام الأتباع لقضاء أشغالهم، وهبوا سراعاً إلى البغال لتحميل أثقالهم.

ثم سرنا على بركة الله تعالى في جوف بيداء أنقى من الراحة، تحسبها بيداء الغرفة من حيث السعة والمساحة، واعترضتنا أثناء السير أودية، فيها مياه عذبة وأزهار لأمراض الأحزان أدوية، فاقترح علي النزول المقترحون [١٧/ب]، فنزلت إجابة لهم عند بعض العيون، وأشرت لفتاي نصيف بحاجبي، فأتى بالغداء فلم أزل آكل معهم حتى كَلَّ صاحبي.

المنزل الثالث عشر: ألاجه خان [1]:

ثم سرنا في أودية فيها من الأزهار ألوان، حتى نزلنا آخر الساعة الرابعة (ألاجه خان)، وهي قرية سميت بخان فيها عجيب، قد بني من أحجار عظام منها بيض ومنها سود غرابيب، ولا يُعلم متى رفعت منه القواعد والأركان، ويُتَوهم أنه كأهرام مصر بُنِيَ فيما قيل والنسر الطائر في السرطان، بيد أنه أخبرني معمر هناك أنه رممه السلطان مراد، يوم جر العساكر لفتح مدينة السلام بغداد. وقال: يقال بناه بعض الملوك السلجوقية، وكم لهم في الديار الرومية من بنية !

---

(١) **الاجه Aldja**: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية ولواء بوزاووق. تقع على خط العرض ٣٨,١٥ والطول ٤٠,٠٥ .

س. موستراس: لمعجم الجغرافي، ص ٨٨ .

وفيه قبر يُتربك به، والأمر في تحقيق دفينه مشتبه. وتشتمل القرية من البيوت على نحو ستين، وكل أهلها على ما يقال من المسلمين، وفيها جامع هوت منارته للسجود، وكانت تناطح السحاب في عهد السلطان يلدرم[1]،

(١) **بايَزيد الأول** (٧٤٨-٨٠٥هـ/١٣٤٧-١٤٠٢م): رابع السلاطين العثمانيين واسمه بايزيد الأول ابن مراد الأول بن أورخان، ولُقّب بالصاعقة (يلدريم) لشجاعته وسرعة تحركه للانقضاض على أعدائه. خلف والده السلطان مراداً الأول في الحكم عام (٧٩١هـ، ١٣٨٨م)، وجرى على سياسته في الغزو والتوسع الإقليمي في الجبهتين الأناضولية والبلقانية في آن واحد. ورأى-لتحقيق هذا الهدف- أن يقيم علاقات ودية مع ماتبقى من دولة الصرب، لتكون الصرب حاجزاً بينه وبين دولة المجر، وليؤمّن ظهره حين التوسع في آسيا الصغرى. فوافق على أن يحكم الصرب ابنا لازار، ويقدما له جزية سنوية وعدداً معيناً =من الجنود، وتزوج أختهما. وأطلت دولته على بحر إيجه وعلى البحر الأبيض والأسْود. ووافق السلطان العباسي في مصر على اعتماده سلطاناً. وسقطت في يده مدينة تيرنوفو البلغارية. وأعدم ملك بلغاريا عام (٧٩٦هـ، ١٣٩٣م)، وبذلك أنهى استقلال بلغاريا، وأسلم سيشمان ابن الملك البلغاري، فعينه بايزيد في منصب إداري كبير في إحدى مدن الأناضول.

أحدث سقوط بلغاريا دوياً هائلاً في أوروبا؛ فدعا سيجسموند ملك المجر والبابا بونفيس التاسع (٧٩٢ - ٨٠٧هـ، ١٣٨٩-١٤٠٤م)، إلى أكبر حلف أوروبي يواجهه العثمانيون في القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي، والتقى بجيش بايزيد في معركة نيكوبوليس عام ٧٩٨هـ، ١٣٩٦م، وهُزم الحلف. وفرض حصاراً على القسطنطينية، ثم رفعه عندما علم بتقدم المغول تجاه آسيا الصغرى بقيادة تيمور لنك، والتقى بالمغول في معركة أنقرة عام (٨٠٥هـ، ١٤٠٢م)، فهزموه وأسروه، ومات في الأَسْر.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

وأظنها إلى اليوم الموعود ممرغة جبهتها بالتراب، تدعو برغم أنف المجترم، وأهلها يقيمون الجمعة والأعياد هناك، وليس فيها ولا عجب جامع إلا ذاك، وبينهم عالم يزعم جاهلهم أنه ذو فضل جلي، يعدونه الحاج حسن أفندي الملاطيلي، وذكر لي أن له دواب يسترعيها، فهو كل يوم خارج البلد مشغول فيها، وله ابن اسمه الحاج عثمان، يخطب القوم ويعلم صبيانهم القرآن. وكان يوم دخولي أسير مرض أوهن قواه، أطلقه الله تعالى من أسره وشد أزره وقواه.

ونزلت في بيت رجل يدعى السيد علي، وقد اعتنى بي وأكرم منزلي، وهو ممن ناهز القبضة، وعضه الدهر العضوض ورضه.

وزارني المأمور بمحافظة هاتيك المغاني، الشهم الكريم هاشم بك الداغستاني، وأخبرني أثناء المحاورة بما شرح صدري، من أنه -والناس مأمونون على أنسابهم- من ذرية المولى الحسن البصري[١]، وأفعاله الحسنة تنادي على علن، بصحة دعوى أنه من ذرية الحسن:

إن فاتكم أصل امرئ ففعاله * تنبيكم عن أصله المتناهي [٢]**

---

(١) **الحسن البصري** (٢١ - ١١٠هـ/٦٤٢ - ٧٢٨م): الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق =لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الانصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة) بالأزهرية. توفي بالبصرة. ولاحسان عباس كتاب(الحسن البصري).

الزركلي: الأعلام، ٢/٢٢٦

(٢) البيت من مقطوعة شعرية مشهورة، من شعر صفي الدين الحلي، يقول فيها:

قالَ النّبيّ مقالَ صِدقٍ لم يَزَلْ ... يجري على الأسماعِ والأفواهِ
مَن غابَ عنكم أصلُهُ، ففعالُه ... تنبيكمُ عن أصلِه المتناهي
وسفَرتَ عن أفعالِ سوءٍ أصبحتْ ... بينَ الأنام قليلةَ الأشباه
وتقولُ: إنكَ من سلالةِ حيدرٍ ... أفأنتَ أصدَقُ أم رَسُولُ اللّهِ؟

فوحرمة الحسين لقد أقر بإكرامه مني العين، ورأيت له ميلاً عظيماً [١٨/أ] إلى التصوف، والبحث عن الحقائق مع حسن التعرف، وسألني عن معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١] الآية، فذكرت له ما شع على قلبي من مشكاة الأنوار وبروج نجوم الهداية.

وكذا زارني وأظهر خالص الحب لي، نائب قنقال: السيد أحمد أفندي الكمش كجيكلي ، وقد جاء هذه القرية لمصلحة العسكر الرديف[٢]،

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢) **رديف:** طائفة من الجند وجدت في الدولة العثمانية قبل إعلان الجمهورية، وطبقاً لتشكيلات السلطان عبد العزيز كان هؤلاء الجند جنداً احتياطيين لمدة عامين بعد أدائهم الخدمة أربعة من الأعوام، وبذلك تنتهي مدة خدمتهم العسكرية، وفي هذين العامين كانوا تحت الاستدعاء أو يعفون من الخدمة، وبعد قضاء هذه الأعوام الستة في الخدمة العسكرية كانوا يعدون جنوداً نظاميين، ولكنهم يظلون مكلفين بالخدمة العسكرية أربعة عشر عاماً ويستدعون للحرب أو التعليم وبعد أربعة أعوام تنتهي خدمتهم العسكرية.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٦٥.

ومشترك معه في الزيارة والمصلحة يوزباشي[١] حسين أغا الذكي الظريف، ومر على القرية متوجهاً للقاء الحضرة المشيرية، جناب ولي باشا قائمقام[٢] خربوت[٣] المحمية، فأشاع خبراً كنت سمعت بمبتداه، لكن لم يمر بفكري أنه في هذه الأوقات أسمع منتهاه، فكنت في شأنه على أعراف الرد والقبول، لاسيما وقد شككني في صحته بعض ذوي العقول، وأنا نامق جليته إذا حققت بفضله تعالى حقيقته.

وبعد العصر عاد إلى هاشم بك الذي قدمت ذكره، ملأ الله تعالى جفنة قلبه من موائد لطفه وسره، فلم يبرح حتى أخذني معه لطعام أعده لي وصنعه، فأظهر سجايا هاشمية، وأبرز أيادي حاتمية. فوحرمة الكرم لقد صنع من القرى ما لم أره صُنِع في قرية من القرى.

---

(١) ضابط برتبة نقيب.

(٢) **قائمقام Kaimmekam**: هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، مثل قائمقام الصدارة، وقائمقام استانبول، وهو أعلى منصب إداري في الأقضية .

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٧٠ .

(٣) **خربوت Kharpout**: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، مركز اللواء والولاية اللذين يحملان الاسم نفسه. تكتب أيضاً: خاربوت وخاربوط، والمدينة اليوم بليدة تقع شمال المدينة الجديدة إلازيج Elazig (خط العرض ٣٨,٤١ والطول ٣٩,١٤) ببضعة كيلو مترات، ربما كانت الواو في الأصل خطأً مطبعياً.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٥٨.

وجرى في أنهار المسامرة حديث (الفقر فخري)[1]، ولم يزل على ألسنة العوام وأكثر الخواص يجري، فأخبرته بوضعه نثراً، ثم أنشدته شعراً :

الفقر فخري حديث مفترى ذكروا * فاحذر روايته من غير تنبيه**

ثم شرعت في بيان حقيقته على فرض ثبوت صحته.

وسألني عما أقول في يزيد، اللعين الطريد، فأنشدت :

وكان فتى من جند إبليس فارتقى * به الحال حتى صار إبليس من جنده

فقال على هذا أظنك تجوّز لعنه.

---

(١) علق الألوسي في تفسيره روح المعاني على هذا الخبر عند تفسير قوله تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ".

وقال: ...، وبما رواه الترمذي عن أنس. وابن ماجه. والحاكم عن أبي سعيد قالا: "قال رسول الله ﷺ اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين "مع ما رواه أبو داود عن أبي بكرة أنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو بقوله: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر " وخبر «الفقر فخري» كذب لا أصل له .

فقلت: نعم، وإن ذَجَّسَ تصوره وذكره لسان لاعنه وذهنه، ويكفي في جواز لعنه ما رواه مسلم أحد شيخي المحدثين المتقنين (من أخاف أهل المدينة أخافه الله تعالى وكانت عليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين)(١).

ولا ريب عند من وقف على تواتر الأنباء في أنه انتهب المدينة، وافتض جنده فيها بلا اعتذار ألف عذراء [١٨/ب]، هذا مع ما انضم إليه من الطامة الكبرى، والمصيبة التي لم تزل عين الدين المحمدي منها عبرى، وهي ما فعله بريحانة الرسول، وقرة عين فاطمة البتول. ولعن من فعل دون هذا بأهل بيت النبوة جائز فيما أراه، فلا أتوقف في لعنه، لعنه الله، ثم لعنه الله، ثم لعنه الله، وأنا ممن يرى أن الفرق معدوم بين اللعن بالخصوص واللعن بالعموم. وبالجملة:

---

(١) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أَخَافَهُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صَرْفًا وَلَا عَدْلًا.

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور في نشر الخلاق يُنفخ**

لابد أن ترد القيامة فاطـم * وقميصها بدم الحسين ملطخ[1].**

(١) البيتان عزاهما ابن كثير إلى يوسف بن الأمير حسام الدين قز أوغلى بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي رحمه الله تعالى الشيخ شمس الدين أبو المظفر الحنفي البغدادي ثم الدمشقي سبط ابن الجوزي .. وقد سئل في يوم عاشوراء =زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر للناس شيئا من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلا لا يتكلم ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديدا ثم أنشا يقول وهو يبكي:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في نشر الخلائق ينفخ

لا بد أن تردا لقيامة فاطم ... وقميصهـا بدم الحسيـن ملطـخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله .

ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٧/١٣ .

ثم ذكرت ما للعلماء الأعلام من الكلام في هذا المقام، وفي تفسيرنا روح المعاني[1] ما فيه رَوح الأرواح والأجسام.

وذكر لي عن القرية أنها طبية التربة، ومياهها صافية عذبة،

---

(١) ذكر الآلوسي في مقدمته أنه منذ عهد الصغر، لم يزل متطلبا لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال فرائده، لا يَرْفَلَ في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل لإخوانه، وبذلك وفقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه، وذكر أنه قبل أن يكمل سنه العشرين، شرع يدفع كثير من الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ويتجاهر بما لم يُظفر به في كتاب من دقائق التفسير... ثم ذكر أنه كثيراً ما خطر له أن يُحرر كتاباً يجمع فيه ما عنده من ذلك، وأنه كان يتردد في ذلك، إلى أن رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هجرياً أن الله جل شأنه أمره بطي السماوات والأرض، ورتق فتقها على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء وخفض الأخرى إلى مستقر الماء ثم أنتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه في الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعة وثلاثين سنة، وذلك في عهد محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان. وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هجرياً.

ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش فسماه: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

مكانة روح المعاني من التفاسير التي تقدمته: الحق يقال إن تفسير روح المعاني قد أفرغ فيه الإمام الآلوسي وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفاسير المعتبرة .

وأنها تبصر مصالح أهلها بعشرة عيون، فهم في استخدام ما سواها متفكهون، وأن هواءها مع أنه عليل أمين سليم، فلذا قلما يرى فيها على ممر السنين سقيم، لا يشكو ساكنها حركة ألم في غالب الأوقات، ولا يكاد يطرحه على الفراش مرض سوى مرض الممات، وحُمّى الغِبّ لا تجد لها فيما بين القوم ذكراً، ولا يعرفون لبومة حُمّى الربع في ربوعهم وكراً، ولم تمر بهم ريح علة القيّ، مع أنها كم لها من ميت قرب ذلك الحي، ولا بدع فلله تعالى خواص في الكائنات، وفي الأرض قطع متجاورات، لكن من غريب ما اتفق، أنه أسهرني فيها رقص البراغيث لغناء البق، فأصبحت كالعليل أنشد ما قيل :

وليلـــة باتـت براغيثهـــا * ترقـص إذ غنـى لها البق**

فكدت من حزني وأفراحها * أنشق لولا الصبح ينشق [١]**

---

(١) البيتان عزاهما ابن معصوم في سلافة العصر للسيد علوي بن إسماعيل البحراني .
ابن معصوم الحسني: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ٣٠٥/١ .

المنزل الرابع عشر: حسن جلبي

وقبل إن تمدّ جيدها إلى رياض الأرض الغزالة، وقد أغرق نهر الصبح نجم الليل حتى أوشك أن يُغرِق -وإن كان كالزورق- هلاله وثب كُلُ من الأصحاب وثبة الغضنفر، فحمل أثقاله في أسرع من لمح بالبصر، فسرنا في أودية ضعيفة الأنهار وبيداء بلقع، ومررنا على جبال محرومة من عظيم [١٩/أ] الأشجار كأن رأس أبيها أقرع، ونزلنا على فم عين أثناء الطريق، وروّقنا هناك بما معنا من الطعام الريق، ثم سرنا وعلى الله تعالى في كل أمور المعول، سيرًا مختصرًا لقول فيه وتلخيصه أنه مطول.

فوصلنا الساعة السادسة حواشي (حسن جلبي) وأنا ملتهب في ناري، فرأيت عند مبقلة سيدًا من ذرية أبي القاسم -عليه الصلاة والسلام- أطفى بما استسقيته لهبي وأواري، فسرت قدر عُشر ميل، فنزلت عند رجل يدعى السيد إسماعيل، ويزعم أنه من ذرية إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم، لا زال جواد الرضى يسرح في روضة قبره ما سجد سجاد وصدق صادق وأتقى تقي وقام قائم.

وكما يقال لهذه القرية حسن جلبي يقال لها قرية حسن حلبي، لكن الأول أكثر، وكانت قديماً تسمى بـ (أسكي كوي)، فهُجر هذا الاسم منذ زمان ودثر.

وبيوتها قيل ثمانون، وأهلها الذين اجتمعت بهم علويون، وهم من غلاة الشيعة، مرتكبون من غير تقية كل شنيعة، والجلبي[١] المذكور كان زمن السلطان مراد أجل أعيانهم، وسموا القرية باسمه لأنه إذ ذاك محور أمورهم وأساس أركانهم.

وهي واقعة بين جبال كأنما خنقت منها بحبال، وفيها مسجد خراب، لا يصلي في إلا الأحجار والتراب، وذكروا أن بردها شديد، وارتفاع الثلج فيها شتاءً نحو ذراعين أو يزيد، ولذا ليس شيء من الثمرات فيها، وإنما تجبى إليها من ملاطية ونواحيها،

---

(١) **جلبي**: الأنيق، المتربي، المثقف، وقد أطلق هذا اللقب على آل عثمان حتى عهد السلطان محمد جلبي، كما أطلق على المنحدرين من نسل جلال الدين الرومي، وقد استعمل أيضاً لذوي النبل والفضل، واستخدم بمعنى سيد وخواجة .

سهيل صابان: معجم، ص ٨٦

وبينهما نحو ست عشرة ساعة، وقد اتخذ جلب الثمار تجار الطرفين بضاعة، نعم فيها خضراوات قليلة وهي مع ذا غير جليلة، وتحقق لديّ عند الرحيل كذب ما ادعاه ذلك الرجل إسماعيل، فورب البيت إنه ليس من ذرية إبراهيم، فقد رفع من بيته قواعد الإكرام والتكريم.

ولما مدت الشمس أيدي أشعتها تلطم جباه الجبال، وشرقت أفواه الأودية إذ أشرقت عليها بما جرى منها وسال تبوأنا ظهور الدواب، وظهر لنا بعض ما نعهده في العراق من شهر آب، وكان قد مضى نصفه وشأنه معنا الإنصاف، حتى إنا ظننا أنه [١٩/ب] من التنظيمات الخيرية الجارية في هاتيك الأطراف خاف، وسرنا في وادٍ أويد، وهو يروغ روغان الثعلب، فبينما تراه اتهم أنجد، أو تحسبه شَرّق غَرّب، كأنه سمع وتعقل قول الشاعر الأول:

من يستقم يُحْرَم مناه ومن يرغ *** يحظ بالإسعــاف والتمكيــن

فتــرى الألـــف استقــام ففاتــه *** نقط وفاز به اعوجاج النون[1]

أو أنه لضرورة ما ارتكب الأسِنّة، واتخذ الروغان على خلاف طبعه جُنّة، فهو لعمري معذور فيما جرى من الأمور.

(١) البيتان من الشعر السائر ولا يُعلم قائله، وقد عزاهما بعض جامعي الحكم والأمثال إلى ابن الخازن الكاتب، وقد أوردهما المحبي ضمن قصة وقال: فقال: وقفت على هذه الرسالة، التي سارت بسيرتها الرُّكبان، وتناقلها أكابر الفضلاء في هذا الزمان. فوجدتها غريبة المثال، معربةً عن قائلها بأن لسان الحال أفصح من لسان المقال. قد تضمّنت ما انطوى عليه هذا الغمر من القبائح، وما انتشر منه في هذا العمر القصير من الفضائح. فإنه قد مشى على غير الاستقامة، حسّاً ومعنًى، وأنشد قول القائل في ذلك المعنى:

من يستقمْ يُحرمْ مناهُ ومن يزغْ ... يختصّ بالإسعافِ والتّمكينِ

انظــرْ إلى الألفِ استقــامَ ففاتــهُ ... عجمٌ وفازَ به اعوجاج النّونِ

تصدّر للفتيا مع أنه أجهل من توما الحكيم، وأنصفه حمار ابن حجيج فركبه في الليل البهيم.

المحبي: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، ٩٠/١.

المنزل الخامس عشر: خان الحكيم :

وقد سلكنا في ذلك الوادي على حرف منه أملس من لهاة، وأضيق من مفحص قطاة، تتحير الدواب فيه كيف تضع حوافرها، وتتمنى لحيرتها لو نشبت بها المنية أظافرها، والشمس تضحك إلينا من شقوق ذرى الجبال، وتلعب معنا لعبة الاختباء التي كنا نلعبها إذ نحن أطفال، والنسيم حبس نَفَسَه فلم يتحرك خشية أن يضيع بين الشعاب، وليس لخرير سائل الماء هناك سوى الصدى جواب.

ولم أزل أسير فيه حتى لفظني فُوه (بخان الحكيم)، وأنا من العي كجوادي عوفيت سقيم، وليتك رأيت بغلة عبد الباقي ماذا عراها من زبد عرق العنا، فكأنها -ورأسك العزيز- شدق مفلوج حسا لبنا.

وكانت مدة السير نحو أربع ساعات، لم نسترح فيها حذر تراكم جيوش الحر إلا آنات، وهذا الخان قديم البناء، لم توقفنا على بانيه رواة الأنباء، ويستظهر أنه من آثار الدولة السلجوقية[1]،

---

(١) **الدولة السلجوقية:** الدولة السلجوقية دولة أقامتها أسرة تركية إسلامية حكمت إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. تُنسب إلى سلجوق زعيم عشائر الغُزّ التركمانية، التي هاجرت واستقرت في بخارى. استولى أحد أحفاد سلجوق وهو طُغْرل بك على إقليم خراسان سنة ٤٢٩هـ، ١٠٣٧م .ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء استدعى الخليفة العباسي ببغداد، القائم بأمر الله طُغْرل بك لإنقاذه من البويهيين. فزحف طغرل بك على بغداد وقضى على البويهيين، ونصبه الخليفة ملكاً وسلمه السلطة الزمنية على البلاد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. وسّع ألب أرسلان خليفة طغرل بك نفوذه على حساب الدولة الفاطمية، فانتزع منها حلب ثم مكة والمدينة، وتقدم إلى بلاد الروم وانتصر عليهم في معركة ملاذكرد. وضم إليه شطراً من بلادهم في آسيا الصغرى، ونصب ابن عمه سليمان قَطْلَمِش حاكماً على تلك البلاد الجديدة. وجعل ملكشاه السلجوقي خليفة ألب أرسلان بغداد عاصمة له سنة ٤٨٤هـ،١٠٩١م.

= توفي مَلِكْشاه سنة ٤٨٥هـ، ١٠٩٢م، ونتج عن هذا التنازع بين أبناء الأسرة السلجوقية؛ فاستقل سليمان بن قطلمش بآسيا الصغرى، وأسس فيها سلطنة السلاجقة الروم، والتي شهدت مولد قوة الأتراك العثمانيين، واستطاع الأتابكة القائمون على أمر تربية أبناء السلاجقة انتزاع مقاليد الأمور من السلاجقة وأسسوا دويلات عرفت باسم الدويلات الأتابكية، ومن أشدها دولة الأتابك عماد الدين زنكي في الموصل، وهي التي اشتهرت بالجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

كان من مآثر السلاجقة تمسكهم الشديد بالإسلام، وميلهم القوي إلى أهل السنة والجماعة. ووصل المسلمون في عهدهم إلى درجة عظيمة من التقدم في كثير من علوم الحضارة، وازدهرت في عهدهم الفنون بجميع أنواعها.

الموسوعة العربية العالمية .

وينسبون إليها آثاراً كثيرة في الديار الرومية، وشاع تسمية نفس القرية بهذا الاسم، إلا أنهم يبدلون حاء (الحكيم) هاءً من غير علم. وعدة بيوتها على ما سمعت مائتان، وأهلها رجالاً

ونساء إن أردت حصرهم يحصرهم الخان، وفيها جامع ذو منارة ينسب لمحمد باشا كوبرلي زاده[1]، جعل الله تعالى عمله قنطرته إلى الجنان وزاده. والخطيب فيه رجل يقال له الملا بكر، يُعرف من خطابه وخُطبته أنه لا يفرق بين البُر والبِر والكُر والكَر،

(١) **محمد باشا كوبريللى:** صدر أعظم، ألباني الأصل - قوي الشكيمة ورجل دولة من الطراز الأول. اختارته السيدة خديجة تاريخان، والدة السلطان محمد الرابع، لأنه لم يكن قد بلغ السن القانونية التي تمكنه من تولي عرش السلطنة. فتولت أمه نيابة السلطنة ووجدت ضالتها في محمد باشا كوبريللي. استمرت صدارة محمد باشا كوبريللي خمس سنوات نجحت الدولة خلالها في استرداد عافيتها داخليّاً وخارجيّاً. داخليّاً: قام بتأديب الإنكشارية وأجبرهم على احترام النظام والتفرغ للدفاع عن الدولة وحمايتها؛ فهزم البنادقة وأخذ منهم جزيرة "لمنوس" وغيرها. ثم حارب النمسا واحتل قلعة نوهزل وقام بفتح جزيرة كريت.

ولعل من أعظم مآثرة الباقية حتى الآن في استانبول هي (مكتبة كوبريلي)، وهي من المكتبات العثمانية، وهي تابعة الآن لمكتبة السليمانية، تأسست مكتبة كوبريلي عام ١٦٧٠م، وتحتوي على ٢٥٩٣ مجلد من المخطوطات. وقد أسس المكتبة الصدر الأعظم كوبرولي فاضل أحمد باشا، وأودع فيها ١٦٥٠ مجلد من المخطوطات القيمة. ثم قام كوبرولي حاجي أحمد باشا في القرن الثامن عشر بإضافة مجموعة من المخطوطات إلى المكتبة، وقام م.عاصم بك من الأسرة نفسها بإضافة مجموعة أخرى في القرن التاسع عشر. ولكن المخطوطات التي تحتويها هاتان المجموعتان أقل قيمة من المخطوطات الخاصة بالصدر الأعظم فاضل أحمد باشا. وقد طُبع فهرس مختصر لهذه =المكتبة في أواخر العصر العثماني عام ١٣٠٣ هـ. وكذلك أعدّت البطاقات الخاصة بمخطوطات هذه المكتبة بحيث يستفيد منها القراء. ثم قمنا بإعداد فهرس شامل لمخطوطات هذه المكتبة ضمن نشاطات وأعمال مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا) في الفترة ١٩٨٣-١٩٨٦م. وقد نشرت هذه الأعمال في ثلاثة مجلدات عام ١٩٨٦ م. وتتضمن مقدمة هذا الفهرس معلومات مفصلة عن المكتبة.

انظر: رمضان ششن: مجموعات المخطوطات في تركيا؛ لطفي معوش: معجم المصطلحات العثمانية.

وكذا أكثر من رأيت من الخطباء في أرجائنا وهاتيك الأرجاء، ومدار حسن الخطيب عند الناس [٢٠/أ] اليوم حسن الصوت مع أداء نغمات تطرب القوم، فإذا أرادوا مدح خطيب بما ليس وراءه مطمع لمن يزيد، قالوا فيه عن جهل: هو ألحن من قينتي يزيد.

وفيها نائب يسمى يوسف أفندي، هو في غيابة جُب جهل لا يُعيد ولا يُبدي، فهو كأكثر نواب القرى أجهل من قاضي جبل، وأخشى أن تكذبني إن ادعيت أن ذاك وصف الكل.

وفيها عالم -يزعم الجهلة- يسمى أيضاً بهذا الاسم، وأظنه لا يعلم النسبة بين الجهل والعلم، وقد زارني فرأيته على طبق ما ظننته، غير أن له طلب علم في الجملة، ويرجى أن يكون ذا علم إذا جعله شغله، سهل الله تعالى له طريق الطلب، وبلغه غاية الأرب.

وفيها قلعة بناؤها أيضاً قديم، وهي الآن على عظم أحجارها تحكي العظم الرميم.

ونزلت في صدُفَّةِ قهوة عند عين ماء وشجرة صفصاف، حيث إن أهاليها كشجرة تلك العين؛ بل عين تلك الشجرة بلا خلاف،

وكأن خان الحكيم كان بيمارستان[1] والحكيم يعالجهم فيه، فلما لم ينجع العلاج جعله إصطبلاً لهم يمرحون فيه،

---

(١) **البيمارستان:** المستشفيات كان يطلق عليها البيمارستانات، وكانت أحد المظاهر المهمة لتقدم الرعاية الطبية لدى المسلمين. وقد عرف العالم الإسلامي هذه المستشفيات منذ عهد الرسول وبالتحديد إبان غزوة الخندق (٥هـ/٦٢٧م)؛ عندما أمر بضرب خيمة متنقلة للصحابية رفيدة بنت سعد الأسلمية، وكانت أول مستشفى حربيًا متنقلاً لتطبيب الجرحى. وعرف المسلمون نوعين من البيمارستانات المتنقلة والثابتة. وكانت المتنقلة منها أسبق، وكانت تنقل من مكان إلى آخر في ضوء الحاجة إليها كانتشار الأوبئة أو بسبب الحروب كما حدث في غزوة الخندق. وكانت هذه البيمارستانات تجهز بمعظم مستلزمات المستشفى الثابت من حيث الأدوات والعقاقير والطعام والشراب والأطباء، وكانت تنقل من منطقة إلى أخرى حيث لا توجد بيمارستانات ثابتة. وبتطور شكل الدولة صارت تصحب الملوك والأمراء في رحلاتهم للقنص والحج وخلافهما. وبلغت ضخامة بعض هذه البيمارستانات أن كانت تحملها قافلة من الإبل مكونة من ٤٠ جملاً. وكان السلطان الظاهر برقوق (ت٨٠١هـ-١٣٩٨م) يصطحب مستشفى محمولاً كبيراً جداً. وظهرت فكرة المستشفيات المتنقلة بشكلها المنتظم في العهد العباسي؛ أما المستشفيات الثابتة بشكلها المكتمل فقد عرفت لأول مرة في عهد الوليد بن عبدالملك (٨٨هـ/٧٠٦م) وجعل فيها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر ببناء مستشفى لمعالجة المجذومين وحبسهم حتى لا يمدوا أيديهم بالسؤال، وخصص لكل ضرير دليلاً ولكل مُقعد خادماً. وباتساع رقعة الدولة الإسلامية كثرت البيمارستانات الثابتة لا سيما في المدن الكبرى مثل بيمارستان هارون الرشيد في بغداد، وكان يرأسه ماسويه الخوزي، من أطباء بيمارستان جنديسابور. وكان بها أيضاً بيمارستان البرامكة، وكان يقوم بالطبابة فيه ابن دهني، وبيمارستان ابن طولون، وهو أول مستشفى من نوعه في مصر، وكان ممنوعاً فيه علاج الجنود والمماليك، وكان أحمد بن طولون يشرف بنفسه عليه ويزوره كل يوم جمعة. ومن أهم البيمارستانات التي أنشئت في مصر: زقاق القناديل، العتيق، القشايش، السقطيين، الناصري، الإسكندرية، الكبير المنصوري، والمؤيدي. ومن أهمها في الشام البيمارستان النوري الكبير، والقيمري، وآراغون، وأنطاكية، وحماة، والقدس، وعكا. وازداد عدد هذه البيمارستانات في عهد الأيوبيين والمماليك خاصة في الشام والعراق. ويعود ذلك إلى الظروف التي طرأت بسبب الحروب الصليبية، ولم تخل بلدة آنذاك من مستشفى متنقل أو ثابت.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

فهم-وحرمة الأعراف- كالأنعام، وأُجِلّ اللئام من أن أقول فيهم لئام، ولهم مدير حامل لتمتمات الخسة بل أراه لها متمماً، وأظنه جَوْزَهِراً قد مُلئ -قاتله الله تعالى- من فرقه إلى قدمه سُمّاً، واسمه -مُحي رسمه- راغب، أي في القبايح والمعائب، وهو الذي أنزلني -حط الله تعالى قدره- في تلك الصُّفّة، وماذا يؤمل سوى مثل ذلك من عديم ديانة ونجابة وعفة.

ولما سمع المأمور أن مع الخَزْنَة سيفي بك، وأدهم أفندي، شق عليهما ذلك، فلم أشعر إلا والنجيب أدهم أفندي عندي، فالتمس مني النُقلة غاية الالتماس، ولم يبرح حتى نقلني إلى السراي بلطف وإيناس، أسال الله تعالى الرقيب أن يجعله عن قريب فريقاً، ولخزنة المكارم والفضائل -على رغم أعاديه- رفيقاً.

وأخبرني يوسف الثاني ولا أظن فيه الفرية أنه قد سلك مسلك البكتاشية[1] معظم أهل القرية، فترى الواحد منهم يبيع من غير تحاش بالحشيشة جوهرة عقله، ويحسب من مزيد جهله أنه يحسن صنعًا بقبح فعله، ويسمي تلك الحشيشة أسرارًا، ويصرّ [٢٠/ب] على القول بحل شربها إصرارًا.

ومن الغريب أن المومأ إليه سألني عن دليل حرمتها، فذكرت له نصوص العلماء الفخام برمتها، فقال : أليست هي الميسر المذكور في القرآن العظيم قرين الخمر ؟ فقلت: لا، ويوشك أن يكون اعتقاد ذلك أَمَرّ وأدهى من ذلك الأمر.

فقال: أستغفر الله، فقد كنت أعتقد ذاك، والآن هديتني إلى الحق، تولى الحق سبحانه هداك.

وأخبرني أن القَرّ شتاء في القرية شديد، وأن الرمد كالحمى في حماها كل وقت ما عليه مزيد.

---

(١) إحدى أشهر الطرق الصوفية المنتشرة في الدولة العثمانية.

وزارني أكثر من فيها من غرباء طلبة العلم الشريف، فرأيت فيهم كسائر الطلبة القوي والضعيف.

ولما قصر حواري الفجر إزار الأفق في هاتيك الأرجاء، ومحا بما أساله طرز النجوم من بردة الليل السوداء هَبَّ كلٌّ إلى صلاته فتخفف بأدائها بعض أثقاله، ثم قام غير نكل فثقل بأثقاله ظهور بغاله، وسرنا بين جبلين قبل أن ترانا من العين العين، وكان معظم سيرنا في أرض كثرت عدة جبالها وأوديتها، وكأنها رقعة شطرنج تفرقت أحجارها في أفنيتها، وأظن أنها كانت جبلاً واحداً فتطاردت عليه خيول الأهوية والسيول، فأثرت فيه حوافرها أودية وشعاباً تضل فيها قطاة العقول، وعجبت كل العجب !! كيف أتخذ هذا الطريق جادة، وزوايا جباله قوائم قلما ترى قمتها وإن كنت ذا بصر حديد منفرجة أو حادة، وكيف تقوى قوائم الدواب على رقى قوائم هاتيك الشعاب.

المنزل السادس عشر: طاهر كندي:

ولم تزل تلقينا أصلاب الجبال الراسيات، إلى أرحام بطون أودية غائرات، حتى ولدتنا بمخاض مردى، ووضعتنا على بساط قرية يقال لها (طاهر كندي).

ورأينا في الطريق مياهاً يقولون: هي إلى نهر الفرات جارية، وكذا مياه خان الحكيم على ذلك النهر على ما يقولون سارية، وتشتمل القرية من البيوت على نحو خمسين، وهي من قرى أرغوان[1] الست والستين، لا تقام فيها جمعة ولا جماعة، وفي ذلك ما لا يحق من الشناعة والبشاعة، وفيها نائب يسمى السيد عمر أفندي الملاطية لي، جاء إليّ وأظهر مزيد المحبة لي، ولا تسأل يا أخي عن علمه وليته رزق العدل والمعرفة كاسمه، ولها مدير هو لكوكب النجابة تدوير، استقبلني [٢١/أ] مع خاصته من خارج القرية، وأظهر لي من الإخلاص ما لم يعترني في صدقه مرية، لا زال كاسمه علياً

(١) **أرغوان Argavan:** بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية خربوت لواء معادن. أو أرغفان، تقع شمال مدينة ملاطية.
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٥ .

ولا برح خلقه كفعله مرضيًا، وأنزلني في بيت رجل يدعى السيد موسى ابن السيد محمد، وهو عَلَوِيّ[1]، لكن يزعم أنه عن بغض الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- مجرد.

وبعد أن هدأ بي المقام الأزهر، أُهدِيَ إليّ ما أُهدِيَ من البطيخ الأخضر. وصادفنا هناك مدنيًا آتيًا من مدينة السلام؛ فأكرمناه بنفقة وافقت منه المرام، حيث زعم أنه سلك طريق الحلة، فنهب قوم (وادي بك) ماله كله، وتركوه يفت اليَرْمَع، فشكى ولكن من يقرأ ومن يسمع، وقلت في نفسي سبحان الملك القيوم، قوم وادي ينهبون بالعراق وأنا أؤدي عنهم في ديار الروم، هذا مع أنهم نهبوا معظم أرض نهري الشهوانية، ولم يكن بيني وبينهم مدة عمري شيء من النفسانية؛ بل كم لواديهم في وادي قلبي إخلاص، وأنهار حبّ حفت بها أشجار الاختصاص، فكأنهم أجروا معي طبيعة العقرب أم الخزز، أو دخلوا ذلك النهر صدرًا وبزًا في عموم قولهم : مَن عَزّ بَزّ، وأظن أن شيخهم المومأ إليه بذلك لا يدري، وكأني به قد درى وسال وادي إنصافه فَطَمّ على القرى.

---

(١) العلويون في تلك المناطق هم القزلباش، أي الشيعة الغلاة .

ونزلنا أثناء الطريق عند فم مضيق وحوله مبقلة وماء، ويتردد فيه نسيم كنسيم الأسحار في الزوراء، فاخترنا منه بقعة كالراحة، فشغلناها بأكل الغذاء والاستراحة، وأخبرت هناك بورود صبي من بغداد، وأنه خرج منها يمشي على وجهه بلا راحلة ولا زاد، فطلبته فجأوا به فسألته عن أمه وأبه، فقال، والله تعالى أعلم بالأسرار: أنا درويش ابن داود البحار، وبيتنا فى محلة حضرة الغوث الرباني علم الشرق والغرب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني(١)

---

(١) **عبد القادر الجيلاني** (٤٧١-٥٦١ هـ/١٠٧٨-١١٦٦م): عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ ه، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الادب، واشتهر.

وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة ٥٢٨ ه. وتوفي بها. له كتب، منها "الغنية لطالب طريق الحق" و"الفتح الرباني" و"فتوح الغيب" و"بالفيوضات الربانية" وللمسشرق مرجليوث الانجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الآسيوية الانجليزية. ولموسى بن محمد اليونيني كتاب " مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني "ولعلي بن يوسف الشطنوفي "بهجة الأسرار" في مناقبه، ولمحمد بن يحيى التاذفي "قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر" وترجم عبد القادر بن محيي الدين الاربلي عن الفارسية "تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر".

الزركلي: الأعلام، ٤٧/٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣٧١/٥؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ٢/٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ١٩٨/٤.

قدس سره وغمرنا براً وبحراً بره، وقد خرجت أسير لزيارة جدتي زمزم في بلدة إزمير، فلم أعلم أباه، ولم يكن معي من يعلم، ولم أعرف في ذلك المقام سوى جدته زمزم؛ حيث إنها كانت كيوانية في بيت [٢١/ب] حضرة عبد القادر باشا الكمركي(١) السابق في بغداد(٢)،

---

(١) **الكمركي/الكمركجي**، وتعني مسئول الجمرك/الكمرك، بعد إضافة (جي) وهي لاحقة اسم العمل أو الصنعة في اللغة التركية. الكمرك لفظة تركية تعادلها في العربية المكس، تطلق في الاصطلاح على ديوان الضرائب الداخلة أو العابرة.

انظر: حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات، دار العلم للملايين، ص ٢٨.

(٢) **عبد القادر باشا زياده زاده**: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): ومنهم ذو الحظ الذي هو لفسطاط دنياه عماد. حضرة عبد القادر باشا الذي كان كمركجي بغداد. وزيادة شهرته. تغني عن ترجمته. وقد جذبني بسلاسل حب =شيخ الإسلام إياه وأزمة أوهامي إليه. فكنت لإشارة المشار إليه لا زال اللطف منهلاً عليه في معظم الأيام والليالي ثاوياً بين يديه. وكان يؤنسني بطيب كلامه ومزيد تواضعه. وقد نلت بتوسطه عند شيخ الإسلام معظم ما حصل لي من منافعه. ورأيت له قبولاً عظيماً عند الرجال. وكانوا يحلونه أعلى محل ويجلونه غاية الإجلال. وكان بصدد أن يتسور وزارة بغداد. وقد أرادها له معظم الوكلاء إلا أن الله تعالى ما أراد.

حضرة من لا يجارى في جده. ولا يبارى في قوة سعده. المنضد أمتعة حسن المعاملة في حجرة وجوده. والمشتري بضائع الأثنية الفاضلة بجواهر لسانه ونقوده. من لم يزل في ازدياد سعده. (عبد القادر باشا)الشهير بزياده زاده. وعظيم شهرته. ويغني عن ترجمته.

وسافرت في خدمته -إذ غُمِرتُ بنعمته- إلى جميع ما سافر إليه من البلاد، فثارت بي غيرة بلدي، فأمرته بالعود إلى وطنه صحبة ولدي، وألزمت المكاري بحمله حتى يصل إلى أهله.

وشتاء القرية شديد، والثلج فيه ذراعان أو يزيد، وحللت بمحل منها أرى منه بساتين (ملاطية)، ولكنها بمقدار مسيرة عشر ساعات عنا نائية، وليتني حللت بهاتيك البلد نحر جزور، لما أن طيبها بين الناس ذايع مشهور، وهي على ما تَقَرَّر مدينة جليلة الشأن بناها الإسكندر، وجامعها على ما في المراصد[1] من بناء الصحابة، إلى كلام كثير في مدحها لا أستطيع استيعابه، والتعبير عنها بما سمعت هو الشايع في هاتيك الأرجاء، وكثيراً ما يقال (مَلَطِيَّة)

(١) كتاب مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع: مصنفه البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن عبد الله بن علي بن مسعود البغدادي الحنبلي ولد سنة ٦٨٨ وتوفي سنة ٧٣٩. له تصانيف كثيرة منها. مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع. في مختصر معجم البلدان مطبوع. المطالب العوال لتقرير منهاج الاستقامة والاعتدال. أدراك العناية في اختصار الهداية. تسهيل الفصول في علم الأصول. قواعد الأصول ومعاقد الفصول. اللامع المغيث في علم المواريث. مختصر تاريخ الطبري. تحرير المقرر في تقرير المحرر. تحقيق الأمل في الأصول والجدل. العدة شرح العمدة.
الباباني: هدية العارفين، ٢٠١/٢.

بفتح الأول والثاني وكسر الطاء وشد الياء. ونقل في أوضح المسالك عن اللباب والمراصد، أنها بفتح الأولين وسكون الطاء، وتخفيف الياء وكذا ذكر غير واحد، وزاد في القاموس التصريح بكون التشديد لحناً ونحن لم نسمع بالصواب هنا وهنا.

وبت ليلة الأحد بليلة أنقد، أرعى –وحياتك- السهى والفرقد، وقد كادت الرياح تدفنني بما تذروه من التراب إذ رأتني نمت في البيداء، ولم أستطع النوم -وحرمة الذاريات- وراء حجاب حيث شمر النقرس عن أذاه فجعل جلدتي جرباء.

ولما أعارت الشمس على يد الفجر من حليها حجلاً للدّجُنّة، قمنا فأدينا -قبل أن تبدي تلك الغادة سوارها- الفرض والسنة. وإثر ذلك تبعنا أثر من سار، وعما قليل تمنطقنا بأشعة ذلك السوار، ولم نزل نسير بين الجبال ترابية، على هامها فصوص كفصوص رأس الأقرع إلا أنها حجرية، وقد تجردت من أشجار وأعشاب، سوى بقايا حشيش كأنه شعر أقشر شاب، حتى وصلنا بطن وادٍ يسيل إلى الفرات،

فنزلنا عن ظهور الدواب لكسر جيش الصفراء بأكل لقيمات، ثم سرنا في أرض هي بالنسبة إلى ضلوع جبال ما قبلها راحة، إلا أن سبوحي من فرط الحر غدا له في منهمر العرق سياحة [٢٢/أ]، ولم نزل نسير حتى اعترضنا قبيل المعدن جبال، فجعلنا نمشي منها على مناطق تحكي بعرضها وانحنائها أعناق جمال، واصفرَّ من الخوف وجه جوادي الأزرق فغدا يهمهم، فنزلت أقوده وقد احمرَّ من الخجل وجهي الأبيض وطفقت أنادي: ربِ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وريثما قطعنا بسيف التوفيق هاتيك العقبات، ووصلنا ولله تعالى الحمد إلى خان على سِيْف نهر الفرات، ومذ شاهدت ذلك النهر، انْهَلَّ سائل دمعي على عيش خلا لي في العراق ومَرّ، ثم حملته السلام على واد، وأن يقول له: هل رأيت من ركب الفساد فساد، وأوصيته أن يُسِرَّ إليه إذا اعتذر، بما أنا أدرى به وأخبَر، أبشر بقُرب الفرج، حيث سَدَّت الشِّدَّةُ جميع الفُرَج، ولم يبق إلا فرجة باب رحمة الملك المتعال، وإنها وجلاله سبحانه تسع الجَمَلَ

والجَمّال، ورجوت منه رجاء الأخ من الأخ، أن يُقَبِّل عني بفم صقلاويّته أرجاء الكرخ، وإن رأى قد خيم عندها، طيب الخيم السيد أحمد أفندي يعالج سدّها، فليقل له أن العراقي أبا الثناء، يقريك يا أبا رشيد من أقاصي بلاد الروم الدعاء.

المنزل السابع عشر: كمش معدن[1] :

وعبرت بحمولي إذ وصلت بلا ارتيات، وملئت بها وبالرفاق السفن الثلاث، ووفق الله تعالى لإعانتي في قطع ذلك الطّمطام، الصارم الهندي (سيفي بك) القائمقام، فدخلت الساعة العاشرة من يوم الأحد (كمش معدن)، فرأيته معدن رصاص لا يصلح لمن خلص إبريز عقله أن يتخذه لغش أهله وطن.

---

(١) قضاء كمش معدن، على غرب لواء اماسيه، على مسافة ١٢ ساعة في (كمش حاجي كوي). أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ١٤٠.

ويشتمل من البيوت على نحو ثمانماية، وكثير منها قد جاوز في الخراب الغاية، ومسلموه ونصاراه متقاربون في العدد، ولا تكاد تميز بين كثير من مسلميه والآخرين إلا يوم الأحد، وفيه مسجدان جامعان، أضاءه بهما ضياء يوسف باشا، بوأه الله تعالى جنة فيها عينان نضاختان، وزاده سبحانه هناك انتعاشًا، ويقال لأحدهما (الجامع الكبير) صليت فيه المغرب بقليل جماعة، فآنَسَنِي منه رَوح كثير، وأَمَّنَا كهلٌ اسمه محمد أفندي ابن علي أفندي، وهو أقرأ إمام سمعته في بلاد الروم عندي، ورأيته قد سمع بـ (روح المعاني) لمزيد شهرته في هاتيك المغاني [٢٢/ب]، وسألني عن المفسر فقلت: هو مَنْ مِنْهُ تستفسر. فأعظم الحرمة، وعرض نفسه للخدمة، فلم أكلفه إلا الدعاء، لي إلى باسط الأرض ورافع السماء [لعلمي بحال رجال تلك الأرجاء][١].

وفي الجامع مدرسة تدرس في زواياها العناكب، وهناك أسوقة ولا أظن يروج فيها شيء مثل المعائب، وظهر لي أن نساء البلد مسترات، لا يتبرجن بزينة في الطرقات.

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وهناك والٍ لم يكن إذ ذاك فلم أظفر برؤيته، وقد جعل وكيلاً عنه مصطفى بك ابن شقيقته، ووقفت على حال هذا الوكيل، فما أدري أكذاك حال الخال الأصيل ؟ نعم، الولد الحلال كله كما قيل للخال.

ونزلت في قهوة لـ (علي القواس)، وكذا مأمورية الخزنة وكثيرٌ من الناس، ولم نقدر فيها على عَشاء مع الجهد الأكبر، ولم نجد إلى العِشاء سوى خبز وبطيخ أخضر وأصفر.

وأرسل إليّ ولدي أبيض الأخلاق (أدهم أفندي) إناءاً مفعماً من نفيس طعامه، فما أحببت أن أكدر خاطره برد إكرامه، لما أنه في غاية النجابة، دعا على حداثة سنه الكمال فأجابه، فقلت للقهوجي : يا هذا أين أنام ؟ فقال: يا مولانا على سكة في الطريق العام. فأرسلت فراشي إليها، ونمت مع الدائرة عليها، ولم أنم داخل القهوة ؛ لأني وجدت الحر يغلي فيها بقوة.

ولما ارتفع عمود الفجر تحت الخيمة الخضراء، وانتشرت أطناب الضياء فوق سطوح الغبراء. قمنا على العادة إلى أداء ما كلفنا به من العبادة.

حتى إذا جدولت الشمس بذهبها حواشي الجبال، وكادت تجدول سطور الأودية وتحلّي نقط الروابي والتلال. سرنا على منطقة جبل رُصّعِت بأحجار يا ليتها كانت -وأظنها ستكون- وقود النار، ولعمري إن جَرّ الصخور من رؤوس الشوامخ بأهداب الأجفان، أهون بكثير من جر الذيول على ما أدمى الحوافر والمشافر من الصفوان، إلا أنه لا يلجأ للشر إلا الأشرّ، ولا يحوج لتجرع المُر إلا الأمرّ، وكل أذى يلقاه الكامل الكريم أهون من الخضوع لناقص لئيم، وقال من قال :

وخز الأسنة والخضوع لناقصٍ *** أمران عند ذوي النهى مُرّان [٢٣/أ]

فالرأي أن تختاز فيما دونه الـ *** ـمـرّان وخـز أسنة المـُرّان(١)

ولحا الله تعالى دهرًا أحوجني لذلك، واضطرني -لا در دره- لسلوك هاتيك المسالك، وأكثر من هذا يا ولدي لا أقدر أن أقول،

---

(١) قال العماد الأصفهاني: أنشدني أبو بكر محمد بن علي بن ياسر بمسرقند، أنشدني أبو إسحق الغزي لنفسه بهراة:

وَخْزُ الأَسنّة والخُضوعُ لناقصٍ ... أَمران، في ذوق النُهى، مُرّان

والحَزْمُ أضن تختار فيما دونه ... المـران وخز أَسِنّة المـُرّان

العماد الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٧٠/١

فقد قوّمَتْ أسنّة لساني الإقامة سنة في دار الخلافة إسلامبول[1]،

على أن هذا المقدار نفثة مصدور

---

(١) في سعي السلاطين العثمانيين نحو استعادة قوة الدولة وهيبتها ومكانتها الدولية، بدأت في تقوية صلاتها بمسلمي العالم من خلال إحياء اعتبار منصب الخلافة الإسلامية كرمز ديني وروحاني يجتمع حوله المسلمون، ولم يهدفوا إلى جمعهم في كيان سياسي واحد بل في رباط من نوع آخر، وكان أقوى وأنجح من عمل في سياسة (الجامعة الإسلامية) هو السلطان عبد الحميد الثاني، حتى نسي بعض المؤرخين أن هذه السياسة كانت قائمة في عهد والده السلطان عبد المجيد، وبلغت مبلغا متميزا، حتى أن بريطانيا العظمى استغاثت بعبد المجيد في تهدأة الثوار المسلمين ضد حكمها في الهند!

وثمة خبر آخر يورده الألوسي في رحلته "نشوة الشمول" نادر الذكر في بقية المصادر والمراجع، ومثير للاستغراب أيضا، وهو:

".. من أهل "جاوه" رجال رئيسهم يدعى بمحمد غوث، وله غاية صلاح وكمال، وقد ذكر لي أنه جاء رسولاً من قبل ابن عمه ناصر الدين السلطان في هاتيك البلدان، =لطلب الانتظام في سلك أتباع الدولة العلية، واتباع أمر حضرة خادم الحرمين السلطان عبد المجيد خان، مدعياً أن ليس ذلك عن استكانة، وإنما هو لمجرد قوة الديانة.. "

في وقت كانت الدولة تحاول عبر إعلان التنظيمات اتباع المنهج الغربي في التحديث والتطوير وإيقاف عجلة التراجع، وفي الجهة الأخرى تؤتي سياسة إحياء الخلافة بعض ثمارها في طلب بعض الكيانات السياسية الانضواء تحت لواء العثمانيين، تماما كما كان يحدث في العصر الذهبي إبان حكم سليمان القانوني. ويوضح السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته السياسية بعض ملامح إستراتيجيته في هذا المضمار:

(يجب علينا أَن نقوي صلَاتنَا بالبلدان الإسلامية، وأَن يكون التقارب أحسن ممّا هُوَ عَلَيْهِ الْآن، وَلَا أمل لنا بالمستقبل إلا بالوحدة؛ فان بَقَاء الْوحدَة الإسلامية يَعْنِي بَقَاء انكلترا وفرنسا وروسيا وهولندا تَحت نفوذنا، حَيْثُ أَن كلمة وَاحِدَة من الْخَلِيفَة تَكْفِي لإعلان الْجِهَاد فِي الْبلدَان الإسلامية الْوَاقِعَة تَحت سيطرة هَذِه الدول ... وَلَا بُد أَن يَأْتِي يَوْم يقوم فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ قومة رجل وَاحِد ويحطمون أغلالهم. هُنَاكَ ٨٥ مليونا من الْمُسلمين يحكمهم الانكليز و٣٠ مليونا يحكمهم الهولنديون و١٠ملايين يحكمهم الروس، ومسلمون فِي مناطق أُخْرَى من آسيا

، وأذلّة غريب الديار مقهور، فقد صنعت بي الجبال ما لم يخطر لي ببال، ولم يخطو إلى حجرة خيال، وكاد يطرحني في أودية خبال.

ولم نزل نروغ مع الطريق روغان الثعلب، في مضيق يكاد ينسى فيه الولد -لسعة خطره- الأم والأب، حتى نزلنا في شاطئ نهرٍ جارٍ أيضًا إلى الفرات، شوقًا لرؤية رُبى العراق وهاتيك العرصات. فأكلنا ما تيسر من الغداء، وشكرنا وهاب النعم والآلاء، ثم ركبنا وسرنا في طريق سهل في الجملة، إلا أن الفؤاد من شدة ما رأى عاف السير وأهله، وكل جبل مررنا به في ناحية المعدن أقرع لا شجر عليه، كأنه اتخذ قرعة لمصلحة فضته، وأهديت مع أنبيق الطبيعة إليه، أو أنه لما اهتم بتعمير السرائر، طوى كشيحًا عن تزيين الظواهر، فتزيين الظاهر سراب، إذا ما كان الباطن خراب :

وأفريقيا حيْثُ يبلغ الْمَجْمُوع الْعَام ٢٥٠ مليونا، يرجون من الله النّصْر ويوجهون أنظارهم وآمالهم صوب خَليفَة الْمُسلمين).

انظر: عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص ١٧٥.

والسيف ما لم يُلْفَ فيه صَيقل * من نفسِه لم يَنتفع بصقال[1]**

نعم رأيت هناك واديا في بطنه بقايا أشجار لا يحصل منها إلا أوراق، فكأنه من أودية بطون الملتزمين للمقاطعات الأميرية في العراق.

المنزل الثامن عشر: أرْبَوُوْت:

ووصلنا -والحمد لله تعالى الحي الذي لا يموت- في آخر الساعة السابعة إلى قرية تسمى (أَرْبَوَوُوْت) وهي بفتح الهمزة وسكون الراء، وفتح الباء العجمية، وضم الواو الأولى وسكون الثانية، وآخره تاء مثناة فوقية، وتشتمل من بيوت النصارى على نيف وثلاثين، وليس فيها غير ثلاثة أو أربعة من بيوت المسلمين، وهي في وسط فضاء قد أخذت حصة وافرة من البيداء، وحولها قرى تتراءى أنوارها، وتتعانق أنهارها.

ونزلت في دار نصراني اسمه إبراهام، فأسرع بإكرامي كأنه أوصاه بي [٢٣/ب] عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ورأيت أهل القرية يذرون حنطتهم

---

(١) قال أبو تمام:

والسيف ما لم يلف فيه صيقلٌ ... من سنخه لم ينتفع بصقـــال
ويحسن دلّها والمـــوت فيـــه ... وقد يستحسن السّيف الصدّقيل

الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ٦٣/١

وشعيرهم، ولا يذرون هملاً بلا شغل كبيرهم وصغيرهم، ولهم ماء يخرج من عين في وجه القرية، ويستعملونه في مصالحهم ولا يذهب منه بلا نفع لهم جريه، ومنصة الشتاء إذا وطئ أرضهم من الثلج ارتفاع ذراع، وعلى هذا القياس مناصه إذا دخل على ما حولها من القرى والبقاع، وقد يزيد في بعض الأعوام، حتى يبلغ بلا مبالغة إلى الحزام.

وعلى كل حال بينها وبين المعدن في اللطف جبال، فبتنا على حالٍ حال ولله تعالى الحمد فيها، وامتلأت بلذيذ النوم من العين مآقيها.

وعندما أبان القمر أبيض خيطه، ورفع يده ليثير جمل الليل الأسود عن عطنه بسوطه قمنا على العادة فأدينا ما وجب من العبادة، وعلى الأثر سرنا الهوينا، ولو كان الأعمش فينا لقال: سرينا. وأديت على ظهر سبوحي ما ألفته من تهليلي وتسبيحي، وأعانني كل إكمال أورادي كمال أمنيتي من عِثار جوادي،

وسرنا على أرض كأرض الزوراء مستوية، ولولا ما ذقته من شدة البرد فيها لقلت هي هيه، فلقد عرتني هناك هزة من مزيد القر، كما انتفض العصفور بلله القطر[1]، وما قدرت –ورأسك- أن أضم أناملي الخمس، إلى أن مَنّ اللهُ تعالى فأدفأتني بدثارها الشمس.

المنزل التاسع عشر : مزرى خربوت[2]:

فحثثت السير حتى بانت (خربوت) ، ولاحت كسحابة سوداء منها البيوت، فامتطى جوادي جبلها،

---

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي:

إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ... كما انتفض العصفور بلّله القطر

ويروى البيت أيضا هكذا:

وإني لتعروني لذكرك فترة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

من قصيدته التي مطلعها:

أما والذي أبكى وأضحـــك والـذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذعر

ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٨١/٢ .

(٢) **خربوت Kharpout:** مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، مركز اللواء والولاية اللذين يحملان الاسم نفسه. تكتب أيضًا: خاربوت وخاربوط، والمدينة اليوم بليدة تقع شمال المدينة الجديدة إلازيج Elazig (خط العرض ٣٨,٤١ والطول ٣٩,١٤) ببضعة كيلو مترات، ربما كانت الواو في الأصل خطأً مطبعيًا.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٥٨.

ولم يبق إلا أن يدخلها فأحجم قلبي عن دخولها وتعلل، فسقته بسياط الترغيب والترهيب فأبى ولم يفعل، ورأى أن الأحرى النزول في قريــة (مزرى) وقال لي: مالك والنزول عند رجال تحصنوا عن نزول الضيوف بِقُلل الجبال، ويحك أما تجد رسمًا دارسًا تنزله، أما تملك خبزاً يابسًا تأكله، فرجعت منحدرًا إلى قهوة في مزرى، فنزلتها غير مقدم رجلاً ومقدم أخرى، وندمت غاية الندم إذ لم أستفت من قبل الفؤاد، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الجواد [٢٤/أ]، وجعلت ألوم نفسي هنالك على ظاهر خطاها، وهيهات أذّى يجدي ذلك ومَن كُتِبَت عليه خطى خطاها، وكان ذلك في دُبار، وقد أينعت ضحوة النهار، وسألت عن حال مزرى، فقيل استحدثت معسكرًا كـ (سر من رى)[1]

---

(١) سامرا **Samara**: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور على نهر دجلة، وتبعد فرسخين عن موقع أفامية مسنس Apemea Mesenes. هي مدينة سُرّ من رأى، ذكر لها ياقوت عدة لغات: سامرّاء، وسامرا، وسُرّ من رَأ، وسُرّ من را. اتخذها الخليفة العباسي المعتصم عاصمة لملكه حتى عهد الخليفة المعتضد بالله الذي عاد إلى بغداد، تقع شمال بغداد، على خط العرض ٣٤,١٢ والطول ٤٣,٥٢ .

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٩٢ .

) فقلت هيهات أين البعوضة من الفيل، وهل تقاس الحباحب[١] بذبالة القنديل، وكيف تصلح العنازية للعدّ، إذا ما عُدّ سُغد سمرقند، أو تذكر سباطة الحمام، إذا ما ذكرت غوطة دمشق الشام، وأين وادي حقلان، من الأبلّة أو شعب بوّان:

قل لمن يدعي انتسابًا لسلمى * لست منها ولا قلامة ظفر[٢]**

وذكروا أن ليس فيها قشلة[٣] ترضى، وفيها بيمارستان مرضي للمرضى، والظاهر أنها كانت مزرعة لأهل خربوت، ثم بنوا على جعلها قرية فبنيت فيها بيوت، وأظن أن لفظ مزري غلط عن مزرعة أو مزرع، وقد تُرك الصواب اليوم فلا يُقبل ولا يُسمع.

---

(١) ذباب يطير بالليل له شعاع [المؤلف]

(٢) قول أبي نواس:

قل لمن يدعي سُلَيْمَى سفاها ... لست منها ولا قُلامَة ظفر

إنما أنت مُلْصق مثل واو ... ألحقتْ في الهجاء ظلما بعمرو

يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ٥٤/١

(٣) **قشلة Kisla**: معسكر شتوي، نسبة إلى قش التي تعني الشتاء، وقد أطلق فيما بعد على ثكنات الجيش كافة .

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٨١؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢٤.

وأما (خربوت) فغلط عن (خِرْتَ بِرْت) ساكني الراء المهملة مفتوحي التاء، وأول الجزأين مكسور الخاء المعجمة وثانيهما مكسور الباء ويقال لها (حصن زياد) لكن لم أسمع من نطق بهذا الاسم من العباد، وقد نص على ما ذكر في أقيانوس الترجمة المشهورة للقاموس، وأهلها يزعمون أنها غلط من (خير البيوت)، وقد غلطوا فهي لعمري من الخير أقفر من سُبروت[(١)].

وفي (مزرى) سراي الوالي، وحاله كسائر بيوتها غير حالي، ويقيم فيها الدفتردار[(٢)]، وليس له في خربوت دار، والنائب يتردد بين القريتين، وترفع إليه الدعاوى في محكمتين. وفيها جامعان، لم أر فيهما من المصلين فرداً، وربما يقع فيهما ما: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَداً﴾[(٣)]،

---

(١) **كزنبور**، القفر الذي لا نبات فيه [المؤلف]

(٢) **دفتردار**: في الفارسية بمعنى من يتولى أمر الدفتر، ومعناها كبير المحاسبين وتطلق على من يتولى النظر في صادرات وواردات الدولة، فمهمته مهمة وزير المالية، كما كانت تطلق على من يتولى تدبير الشئون المالية في ولاية من الولايات.

انظر: حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٦٠ .

(٣) سورة مريم، الآية ٨٩.

وأمر قضاء الحاجة في أحيائها عجيب، وأنه من غير استحياء يجهد الحيي الغريب، واختياري إياها كان من باب اختيار أهون الشَّرَّين، فأنا أعلم بما قاسيت بهما مما يشق البطن ويوجب الحَيْن، وقد شاهدت فيها ما يزري، مما ضاق -وحسبي الله تعالى- له صدري، وكأنها لمثل ذلك [٢٤/ب] سميت مزرى، وإلا فلا أعلم للتسمية نكتة أخرى.

إلى الله أشكو ما ألاقي من العنا * ومن غربة في الروم أوهنت العظما**

سألت فؤادي مــا عظيم فعالهــا * فقال مع السامي الذُّرى كلها عظمى**

ومن العجيب أن بعض النظام المترددين إلى القهوة حسب أن لي حكماً على الجان، فقلت: يا ولدي ذاك حضرة سليمان، ولو كنته ما قعدت في قهوة أو خان.

وبعضهم حسبني طبيبا من العجم، فسألني عن طب داء في يده أَلَمّ، فقلت يا ولدي ذاك السيد عبد الباقي الحكيم، وقد توفى منذ زمان والآن عظم رميم، فخشيت أن يكثر الظانون والسائلون، فتحولت إلى مكان في قهوة أخرى لا يراني فيه المترددون.

وقبل أن أصل إلى خربوت كنت أفتي، بوجوب نزولي عند رفيع القدر الحاج عمر أفندي المفتي(١)، لما أنه علامة هاتيك الديار، وفي الأخبار أنه خيار من خيار، وهو صاحب (عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة)، وهو شرح لم يأت بمثله مَن قبله، وأظن مثل ذلك بمن بعده، وله نظم عربي يسلي الثكلى، ويذهب ثِقل الحبلى، وبيني وبينه محبة بالغيب، ومودة هي جُنة عن رؤية العيب، وكم جرت بيننا مكاتبات ولاء، يخفق على كاهله من الإخلاص لواء، إلا أن الجبل حال وغير مني الخيال، وقد قال الإمام الشافعي وهو مَن تَعَلْم : عرفت الله تعالى بنقض العزائم وفسخ الهمم.

---

(١) **نعيمي الخربوتي:** عمر بن أحمد بن محمد سعيد الخربوتي المتخلص بنعيمي المدرس، هو من بيت العلم ببلده، كان عالماً فاضلاً أديباً، ولد سنة ١٢١٦، وتوفي في جمادى الأولى من سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف. له: شرح الإظهار، شرح الفريدة لعصام الدين، عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة، وغير ذلك من الحواشي والرسائل.
الباباني: هدية العارفين، ١/٤٢٤ .

وصنع لي يوم نزولي، طعاماً أتى به مع الحمالين إلى محط حمولي، رئيس الطباخين سابقاً في بغداد الشهير بـ (الكوبه لي)، فذكرني بذلك -وعيشك- طعام منزلي.

وبُعيد المغرب طلع علينا رسول دفتر المفاخر، ومن تُحَلّ ببنان فكره المشكلات وتُعْقَد عند ذكره الخناصر، محب العلماء والفقراء دفتردار أفندي محمد شاكر، شكر الله سعيه وجعله حميد الأواخر، فبلغني عن المشار إليه السلام، وقال الآن سمع بقدومك وهو ينتظرك للطعام، فاعتذرت إليه، وقلت أبلغه عني الدعاء له والسلام عليه، وغداً إن شاء الله تعالى أروى بزلال رؤيته [٢٥/أ] ، وأتمتع كما أهوى من جمال طلعته.

وجاء إليّ شاذّاً الغارة من أهله، تحسب لمزيد عدوه أنه يريد أن يخرج من ظِلّه، حبيبنا المتضلع من خندريس اللطافة بالكأس المليّ، حليف السهر من قبل في الحضرة السهروردية الشيخ محمود الموصلي، وكان قد نُفِيَ من بغداد لتهمة سرقة أو فساد،

وهو فيما أظن والله عز وجل علام الغيوب، بريء من ذلك الذنب براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وبعد أن نُفِيَ ثَبَتَ في خربوت، واتخذ تكية فيها وبيتاً على ما ذكر لي من خير البيوت، وتزوج من غوانيها، وتفرد بدعوى المشيخة في مغانيها، فعاش بما يأتيه من النذور، وسبحان مالك الملك ومدبر الأمور.

وبعد العشاء ذهبت قَبل أن يسمع بي، قِبَلَ النجيب ولدى القلبي، وبدري الذري له في فلك المكارم سير بدى، جناب الكاتب الأول في العساكر النظامية(١) شمسي أفندي، فانتشرت منه أشعة السرور، وأحاطت به هالة الحياء وكاد يطير بأجنحة النسور، ويأخذ بيد فرحه عنان السماء.

وصباحًا، هَيَّأ حمام دار الشفاء لي، رئيس الطباخين السابق (الكوبه لي)، فذهبت إلى حمام فِراشه أبيض الرخام، فأزلت الدرن، وأرحت من نصب الطريق البدن، ولم أقل كما قيل، وإن غواني ما كساني الهم العريض في هذا السفر الطويل:

---

(١) **نظامية**: تعبير يطلق على تشكيل عسكري في عهد السلطان عبد العزيز، يقوم فيه الجند بالخدمة العسكرية أربعة أعوام، ثم يصبحون جنداً احتياطيين لمدة عامين.
مجيب مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٤٩ .

لم أدخل الحمام لأجل تلذذي * وكيف ونار الشوق بين جوانحي**

ولكنه لم يكفني فيض مقلتي * دخلت لأبكي من جميع جوارحي[1]**

ثم ذهبت إلى منزل الدفتردار بُعَيد طلوع الشمس، إنجازاً للوعد الذي صدر مني لرسوله بالأمس، فلما رأيته أكبرته وصغر في سمعي كبير ما سمعت في شأنه إذ خبرته، حيث وجدته ذا عقل يشق الشعر، وفكر يَنْشَقُ ريح الغيب من مسيرة شهر، مع تواضع لا عن ذلة، وخفض جناح لا عن علة.

(١) البيتان ينسبان لظهير الدين المرغيناني صاحب الهداية تلميذ مفتي الثقلين نجم الدين عمر النسفي، مع اختلافات عما أوردهما الآلوسي:

وَلَمْ أَدْخُلْ الْحَمَّامَ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ ... وَكَيْفَ وَنَارُ الشَّوْقِ بَيْنَ جَوَانِحِي

وَلَكِنَّنِي لَمْ يَكْفِنِي فَيْضُ عَبْرَتِي ... دَخَلْتُ لِأَبْكِيَ مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِي

الخادمي: البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية، ١٩٨/٤ .

ثم جاءني (شمسي) كما جئته عشية أمسي، فأخذني إلى جناب ذي الذهن الثاقب، والرامي عن [٢٥/ب] قوس الرأي بسهم صائب، صاحب الخلق النفيس، ابن سينا[1] عصره (أحمد باشا) الرئيس، فرأيته كامل العيار، بعيد الغور في استخراج درر الصواب من بحار الأفكار. وبعد أن رحب بي، ورَجَّبَ بالإكرام عنقود قلبي، أمر بتقديم الطعام، وكان شرابنا عليه حديث مدينة السلام:

---

(١) **ابن سينا** (٣٧١-٤٢٨هـ/٩٨١-١٠٣٦م): أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الحكيم المشهور، فيلسوف وطبيب إسلامي، كان أبوه من عمال بَلَخْ، انتقل منها إلى بخارى، وكان من العمال الأكفاء، وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا من أمهات قراها، وولد الرئيس أبو علي وكذلك أخوه بها. ثم انتقلوا إلى بخارى وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون. ولما بلغ العشرين من عمره أتقن حفظ القرآن الكريم وعلومه، ثم درس الأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة.

لقب بالشيخ الرئيس لأنه جمع بين العلم والوزارة. كتبه كثيرة متنوعة وتمتاز بالوضوح والإيجاز، وله كتاب (الشفاء) الذي يشتمل على المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات، وله (القانون في الطب)، وهو موسوعة طبية تحتوي على ماذكره الأطباء اليونان الأقدمون، بالإضافة إلى ماساهم به العرب في هذا المجال .وترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي، وأعيد طبعه في القرن الخامس عشر الميلادي، وطبع مرات كثيرة في القرن السادس عشر الميلادي، وله أيضاً: المعاد؛ رسالة في الحكمة؛ أسرار الحكمة الحرفية؛ النبات والحيوان؛ أسباب الرعد؛ أقسام العلوم؛ الدستور الطبي.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

هي حُزْوى ونشرها الفيّاح *** كل قلب لذكرها يرتاح [1]

وقسماً برب[2] من في بروج مغانيها من الأولياء الكرام، إني لم أر وزيراً إلا وهو بها مغرم مستهام، وما أدري ما هذا السر المودع فيها، وأظنه تطأطأ رؤوس وجوه أهاليها لواليها، مع ما بينهم جميعاً من الاختلاف، والتسابق على الدخول في مراضي الوالي وإن خرج عن دائرة الإنصاف، ومن لم يتصف منهم بذاك فيما أعلم، أقل من أوحد وأعزّ من الغراب الأعصم.

وبعد ساعة مستوية رجعت إلى منزلي، وقد استوى ما هيأه رئيس الطباخين من الطعام لي، فقلت لا أطيق الغداء، والمؤمن يأكل بمعاء، فرفعه الخدم، وطعم منه من طعم.

---

(١) البيت مطلع قصيدة لكاظم الأزري، يقول بعدها:

مرضت سلوتي وصح غرامي ... بلحاظ هي المراض الصحاح
ليت شعري وللهوى عطفات ... هل يباح الدنو أو لا يباح
عجبا كيف لا يباح دنوي ... عند قوم وقتل مثلي مباح

كاظم التميمي: ديوان الأزري الكبير، ص ١١٩ .

(٢) كلمة (رب) لم ترد في المخطوط، ووردت في النسخة المطبوعة .

ووجدت على ثيابي غير قليل من قمل الخشب، فسلّم على عقلي تسليم وداع وذهب، وكان-لا كان- في الصغر كأمثال الذر، لكنه يحكي عقارب (نصيبين)[1] أو (بندنيج) في الضر، وأما القمل المعروف المعتاد، فإن سألت عنه فهو كثرةً وكبراً كذباب بغداد، إلا أنه يورم جسد الفيل، ولا يستطيع ذَبّه بذبات خرطومه الطويل، ويا لأهلي لما قاسيت هناك، من كبار هذا وصغار ذاك:

(١) **نزبين/نصيبين Nizbin**: (أنتيوخيا ميغدونيكا Antiochia Megdomica، نيسيبيس Nisibis, Nesibis): بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية كردستان، لواء ماردين، على أحد روافد الفرات. نزبين = نصيبين، واليوم: نصيبين، تقع على الحدود السورية تماماً، ويقابلها على الجانب السوري مدينة القامشلي، على خط العرض ٣٧,٠٣ والطول ٤١,١٣ .

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٧٩ .

ولكم أدعو وما لي سامع *** فكأني عندما أدعو أبحّ[1]

ورغبت عن زيارة راغب باشا الوالي ؛ بل لم تكد تخطو -وحرمة البيت- إلى حجرة خيالي، وقد قيل لي إن عليه من حجب الوزارة غواشي، فرأيته من بُعْدٍ عند باب سرايه مع قواسيه وهو ماشي، وأخبرت أنه من قوم أحرار أكياس، لم تلثم رقبته بشقاء الرق يد نخاس. [٢٦/أ]

وزارني في اليوم الثاني، معتذراً أنه لم يصله إلا فيه خبر ورودي هذه المغاني، ذو الخلق العطر الندي، صاحب العصيدة (مفتي) أفندي، فقال: يا مولانا قد صيرتنا في غاية الخجل، إذ حللت في هذا المحل، فكأنّا المعنيون بقول الشاعر الأول :

---

(١) البيت عزاه ابن معصوم في سلافة العصر للشيخ فتح الله بن النحاس، نزيل المدينة المنورة، من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

= بات ساجي الطرف والشوق يلح ... ولدجى أن يمض جنح يات جنح

فكأنّ الشرق باب للدجى ... ماله خوف هجوم الصبح فتح

وقال عنها ابن معصوم: "ولو لم تكن له إلا حائيته التي سارت بها الركبان. وطارت شهرتها بخوافي النسور وقوادم العقبان. لكفته دلالة على إنافة قدره. واشرقا شمسه في سماء البلاغة وبدره ". وقصيدته المشار إليها هي قوله مادحاً الأمير محمد بن فروخ، أمير حاج الشام.

ابن معصوم: سلافة العصر، ١٦٤/١ .

قوم إذا نزل الأضياف حَيّهم *** لم ينزلوهم ودلّوهم إلى الخان [1]

فقلت: معاذ الله تعالى أنتم أجلّ، من أن يصدق عليكم هذا المثل، وأين من يدل على الخان، أو يرشد إلى مكان أي مكان كان، فعرقت منه الأسرة، وعرفت أنه فهم من كلامي سره.

ثم قلت: يا سيدي داعيكم ضالع ومحلكم رفيع، وهيهات أن يدرك الضالع شأوي الضليع. فأكثر الاعتذارات، حتى استحييت من هذه الكلمات، ثم استنوق الجمل[2]، وتركنا العَناق والحَمَل، وشرعت ألوك ثريد المدح لعصيدته، وأرقع خَلَق العذر عن تَرِكي شرح قصيدته، فقد كان أرسل إليّ قصيدة له تائية، والتمس مني شرحها

---

(١) البيت من شعر بشار بن برد. الثعالبي: المنتحل، ص ٤٢.

(٢) قال الثعالبي: استنوق الجمل، للعزيز يذل. وفي جمهرة الأمثال: استنوق الجمل، يضرب مثلا للرجل الواهن الرأي، المخلط في كلامه. والمثل لطرفة بن العبد؛ وكان بحضرة بعض الملوك؛ والمتلمس ينشد شعراً، فقال فيه:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال: بناج يعني جملا، والصيعرية: سمة من سمات النوق. فقال طرفة: استنوق الجمل، أي صار الجمل ناقة، فقال المتلمس: ويل لهذا من لسانه! فكان هلاكه بلسانه، هجا عمرو بن هند فقتله.

أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ١/١٥؛ الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ١/٧١ .

فلم أجد فيها للشرح قابلية، ثم عرض عليّ فتوى ذُوزِع فيها، واستكتبني ما ظهر لي من مضمرها وخافيها، فكتبت ما ظهر، والله تعالى أعلم بالصواب وأخبر.

وكان في صحبة ولده حميد أفندي النجيب، والحائز من قداح فضل أبيه بالمعلى والرقيب، فسألته عن درسه، وما يتعاطاه بين أبناء جنسه، فقال: أقرأ شرح الهداية للقاضي مير حسين[١]، فقلت : أنت في عيني عين الحكمة وحكمة العين، فطاب نفساً وازداد أنساً.

وسألني عن: سر اتخاذ حوت موسى -عليه السلام- طريقاً في البحر سربا. فحام حوت ذهني في بحر سؤال هذا الحبر، فوجده -إذ لم يجد من تعرض له- سؤالاً عجباً، وأتى بما لا أرتضيه، وسكت عنه السائل حياءاً أو جهلاً بما فيه، ثم ظهر لي بعدُ أجوبة أخرى، أظنها أولى من ذلك وأحرى.

---

(١) هو كتاب شرح الهداية الحكمية للقاضي مير حسن، والبعض يكتبه مير حسين. والأصل هو كتاب "هداية الحكمة" للشيخ أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري، المتوفى في حدود سنة ستين وستمائة تقريبا، قال حاجي خليفة: وهي متن متين مرتب على ثلاثة أقسام: الأول: في المنطق، الثاني: في الطبيعي، الثالث: في الإلهي. أوله: (الحمد لله حق حمده. .. الخ)، وشرحها القاضي: مير حسين بن معين الدين الميبدي الحسيني
حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢/٢٠٢٩ .

منها : أن يحتمل ذلك لأن يكون للحوت فيما كان من الأحوال، إشارة إلى ما يكون من الخضر معه -عليهما السلام- في الاستقبال، وربما يرمز [٢٦/ب] اتخاذ السرب للحاذق، إلى أن ما يقع من أيّ نوع الخوارق، ويلتزم القول بأن إحالة الماء حجراً كما وقع في الصحيح كالإماتة؛ ليكون رمز إلى ما فعله الخضر-عليه السلام- بالغلام الذي أماته، وفهم موسى -عليه السلام- لا ينافي الاعتراض، فقد ألقى الألواح لما غضب لله تعالى واغتاض، فتعقل ولا تغفل.

ومنها : أنه يحتمل أن يكون دلالة موسى -عليه السلام- حين يرجع لتحصيل المرام، فقد رجع عليه السلام يتتبع الآثار، ويجعلها له كالضابطة، ويلتزم القول بأن ما كان منها وإن كان كالتوليد بواسطة، وأن الإرادة كافية لترجيح أحد المتساويين، على أنه يجوز أن يكون المرجح اتفاق ما به الدلالة في الجنس لما نسي عنده الحوت، فجرى ما جرى في البين.

ومـنـهـا : أنه يحتمل أن يكون الإشارة إلى رتبة التكميل بعد الإشارة إلى رتبة الكمال، وفي ذلك إرشاد إلى حسن اجتماع الفضل والأفضال، ويتضمن مدح العلماء المعلمين والشيوخ المهديين الهادين، والترغيب في الانتظام بهم، والانضمام إلى حزبهم.

ومـنـهـا : أنه يحتمل أن يكون الاهتمام في شأن دفع الاعتراض على ما سيقع من الخرق، حيث كان أعظم الثلاثة لما فيه ظاهراً من تسبب إهلاك جملة من الخلق.

ومـنـهـا : يحتمل أن يكون إشارةً أودليلاً إلى مضمون: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1]. حيث لم يترتب على حياة الحوت إلا أثر قليل، بالنسبة إلى ما ترتبه عليها غير مستحيل، وفي هذا من تكميل الكليم وعتابه على ترك رد العلم إليه تعالى ما فيه، وفيما قال الخضر عند الفراق إشارة إلى ذلك وتنبيه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

إلى غير ذلك من الاحتمالات، والله تعالى أعلم بأسرار الآيات.

وقد يعتذر عن أهل خربوت في بنائهم على الجبال البيوت، بأنهم قصدوا أن تكون نار قراهم على يَفاع، ليقصدوا دون أهل قراهم من أبعد البقاع، وليشيروا بالارتفاع الحِسي إلى ارتفاعهم المعنوي، وهيهات وأنّى وكيف، وعلى العلات فنحن العرب أقرى الناس للضيف [٢٧/أ]

وما أصاحب من قوم فاذكرهم * ألا يزيدهم حبًا إلى هم[1]**

وبتنا بنية السُرى ثامن عشر ذي القعدة الحرام، والنوم في مآقي العيون لاشتغال القلوب على طرف الثمام، فلما أسحرنا أخبرنا أن المكاري فر إلى أهله مع الكرِى، كما قد فر من وكر الأجفان طائر الكَرى، فلم ندر ما نصنع وإلى أي حميم نفزع،

(١) البيت للمرار العدوي، و هو المرار بن منقذ. من صدى بن مالك بن منقذ. من صدى بن مالك بن حنظلة. وأم صدى من جل بن عدي.فيقال له ولولده بنو العدوية. وقال لهم عوف بن القعقاع يا بني العدوية، أنتم أوسع بني مالك أجوافاً، وأقلهم أشراقاً!
والمرارهو القائل:

يا حَبَّذَا حِين تُمْسِي الرِّيحُ بارِدَةً ... وادِي أُشَيٍّ وفتْيانٌ بِهِ هُضُمُ
مُخَدَّمُونَ كِرَامٌ في مَجَالِسِهِم ... وفي الرِّحَالِ إِذا لاقَيْتَهُمْ خَدَمُ
وما أُصاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فأَذْكُرُهُمْ ... إِلا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِليَّ هُمُ

ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ١٤٩/١ .

فلما أصبحت ذهبت إلى سيفي بك مأمور الخزنة، فوجدته سيفاً ذا فلول لا يقدر أن يذب عن صاحب حزنه، وكان في دار ذي الهمة الحيدرية، سالِيوس[١] عصره صالح باشا لواء الطائفة الطوبجية[٢]، فمنذ سمع بذلك ثار بارود همته، ووجه مدافع رسله لتفتح من هذا الأمر قلاع عسرته، وساق المأمور بغال خزينته وسار، ولم يتقيد لي -رفع الله تعالى عنه قيد الحياة- بقيد الانتظار، سوى أنه قال: أقيل لك أو أقيم في كنكه - قرية قريبة من خربوت - ولا أقوم منها حتى تأتي حمولك ولو أنني هناك أموت. فهيأ الله تعالى الدواب، فاستأجرت ما لزم لي وللأصحاب، وقد صيرني اللواء المشار إليه، ناشراً بين كل فريق لواء الثناء عليه.

---

(١) اسم حكيم وهو أول من استعمل البارود في تحريك الأثقال [المؤلف]

(٢) طوب **Top**: الاسم العام الذي أطلق على الأسلحة النارية كافة، التي تطلق قذائف حديدية أو حجرية؛ قيل إن اختراع المدفع في الدولة العثمانية يرجع إلى ما قبل معركة كوسوفا الأولى عام ١٣٨٩م، حيث استخدم فيها المدفع، ثم تطور في عهد السلطان محمد الفاتح، ووصل المدفع التركي إلى أوجه في عهد السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر الميلادي، ثم فاقته المدافع الأوربية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.. وكانت له أنواع عديدة مثل: شايقة، زربازن، شقلوز، وغيرها.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٨ .

المنزل العشرون: كِزين :

فلما أظهرنا ظهرنا، وسيرنا الحمول وسرنا، فأتينا ما عينه المأمور من القرية، فوجدنا كلامه فرية بغير مرية، وذكر لنا بعض القاطنين، أنه سار قَصدّ َر الله تعالى خطاه إلى قرية (كزين) فسرنا إليها وقد بعدت عنا الحمول، ومن مزيد الدهشة غفلنا عن تعسر الوصول، فاعتر َضَنَا - وقد غربت الشمس- جبل، يسمونه بما ترجمته بالعربية (حلقوم الجمل)، وهو من التشبيه البليغ، لكنه غير بالغ ذروة وصفه، بل لم يحل الحضيض في شق أديم الإبهام وشرح أدنى غدة في حزفه، وهيهات أن يمنطق بمناطق العبارات ويحاط، ولا يكاد يوقف على شاوي شأنه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1]، فسلكناه وقد أعتم الليل، واعتمّ بعمائم غمائم الويل، ورأينا في وسطه ضبطية هم فيها على الدوام نزول، فأرسلنا واحداً منهم لكشف حال ما تخلف [٢٧/ب] من الحمول، ولما قطعناه وقد قطع آباط البغال، ووصل موبقات الكلال بأبدان الرجال، أشرفنا على ماء عظيم، وجهه بأكف الرياح لطيم، فسألنا عنه

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٠.

فقيل: هو بحيرة دائرتها نحو عشر ساعات، وينصب فيها مياه عذبة ومع ذا ماؤها كريق الشجي غير فرات، وفي وسطها قرية نصارى تركوها ونزولوا الساحل، وقد خربت سوى كنيسة اتخذوا لها السفن رواحل، وفيها سمك أكبر ما يصطادون منه نحو منا، وحيوانات أخر هم عنها على خلاف عادة الروم في غنى، فإني وجدت من يأكل منهم كلما وجد في البحر، ولو كان عذره كلب أجرب أو مجذوم يجتر.

وبعد مضي ساعتين وصلنا إلى (كزين) ولي من مزيد الأَين - عوفيت- أنين، فأرسلنا آخر إلى الحمول، حيث أن القلب بها مشغول، فبقيت أسامر القمر إلى أن ظهر الفجر وطر، فقمت أستفسر عن رسولي، واستخبر عما صنعت الليالي بحمولي، فاضطربت علي الأقوال، واضطرمت نيران الوسواس في كانون البال.

فلما أثيرت دجاجة الليلة السوداء، وكدت لا أظنها تثار عن بيضتها الصفراء جاءنا بشير السلامة، بوصول الحمول إلى محل الإقامة، فشكرنا المولى سبحانه على ما عودنا من الألطاف، وتفضل به علينا مِن مَنّ الأمن مما نخاف، وقد أعانني الله تعالى شأنه بولدي، ذي السجايا البيض أدهم أفندي، فلعمري لقد جال في ميدان الغيرة، ولم أجد جواداً جاد بنقد الهمة غيره، وأما سيفي فقد بقي مغمداً في قرابه، وأغنى الله تعالى عن نمل جوهره ودبابه.

و(كزين) بكاف عجمية وزاي مكسورتين قرية وقعت من الجبال بين قطعتين، وتشتمل من البيوت على نحو ثمانين، ولم تجمع والحمد لله تعالى غير شمل المسلمين، وفيها جامع تقام فيه الجمعة، وطالب علم جلست سويعة معه، والمياه في هاتيك النواحي كثيرة كثرة روضها، ولم تسمع بالعقر الذي يأخذه رب الأرض من زارعها بالعراق في غير أرضها [٢٨/أ]، لكنه في العراق مختلف المقدار، وهو نصف الخارج في تلك الديار،

ولما سمعت بذاك هناك، عجبت غاية العجب من بعض أجلة الأتراك، حيث إنهم يستغربونه في الأراضي العراقية، ولا يتعقل عريقهم في الفهم مشروعيته فيها بالكلية، وأمر ذلك أجلى من الشمس وأظهر، فغفرا لمن أقر وعقراً، ثم عقراً لمن أنكر.

[شعاب المحراب]:

ولما تحققت أمر السلامة، شاكراً مولاي سبحانه على هاتيك الكرامة، سرنا مع الخزنة على المعتاد، ولم نزل بين تغوير وأنجاد، حتى اعترضتنا شعاب المحراب، فاستعنا بالصبر والصلاة على سلوك تلك الشعاب، فلما علوت ذراه، تخيلت أنه يؤمل كسر قرن الشمس غاية الأمل، فخشيت عليها من أذاه، فطفقت أنادي: يا سارية الجبل الجبل. وخلته يقول: إن ربي سبحانه أكرمني بما لم يكرم به من الجبال أحداً، حيث جعلت -والفضل له تعالى- من بينها محراباً، وجعلت لي الأرض مسجداً. وعلى كل حال، قطعناه وإن قطع آباط البغال.

وبالجملة، أمر هذا المحراب عجيب، وإن كانت كل الجبال من الباب إلى المحراب عندي محاريب، والمصيبة التي تشق ثوب العافية إلى الذيل، وتخيط للقلوب ما يحيط بها من جلابيب العناء والويل، المرور عليه إذا أحس بالشتاء، فلبس كرك وشق، فهناك إن وطئ أحد كركه جزّ بأيدي النسيم فروة رأسه ونتف ذقنه وشق، والحمد لله تعالى أن مررنا به وهو كجوه عريان، ونسيمه قد اعتل حتى مات -لا حشر- يوم حشر الأبدان.

المنزل الحادي والعشرين : باقر معدن :

ولم نزل نسير حتى دخلنا (باقر معدن) والناس يسعون لصلاة الجمعة إلا أن المؤذن بعد ما أذن، ونزلنا في دار أشبه شيء بالخان، تنسب لرجل يدعى الحاج سليمان.

ويشتمل البلد المذكور من البيوت على نحو أربعمائة للمسلمين، وعلى نحو ستمائة بيت للنصارى الأرمنيين، وفيه أربعة حمامات، ومثلها جوامع تقام فيها الجمعة والجماعات، وفيه قائمقام مصطفى باشا الأكينلي، أرسل ريثما دخلت كتخدائه[1] [٢٨/ب] الحاج أحمد أغا بالسلام لي، وفيه مفتي اسمه علي ونائب اسمه عثمان، وآسف أن وُضِعَ لهما هذا الإسمان.

وزارني وأطال الجلوس عندي نائبها السابق يوسف أفندي، فأخبرني أنه حديث عهد ببغداد، فلهونا بحديثها عن حديث سُعدى وسعاد، وجعلت أقول، شوقًا إلى هاتيك الطلول:

---

(١) **كتخدا:** كلمة من (كدخدا) في الفارسية وتطلق في التركية على الوكيل والنائب. وهي تطورت في التركية إلى كلمة (كخية). وهذا الاسم عند العثمانيين يطلق على عدة مهام ووظائف. فكان كبار رجال الدولة العثمانية ممن لهم المناصب العالية في القصر والجيش لهم من ينوب عنهم في أعمالهم ويعاونهم ويطلق عليهم (كتخدا). ويطلق في مدلوله الواسع على كل من يكون في معية أحد من كبار رجال الدولة وإدارتها مثل دفتر دار كتخداسي، خزينة كتخداسي.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١١٢ .

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع**

وأودعني السلام والدعاء، لحضرة نقي النقيبة قطب دائرة النقباء، فرخ حضرة الباز الأشهب، ومن نسيم ذكره يهب شرخ شرح الفؤاد إذا هب، ذو الخلق العطر الندي، نقيب الأشراف[١] ببرج الأولياء بغداد السيد علي أفندي، وكذا الجناب فخر النواب وزينة دواوين الملوك، حبيبنا عبد الغني أفندي النائب السابق بـ كركوك[٢]، وعاد إليّ بعد بعد المغرب بكثير السلام، الحاج أحمد أغا كتخدا قائمقام، واعتذر إليّ من ترك الزيارة بانحراف مزاجه، وسلكت أنا في الاعتذار على سننه ومنهاجه:

---

(١) نقيب الأشراف: الشخص المعين من قبل الدولة والمتفق على منصبه في الإشراف على الأمور المتعلقة بالسادة والأشراف المنتسبين للسلالة النبوية الشريفة من ذرية سيدنا الحسين والحسن رضي الله عنهما. وكان يقيم في العاصمة وله وكيل ناحية يمسمى قائمقام، كما كان يحافظ على السجلات الخاصة بأنسابهم وحقوقهم والامتيازات الممنوحة للسادة من لدن الدولة. انظر: محمد عبد اللطيف هريدي: شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق،، ص ٥٨.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٤.

(٢) كركوك Kerkouk: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول - مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور. تقع على دائر العرض ٣٥,٢٨، وخط الطول ٣٥,٢٨.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٢٠ .

وكِلت للخلِّ كما كال لي * على وفاء الكيل أو بَخسه**[1]

وعلى العلات يظهر لمن امتحن المعدنين ببوارق الإدراك، أن صفر هذا المعدن كيفما كان خير من فضة ذاك.

وبتنا بنية السرى، وقد خيم بين العين والجفن جيش الكرى، فقمنا وظلام الليل قد محا صور الأبدان، فما كنا نتعارف من شدته إلا بالآذان، فما أظلمها من ليلة، أضاع فيها الحمار نصيف بنت عمه البغلة، فخرجت من المعدن صفر الكف منها، وذلك بعد أن استخبرت

---

(١) البيت من قصيدة أوردها الحريري في مقاماته، في المقامة الدمياطية، حيث جاء فيها:
لا واللهِ بلْ نتَوازَنُ في المَقالِ. وزْنَ المِثْقالِ. ونَتحاذَى في الفِعالِ. حذْوَ النّعالِ. حتى نأمَنَ التّغابُنَ. ونُكْفى التّضاغُنَ. وإلا فلِمَ أعُلّكَ وتُعلّني. وأُقِلّكَ وتستَقِلّني. وأجتَرِحُ لكَ وتجرَحُني. وأسْرَحُ إليْكَ وتُسرّحُني؟ وكيف يُجْتَلَبُ إنْصافٌ بضَيْمٍ. وأنّى تُشرِقُ شمْسٌ معَ غيْمٍ؟ ومتى أُصْحِبَ وُدٌّ بعَسْفٍ. وأيّ حُرٍّ رضيَ بخُطّةِ خسْفٍ؟ وللهِ أبوكَ حيثُ يقول:

جزَيْتُ مَنْ أعلَقَ بي وُدّهُ ... جَزاءَ مَنْ يبْني على أُسّهِ
وكِلْتُ للخِلّ كما كالَ لي ... على وَفاءِ الكَيْلِ أو بخْسِهِ
ولمْ أُخَسّرْهُ وشَرُّ الوَرى ... مَنْ يوْمُهُ أخْسَرُ منْ أمْسِهِ

الحريري: المقامات، ص ١٩ .

فلم أجد من يخبرني بحقيقة الحال عنها، ففارقنا الرفيق، وضل عنا الطريق، فاستأجرنا دليلاً، لننال به إلى الكروان وصولاً، فلما انتعل كل شيء ظله، جاء اللعين نصيف ومعه البغلة، فطويت كشحًا عن ضربه وشتمه، كرامة لعين ابنة عمه.

وكان معظم سيرنا في أرض بيضاء، تحكي [٢٩/أ] باستواء سطحها أرض الزوراء، ونزلنا في أثناء الطريق مرارًا، وأكلنا من بعض مباقله بطيخًا وخيارًا، ومررنا على بلد (أرغني)[١] ولم ننزل بجنباته، وهو المحل الذي توفي فيه كاتب الفارسية محمد أفندي، وكان تاريخ وفاته.

---

(١) **لواء ارغني:** هو على غرب شمال ولاية ديار بكر وأحد ألويتها، مقره في بلدة ارغني معدني اللواء في وسطها؛ يحتوي على ١٢٥٠ خانة، وعلى ألفي دكان، وعلى ٣٥٠٠ نسمة ذكور، وفي عموم اللواء المذكور ٧٣ ألف ذكور، منها ٥٦ ألف مسلم، و١٧ ألف غير مسلم، والإناث اللاتي بقين خارج الحساب أكثر من الذكور.

هواء هذا اللواء المذكور وخيم، وفي جباله معادن فضة كثيرة، الأهالي الموجودون في هذا اللواء يتكلمون اللغة التركية، والذين في القرى يتحدثون اللغة الكردية والزازه.

تخرج الدجلة قرية كيدان، والتي تبعد ١٠ ساعات عن معدن، وتمرّ من أمام المعدن، وعليه عدة جسور من الأخشاب، وواحد في الكركي، وأرضه معتدلة للزراعة، يحصل فيه كما يحصل في غيرها من الحبوبات والفواكه والخضروات.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ٢٢٤ .

وحططنا الرحال في الساعة الثامنة عند غاب الأسد الوغا، أمير الأمريكان من طوائف الأكراد بكتاش أغا، ويسمى المكان باسمه، لنزوله فيه مع بعض قومه، وقد أرسل إليّ وأنا في نصف الطريق رسولاً، ولما قربت من مخيمه استقبلني وسار بعد تقبيل يدي أمامي دليلاً، ولم يقصر عقب النزول في إكرامي، ولم يشمر في احترام أحد مثل ما شمر في احترامي، وعندما شاهدني أبلغني سلام ساعدي وزندي، المفترع بلقيس المحاسن (سليمان فائق بك أفندي) وقد كان إذ ذاك في (آمد) كاتب ديوان الإنشاء، ومرجع الخواص والعوام فيما يحذر ويرجى في هاتيك الأرجاء، فحدست من ذاك أن ما رمى به بكتاش[1] من سهم النجابة من قوس هذا النجيب، وأن ما فعله معي مما أحب كان عن أمر أكيد صدر من ذياك الحبيب، ثم إني تجسست،

---

(١) الطريقة البكتاشية أكثر الطرق شيوعاً في تركيا. والبكتاشية يفترقون عن معظم أصحاب الطرق في تركيا بصراحة نزعاتهم الشيعية، ومدار عقيدتهم على الله ومحمد وعلي. ويذهبون إلى أن سر الألوهية قد انتقل من محمد صلى الله عليه وسلم. وهم في مذهبهم يمزجون المبادئ الصوفية بالعناصر المسيحية والغنوضية، وتأليه علي ولا يأخذون بإقامة الشعائر، ويتناولون وجبة من الخبز والجبن والنبيذ. وقد حلت جماعتهم في تركيا عام ١٨٢٦م، ولكنها استعادت كيانها إلى أن ألغيت نهائياً عام ١٩٢٥م.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٣٤.

فإذا الأمر كما حدست، فللّه تعالى دره كيف وسع أهابه هذه النجابة، وكيف رمى من بين أقرانه غرض الكمال فأصابه، فأعجب بحاذق، لقبه بفائق.

[آمـــد]:

حتى إذا صبغ النهار إزار الأفق بدم رعافه، سرنا قبل أن يغير كافور ضياء الشمس شيئًا من أوصافه. ولم أزل أسير بدشت كبير، وأفراس السرور تغلب النعامة بفر وكر، وتكاد تسبق النعامي شوقًا -يا آل وائل- لديار بكر، ولم أسر مقدار جريب، إلا ورسول يرحب بي من ذلك الحبيب، وحققت أنه لما سمع بحلولي في تلك المعاهد، وتحققت قرب وصولي إلى مدينة آمد، رفع الأمر لحضرة فيلسوفي الوزراء،

ومن ابتهجت بوزارته [العادلة سابقًا][1] الزوراء، ذي الحسب الزاهر، والنسب الباهي الباهر، الذي لم يقل السلطان لغيره عبدي، وأن يكن قال فهو نادر، السيد عبد الكريم نادر باشا، الشهير بعبدي باشا[2] [٢٩/ب]، لا زال عدوه من سطوات إقباله وساطعات إجلاله يتلاشى

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

(٢) **عبدي باشا:** قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): حضرة الوزير والمشير الخطير (عبد الكريم باشا) دام بخير وعاشا، يلقب بعبدي بين الأكابر والأصاغر. ولقبه حضرة السلطان عبد المجيد خان بالنادر، جاء إلى بغداد مشير عساكر الحجاز والعراق، فوقع بينه وبين واليها حضرة نجيب باشا سيء الشقاق، وأنى يتصافى لاسيما في العراق عشاق هند، وهل يجمع السيفان ويحك في غمد، فعرض كل منهما للباب العالي شاكياً على صاحبه طالباً أن يسلب من يديه لحمة منصبه بقوى مخالبه، فصادف ذلك انتهاء مدة الوالي في أم الكتاب فجاء البريد أسرع من رجع العطاس بفصله من جانب الباب، وكان علاوة على ذلك نصب النادر بدله وتوجيه النيشان ذي الشأن له.

وكان -سلمه الله تعالى- ذكي الأخلاق زكي الأعراق طاهر الثياب نقي الأهاب لين الجانب مكرم الصاحب، إذا دقق بهر وإذا فكر شق الشعر يحب الكرم ويكره من ظلم، لا يرتوي جواد ذهنه من حياض التفكر في عظمة ذي الكبرياء ولا يزال طرف طرفه سارحاً في رياض ملكوت السماء، كلماته تعد وكمالاته لا تحد، بيد أنه لا يلتزم لامرئ أمراً ولا يتجرع لشرب حلو مراً، قد حول كل أمر إلى القدر فلا يغضب إن عصي إذا نهى أو أمر.

وبالجملة، هو نادر الأمثال فيمن رأينا من الرجال، ما أحسن صحبته وأجل لمن ليس له عنده أمل، أسأل الله تعالى أن يديمه في سعود وصعود ويكفيه على ممر الزمان كيد كنود وحسود.

، فلما تشرف الخبر بلثم سمعه الشريف، وسما لما وصل إلى مقام إصغائه المنيف، أمره أن يفعل ما يراه حسنًا، ويعتقده أمرًا مستحسنًا، فجعل يرسل الرسل بالترحيب تترى، ويردف كل رسول ممن هو أولى من سابقه وأحرى، حتى إذا صرت عن آمد قدر ميل، أو أكثر منه فيما أظن بقليل، أقبل - لازال حظه مقبلاً - بوجوه البلد، ولم يتخلف من ذي المناصب سلفهم وخلفهم أحد، وأخرج جواد حضرة المشير المشار إليه، ليُركبني عند دخولي البلد عليه، وكذا أخرج لجلالة مركزه جميع الدائرة، وكانت مقدمة القوم كتخدا المشار إليه ذي النجابة الظاهرة، فدخلت البلد بكبكبة يسر بها الصديق، ويغص منها العدو بالريق، فواجهت حضرة المشير المشار إليه، فوجدته فرحًا بي فرحه بوالديه، وزاد في اللطف بي على ما كان منه في بغداد ألوفا، ومنحني من الاحترام فوق ما عهدته منه هناك صنوفًا.

ثم إنه استمكثني عنده ليبل بالأنس معي وجده، فلم أر بداً من الامتثال، على ما بي مضاعف الشوق إلى الأطفال، وكان قد هيأ لي محلاً في دائرته، لئلا يشق علي ليلاً أمر مسامرته، فطلبت الرخصة منه للذهاب إلى عزيمة المفتي السابق درويش أفندي، حيث اقترح ذلك عليّ وقال: يا مولاي لابد أن تنزل كما نزلت في السابق عندي. [فأجبته حياءً من شيبته، وإن سارني جوادي بذهاب شبابه في رحبته][1]، فرخص لي أيده الله تعالى في الذهاب، فذهبت أسحل أذيال الاكتئاب، ولقد استبشر بي أهل البلد طرباً، كأني هلال أباح لهم -وقد أجهدهم الصيام- فطراً، ولعمري لم أر مثلهم في مكارم الأخلاق أحد،

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

ولا من يسدي مع الغريب مثل أياديهم يداً، ولقد بيضت سجاياهم البيض وجه آمد السوداء[1]، ورفعت شيمهم الشم قدر أرضها الغبراء إلى الخضراء.

ودعاني في اليوم الثاني مولانا ذو الجناحين، ورب السنوحات التي تجلي [٣٠/أ] الغين عن العين، مظهر الفضل الجليل الجلي، حصن الإسلام أبو الفتوح وجيه الدين السيد أحمد أفندي القلعلي، وهو من أحباب والدي تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه الغرف العلية من جنته، فقد جاء زمن وزارة داود باشا إلى بغداد،

---

(١) **آمد السوداء:** ديار بكر أميدا: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول، مركز اللواء الذي يحل الاسم نفسه، في ولاية كردستان، على الضفة اليمنى لدجلة، مقر أسقفية تتبع بطريركية القسطنطينية. تقع على دائر العرض ٣٧,٥٥، وخط الطول ٤٠,١٤. س. موستراس، ص: ٢٧٢.

ويطلق عليها الأتراك اسم "قرة آمد" أي آمد السوداء لسواد حجارتها، كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، وقد ذكر ذلك أيضاً الحميري في "الروض المعطار، فقال: آمد: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة =والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم، ومدينة آمد كبيرة حصينة على جبل في غربي دجلة وهي كثيرة الشجر والجبل عليها مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ولها داخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون تطرد وأشجار وبساتين، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان، ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ. كما ذكرها أيضاً بهذا الاسم الشاعر العباسي عرفلة الكلبي فقال:

في آمد السوداء بيضٌ ما انثنوا ** إلاّ حكَوْا سمرَ الرّماح قدوداً

تخذوا من الليل البهيمِ قلانساً ** ومن النهارِ مباسماً وخدودا

فحصل ما حصل بينهما من أكيد المحبة والوداد، وكان رسوله إليّ، أعز الأحبة لدي، مَن فكاهته غذاء الأرواح، ومزاحه مزاج خندريس[1] الأفراح، ذي الأخلاق العطرة الندية، الحافظ الحاج عبد الله أفندي إمام الشافعية، فذكرني جمعيات في مدينة السلام، حلت ومرت فكأنها -لا در در الزمان- أحلام.

وأعظم من ذلك، مذكراتي ما كان هنالك، دعوة الوزير لي أعلى الله تعالى محله، في خيمة بدت أطنابها على شاطئ نهر دجلة، قرب رياض أريضة، وأمام بيداء طويلة عريضة، فكدت لما شاهدت ذلك أقول بالاتحاد، لولا ما في مدينة السلام من معنى لا يكتنهه الفؤاد :

(١) **الخَنْدَرِيسُ** في القاموس المحيط: الخَمْرُ مُشْتَقٌّ من الخَدْرَسَةِ ولم تُفَسَّرْ أو رُومِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ. وحِنْطَةٌ خَنْدَرِيسٌ: قَدِيمَةٌ. وجاء في معجم مقاييس اللغة: وأمّا (الخَنْدَرِيس) وهي الخمر، فيقال إنّها بالرومية، ولذلك لم نَعْرِض لاشتقاقها. ويقولون هي القديمة؛ ومنه حنطةٌ خندريسٌ: قديمة.

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٢/٢٥٢؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١/٦٩٦ .

مر بحزوي فثم عالم لطف *** من بقايا أجساده الأرواح

وممن أَنِستُ غاية الأنس به، وآنست نور النجابة يسطع من مشكاة أدبه، المولي الذي لو قسم فضله بين الموالي لكان كل منهم فاضلاً، ولو حاز القمر بعض كماله لبدا من أول ليلته كالشمس كاملاً، قاضي القضاة، وماضي العزمات، المكتسي بحلل السيادة والسعادة، أحمد أسعد أفندي عرياني زاده، وإني لأقسم بمعاليه، وصفات كمال سجلت فيه، أني لم أر في سفري قاضيًا أسدّ منه طبعًا، ولا أشد للباطل روعًا، لا زال بين الموالي كاسمه، ولا برح حد الإنصاف ظاهراً من رسمه.

وكنت سمعت عن والي باشا في (ألاجه خان) خبراً تتلون تلون الحرباء في قبوله الأذهان، وهو عزل الوزير الذي لحضرة السلطان حسن ظن به، والمشير الذي لا يستشير عند غضبه أحداً سوى عضبه، ذي المهابة التي حفظ بغداد [٣٠/ب] عن أن ينتهبها أهل البغي والفساد، وصدت مفسدي العشائر، عن تخريب المنابر والمناير، عالي الهمة محمد نامق باشا، زاده الله تعالى بالأنظار الخاقانية انتعاشًا،

ونصب الوزير الذي ندر مثله فيمن استوزر، والمشير الذي فخر عقله بما انطبع فيه على مرآة الإسكندر، حضرة ذي العزم الجلي رشيد باشا الشهير بـ (الكوزلكلي)، فلم يطمئن قلبي بهذا الخبر، وحسبت راويه جاء بِالصُّفَر والبُقَر، حيث إن الوالي الأول من نظر حضرة السلطان بأعلى محل، وقد اطلعت على اتفاق معظم الوكلاء على السعي في عزله، لما اطلعوا على اضمحلال العراق واختلال أحوال أهله، وأن بغداد بعد أن كانت شجرة لا يبلغ الطير ذراها:

قد تراخى الأمر حتى أصبحت * هملاً يطمع فيها من يراها(١)**

وأنه لا يستطيع الطير أن يطير، ولا الأسد الوثاب أن يسير، ما بين باب حلتها وبصرتها، بل ما بين باب كرخها ومقبرتها، وتعذر على الساعي الخريت الذهاب من باب الكاظم إلى هيت أو تكريت،

---

(١) البيت عزاه ابن خلكان إلى البحراني الشاعر، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد، الملقب موفق الدين الإربلي، ومن قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب إربل، ومطلعها:

رب دار بالغضا طال بلاها ... عكف الركب عليها فبكاها

درســـت إلا بقايــا أسطــر ... سمح الدهر بها ثم محاها

= **كان لي فيها زمان وانقضى ... فسقى الله زماني وسقاها**

ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١١٣/٤.

حيث كثر القتل والنهب في جهاتها الأربع، فغدا كل من اشتمل عليه سورها يفتت مما عراه اليرمع، فلم يلق حضرة السلطان لهم سمعاً، وعملوا منه أنه يحب المشير المشار إليه طبعاً، فتركوا لما يئسوا العراق على ما فيه، ولم يعبأوا بانقطاع ما كان يسيل من الذهب والفضة من واديه.

حتى إذا وصلتُ إلى آمد، رأيت الخبر أظهر من أن يجحده جاحد، فقلت: سبحانه مقلب القلوب، الشاهدة أفعاله بأنه الرب المتصرف وما سواه مربوب.

وملأ التعجب من قلبي أركانه، وإن كنت قد حققت أنه -رفع الله تعالى قدره- نصب مشير الطوبخانه(١).

وكان هذا النقض والإبرام، في أول ذي القعدة الحرام، نسأل الله تعالى شأنه أن يوفق كلاً فيما نصب له، ويزيل عن العراق ما أسال عَرَق القربة، ويسبل عليه فضله.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من هذا الشهر، سار إلى بغداد ولدي عبد الباقي وقاه الواقي من كل ضير وضر، ولم أمنعه إذ رأيته مشغوفاً [٣١/أ] بلقاء أمه،

---

(١) **طوبخانه أو طوب خانه:** وهي كلمة مركبة من مقطعين؛ الأول "طوب" كلمة تركية تعني "المدفع"، والمعنى أخذ من صوت الانفجار "طوب"، الثاني "خانه" وهي كلمة فارسية تعني الدار، أو بيت، وتعني طوبخانه "دار المدفع "، " مصنع المدافع"، وفي أحيان أخرى كان هذا المصطلح يطلق على " قيادة قوات المدفعية بالمصطلحات الحديثة ".

وبعد فتح استانبول أقيمت في جهة غلطة على أيام السلطان الفاتح، والسلطان بايزيد في دار لصناعة المدافع عرفت باسم " الطوبخانه العامرة "، والذي أطلق على الحي كله فيما بعد، وفي عهد السلطان القانوني لم تعد تلج الدار قادرة على تلبية الجيش العثماني، فهدمت وأقيمت مكانها داراً أخرى لصناعة المدافع، على ساحل البحر - مضيق البوسفور -، وتبدو تلك الدار –الطب خانه– مثل قلعة أحيطت بها، وقد تعرض الدار لحريق أتى عليها، فأعيد بناؤها من جديد في القره ١٢هـ-١٨م، ثم جرى تطويرها لتلبية الاحتياجات العسكرية، وأضيف إليها عدد جديد من ورش صناعة المدافع، وفي =القرن ١٣هـ- ١٩م دعموها بالمنشآت التي تتفق والتقنيات الحديثة، ولا يزال الحي الذي توجد فيه يحمل اسمها حتى اليوم "حي الطوب خانه ".

انظر: أحمد شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، ٦١٥/١.

وقد جعله -صانه الله تعالى من الغموم والهموم- غاية همه، أسأل الله تعالى أن يسهل عليه الطريق، ويجعل له التوفيق خير رفيق، وقد شَقَّت عليَّ بعده غربتي، وأخذتْ بحلقوم أنسي وحدتي، فقد كان حفظه الله تعالى مؤنسًا وحشتي، ولمزيد حبي إياه قدمت مصلحته على مصلحتي:

أريد وصاله ويريد هجري * فأترك ما أريد لما يريد** (١)

فأسأل الله تعالى أن يحفظه من كل سوء في ارتحاله وحله، ويبقيه سالمًا من كل مكروه بعد الوصول بالخير إلى أهله.

وقد أعظم عليَّ أمر مُرّ الفراق، نعي شقيقه ولدي عبد الرزاق، وتلك مصيبة سوداء تبيض منها العيون، وداهية دهماء تتقاطر منها بلا شعور جوامد الأكباد دمًا من شعور الجفون، وماذا عسى أقول سوى ما يقوله المؤمنون، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٢).

---

(١) البيت عزاه ابن شاكر الكتبي إلى ابن المنجم الواعظ، عبد الرحمن بن مروان بن سالم بن المبارك، أبو محمد التنوخي المعري ابن المنجم الواعظ، وهما بيتان مشهوران له يقول:

حبيب لست أنظره بعيني ... وفي قلبي له حب شديد

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

ابن شاكر الكتبي: الوافي بالوفيات، ١٠٥/٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

وأول من جاءني من أقصى المدينة يسعى إلى حبيبي الذي هو عندي كـروحي التي بين جنبيّ، اللوذعي الحاذق، الحاج إسماعيل أمين الفتوى السابق، ففرحت برؤيته فرح الخليل برؤية فداء ولده إسماعيل، وقد أقام هذا الفاضل ببغداد مدة، وقرأ فيها من مختصرات كتب العلوم ومطولاتها عِدّة، وأكثر إقامته في مدرسة الحيدرخانة، الشهيرة اليوم بالداودية[1]، وفيها أورى زند فضله وبلغ مما رامه من العلوم الأُمنية، فهو اليوم يبيض وجه الإفادة بقراءة السواد، وله امتياز على كثير من أساتذة تلك البلاد.

وقد دعاني مع جماعة من إخواني، عماد بيت الشرف، وخير خلف لخير سلف، الأفضل الأوحدي، السيد صبغة الله أفندي، وهو من بيت علم وكرم، وفضل تقى وحكم، بهم شرفت آمد، وأقامت حجج فضلها على كل جاحد :

(١) إحدى أشهر مدارس بغداد في العهد العثماني .

قوم لهم في سماء المجد منزلة ** زهر الكواكب منها النور يقتبسُ

من كل أزهر بادي البشر غرته ** كأنها في دياجي ظلمة قبسُ [٣١/ب]

فهو ابن ذي الأنفاس الطاهرة، وصاحب البركات الباهرة الظاهرة، الصارم الهندي، الحاج راغب بك أفندي، نجل علامة عصره، ومرجع فضلاء مصره، ذي الفضل البدي، الحاج مسعود أفندي، سليل الفاضل الذي لم يحرم من موائد فضله المجتدى، الحاج صبغة الله أفندي، شبل ذي الفضل الكبير والنبل الوفير الغزير، مانح كل مستجدي، الحاج كجك بكر أفندي؛

نسبٌ كأنَّ عليهِ من شمس الضُّحى * نُوراً ومن فَلَقِ الصَّباح عَمُودَا**(١)

وقد نشأ هذا الفاضل في رياض العلم والتقوى، حتى إذا بلغ أشده أُجبِر على القيام بأعباء الفتوى، فهو اليوم مفتي آمد، وعين هاتيك المعاهد.

---

(١) البيت لأبي تمام، موجود في ديوانه، وهو من الأبيات التي سارت بها الركبان وضمَّنَها الشعراء كثيرا في قصائدهم، واستشهد بها الكُتّاب حتى لا يكاد يُعرف أصله .

ولقد سألت عن دينار حاله وفلسه، إمام الشافعية حيث وجدته يقول الحق ولو على نفسه، فقال: لا عيب فيه، وقد استوى ظاهره وخافيه، بيد أنه أرخص نصوص أئمة المذهب، وكان سلفه يأخذ على النص الواحد أحياناً مائة ذهب، وهو فيما أعلم يتحاشى عن أخذ دانق فضلاً عن درهم. وقد أخبرني بذاك وحلف، بمرأى ومسمع من السلف، ولم يبال مع أنه من أخص صحبه، فأنشدت إذ قال ذلك لي قول أبي ذؤيب الهذلي :

وعيرها الواشون إني أحبها * وتلك شكَاة ظاهر عنكِ عارها**[1]

ولما سمع المشير باجتماعنا شرّفَ ونحن على الطعام، فأبت مكارم أخلاقه أن نغير شيئًا من أحوالنا إلى الختام، وبعد أن رُفع الخوان من بين الإخوان، أديرت حميا المسامرة في ذلك الديوان من أعتق أعبق الدّنان.

حتى إذا ذاب في أكف القوم نصف شمامة عنبر الليل، واستشعر الوزير من شفاه الأشفار لرشف صهباء النوم غاية الميل.

قام عائدًا إلى مقامه الأسمى، وطويت بعده أحاديث سلمى وأسما، فنام كلٌّ على فراش النهار، والخَدَمُ كالفَرَاش يتعهدونه

---

(١) البيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي اوردها ابن حمدون، قال:

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

أبى القلبُ إلا أمَّ عمروٍ فأصبحتْ ... تُحَرَّقُ ناري بالشَّكاةِ ونارُهَا

وعَيَّرَهَا الواشونَ أني أُحِبُّها ... وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنكِ عارها

فإن أعتذرْ منها فإني مُكَذَّبٌ ... وإن تعتذرْ يُرَدَدْ عليها اعتذارُها

فلا يهنأُ الواشين أن قد هجرتها ... وأظلم دوني ليلها ونهارُها

فما أمّ خِشْفٍ بالعلايةِ مُشْدِنٍ ... تنوشُ البير حيث نال اهتصارُهَا

بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأَعْرَضَتْ ... تواري الدموعَ حيث جدَّ انحدارُها

ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٢/٢٠٥

من هنا ومن هنا، وغدوت أنا أصطاد بشبكة الأحلام، ما أطارته مزعجات الليالي من لطائف مثل [٣٢/أ] هذا الاجتماع في مدينة السلام:

ووشكت أقطع حسرة وتلهفًا * مني على أيامها إبهامي**(١)

وممن كان معنا ذو القدر العلي، وجيه الدين السيد أحمد أفندي القلعلي، وهو رجل ظريف قلما تجد مثله أنيسًا، لو رآه أهل الكوفة لقالوا وحرمة أبي تراب(٢) إن هذا أبو موسى(٣). وقد وجدناه أكثر علماء آمد حفظًا، وأصحهم ضبطًا وأفصحهم لفظًا، معظمًا فيما بينهم، كأنه بعد آدم ونوح أب لهم، وله محبة عظيمة لنا؛ حتى أنه لا يكاد يجد عَنًّا غنى، وقد بات إيناسًا لي، عدة ليال في منزلي، مع أنه قد خنق الثمانين، وشَقَّ عليه المشي من غير معين،

---

(١) البيت معزو لعبد الغفار الأخرس، من قصيدته التي مطلعها:

كُفَّ الملامَ فما يُفيدُ ملامي ... الداءُ دائي والسقام سقامي

جسدٌ تعوَّدهَ الضنى وحشاشة ... مُلِئَت بلاعج صبوة وغرام

مع اختلاف يسير، حيث جاء في ديوانه:

وأكادُ أَقطعُ حَسرة ً وتلهُّفاً ... منّي على أيّامها إبهامي

(٢) كنية للإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه.

(٣) المعني هنا هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري.

وفيه من الأعذار ما يصعب معه البيتوتة في غير منزله، ولا يستصوب فيه مداراة من سوى أهله، فأنست بما آنست منه غاية الاستيناس، ونسيت من لطائف أشعاره لطائف أبي نواس[١]، وما فعل ما فعل، وتفضل بما تفضل، إلا وفاءً للحقوق، مع أن الوفاء اليوم أعزّ من بيض الأَنُوق، واقترح عليّ تشطير البيت الشهير، أعني قوله: أسرب القطا هل من يعير. فقلت: مشطراً، وعن حالي معبراً:

---

(١) **أبو نواس**(١٤٦-١٩٨هـ/٧٦٣-٨١٤م): الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح الحكمى بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الاهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها.

كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه. وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الاهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وأنشد له النظام شعرا ثم قال: هذا الذي جمع له الكلام فاختار أحسنه. وقال كلثوم العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحد. وقال الامام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لاخذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين

امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال ؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. له (ديوان شعر) وديوان آخر سمي (الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس) ولابن منظور كتاب سماه (أخبار أبي نواس) في جزأين صغيرين، ولعبد الرحمن صدقي (ألحان الحان في حياة أبي نواس) ولعباس مصطفى عمار (أبو نواس) ومثله لعمر فروخ. ولزكي المحاسني (النواسي) ولابن هفان عبد الله المهزمي (أخبار أبي نواس). وفي تاريخي ولادته ووفاته خلاف . الزركلي: الأعلام، ٨٦/٥ .

(أسرب القطا هل من يعير جناحه) * لِذِي وَكَـهٍ منــه الجناح الكسير**

أســرب القطا مُذّـوا علــيّ سُوَيعــة * (لعلي إلى من قد هويت أطير)**[1]

فأعجبه، واستكتبه.

وشرّف صباح تلك الليلة ذو الشيبة التي هي كنوز الصباح، والطبيعة التي تروي حديث اللطافة عن نور الأقاح، مستوى الخَبَرِ والخُبْر، متحد العلانية والسر، جناب الخدن الأشفق، بهاء الدين أفندي المفتي الأسبق، فازداد الوقت به طيباً،

(١) البيت الأصلي الذي شطره الألوسي لأبي العباس أحمد بن يحيى، قال:

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بى ... وقل ومثلى بالبكـاء جديـر

أســرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلى إلى من قد هويت أطير

أبو علي القالي: الأمالي، ٦٦/١

ورأينا من فضله وفصله أمراً عجيباً، وهو ابن الفاضل الأوحدي، الإلهي الحاج السيد خليل أفندي، وقد جاء هذا السيد إلى بغداد، زمن واليها داود باشا[١] كان الله تعالى لنا وله يوم التناد، راجياً منه أن يرجو من الدولة نفي النفي عن أخيه الصارم الهندي، الفاضل المتقدم ذكره الحاج مسعود أفندي ؛ فقابله الوالي المشار إليه بالترحيب والترجيب [٣٢/ب]، وأنزله معززاً مكرماً في بيت السيد محمود أفندي النقيب،

---

(١) **داود باشا** (١١٨٨-١٢٦٧هـ/١٧٧٤- ١٨٥١م): والي بغداد. كرجي الاصل، مستعرب. جلبه بعض النخاسين إلى بغداد وعمره ١١ سنة فاشتراه أحد الولاة (سليمان باشا) وعلمه، فقرأ الادب العربي والفقه والتفسير، ونثر ونظم باللغات العربية والتركية والفارسية. وأجازه علماء العراق. وتقدم في الخدم السلطانية إلى أن جعله سعيد باشا (ابن سليمان باشا) قائدا لجيش العراق (كتخدا) سنة ١٢٢٩ ه. وكانت الفوضى عامة، فقمعها. وقوي شأنه، وخافه سعيد باشا فعمل على التخلص منه ولو بالقتل. وشعر داود، فترك بغداد وقصد كركوك (١٢٣١) وكتب إلى الآستانة، فجاءه (الفرمان) بولاية بغداد وعزل سعيد، فعاد إليها (١٢٣٢) ونظم أمورها بعد أن قتل سعيدا وآخرين.

وطمح إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية، فجلب الصناع من أوربة، وأمر بعمل المدافع والبندقيات في العراق، وبلغ جيشة أكثر من مئة ألف. واستولى على الاحساء أيام كان ابراهيم (باشا) ابن محمد علي يتوغل في نجد. وطمع بالاستيلاء على بلاد فارس ولم يتهيأ له ما تهيأ لمحمد علي بمصر من الاستقلال، فانه لما استفحل أمره وجه إليه السلطان محمود جيشا في نحو ٢٠ ألفا وانتشر الطاعون في داخل بغداد، فكان يموت كل يوم ألوف، وقيل: مات به من أولاد داود لصلبه عشرة أولاد يركبون الخيل. فانكسرت نفسه، وصالح قائد الجيش على أن يسلمه بغداد ويرحل إلى الآستانة. ورحل (سنة ١٢٤٧هـ) فأكرمه السلطان محمود ثم ابنه السلطان عبد المجيد، ولقب بشيخ الوزراء. وأرسله عبد المجيد شيخا للحرم النبوي سنة ١٢٦٠ فظل في المدينة، مشتغلا بالعلوم والتدريس إلى أن توفي، ودفن في البقيع. ومن آثاره فيها البستان المعروف بالداودية. وعلى اسمه ألف عثمان بن سند البصري كتابه (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود).

البيطار: حلية البشر ٥٩٧/١ – ٦٠٧؛ الزركلي: الأعلام ٣٣١٢/٢ .

فكان بينه وبين ولدي المرحوم ألفة أكيدة، ومحبة في الله عز وجل شديدة.

بحث علميّ:

واتفق أن ذهبت مع الوالد لتقبيل يده الشريفة،

والفوز ببعض دعواته الصالحة المنيفة، فسألني عن قول أبي السعود[١]

ـ

---

(١)**الشيخ أبو السعود أفندي** (٨٩٦-٩٨٢ هـ/١٤٩١-١٥٧٤م): شيخ الإسلام رقم (١٥) أحد أعمدة دولة سليمان القانوني. يعتبر الشيخ أبو السعود من أشهر شيوخ الإسلام على الإطلاق، ومن أشهر علماء الدولة العثمانية، امتدت شهرته داخل الدولة وخارجها، وقد برع على جميع علماء عصره، وتصفه المصادر بأنه "سلطان المفسرين، مقدمة جيش المتأخرين" وقد صار "ابتهاجا في وجه الدولة العثمانية وابتساما في ثغر السلطنة السليمانية" وكانت الدولة " تباهي به الملوك ".

هو المولى محمد أبو السعود بن محمد بن محيي الدين (ياوصي) بن مصطفى بن عبد النبي بن أبي السعود العمادي الآمدي الاسكليبي. ولد في إحدى قرى اسكليب، وكان والده الشيخ محيي الدين أفندي من كبار المتصوفة وممن قربهم السلطان بايزيد خان حتى اشتهر بين الناس بـ "شيخ السلطان". وقد نشأ أبو السعود في كنف والده طالبا لمراتب العلوم الشرعية السامية وحاز منها الكثير، واشتغل بفنون الأدب، وكذلك أخذ عن علماء عصره ومنهم المولى قادري جلبي شيخ الإسلام، وصار ملازما للمولى سعدي جلبي شيخ الإسلام أيضا، وتنقل في عمله بين المدارس العثمانية حتى عين في إحدى المدارس الثمان في استانبول ثم انتقل للعمل في القضاء وتنقل في مناصبه حتى عين في منصب قاضي عسكر الروميلي، وبعد عزل الشيخ محيي الدين فناري زاده تم تعيين أبو السعود أفندي شيخا للإسلام في ١٥٤٥م .

قال عنه صاحب العقد المنظوم: "اضطرب أمر الفتوى، وانتقل من يد إلى يد، ولم يثبت سقف بيته على عمد، إلى أن سلم زمامه إليه، وألقيت مقاليده لديه، فنظم مصالحه نظم اللآل، واشتغل بتشييد مبانيه أحسن الاشتغال، وسيقت إليه الركائب، من كل قطر وجانب، وازدحم على بابه الوفود، من أصحاب المجد والجود، وشملت فضائله العامة، الخاصة والعامة ".

=وعن مقدار علمه يقول أيضا: " وكتب الجواب مراراً في يوم واحد، على ألف رقعة مع حسن المقاطع والمقاصد، وقد سارت أجوبته في جميع العلوم، في الآفاق مسير النجوم". وحكى هو عن نفسه فقال: جلست يوما بعد صلاة الصبح أكتب على الأسئلة المجتمعة، فكتبت إلى صلاة العصر على ألف وأربعمائة واثنتي عشرة فتيا ". وقال عنه السلطان سليمان القانوني: مساعدي في الظروف الصعبة، رفيق العمر، رفيق دربي في فعل الصواب. حتى انه أوصى أن توضع فتاوى أبي السعود في صندوق وتدفن مع السلطان في قبره.وفي عهده أنيطت بمشيخة الإسلام الكثير من المهام القضائية والإدارية التي

أسعد الله حاله في عقباه- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1] إن "حتى" سواء كانت للغاية أو التعليل متعلقة بما عندها لا "باستجارك"، والألزم إدخال "حتى" على الضمير، وذكر أنه قد عجز عن حل هذه العبارة من صدور علماء الروم الجم الغفير، وكنت وقفت على ما علق فضلاء الروم عليها، مما تجده في مجموعتي المفردة في جمع دقايق التفسير إليها،

كانت منوطة بقاضي العسكر والصدر الأعظم، كما شارك أبو السعود أفندي في وضع مجموعة كبيرة من القوانين والتشريعات التي صدرت في عهد سليمان القانوني.

حارب أهل البدع ومدعي التصوف المضللين وحكم بزندقتهم وإعدامهم مثل الشيخ محيي الدين الكرماني والشيخ غضنفر. وهو صاحب الفتوى المثيرة للجدل حول وقف النقود. وهو أيضا صاحب فتوى إلغاء المعاهدة والحرب ضد البندقية وفتح جزيرة قبرص. استمر في منصبه حتى وفاته، وكانت أطول مدة يقضيها شيخ الإسلام في منصبه حيث استمرت حوالي تسعة وعشرين عاما. ترك مجموعة قيمة من المؤلفات أهمها وأشهرها تفسير أبو السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ومجموعة الفتاوى. والكثير من الأشعار باللغات العربية والفارسية والتركية. ومن آثاره المعمارية جامعا في اسكليب وحماما في استانبول.

انظر: أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية؛ منق علي: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم.

(١) سورة التوبة، الآية ٦.

فقبل أن أطلق عنان لساني في ميدان التقرير، أقبل شيخي علاء الدين علي أفندي الموصلي[^١] -تغمده الله تعالى بلطفه الغزي-

---

(١) **علاء الدين أفندي الموصلي:** ترجم له المؤلف في " غرائب الاغتراب " ترجمة مطولة قال فيها: " واحد العلماء، وأوحد الفضلاء، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاة كل قريحة وفهم، فارس ميدان المباحث والحبر الذي عزز العلامتان منه بثالث، ذي القدم الراسخة في جميع العلوم والرتبة الشامخة التي دون رفعتها النجوم، ذي القدر الأعلى (علاء الدين أفندي الموصلي)، ولم أزل أقرأ عنده، وأستنشق ريحه ورنده، إلى من تخرجت به وتأدبت بأدبه، وكان عليه الرحمة ذا ذهن يحل كل عويصة ضامن، ووقار كان ثبيراً فيه كامن، وأدب زرت على أعناق الإعجاز جيوبه، وهبت بغوالي غواني الإبداع صباه وجنوبه، ... بيد أنه لضيق ذات يده ضاق صدره، ولمزيد كلف في نجم سعده كلف بدره ولذلك ساءت أخلاقه، وشائت فراقه رفاقه.

وعلى العلات أن حظه حطه، وأوفر من الحرمان قطه، وأعانه على ذلك الزمان المشوم، والدهر الجائر الغشوم، ومن العجيب أن داود باشا على فضله لم يعرف فضله، وأحله في غير محله وما أجله، وذلك لأنه ما صانعه ولا داراً، ولم يكن في دفتره لما كان دفتر داراً، واتفق أن أمر له إذ ذاك ببرده، فأبى أن يقبل كرمه في المجلس ورده، فأضمر ذلك في نفسه حتى استوزر، فأظهر من سوء معاملته إياه ما أظهر، وكان يتتبع عثاره ويزيد بعثير الغارة عليه غباره، حتى أنه أمر بنفيه إلى الحدباء، فحدب عليه ورجا إثباته بعض أجلاء الزوراء، فأثبت ولكن في هم لا يحد، وبقي منكسر القلب إلى أن ضمه اللحد، وقد ضم في شهر ضم أباه، وكان تاريخ ذلك قولي (عنهما رضى الإله) ودرج على الأثر في الطاعون جميع أهله وبنيه وبقي بيته خالياً ليس سوى الصدا والحزن فيه.

ولم يتخرج عليه إلا جمع هم أقل من أنصاف الزمان، بل المتخرج إذا تتبعت واحد أو اثنان، وذلك لقلة تحمل الطلبة كثرة دله، وعدم وقوفهم على وافر فضله ولا ينقص العالم قلة طلبته، كما لا ينقص النبي عدم أمته، وأنا ولله تعالى الحمد صبرت على مره، وصيرت شغلي السعي في صفاء سره، وتأدبت معه غاية الأدب، وانتهى أداء رسم خدمتي إياه إلى حد العجب، وإني لأرجو أن أنال ببركة ذلك مزيد الآلاء، فبركة بركة خدمة الشيخ بحر لا تنزحه الدلاء ... وقد دفن عليه الرحمة في قبة حذاء قبة الشيخ عبد الله العيدروسي، في محلة حضرة الباز الأشهب أظلنا الله تعالى بظلال جناحه القدوسي ".

فعرضت عليه السؤال، فقال بعد أن لاطفني في المقال: أراد أن الآية من باب التنازع، وإذا عمل أول العاملين يضمر لثانيهما كل ما يحتاجه كما هو معلوم، فلو أعمل "استجارك -أضمر- فأجره" وفاءا بالقاعدة، فقيل حتاه يتحقق ذلك اللزوم؛ فشكر السيد فضله، ودعا بالخير له.

وبعد أن عاد الشيخ إلى مدرسته كتب معترضاً عليه، فأرسلني موكلاً لي بالجواب إليه، فأجبته بما أقنعه، وحسم أصل الاعتراض وقطعه، ولم يخطر لي الآن تفصيل ما كان؛ بيد أنه ركد هواه، وتكدر صافي الود في قليب سويداه.

بحث : صالح أفندي الدفتردار:

وممن آنستني رؤيته، وأنستني كرب غربتي صحبته، ذو الخلق الذي هو أرق من دمعة الصب، وألطف من وابل قطرٍ غِب الجدب، المجتنب في مأموريته كل أمر مُردِي، دفتردار آمد صالح بك أفندي، وكان أيام ذهابي إلى الآستانة دفتردار سيواس، فسمعت الثناء عليه هناك من أغلب من رأيت من الناس، وكم زارني مع مزيد اشتغاله، وضيق وقته عن تحية جليس لاتساع ما في باله.

ودعاني حبيبي إمام الشافعية، الذي فكاهته أحلى لدي من وصال المالكية، في يوم فاختي اللون يحمل كل راءٍ مشنّتَه على الرأس والعين، في دار له قوراء، يحكي [٣٣/أ] نسيمها نسيم الأسحار في الزوراء، بين حوض كأن مائه من الكوثر، وروض كأن بهائه من الفردوس الأعطر، ومعي أحبة تزري أخلاقهم بزهر الربى، وتزدري نفحاتها بنشر الكَبا، فطابت هناك بدقائق لطائفهم ساعات نهاري، وطارت - ولله تعالى الحمد - عقبان أحزاني وأكداري، إلا أني تذكرت بذلك اجتماعنا في بستان الحبيب، فرخ الباز الأشهب الأخ النقي النقيب، فهزت قطاة قلبي خوافي جناحها، وحسدت قدامى الريح في غدوها ورواحها.

ولما طعمنا شكرنا رب البيت وقمنا، ولآذان المغرب في الأذان ترجيع، ولجواهر الإجابة في صحف الساعين إلى المساجد ترصيع، فلم يستطع السيد أحمد أفندي القلعلي مفارقتي، وأبا كل الإباء ذلك الأبي إلا مرافقتي، فسار بنية التفضل بالبيتوتة معي إلى المنزل، وأمر خادمه أن يأتيه بعد العشاء بلبسه المتفضل.

وجاء إلينا من هو في الحرمة أبي وفي المحبة ولدي، خاتم النجباء أبو المكارم سليمان فائق بك أفندي، وكان -سلمه الله تعالى- في أكثر الليالي يجعل ليلي بشمس طلعته نهارًا، ويحيي ميت أنسي بلطائف مسامرة لا تتكلف لها استغفارًا، فإخال أن زماننا في الزوراء عاد بلا تلبيس، وأن سطح داري الذي كنا نتسامر عليه أتي به كعرش بلقيس، وإني لـ ﴿أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ*وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[1] إن هذا النجيب داوى علل غربتي، وقام في ديار بكر مقام زيد وعمرو من أسرتي، ولولاه لضاقت عليّ هاتيك الرحاب، ولسدت في وجهي المسرة أيدي الغموم كل باب، فقد شممت من نجد نشر الشيح والخزام، وشممت من مطالع العراق بروق مدينة السلام:

---

(١) سورة الانشقاق، الآية ١٦ - ١٧.

وأبرح ما يكون الوجد يومًا * إذا دنت الخيام من الخيام[1]**

وبعد أن انتصف الليل، جادت أودية السحب بأفعم سيل، وكنا في الليلة التاسعة من أيلول، وذلك مما تقشعر منه جلود أراضي العراق وتمجه منها أسماع القبول، وطفحت دجلة على ما في شاطئها من الخُضَر [٣٣/ب] ولم يجر في سواقي المسامع سوى ذلك من الضرر، واتخذت السيل بالسلام على أهل مدينة السلام رسولاً، وتمنيت أني لو اتخذت مع الرسول إليهم سبيلاً :

(١) البيت من الأبيات المشهورة المتداولة حتى لا يُعرف صاحبها، وقد ضمنها الشعراء كثيرا في قصائدهم، ومن أفضل من ضمنها وبين معناها ببلاغة، السيد أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني بن إبراهيم بن شبابه البحراني، حيث قال:

ولما أن تـــراءت مـــن بعيـد ... خيامكـــم لعيـــن المستهـــام
تأجج وجـــده ونمـــا جـــواه ... وذاب القلب من وجد الغـــرام
وأعظم ما يكون الشـوق يوماً ... إذا دنت الخيام مـــن الخيـــام

ابن معصوم: سلافة العصر، ٢٩٧/١ .

ولم تزل العشاق تتخذ الهـوى * رسولاً بإبـلاغ السـلام خليـلا**

وإني اتخذت الماء يبلغ جيرتي * إذا ما جرى عني السلام جزيلا**

وحملته من نـار شـوق إليهـم * ولاعج أشجان الفراق حمـولا**

فعن حملها يعيي النسيـم لأنـه * يهب بهاتيك الطلـول عليـلا**[١]

ولما كان عصر يوم الخميس تاسع ذي الحجة، أمسى عيد الأضحى بسواطع المدافع واضح المحجة، ولم تدخل ليلة العروبة إلا وقد زُيِّنت عرائس عُرُب المنابر، واستبشرت بصلاة العيد وخطبته فسيحات الجوامع ومرفوعات المنابر، وأمر الوزير بحضور الفقير للصلاة معه، وتشييعه إلى الديوان مع رؤساء العساكر والأعيان وسائر التَّبَعَة، على ما هو المعتاد في يوم العيد من حال الوزراء، لاسيما من عهدناه إذ الناس ناس والزمان زمان من وزراء الزوراء، فلم أجد بحال بداً من الامتثال، فحضرت الصلاة مع الوزير في مسجد الجامع الكبير، ثم سرت في أعظم المواكب مع كواكب الوجوه والأعيان،

---

(١) لمصنفه، كما جاء في النسخة المطبوعة .

فلم أشعر مما عراني من تذكر أوطاني إلا وأنا بيت القصيد في ذلك الديوان، حيث إن الوجوه -بيض الله تعالى وجوههم- جعلوني لهم راسا، والأعيان- أدام الله تعالى أعيانهم -اتخذوني فيما بينهم نبراسا، فأجرينا الرسم على الحد المعهود، وعاد عيد كل من الوجوه على الوجه المحمود.

ثم عدت إلى محل الإقامة، فخيل لي من كثرة الناس فيه أن قد قامت القيامة، ولم يزالوا يهرعون إليّ، ويتهافتون تهافت الفَرَاش عليّ، حتى كادوا ينتهبون وقت منامي، ويحلون بيني وبين شرابي وطعامي، وما أحسن أخلاق خلائق ديار بكر، وما ألطف معاملتهم الغريب في سِرٍّ وجهر، فلعمري لقد غدوا من الزمان ربيعه، ومن الوابل التهتان مريعه، ومن الصُدغ تجعيده، ومن الخَدّ توريده، [٣٤/أ] ومن القوام اعتداله، ومن الحبيب وصاله:

جمعوا يا لدرهم كل حسن * وكمال بين الأنام تفرق**

فإذا شئت أن تكون نجيباً * فتحقق بما لهم وتعبّق**

ولما كان اليوم الثالث من العيد، أعاد الله تعالى أمثاله بالمسرة على العبد بعيش حميد، دعانا روض الكمال وغوث الصريخ وغيث الأفضال، السيد صبغة الله أفندي المفتي حالاً، صبغه الله تعالى بلطفه حالاً واستقبالاً، إلى مزرعة له على شاطئ دجلة، وفيها بيوت كل سكناها خَدَمٌ له، فخرجنا مع الوزير بجماعة من خواص دائرته، وعصابة من رؤوس أهل ولايته، تحلو رؤيتهم للعين، وتجلو منادمتهم عن القلب الغين، فجئنا إلى خيام يتردد فيها النسيم، فما يدري أيرتحل عنها أم يقيم، فيها سُرُرٌ معروشة، ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[1].

(١) سورة الغاشية، الآية ١٥ - ١٦.

وقد نصبت في فضاء وادٍ يسع زبيداً بواديها، ويزري للطافة هواه وطيب ثراه بأرض الهندية وبواديها، وبطرف منه يجري طرف نهر دجلة، ويحث السير شوقاً أن يرى بطرفه العراق وأهله، وهو بلونه وامتداده يحكي المجرة، وعلى شاطئه خضر يحكي بطيخها النجوم صفة وكثرة فورب ﴿ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[1] إني لم أر في العراق نحو ذلك المقام.

نعم؛ إن الخيام إذا حققت تشبه الخيام، فبقينا هناك ليلتين، تخالهما من مزيد السرور ساعتين، ورأيت من المفتي مجداً كاد أن يكون قاضياً على عقلي، ولقد أقام وأبيه على طيب خيمه وسلامة أديمه البرهان الجلي، وهكذا فلتكن الأعيان، وهيهات قليل ما هم في هذه الأزمان :

---

(١) سورة الطارق، الآية ١١، ١٢.

خلت الرقاع من الرخاخ * وتفرزنت فيها البيادق**

وتصاهلت عُرج الحميـر * وذاك من عدم السوابق**(١)

وإلى الله تعالى المشتكى من زمن زمين، أقام الفضلاء -لا در دره- في عطن عطين، وما رأى لهم حرمه، ولا راقب فيه إلاّ ولا ذِمة، [٣٤/ب] ولم يزل ينظر إليهم شزراً، ويمنحهم لمزيد المحن عيشاً مراً، ويقعدهم على الإعجاز وهم صدور، ويقيسهم بالبُغاث وهم صقور:

ألا قاتل الله الزمان فدأبـه * إهانة ذي فضل وإكرام عاطل**

تراه لحاه الله يبغض عالماً * ويَهْوَى على علم له كُلّ جاهل**

---

(١)البيتان عزاهما ياقوت والصفدي لمحمد بن أبي سعيد محمد، المعروف بابن شرف، الجذامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر أبو عبد الله. مع اختلاف يسير، حيث رواه ياقوت هكذا:

قالـوا تسابقـت الحميـر ... فقلت من عدم السوابـق

خلت الدسوت من الرخاخ ... ففرزنت فيهـا البيـادق

وزاد عليهما ابن عربشاه دون أن يعزوهما لأحد:

خلت الرقاع من الرخـاخ ... وفرزنـت فيها البيـادق

وتسابقت عـرج الحميـر ... فقلت من عدم السوابـق

وسطا الغراب على العقاب ... وصاد فرخ البوم باشـق

سكتـت بلابلـة الزمـان ... وأصبـح الخفاش ناطق

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٤٣٧/٢؛ ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ١١٣/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٣٩/٢٤ .

وممن سررت برؤيته، وشاهدت أسرار النجابة تلوح من أسارير جبهته، ذو الأدب الجليل الجلي، (سليمان) أفندي الملاطيه لي، وكان قد أُرسل بمنصب النيابة إلى لواء كركوك، فورد إليها بأهله جاهلاً أن وارداتها لا تصدر بنصب صعلوك، فجعل يصرف صرف إسراف، وينفق إنفاق أخلف جراف، فقصر وارده عن صادره، وضاق ذرعا عن التوسع في عيشه إلى آخره، فغدا -على ما يزعم- يستدين، خشية أن يعيش عيشة مسكين، ولما خشي أن يغرقه زاب ما ذاب عليه من الدين، اتخذ الاستعفاء من النيابة قنطرة لنجاته من الحَين، ومن لم يتفكر في العواقب، هوى من حيث لا يشعر في مهاوي المعاطب، ومن لم يشمر للسيل، أدركه على رغم أنفه الويل، ومن لم يمد رجليه على قدر فراشه، لم يؤمن عليه من أذى دبيب الثرى وانتهاشه، ثم أنه أتاه رقيم نيابة طرسوس، فنام فكره في كهف الراحة نومة العروس :

وكم لله من لطفٍ خفـيّ * يدق خفاه عن فهم الذكي**

وكم أمر تساء به صباحًا * فتأتيك المسرّةُ في العَشيّ**[1]

وقد تزاورنا ثاني يوم قدومه من شهر زور، والقادم كما قيل من قديم: يُزار ويزور. وتفاوضنا في أحاديث العراق، وأسباب ما نمق في صفايح براريه من صحائف الشقاق، وسألته عما ينجع في علاجه، وينفع في تقويم أَوَدِهِ واعوجاجه، وينعم بالأمن واديه، ويرغم أنف الخوف في بواديه، فلاح لي أن الرجل يصلح أن يكون واليًا، كما يصلح أن يكون في المحاكم قاضيًا، ووجدته غير واجد على واحد من أهل كركوك، ويثني على علمائهم ومشايخهم بما لا يثني به على الملوك، لاسيما على فجر المكارم [٣٥/أ]،

---

(١) الأبيات على الأرجح للإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه ورضي عنه- وقد سبقت الإشارة إليهما .

وفخر ذوي الرياسة من بني هاشم، الشهم الذي هو من عيب التدليس نجي، أخي السيد محمد أمين أفندي البرزنجي، وعلى مركز دائرة الأفراح، ومهب صبا راحة الأرواح، رأس عُشاق العراق، ومن شاع بين العجم والعرب إنه إبراهيمي الأخلاق، جونة العطار وسعدي الثاني، الشيخ عبد الرحمن أفندي الطالباني، وعلى المفتي ناظر الأوقاف[١]، المحتمل من مشاق الإفتاء والنظارة نحو أبي قبيس أو قاف، المجتنب كل فعل ردي، حبيبي القديم سليمان أفندي.

نعم؛ وجدته واجداً على النائب السابق عبد الغني أفندي، لكنه لمزيد فضله لم يفتح باب فصله إلا عندي، فقال إن دعواه التقوى كاذبة، وأنه وإن كان نائباً فهو في الحقيق نائبة، ولو رأيته كما يزعم في نفسه لعرضت له بالنيابة، ولملئت ببرد سرورها بُرْدَه وإهابه، فلم أزل أستعطف قلبه، حتى انقلب نحوه فأحبه، فإنه وإن لم يكن فيما قاله فيه عن الحق بمعزل، لكنه على العلات بينه وبين نواب الروم ألف ألف منزل.

---

(١) **ناظر**: بمعنى الوزير، وفي القديم كانت تطلق على من يتولى تدبير شئون الوقف. ولكن اعتباراً من عهد السلطان محمود الثاني أطلق هذا الاسم على من يتولى الوزارة. مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٤٧.

وفي السابع عشر من هذا الشهر عاد إليّ العيد بحالٍ حالٍ وطالع سعيد؛ حيث ورد من قرة عيني، وجلاء ديني وغيني، بل قلبي الذي ظهر لي ولداً، وروحي التي اكتسب من عناصره جسداً، جنة خلدي، بهاء الدين السيد عبد الله[1] أفندي، حفظه الله تعالى مما يكره، ووقاه في مرقاه -جل شأنه- مكره، وعندما رأيته لثمته بشفاه الجفون، وكحلت بسواد حروفه العيون، ونثرت دموع المسرة، لما شاهدت كنثري نثره، وكدت -ولا جُناح- بجناح الأفراح أطير، لما رأيت النحرير يشبه النحرير، فلله تعالى دره من ولد ما ظلم، والحمد لله -عز وجل- أن أراني ما تفرست فيه قبل أن يعرف ما القلم. وقد أحببت أن أزيد نشوتي بعناق غواني كلامه، وأدير على قلمي مترعات كاسات مدامه، وهذا ما حرر، حرّره الله تعالى من كل ضرر:

---

(١) **عبد الله الآلوسي** (١٢٤٨-١٢٩١هـ/١٨٣٢-١٨٧٤م): عبد الله (بهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) بن عبد الله الآلوسي: فقيه بغدادي من قضاة الشافعية. تخرج بأبية، وترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس. ومرض وتصوف وباع كتبه وعقاره وقصد استنبول، فاعترضه قطاع الطرق فعاد إلى بلده صفر اليدين. واضطر إلى العمل الحكومي، فولي قضاء البصرة مدة سنتين وأكلت الحمى جسمه فرجع إلى بغداد، ففارق الحياة. ألف عند سنوح الفرص كتبا، منها: "المتنان في علمي المنطق والبيان" = و"الواضح في النحو" و"التعطف على التعرف في الأصلين والتصوف" بخط ابنه محمود شكري اللآلوسي، في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قسم الخزانة النعمانية الآلوسية، و"ترسلاته" في جزء لطيف مما جمعه ابنه محمود شكري.

الزركلي: الأعلام ١٣٦/٤؛ البابانى: هدية العارفين، ٤٩٠/١ .

الحمد لله تعالى وله سبحانه الشكر، قد تشرف هذا الخادم بمشرف من [٣٥/ب] حضرة الوالد يدفع كل ضرر، ويخبر عنه تشريفه إلى ديار بكر، وحلوله فيها بالصحة والسلامة، والعزة الكاملة والكرامة، وكأني به وقد شَرَّفَ هذه الأطراف وأنا ماشٍ بركابه، متشرف بغبار تراب أعتابه، لألثم بأحداق عيوني وأهداب جفوني هاتيك الأقدام، بالغ من شرف مطالعة تلك الطلعة غاية القصد والمرام، وأطأ الثريا عزاً وفخراً بالوقوف في خدمته، سامٍ على سَمَكِ السِّمَاك بتشرفي بمطالعة طلعته، مشمول بإحسانه، مغمور ببره وامتنانه.

وقد زاد سروري، وتضاعف حبوري، بصدور إرادتكم العلية، بتسيير الأخ الأنجب -حفظه الله تعالى- صحبة الخزينة إلى بغداد المحمية، فأنعِم به من بريد خير، يزيل قدومه عنا كل ضرٍّ ضَير، وقريباً -إن شاء الله تعالى- يرد إلى هذا الطرف، وننال بحسن ملاقاته غاية المجد والشرف، ونبث له ما قاسيناه بعده من الأشواق،

ونقدم لديه ما لاقيناه من لواعج نيران الفراق، فيا ما أُحَيلَى هذا القدوم وما أهناه، فإنه – والله- حسنة اعتذر بها الدهر عما جناه، متعنا الله تعالى ببقاء ذلك الوجود، المعجون بماء الفضل والجود، والكل قد استصوبوا بقاء تلك الحضرة لدى الحضرة المشيرية، لما يترتب عليه - إن شاء الله تعالى- من المواد الخيرية، وقد حرر لي بهذه الدفعة سليمان بيك أفندي عن صورة دخولكم ديار بكر، في ذلك الامتياز وعلو القدر، فرفعنا الأكف بالأدعية الخيرية، لجناب الحضرة المشيرية، وبالدعاء بدوام حضرتكم العلية، أدامها على أحسن حال ربّ البرية.

انتهى بعباراته الدرية، وإشاراته البهية.

كتاب بهــاء الديــن دام بهــاؤه * على قلبي المضني ألذّ من الشهد**

أروح وأغدو كل يوم بروضه * أنــزّه أحداقــي وأشكو له وجــدي**

وفي ثامن ذي الحجة ورد من الآستانة تاتار(١) بتأخير الخزنة المرسلة إلى بغداد في أي دار كانت من الديار، وبقائها إلى أن يأتي الوالي الجديد، فحينئذ تسلم إليه فاعلاً بها ما يريد، فهيأ المشير بريداً وأرسله إلى والي [٣٦/أ] الحدباء؛ ليؤخرها عنده حتى يقدم والي الزوراء، فذكرت له شأن توجه ولدي عبد الباقي(٢)، وقاه الله تعالى من كل سوء ورقاه أعلى المراقي، فحرر كتاباً لوالي الموصل حلمي باشا، ليتحرى في إرساله أأمن طريق ويجتنب المخوف ويتحاشى، وكتبت أنا كذلك لبعض الأحبة، وبعد أيام معدودات جاء الجواب طبق ما أَمّله القلب وأَحبّه.

(١) **تاتار:** هو الساعي سريع الحركة الذي ينقل الأخبار. وكان مشهور في ذلك الوقت بسرعة الحركة. وتم تخصيص هذا المعنى لأفراد التتار .

(٢) المشار إليه أكبر أنجال المصنف المبرور، وقد سافر إلى دار الخلافة العظمى مراراً، وفي سنة التحرير أحسن عليه بمولوية المخرج الموصلة إلى البلاد الخمسة، ونيشان جلي شمسه لا زال فائقاً يومه عن أمسه.

وقد كتب ولدي عبد الباقي أفندي في ذيل أحد الكتابين سطوراً، منحتني والحمد لله تعالى من السرور شطوراً، حيث تضمنت نزوله بالسلامة، في بيت الشرف والكرامة، بيت عمه نور فرق العصابة الفاروقية، ذي الذهن الذي عز مثاله

إذ غدا مرآة للمثل الأفلاطونية[1]، الفاضل السري، محمود أفندي العمري، أعاده الله تعالى بالخير إلى الوطن، ومنح به من والاه خير المنح ومَحَنَ من عاداه بشر المِحَن، وكان إذ ذاك قد أقام خارج البلد، لكيد بعض من خارجه وداخله العداوة والحسد، ولعمري إن من كان كهذا العمريّ لا يخلو من حاسد، ولا يكاد يُسَلِّم أنه يَسْلَم من كيد كائد:

---

(١) **المثل الأفلاطونية:** نظرية المُثُل .كان أفلاطون شديد الاهتمام بكيفية استخدامنا لكلمة أو فكرة واحدة تغطي وتشمل عدة أشياء مختلفة. فمثلا كيف يمكن استخدام كلمة مائدة لكل الأشياء المفردة التي هي موائد؟ وقد أجاب على هذا السؤال بأن الأشياء العديدة يمكن تسميتها بنفس الاسم لأنها تتضمن شيئاً مشتركاً أُطلق عليه اسم المثال أو الفكرة. وتبعاً لرأي أفلاطون فإن الصفة الحقيقية لأي شيء مفرد تعتمد على الصورة التي يشارك بها ذلك الشيء. فمثلاً يكون الشيء مثلثاً لأنه يشارك في المثال الخاص بالمثلثية، وتكون مائدة (ما) مائدة لأنها تشارك في المثال الخاص بالمائدية.

وقد شدد أفلاطون بقوله: إن المُثل تختلف اختلافاً كبيراً عن الأشياء العادية التي نراها من حولنا، إذ أن الأشياء العادية تتغير لكن مُثلها لا تتغير. إضافة إلى ذلك فإن الأشياء المفردة تقارب مُثلها بشكل غير كامل، وتظل هذه المُثل نماذج للكمال لا يمكن الوصول إليها. والأشياء الدائرية أو الجميلة ليست كاملة الاستدارة أو كاملة الجمال أبداً. والشيء الوحيد الكامل الاستدارة هو المثال الخاص بالاستدارية ذاتها والشيء الوحيد الكامل الجمال هو المثال الخاص بالجمال. وقد خلص أفلاطون إلى القول بأن هذه المُثل الكاملة التي لا تتغير لا يمكن أن تكون جزءاً من العالم المألوف الذي هو متغير وناقص. فالمُثُل لا توجد في المكان أو الزمان، ويمكن معرفتها بالذهن فقط لا بالحواس. ونظراً لثباتها وكمالها فإن للمُثُل حقيقة أعظم من الأشياء العادية التي ندركها بالحواس. وهكذا فإن المعرفة الحقة هي معرفة المُثل... وتسمى آراء أفلاطون الأساسية هذه بنظرية المُثُل أو نظرية الأفكار.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

وإذا الفَتَى بَلَغَ السِّمَاكَ بِفَضْلِه *** كَانَتْ كأعْدادِ النُّجومِ عِداهُ

ورمَوْهُ عن حَسَدٍ بكُلِّ كَرِيْهَةٍ *** لَكنَّهم لا ينقصُوْنَ عُلاهُ

وكانت تلك الإقامة لنفي من غير إثبات صحيح لداعي، بل لمجرد وثبات عدو على هذا العَدَوي بالفساد الصِرف ساعي، وكأني بهذا المقيم قد قام لأخذ الثار، وأقبل للانتقام فجعل لِحَى قومٍ لَحّوا عليه في الأدبار.

وجاءني صحبة ذلك من المولى النقي نقيب الأشراف، ومن له من شرافات التقى على أسرار الحِكَم الإلهية إشراف، ذي الفضل البدي، السيد على أفندي، خادم سجادة جده حضرة الباز الأشهب، ومن حلق بجناح التوفيق حتى وكر على وكر الغيب الأغيب، ملاذي وعياذي في العابر والغابر، سيدي وسندي وذخري ومعتمدي الشيخ عبد القادر(١)،

---

(١) يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد سبقت ترجمته.

قدس سره، وغمرنا والمسلمين بره، كتاب يستفسر به عن حالي، وكيفية مزاجي في حلي وارتحالي، ويعتب عليّ فيه، بسبب انقطاع [٣٦/ب] رسائلي إلى ناديه، وهو لطيف المعاني والألفاظ، فيه إشارات تفعل بالألباب الصحيحة ولا فعل مراض الألحاظ، إلا أنه حاك في فكري أنه رداء حيك لغيري، ثم سلبه الكاتب فأثبته لي حُلَّه، حيث لم يجد لنسج غيره لي من الرسول مُهلة، فلكونه خليعًا لم أجعله في صندوق هذه الأوراق، ومع ذا أنا شاكر جذل في كل ما يأتيني من العراق (لمصنفه)[1]:

أهيـــم بآثـار العـراق وذكـــره * وتغدو عيوني من مسرتهـا عبـرى**

وألثـــم أخفافـاً وطئـن ترابـــه ** وأكحـل أجفاذاً بتربتـه العطـــرى

وأسهر أرعى في الدياجي كواكباً ** تمر إذا سارت علـــى ساكنـي الـزورا

وانـدق ريـح الشـرق عند هبوبهـا ** أداوي بهـــا يـا مـــي مهجتي الحـرا

وأســأل ربـــي بالنبـــي وآلـــه ** يرينـــي مـــن سكانـــه غـرراً غـــراً

هنالك تصفـو يا أميـم مشاربـــي ** وتضحى رياضي بعد أن صوحت خضرا

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وفي ليلة العشرين، بينما أنا في مجلس الوزير الرزين، مُلِّئَتْ كأسُ سمعي نغمة عراقية، ولولا ما يقال لقلت نغمة إلهية، ما نغمة معبد[١] بالنسبة إليها إلا صرير باب، وما لحن الجرادتين بالقياس عليها إلا طنين ذباب، ولو سمعهما بأذني إسحق[٢]، لصبا -ولا صبوة العشاق- إلى العراق، ومعها دائرة يشفي سماعها العيّ، ويترضى سامعها عن محور كرة الاجتهاد الإمام الشافعي،

---

(١) من مشاهير أرباب العزف والغناء في بغداد العباسية.

(٢) إسحاق الموصلي (١٥٠-٢٣٦هـ/٧٦٧-٨٥٠م): أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. كان فقيها وشاعراً وملحنًا. وُلِد ببغداد ودرس عدداً من العلوم وكان شاعراً يؤلِّف أغانيه بنفسه. وكان فقيهاً قال عنه الخليفة المأمون ،لولا ماسبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لولّيته القضاء بحضرتي فما أعرف مثله في العفة والصدق والفقه.،

واشتُهر إسحاق الموصلي بجودة ألحانه فكان إذا لحّن شعراً يشتهر لحنه ولا يُلحِّن القصيدة غيره من الملحنين، رغم تعوُّد الناس في عهده أن يلحن القصيدة الواحدة عدد من الملحنين. وفي ذلك تقدير له ولمقدرته الفائقة في هذا المجال. ولم يقتصر تفوقه على تأليف الألحان الموسيقية فحسب بل تعداها ليشمل تأليف الكتب الموسيقية، فمن الكتب الموسيقية التي ألفها أخبار عزة الميلاد؛ أغاني معبد؛ أخبار ذي الرمة؛ الاختيار من الأغاني؛ موارث الحكماء؛ جواهر الكلام؛ الرقص والزّفن؛ الندماء؛ النغم والإيقاع؛ قيان الحجاز؛ النوادر المتخيرة .وعندما وافاه الأجل نعاه خلق كثير من بينهم الخليفة المتوكل بن المعتصم الذي قال عنه: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته،. وكانت وفاته ببغداد.

انظر: الموسوعة العربية العالمية.

وقد مازجها بلطيف حكمة طيب رنات قانون، فلو أحس بها ابن سينا لجعلها لها (فارابي) من الهم والغم خير معجون، ثم زاد في الطنبور نغمة، أن قام قلبي يجلو بنور طلعته غياهب الغمة، فجعل يتأود، ويتثنى بين الجمع بحسنه المفرد، ذو خصر يهتز كأنه جان، وردف يترجرج فترتج الأذهان، لا تستقر له على الأرض قدم، كأنما تحت رجليه ضرم:

وقف الجمال بوجهه *** فسمت له حدق الأنام

حركاتــه وسكونـه *** يجنى بها ثمر الأثام(١)

فكأنما وسمه الجمال بنهايته، ولحظه الفلك بعنايته، فصاغه [٣٧/أ] من ليله ونهاره، وحلاه بنجومه وأقماره، قد اتخذت أصداغه شكل العقارب، وظلمت من غير مبالاة ظُلم الأقارب:

---

(١) أنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في المبرد، وكان يلزم حلْقته، وكان من الملاح وهو غلام:

مـــاذا لقيتُ اليومَ من *** مُتَمجّنٍ خَنِث
وقـف الجمالُ *** الكلامْ
بوَجْهِـه *** فسمَتْ له حدَقُ الأنَامْ
حَرَكَاتُـهُ *** يُجْنَى بها ثَمرُ
وسُكُونُـهُ فـإذا *** الأثامْ
خَلَوْتُ بمثلِه *** وعَزَمْتُ فيه على
لم أَغدُ أخلاقَ *** اعترامْ
العَفَا *** ف وذاك أَوْكدُ
نَفْسِي فِدَاؤكَ يا أبا للغَرَامْ
الـ عباس جَلَّ بك اعتصامْ
فارْحَمْ أخاكَ نَزْرُ الكَرَى بادِي
فإنهُ السقام
وأنِلْهُ ما دُونَ مِ فليس يَرْغَبُ في
الحرا الحرام

الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ٢/١٠٩؛ المرزباني: نور القبس، ١/١٢٠ .

غلالة خده صبغت بورد * ونون الصدغ معجمة بخال** [1]

سحر بابل مأخوذ من غمزات طرفه، وسحر بغداد مسروق من رقته وظرفه. إلى أوصاف يتلجلج اللسان بتقريرها، ويخشى البنان الفتنة من تحريرها، فكنت أسمع ولا أستمع، وأحبس طرف طرفي كما يفعل الوَرِع،

---

(١) قال ابنُ المعتزّ:

ويوم فاختيّ الدّجن مُرخٍ ... عزَاليَهُ بهَطْل وانهمال
أبحْتُ سرورَه وظللت فيه ... برَغْمِ العاذلات رَخِيّ بَالِ
وساقٍ يجعلُ المنديل منه ... مكان حمائل السيف الطوالِ
غلالة خَدّه صبغَتْ بوَرْدٍ ... ونون الصّدْغ مُعْجَمة بخَالِ
= بَدَا والصبحُ تحت الليل بادٍ ... كطِرْفٍ أبلقٍ مرخي الجِلال
بكأس من زجاج فيه أسْدٌ ... فرائسهنّ ألبابُ الرجالِ
أقولُ وقد أخذت الكاس منهُ ... وَقَتْكَ السوءَ ربّاتُ الحجالِ

الحصري: زهر الأداب وثمر الألباب، ١٣٦/٢ .

وطفقت تنازعني نفسي، في اتباع الشيخ النابلسي، وتأخذ بعناني، نحو رأي العاشق الطالباني، وتقصر من ألم النأي بالي، لأن أكون من المولوية [1] وإن كنت من الموالي[2]، فبينما أنا معها في خصام، حجزت بيننا نوبة النظام، فكان ما كان مما لا تحيط به الأفكار، ويهَو ّنِ أمر الحظر فيها ما نص عليه في نظيرها "الحصكفي"[3] في "الدر المختار"، وأنا على العلات أستغفر الله تعالى من الملاهي،

---

(١) **الطريقة المولوية:** وهي الطريقة الصوفية المنسوبة إلى جلال الدين الرومي، والمعروف باسم "مولانا"، وليس لها فروع. وهي الطريقة المنسوبة إلى جلال الدين الرومي، والمدفون في مدينة قونية، والمعروف باسم "مولانا" لذلك سميت بالطريقة المولوية، وسلسلة نسب هذه الطريقة هي جلال الدين الرومي عن شمس الدين التبريزي، عن ركن الدين السنجاني، عن قطب الدين الأبهري، عن أبي النجيب السهرودي، وتنتهي هذه السلسلة بالجنيد البغدادي.

انظر: أحمد شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام ٤٨٦/١.

(٢) **المولى:** يطلق لفظ "ملا"، أو "مولى"، أو "منلا" على العلماء ممن يحصلون على رتبة "المولوية"، ثم أطلق أيضاً على ذوي المكانة العلمية والاجتماعية البارزة، وعلى القضاة من الدرجة الأولى، والمعنى اللغوية لكلمة "ملا"، هو "العالم"، أو الفاضل، أو الفقيه.

انظر: ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة، ص ٥٧.

(٣) **الحصكفي:** محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حسن الحصكفي الأصل المعروف بالعلاء الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق ولد سنة ١٠٢١ وتوفي سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين وألف. له من التصانيف: الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، إفاضة الأنوار على أصول المنار للنسفي، تعليقة على أنوار التنزيل للبيضاوي. تعليقة على صحيح البخاري. الجمع بين فتاوى ابن نجم والتمرتاشي. خزائن الأسرار وبدائع الأفكار في شرح تنوير الأبصار. شرح القطر في النحو،. الدر المتقي في شرح الملتقى.

البابانى: هدية العارفين، ٣٢٨/٣.

وإن كانت في هذه الأعصار ملىء الملاهي، وقد جاء في الأثر: ما أصرّ مَن استغفر. هذا مع أني في حضور مجلس ذلك الوزير الأجل، مُكره أخاك لا بطل. وقد قيل: ليس على المُكره سبيل. وحضوري كان قبل أن أدري، والفراق مما لا يطاق.

وفي اليوم الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام، دعاني مع بعض إخواني عبد الله أفندي الإمام، فذهبنا إلى بيته المعمور، لا زال طائفًا به السرور، فأكلنا وشربنا، وأنسنا وطربنا. ورأيت عنده مجموعة مفردة في بابها، قد غدا الحسن ملء جلدها وأهابها، فجعلت أتصفح صفحاتها، وأسرح سرح النظر في سوح روضاتها؛ فأعجبني منها أبيات أَبِيّات على كثير من الأدباء؛ بل نقطع الرجاء من نظم ما يحكيها في هذه الأرجاء، تنسب لحضرة علامة مصره،

وعلامة الفضل في عصره، المولى الذي لو اقتدح بالنبع لأورى نارا، ولو مازج خلقهُ الريح لما وجدت فيها في شيء من الأعصار إعصاراً ذي الفضل الجليل الجلي، تقي الدين صالح سعدي أفندي الموصلي [٣٧/ب]، كاتب ديوان الإنشاء[١] في الحدباء، ومن غدت بنثره ونظمه ذات الربيعين بين مدن الغبراء، غمر الله تعالى شِدْوَه بصيِّب الرحمة، وصب على قاتله سوط عذاب ونقمة.

فمنها قوله في مهردار[٢] ختم على سمعه وبصره من سماع العذل ورؤية الأغيار:

وعُذّالٍ أبـــوا إلا سلـوّي * لأهيف قد أبى غير ازوراري**

وقالوا: ويك كيف ركبت مهراً * جموحاً هل أمنت مـن العثار**

ذروني لا أبالكـم وشأنـي * فإنـــي رائـض للمهـر داري**

(١) **ديوان همايون مسجللري:** مسجلات الديوان الهمايوني وتتضمن كل ما يصدر عنه من قرارات مع تلخيصها وتأريخها. وبعد عام ١٦٤٩م كانت القرارات الخاصة المتعلقة بالدولة تسجل في سجلات خاصة أمام الشكاوى الخاصة بالأفراد، فأفردت لها سجلات على حده. وبعد عام ١٧٤٢م، سميت سجلات الشكاوى، دفاتر الأحكام.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٦٢ .

(٢) مهردار: أمين الختم، ختّام.

انظر: أمين خوري: قاموس رفيق العثماني .

ومنها قوله في غلام رآه في هاتيك المغاني، وقد تعلق قلبه بكتابة الخط الديواني، فنسخ بقلم قده الممشوق في صحيفة قلبه حُبَّه، وكتب بخط عذاره الريحاني جليّ العذر لمن أحبّه :

حار ابن مقلة في هلال جبينه * وغدا بياقوت اللمى كالعاني**

في خده نُسَخُ المعانـي دُوِّنَـت * لم لا أهيم بخطـه الديوانـي**

ونحو هذا قول شيخنا الأوحدي، علاء الدين مولاي علي أفندي:

فلما دعاني مشق قامة كاتـب * ثلث الملاحة منه في الولـدان**

يرجو رقاعيّ المـلام لعـارض * نسخي هواه وليس ذاك بشاني**

علقت قلوب الخلق في تعليقـه * وجداً وَهِمْت بخطه الريحانـي**

ومنها قوله في غلام عَقّاد حل منه عقود القُوى، وعقد أسباب الخلاص بعد أن حلّ فؤاده بيد الهوى :

بُليـتُ بعقـاد عقـود تصبّـري * به انفصمـت ما بين وعد وإبعـاد**

وكم رمت منه حل عقدة هجره * فيا من يرجّي الحل من كف عقاد**

ومنها قوله، أكرمه الله تعالى بما هو أهله :

ومهفهف حاكى السّجنجل جسمه * في الصقل إذا بدى مثال الناظر**

مـــاءً يخيّلـه الخيـــال لمُقلتـي * فتكاد ترشفـه شفـاهُ نواظـري**

ومنها قوله، لا دثر فضله :

تلافَ مُحباً أتلفته يـد القلـى * وأودى به منها تباريح أسقام [٣٨/أ]**

أجل نظرة في ناظريه وقـدّه * غـداة نأى عن در مبسمك السامي**

ترى ابن رشيق زاويا وابن مقلة * غدا باكياً لما جفاه ابن بسام**

وكل ذلك من مزيد لطافته لا لخلل - معاذ الله تعالى- في ديانته، وكم له في ذلك من سلف، هم من أجلة مَن سلف.

وفي مجموعته -عليه الرحمة- التي هي عندي بخطه النفيس، وطالما غنيت بمدامتها عن مدامة منادمة الجليس، شيء كثير من هذا الباب، مما تستظرفه الظرفاء من أولي الألباب، إلا أني لم يخطر ببالي لبعد العهد أن ما حررته هنا فيها، ولم تكن معي إذا لم أصحبها في سفري مخافة سوء يعتريها، ولذا كتبت ما كتبت من الأشعار، على أني أحببت أن أحمله إلى دياره لما رأيته غريباً في هذه الديار.

وسبحان من أخلى ديار بكر ممن يرعى زهر الأدب وربيعه، وجعلها بلاقع لا تجد فيها من يتخذ لفهم كلام العرب ذريعة، وكم كان فيها من أديب حلا نظمه ونثره، وأريب رمى عن قسي الإصابة -لا شل- عشرة؛ فَنَثَرَهُم المنون[1] من كنانتها نثر السهام، ونظمهم على الرغم منهم في ديوان القبور تحت أطباق الرغام، سقى الله تعالى ثَراهم، ما يرجب في دار الإقامة ثُراهم.

وأعجبني أيضًا قول بعضهم ملغزاً في جبل، وإن كان فيه نوع مسامحة يعرفها من عقل:

يـا عروضيّاً لـه فطـن * بحـره بالفكـر يضطـربُ**

أيّما اسـم وضعـه وتـد * وهـو إن صَحّفتَـه سبـبُ**

ويرى في الوزن فاصلة * ساكن في تحريكه عجب**

---

(١) وهو الدهر. (المؤلف)

ورأيت فيها معمى في اسم إبراهيم، فقرأته وسألني عن حله صديق حميم، فأمعنت النظر فيه، فوقفت -ولله تعالى الحمد- على خافيه، وهو قول القائل، وأظنه غير فاضل :

إذا أَلِفٌ به أَلِفَان حَفَّا * وصار الباء ممزوجًا بجيم**

فذاك اسم الذي قلبي مقام * له فافهم أخا الفهم السليم**

وعمدة ما في كشف دقيق ذلك السر، أن المراد بالألف [٣٨/ب] المحفوفة ما يعبر به عن مرتبتها في الحساب بالركبة أعني " بر" ولا يخفى على راء، أن المحققين على عدم رسم ألف في إبراهيم بعد الراء، وهو نحو إسحَق وإسمَعيل وسليمَن، ومثل ذلك عن المعظم الحرَث والقَسم والنعمَن، وتمام تحرير الكلام، لجواد القلم عنه إحجام، فارجع إلى محل ذاك، والله تعالى يتولى هداك.

ورأيت فيها أشياء أخرى، وفرائد فوائد غرر جمعناها في ورقات، لتكون أقواتًا للنفس في بعض الأوقات، والحمد لله تعالى أن كان لي إلى جمع الفوائد وَثَبَات، وعلى نظم فرائد العوائد في أسلاك السطور استقامة وثبات :

وصرير يراعاتي لرسم عويضة * ألذ على سمعي من النغمات**

وقد أثار النظر فيها نار طبيعتي، وأفار من غير اختيار مني ماء قريحتي، وتذكرت حالي، وما جرى لي، فأنشدت أقول، وشرح حقيقة الأمر يطول:

لقد لامني الأحباب جهلاً وعنفوا * غداة رأوا جسمي تقاسمه الضنا**

وقالوا عقاقير لديك كثيرة * فهلا بإحداهن داويت ذا العنا**

فقلت وغير اللطف لم يبق من دوى * بِكُلٍ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا**

وفي الليلة الثالثة والعشرين، دعاني الوزير مع جماعة من المحبين، وكان في حضرته بطيخة خضراء، تكاد تظل القاعد حولها عند اشتداد حر الرمضاء، وأظن أنها لو قُوِّرَت بعد أن تشق نصفين، يكون كل نصف منها حوضًا يسع قلتين، فاستغربت ذلك جدًا، وجاوزت في التعجب حدًا، فقلت لقبّاني هناك: زِنها، لأكون على علم كامل في الحديث عنها. فوزنها في الحال بلا مشقة، فقال هي على التحقيق ثمانية وعشرون حقة. فقال المفتي: وزنت أنا واحدة، فكانت باثنتي عشرة حقة على هذه زائدة، وكذا وزنت بطيخة صفراء، فكان وزنها ثلاثين حقة بلا مراء.

وقال السيد أحمد أفندي: رأيت منذ عشر سنين، بطيخة خضراء تنوء حملاً بالجمل الهجين، وذكر سائر الحاضرين أن بطيخ آمد على الإطلاق [٣٩/أ] يضرب بطيب طعمه وعظم جسمه المثل في الآفاق. وقد وقفت على ما يصدق كلامهم، ويحقق بلا شبهة مرامهم، فأكلت من كُلٍّ بما يزري بالسكر، ولا يمل -وحياتك- إذا تكرر، وقد جمع الأصفر منه جميع الصفات، التي تضمنتها هذه الأبيات :

ثلاث هن في البطيخ زَين *** وفي الإنسان منقصة وذلّـة

خشونة جلده والثقل فيه *** وصفرة لونه من غير علّة

إذا قطعتـــه إربًا تـــراه *** كبدر قطعت منـه أهلّـة [1]

ومع هذا أجمعوا أنه في هذه السنة تَفِهْ، قد تغير بالنسبة إلى ما كان قبل طيبُ مَرْشَفِه، وأن منه نوعًا يسمى بطيخ الجيب، هو حال جدًا وخال في الأغلب عن العيب، ولم يروا منه في هذه السنة قشرًا، وعَدّوًا فقده عليهم أمرًا أمرًا، فزاد من هذا الكلام تعجبي، ولولا الإجماع لسرى إلى الإنكار بي.

ومزارع ذلك كخطين على ساحلي نهر دجلة، وقد جدولت صحيفة ذلك النهر وأظهرت فضله، وانتفاع الأهالي به في غير ذلك قليل، ولذا تراه حقيرًا عندهم وهو لعمري في نفسه جليل، إذ ورد في بعض الأخبار، عن الثقة كعب الأحبار، عده من أنهار الجنان، كالفرات والنيل وجيحان وسيحان، لكن -والله تعالى أعلم- ليس لخبر كعب في الصحة رسوخ قدم.

(١) الأبيات رواها النويري في نهاية الأرب ولم يعزهم لأحد .
النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٦/١١

وماؤهم سواه كثير، وكله -بارك الله تعالى فيه- عذب نمير، فمن ذلك ما يسمى الحمراوات، أجراه في البلد حضرة السلطان سليمان[1] من نحو مسيرة ثلاث ساعات، وهو مقسم بالعدل على الدور، وفيها منه حياض تَدَفَّقُ قلوب ساكنيها بالسرور، وماء آخر يسمى بلسان العامة بياص، وللجامع الكبير به نوع اختصاص، وفي رحيب رحبته حوض منه يسر القلب ويؤنس، ولولا الغلو لقلت إنه بحيرة زِرَةَ أو تونس، وهو من الصدقات الجارية قبل الدولة العثمانية، وأغلب الظن أنها من آثار الدولة السلجوقية. ويأتي من نحو ساعة أو أقل، في طريق [٣٩/ب] ليس بحزن ولا سهل.

وفي بطن البلد أيضاً عيون جوار، تبصر بها مصلحة الأهالي لو انقطعت رأساً مياه الأنهار، وما ذُكِرَ بعض محاسن البلدة، ولها غير ذلك محاسن عدة، منها اشتمالها على أخيار تستصغر عند رؤيتهم كبار الأخبار،

(١) السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م).

إلا أن بين أعيانها نحو ما بين أعيان الزوراء من التباغض والتحاسد والشحناء، ومعظم عظماء البلاد على ما رأيت كذلك، وأعظم ما شانهم أن شأنهم إيقاع بعضهم بعضاً في مهاوي المهالك، وما أقبح ذلك الشان، لاسيما إذا كان بين الأعيان، وإنه لعظيم المتاعب ووخيم العواقب، نسأل الله تعالى العافية، وقلوباً من أكدار النفسانية صافية.

فيها جوامع، لمتفرقات الحسن جوامع، ومناير تحتك بالسحاب، وتضحك عجباً على الهضاب، اختارت من الأشكال المستدير والمربع، واجتازت بالألوان فأحبت الأبيض والأسود والأبقع، وما ألطف منارة الصفا، وما أغرب حجارة منبره وأصفى. ولها سور قد أُحْكِمَ من أحجار سود، ولولا أن الحوادث لطمت فاه لفاه بدعوى الخلود، وقد رأيته اليوم آخذاً رُمَيح أبي سعد، مترقبا لما يفعل به الملوان في غد، وله ستة أبواب، منها الجديد ومنها ما مَرّت عليه أحقاب، ويحيط بأرض كـثلثي الكرخ ولا أقول تعدله كله، وإن قيل إنها مشتملة على ست وخمسين محله، لصغر المحال، كما يقال. وذكور نفوسها على ما يذكر، نحو اثني عشر ألف ذكر، وعند التثليث ثلثان مسلمون، وثلث نصارى مثلثون.

وصحراؤها مملوءة كلأً وأزهارا، ولذا أتخذها آل بكر بن وائل من بين الديار دياراً، وطيرها كثير جداً، لا تكاد تستطيع له عدا، فما من زهر تنتشقه عرانين سمعك إلا وهو مزهر في رياضها، وما من طير يقع في شباك ذهنك إلا وهو حائم على غياضها.

نعم؛ إن هواء البلد، لا يهواه جسد أحد، أسرق للصحة من شظاظ، وأسرى في الأعصاب من سريان المعاني في الألفاظ، ولذا ترى حُمّاها في حِماها [٤٠/أ] عاكفة، والأمراض في كل بيت من بيوتها طائفة، قلما تمر السنة على رضيع درها، ولم تهزه أم ملدم[1] في مهد حجرها، فأغلب أهلها حتى الأحداث، صفر الوجوه كأنما خرجوا من الأجداث، ولم أرَ منهم من ترد من ماء شبيبته ظمأ العين، اللهم إلا أن يكون ذلك واحداً أو اثنين، وربما يتفق فيها من غلط الزمان، واحدة من النساء عليها مسبحة جمال كنساء سائر البلدان، فقبل أن يبدو نهدها، يبتدي بالانحناء قَدُّها، وقبل أن تضحك تبكيها الأسقام،

(١) **أُمُّ مِلْدَم**: الحُمّى، يقال: أنا أُمُّ مِلْدَم آكُلُ اللحمَ وأمَصُّ الدَّمَ. انظر: الخليا ابن احمد: العين.

وتطمثها على فراش الأمراض الآلام، وقد رأيت من أكثر من صادفت منهن مزيد تحذّر، يدل على أنهن من ذوات تحجب وتخدّر، فلم أدر أن ذاك لقبح الصورة، أم للديانة وحسن السيرة.

وسبب تغير الهواء بزعم ساكنيها، مزيد تعفن في أرجائها مما فيها، فترى في أحيائها مياهاً أنتن من صديد الأموات، وأوحالاً تغيرت أحوالها مما جرى على رأسها من القاذورات، وفي طرقاتها أيضاً ما يجري على نحو هذا الطريق، ويسري برفيق من الجيف أمامه ألف فريق، وكذا يزعمون أن ارتفاع السور، أحد أسباب تلك الأمور، وهو في بادئ النظر كلام منحط عن القبول، وآسن لا تشربه أفواه العقول، ولا يبعد أن الارتفاع، يكون سبباً لاحتباس الهواء في تلك البقاع، فيزداد تعفناً، ويعظم العنا، وبالجملة هي باعتبارين حلوة مرة، يقول من رآها بالبصر: رأيت البصرة. بيد أن سككها تحكي اليوم حومة الجندل، بل لعل المشي هناك أيسر بكثير وأسهل، فكم قد كبا فيها جوادي، وكاد يسلم بيد المنون قيادي.

وقد تنقّى طرقاتها ومنافعها، فتذهب من الريح بوائقها وتبقى منافعها، إلا أن ذلك غير ملتزم، لقوة العجز وضعف الهمم، وعلى العلات وجميع الحالات، إذا وزنت بأرض الزوراء كان الفرق تغارات (لمصنفه):

أرض إذا مرت بها ريح الصبا * حملت من الأرجاء مسكًا أذفرا [٤٠/ب]**

لا تسمعن حديث أرض بعدها * يروي فكل الصيد في جوف الفرا**

فارقتها لا عن رضى، وهجرتها * لا عن قلى، ورحلت لا متخيراً**

لكنها ضاعت عليّ برحبها * لما رأيت بها الزمان تنكرا**

واضطرني فيها حقوق للعُلى * نحوي بغير أدائها لن أُعذرا**

فرحلت أطلب مخرجًا لأدائها * والحمد للمولى على ما يسّرا**

ويقابل آمد من الشمال قرية نصارى تسمى بـ (قُطْرُبُلّ)، ونهر دجلة بينهما يشبه -ورب الفلك الدوار- دائرة المعدل،

وهذه غير قطربل بغداد[1]، التي جاءت في حديث ضعيف الإسناد، وكان حاذًا[2] لكل خمرة تنسب إليه، وتنقل إلى ما حواليه، فتقادم الزمان وتغير ما كان، واستولى الحين على الحان، ويبس الكرم وتكسرت الدنان، فلم يُبقِ محتسب الليالي والأيام إلا حديثًا تدور به في حانات الكتب سقات الأقلام في كاسات الأرقام:

زمان بما فيه انقضى فهو ما ترى * أحاديث تجلوه على السمع أفواه**

ومثله في ذلك عانات، فطالما عانت منها العقول الحَيْنَ في الحانات، واليوم قد أسكر أهلها حوادث الدهر،

---

(١) **قطربل:** قال ياقوت: قطربل بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام وقد روي بفتح أوله وطائه وأما الباء فمشددة مضمومة في الروايتين وهي كلمة أعجمية اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر وما زالت متنزها للبطالين وحانة للخمارين وقد أكثر الشعراء من ذكرها وقيل هو اسم لطسوج من طساسيج بغداد أي كورة فما كان من شرقي الصراة فهو باد وريا وما كان من غربيها فهو قطربل، وقال الحِميري في الروض المعطار في خبر الأقطار: قطربل، طسوج من طساسيج سواد العراق، فيه خمر جيدة ولهذا يقع ذكره في شعر أبي نواس.

وفي بعض أخبار يوم القادسية أن سعداً لما توجه بالعسكر وضعوا على دجلة العسكر والأثقال وطلبوا المخاضة، فلم يهتدوا إليها حتى أتى سعداً علج من أهل المدائن فقال: أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن تمنعوا، فخرج بهم على مخاضة بقطربل، فكان أول من خاضها هاشم بن عتبة واتبعه خيله ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا، فزعموا أنهم لم يهتدوا لتلك المخاضة بعد.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤١٤/٣؛ الحميري: الروض المعطار، ٤٦٥/١ .

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

وتركتهم لا يميزون بين الجمر والخمر، وجرى عليهم من حديثة المصائب ما جرى، حتى غدت عاناتهم -وحرمة أعينهم- عورة بين القرى.

ثم إن دعوة المشير لي وحدي لم تزل متتابعة، وكم ليلة طيبة سمرت معه حتى الساعة السابعة، وقد استرقني بحر إكرامه، وأجلّه من أن أقول: سرقني من نفسي بحلو كلامه، وهكذا حاله مع سائر مخلصيه، وجميع من يوده ويواليه، وكل من خَدَمَهَ، سلك مع الضيفان على قَدَمِه، فيكاد أحدهم بلسان طبعه المأنوس، يقول للضيف: عبدك بغير فلوس. لا زال محفوظا، وبعين عناية الدولة ملحوظًا.

وفي اليوم السابع والعشرين دعاني الإمام الشافعي، إلى حمام يقول داخله: إذا لم يتّقِ هذا الشافي العي، فخلعت ثوب درن، ألبسنيه إهمالي تعهد البدن، لاشتغالي عن نفسي [٤١/أ] بحب الوطن، واشتعالي بنيران الهم والحزن، وبينا أنا في المختلع جالس للاستراحة مما بي، منتظر انقطاع رشح العرق لألبس ثيابي، هجم علينا طائفة من النساء، لكن عليهن براقع الحياء، فدخلن المختلع الوسط، ولم تدخل عليهن سوى عجوز تخدمهن فقط، فعجبت وقلت: ما هذا الأمر؟

فقيل: إن الحمامات هنا تخلى من الظهر إلى العصر، ولم يستثنِ منها إلا حمام واحد، وهو غير مرغوب فيه لأنه على وسخه بارد، فلم أعترض على أحد، حيث فهمت أن تلك عادة البلد، وقلت لمن معي: قِ فاك، وإلا يُقرع قفاك. وعجلت بلبس ثيابي، والعرق يرشح من أهابي، ولم أتخلص من جناب حبيبي الإمام، حتى أخذني إلى جنة بيته لأطفئ وهج نار الحمام.

ولعمري ما وجدت من تفقدني من أهل آمد مثله، ولا صادفت عمدة منهم تفضل على ذي فضل فضله، هذا مع قلة سعته وضيق وقته لكثرة عيلته، فلله تعالى دره من حبيب نجيب، أوتي وحرمة الرقيب من قداح النجابة المُعَلّى والرقيب، ولقد غمرني بحيا الإكرام، وجعلني في حرم الحياء من مزيد حبا الاحترام، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، وجعل أفئدة الكبار والصغار تهوي إليه.

ثم الإنصاف أن حُسن حمامات آمد بالنسبة إلى حمامات بغداد طويل عريض، وهي مع ذاك بالنسبة لحمامات إسلامبول قُمامات أو مراحيض، وكم لله تعالى من خواص، في الأزمنة والأمكنة والأشخاص. وسبب ردائة حمامات الزوراء، كونها من البلاد الحارة

فليس لأهلها بالحمام اعتناء، على أن لمعظم كبارها في دورهم حمامات نفيسة، وخدمهم فيها جوار -وحرمة الحرم- أنيسه، وأكثر صغارها يستغنون في الصيف بدجلة، ويكتفون بالشتاء بإبريق ماء حار يغتسلون به وراء كوارة أو حَلّه، والشتاء في هاتيك البقاع، تسليمه الوداع، وأنه يلم بها إلمام ضيف، ويمر عليها كسحابة صيف، وعلى كل حال لا يشين مدينة السلام، خلوها اليوم عن جيّد حمّام: [٤١/ب]

من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شيء ولا يضعه**(١)

على إني أعود فأقول: إن فقد الحمام اللطيف، لا ينقص شرف البلد كفقد جُملة حَمَلَة العلم الشريف، فبغداد وإن لم يكن فيها ذلك الحمام، فكم فيها والحمد لله تعالى إمام هُمام، وطالب هَمّام، قد تزين بفرائد فوائدهم جيد العصر، وانتشى الكون بما عصروه من كرم أذهانهم الكريمة أحسن عصر:

---

(١) البيت نسبه الأبشيهي إلى أبي فراس الحمداني .
الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ١/٧٧ .

لا يدرك الواصف المطري خصائصهم ** وإن يكن سابقًا في كل ما وصفا

وديار بكر ووا أسفى عليها اليوم، قد خَلَت وإن حلَت عن مثل أولئك القوم؛ بل ليس فيها من الطلبة -والأمر لله تعالى- كامل، أو من يقرأ العبارة عارفًا أن هذا مفعول وذاك فاعل، وأكبرهم فضلاً من يقرأ شرح الحلبي الصغير، ومن يقرأ الكنز

فذاك الذي خرج بغناه عن سلك الجاهل الفقير، فالمدارس فيها دوارس، ووجوه الاستفادة عوابس :

كأن لَمْ يَكُنْ بينَ الْحَجُونِ إلى الصّفَا * أنيسٌ ولم يَسْتَمِرْ بِمَكّةَ سَامِرُ (١)

---

(١) قال الزركلي في ترجمة الحارث بن مضاض: الحارث بن مضاض بن عبد المسيح الجرهمي، من ملوك الجاهلية، من قحطان. ونسب إليه ابن جبير والمسعودي البيتين:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى ، نحن كنا أهلها ، وأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

والبيتان هما ابتداء قصيدة، نسبها إليه ابن الحائك الهمداني أيضا، في (الإكليل) وأورد ١٢ بيتا منها، لعل بعضها مصنوع.

وجاء تفسير الأبيات في كتاب السيرة الحلبية كما يلي: ".. ثم إن جرهماً بغوا بمكة، وظلموا من يدخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، حتى إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يزني ولم يجد مكاناً دخل البيت فزنى فيه، فأجمعت ـ أي عزمت ـ خزاعة لحربهم وإخراجهم من مكة، ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء: وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشباب. وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم: أي وجاز أن يكون ذلك الدم ناشئاً عن ذلك الدود فلا مخالفة، وذهب من بقي إلى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم، وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً وقال عمرو أبياتاً منها:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والدهور البواتر

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال: كنت أكتب بين يدي الوزير يحيى بن خالد البرمكي أيام الرشيد فأخذه النوم، فنام برهة ثم انتبه مذعوراً فقال: الأمر كما كان، والله ذهب ملكنا، وذل عزنا، وانقضت أيام دولتنا. قلت: وما ذاك أصلح الله الوزير؟ قال: سمعت منشداً أنشدني: كأن لم يكن بين الحجون البيت، وأجبته من غير روية: بلى نحن كنا أهلها البيت، فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتي إذ =جاءه إنسان وأكب

وقد كانت من قبل رياض علوم، وحياض منطوق ومفهوم، فغيرها الزمان، والله تعالى المستعان.

وجرى في بعض الليالي أبحاث مع المشير أحلى من العسل، منها تحقيق ما قيل في أمر النحل مما عليه المعول، فأحضر أيده الله تعالى كتاباً من الحكمة الطبيعية، مؤلفاً باللغة النمساوية، فطفق يقرأ مترجماً، ويقرر للحاضرين مفهماً.

ومما رَعَته نحلة ذهني من أزهار ذلك التقرير؛ فمجته عسلاً مصفى في كؤوس التحرير والتحبير، أن ما يجتمع في الكوارة الواحدة عشرة آلاف إلى أربعين ألفاً، وهم على قلب رجل واحد لا تكاد تجد بينهم خُلفاً، ويرجعون إلى أنثي هي أميرهم، ويعسوبهم الذي يهابه صغيرهم وكبيرهم، وتبيض في بضع عشر يوماً اثنتي عشرة بيضة إلى ستة عشر ألفاً،

عليه، وأخبره أن الرشيد قتل جعفراً الساعة قال: أو قد فعل؟ قال نعم، فما زاد أن رمى القلم من يده وقال: هكذا تقوم الساعة بغتة ".

وتجد تتمة القصيدة في أخبار مكة للأزرقي وسمط النجوم العوالي .

علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ١٨/٦؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٨٧/١؛ الأزرقي: أخبار مكة، ص ٧٠؛ الزركلي: الأعلام، ١٥٧/٢؛

ولو باضت نحو ذلك نعامة لرأيت عليها من الضّعف ضِعفًا، وحجرتها بيضية الشكل، وفيها سعةٌ ما بخلاف حجر سائر النحل، وتتعدد من اثنتين إلى أربعين، وقلما تبلغ هذا العدد سرايات السلاطين.

وفي اليوم الخامس تنفجر البيضة [٤٢/أ] عن نحلة، قد أتم مَلَكُ التصوير شكلها كله، وإذا مضى عليها بضع عشر يومًا تطير، ويكون حكمها حكم الكبير، وفي أثناء هذه المدة تخرج من غشاء عليها دقيق، وذلك بعد مضي سبعة أيام على التحقيق، ويكون في هذه العصابة أمير أو أميران، ولا يجتمع في الكوارة من الأمراء اثنان، بل لكل أمير ملكة خاصة، ومملكة بجنده غاصة. وفي الأربعين ألفًا ألف وخمسمائة ذكر، وكأنهم رجال الملك المنفذون أمره إذا أمر، وعمل البيوت على باقي النحل، وهم يضعونها لسر أُلهموه مُسَدّسة الشكل، ومادتها نحو غبار يكون في بطون الأزهار، يجمعونه بألارجل ويحملونه بها إلى ما لهم من الأوكار، ثم يأكلونه فيرشح عرقًا من أبدانهم، وهو شمع العسل الذي يكون في أوطانهم.

ومادة العسل نفسه لطيف الزهر الذي يرعونه في الرياض، قد أهضم في بطونهم يقيؤونه ويترعون به الحياض، ويدّخرونه للغذاء، إذا حبسهم عن الخروج دخول الشتاء، ومادة ما يتخذونه حفظًا له عن نحو الغبار، صمغ يأخذونه طريًا من بعض الأشجار.

وفي كتاب آخر من الكتب الجديدة، ما يفهم منه أن مادة العسل والشمع غير عديدة، بل هي الأزهار التي يتناولونها، وفي سياحتهم في الأرض يأكلونها، إلا أن ما يصل إلى المعدة الثانية من ذلك المرعى، يرشح -بإذن الله تعالى- عرقًا فيكون شمعًا، وما يقاء من المعدة الأولى يكون عسلاً، ويدخر ليكون كما تقدم في الشتاء مأكلا.

وليس في عوالم النحل أنثى؛ بل كل منهم من قبيل الخنثى، وربما يتفق لأحدهم أن يبيض كما يتفق للديك، فيخرج من بيضته حيوان ليس من النحل في شيء إلا عند ذي نظر ركيك، ثم إنه في الخريف يقتل، إلا طار به طائر تأخر الأجل.

ولا يكون ذا العسل من أولئك الذكور، ومثلهم في ذلك الأمير المذكور. وعمر الواحد ما بين الخمس إلى العشر من السنين، وعمر عمّار الكوارة إلى ثلاثين، وهذا كبقاء الورد مثلاً شهرين [٤٢/ب] مع أن الوردة المعنية لا تبقى يومين. وللجميع شعر دقيق، لا يشعر به إلا ذو إمعان وتدقيق. وفي كتاب آخر الشعر للعسالة، فإثباته لغيرها جهالة، وفائدته أنها تزيل به الغبار، عما تأكله من الأزهار، ولطيف أوراق الأشجار. ثم إنه قد يتفق موت الأمير، بقضاء الملك القدير، فيبايعون من فيه سر الإمارة من خَلَفه الكرام، إلا أن يكون عمره دون ثلاثة أيام، فإن لم توجد عادت جمعيتهم شذر مذر، وتفرقت تفرق أيادي سبا بأيدي الغِيَر.

هذا ما اشتاره مشتار فهمي من عسل تقرير حضرة المشير، وسبحان الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهو جل شأنه اللطيف الخبير، وإنما دندن به زنبور القلم؛ لأنه لا يخلو عن بعض الحكم، وينبغي للنبيل أن يكون كما قيل:

من كل معنى لطيف أجتلي قدحًا * وكل ناطقة في الكون تطربني**[1]

لكني لا أجزم بصدق جميع ما ذكرت، وأن أكن قد حررت ما حررت:

فليس اعتقاد المرء ما خَطّ كفّه * كما أن حاكي الكفر ليس بكافر**

وفي كتب الإسلام، مخالفة لبعض ما في هذا الكلام، ولست أنا ممن يَرُدّ حقًا لحقارة قائله، فالورد وَردٌ وإن شاكت شجرتُه يد حاملِه.

وفي مستهل المحرم، دعاني المشير المعظم، لإدارة كؤوس المسامرة في حضرته، فتسامرنا حتى كدنا نحيي ميت الليل برمته، ثم بِتّ هناك بعد أن بُتّ الكلام، ولحائمات النوم على حياض العيون ازدحام، فلما أصبحت دعاني فاصطحبت بمدام مفاكهته،

---

(١) قال ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق: أنشد ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه:

أصبحت ألطف من مر النسيم على ... زهر الرياض يكادُ الوهم يؤلمني

من كل معنىً لطيفٍ أجتلي قدحاً ... وكل ناطقةٍ في الكون تطربنـي

ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ١٢/١

وقد نسب المقري التلمساني هذين البيتين إلى أبي الحسن الحرالي، قال: قال لي محمد بن عبد الواحد الرباطي قال لي محمد بن عبد السيد الطرابلسي دخلت على أبي الحسن الحرالي فقلت له كيف أصبحت فأنشد:

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى ... على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنى لطيف أحتسي قدحا ... وكل ناطقـة في الكون تطربني

المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣١٧/٥.

ولم يدعني أقوم حتى تضلعت من طيب غذائه وفاكهته، ثم أخذ بيدي، سليمان بك أفندي، فقيدني بقيود مؤانسته، وحجر عني إلا الإقامة في حجرته، فبقيت إلى الساعة الحادية عشر مع جنابه، أبث له ما بي من الأشواق ويبث لي ما به، وجرى في ذلك اليوم لدى المشير، والدستور الخطير، الذي يكاد يقف بقوة بصيرته على خفي السرّ، بَحثٌ فيما اشتهر من قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله تعالى وتر يحب الوتر). [٤٣/أ]

فقلت: المعنى الظاهر، أظهر من أن يذكره ذاكر، ويحتمل أنه أشير بالوتر إلى من أوتر قوس همته، فأصاب نحر هواه، وخلّى نفسه واقي متخليا عنها حمى مولاه، جل جلاله وعلاه، أو من فني عن مشاهدة الأغيار، فلم يكن بنظره في دار الوجود غيره دَيّار، وفسّر هو أيده رب البرية، الوترية بالحرية، ولعل مرجع هذا التفسير، في الآخرة إلى ما ذكرنا من التقرير :

عباراتنا شتى وحسنك واحد *** وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير[1]

ثم انجر الكلام إلى معنى قول إمامنا الأمجد، أن الله تعالى واحد لا من طريق العدد، فقلت: يحتمل أن يكون مراده بالواحد ما لا تركيب فيه، لا ما يقع في العَدَد من مقابل الاثنين إلى آخر ما يليه، فإن الحق أن الله سبحانه عَلَم شخصي وكل عَلَم كذلك واحد بهذا المعنى، ومن الذي يشك في وحدة زيد وعمرو وسعدي ولبنى، فالإخبار بالواحد عنه لغو من الكلام، كما لا يخفى على ذوي البصائر والأفهام، ومن راجع تعريف العَلَم، ظهر له ذلك ظهور نار القرى ليلاً على علم، فيكون ما ذكر إشارة إلى بساطته تعالى الخارجية، أو ما هو أعم منها ومن الذهنية، بناءً على ما يعرفه ذوو الفضل، من استحالة تركب ماهيته سبحانه من الجنس والفصل، واستحالة تركبها من أمرين متساويين؛ لاحتياجهما إلى منتزعين متخالفين.

---

(١) البيت رواه داود الأنطاكي ولم يعزه لأحد .

داود الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١/١٥٢.

ويحتمل أنه أراد نفي ما يقع في العد الظاهر في وحدته المقابلة لإثنينيته، مع أن المقصود مخالفة المشركين بالإيمان بوحدته تعالى في ألوهيته، ألا ترى أن أكثر الآيات الكريمات، ناطقة بوصف الإله بالوحدة دون وصف اسم الذات، وليس ذلك إلا لأنه سبحانه ليس مختصاً به الوحدة العددية، وإنما المختص به جل جلاله الوحدة في الألوهية، وكفى بـ (لا إله إلا الله) ناطقاً بما قلناه.

ثم ذكرت ما للعلماء الأفاضل في حل هذه العبارة من الرسائل: ولعلك بعد التأمل فيما حررنا تستغني عنها، ولا تحتاج في فهم المراد إلى اقتباس شيء منها. [٤٣/ب] ولما آذنت غانية الشمس بإقبال زنجي الليل مما عراها من الاصفرار، ودنت من حجال الأفق تجر إليها فاضل الذيل ليتحجب عن الأبصار.

سرنا في معية المشير، والبدر السامي المنير، لدعوة باشر مهامّها، ودعا لحضورها خواص البلد وعوامّها، جناب ذي الفكر الدقيق، والطبع اللطيف الرقيق، والهمة التي يبتهج بها من الأحباء الفريق، ويغص بسببها من الأعداء ألف ريق، صاحب المكارم التي خفق لواؤها على كل نفر مواليه، والمحاسن التي لا تجد قائم مقامها في كل فوج حل فيه، حبيبي أمير اللواء (حافظ باشا)، لا زال محفوظاً في نظام من العيش حسبما شا.

وسبب تلك الدعوة ختان من لم يختتن من شبان العساكر المحمدية[1]، وإجراء ما جرى إسلاماً وجاهلية من السنة السنية الإبراهيمية، فذهبنا راكبين إلى قشلة بهية، تشبه -وحرمة المرابطين- المدرسة المستنصرية، إلا أن أحجارها جلمد، وفيه الأبيض والأسود،

---

(١) **جيش العساكر المنصورة المحمدية:** وهو اسم التشكيل العسكري الجديد " عساكر منصورهء محمديه " الذي أنشأه السلطان محمود الثاني عقب قيامه بالقضاء على أوجاق الانكشارية الرافض للإصلاح، ومع إلغاء الأوجاق ألغيت أيضاً كافة النياشين والألقاب والإشارات الخاصة بالانكشارية، وقد تشكل ذلك الجيش ضمن نظام معين، فكان يستقبل الشبان في سن تتراوح بين ١٥ – ٣٠ سنة، أما الأصغر سناً فقد أقامت لهم الدولة مكاناً للتعليم والتدريب هو ثكنة أوجاق العجمية القائمة في حي شهزاده باشي. ولم يلبث جيش العساكر المنصورة أن كبر حجمه، وتطور خلال مدة قصيرة، وأقيمت له ثكنات جديدة إضافة إلى الثكنات القائمة في أوسكودار ولَوَنْدْ. وأصبح جيش العساكر المنصورة الذي كان يبلغ في البداية ١٢٠٠٠ جندي ينقسم إلى ثمانية بلوكات. ولم تكن مهمة العساكر المنصورة المحمدية مقصورة على الحرب فقط؛ بل كانوا مثل أوجاق الانكشارية يضطلعون وقت السلم أيضاً بمهمة الأمن داخل المدينة، وإطفاء الحرائق وغير ذلك.

وكان المسئول الأول بعد القائد العام "سَرْ عسكر" هو ناظر العساكر المنصورة، وقد استدعت الدولة الخبراء من أوربا لتدريب العساكر المنصورة وخصصت للجيش خزانة عُرفت باسم "خزانة المنصورة" (منصوره خزينه سي) للصرف عليهم، فقد كانوا يتقاضون جميعهم رواتب شهرية، ويرتدون زياً خاصاً. وكان الجندي الذي يقضي فترة جندية فعلية معينة يحصل على حق التقاعد، ويتقاضى راتباً كافياً. وفي عام ١٨٣٤م أقامت الدولة كلية حربية "حربيه مكتبي" لتنشئة الضباط اللازمين للجيش، كما أوفدت الطلاب للدراسة في النمسا. أنشأت خلال ذلك العام وحدات احتياطية "رديف" في الولايات المختلفة. وأصبحت العساكر المنصورة تعرف بعد ذلك باسم " العساكر النظامية".

أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ٤٠٩/١ .

وقد نصبت التخوت على أرجائها، وزينت بالقناديل سماء فنائها، ولأصوات العيدان تَجَاوُبٌ في أركانها، ولأذيال الولدان تَجَاذُبٌ عند الدوران في ميدانها.

فبعد أن ختمنا أعمال نهارنا بصلاة المغرب، وقد هدأت الأصوات وطارت بهاتيك الحركات عنقاء مُغْرِب، ابتدأنا بتناول الطعام، ولم تزل ألوانه ترتفع وتنحط إلى أن بدا من القعود القيام، وبعد أن غسلنا الأيدي، وكل منا يسر من السرور فوق ما يبدي، عدنا إلى رفيعات المناص، واستقرت في أماكنها العوام والخواص، فأُعطيت عمال البارود بأيدي زبانية غلاظ شداد، لا يحسبون شُعَل النار ألا توقد وجنة حوراء أو تورد خد ذي هيف ميّاد، فشرعوا يرمون شهباً تحكى ذوات الأذناب، كأنهم أحسوا أن في الجو شياطين تريد النزول لاستماع رنات الرباب، فأمسوا يرجمونهم ولا يرحمونهم، وأبدت غيرتهم أن يدعوهم [٤٤/أ] أو يعرضوا عنهم ويدعوهم، ويا لله تعالى درهم كيف أخرجوها عُمُداً على خط الاستقامة، وجعلوها تنثر نقطاً نارية على سطح القشلة نثر احترام وكرامة، وطفقوا يعلقون على حبال معترضة أجراسا مضية،

لو رأها القطب لحسب أن الزهرة استحالت أنوارها شمسية، فجعلت تقطر أنوارًا، وتلقي لمن حولها دينارًا فدينار، حتى إذا حان أفولها، ولم يبق منها إلا قليلها، انشق أديمها عن شعل تأخذ يمينًا وشمالاً، وتطير لا أبالها جنوبًا وشمالا، كأنها تطلب ماردا، أو تتبع ثعلبًا شاردًا.

وأخلولقوا يحملون نيازك كُوِّرَت على رؤوسها عمائم من أعمال البارود، وأخذوا يديرونها كالفلك الدوار فتخرج منها حبّات نار ذات وقود، فجعلت تقصد القاعد والقائم، وأكثر ما تحب من اللباس العمائم.

وبعد أن تم نصاب الانبساط، انقطعت تلك الأعمال وطوى ذلك البساط، فأصلحت للضرب العيدان، وترنمت على أوتارها بلابل النغمات الحسان، فخُيِّل لي إن ممدودًا قد بعث من واسط، فجاء مشتاقًا لديار بكر بن وائل بن قاسط، وقامت للرقص صبية لها محبّان، فتراقصت القلوب وهاجت سواكن الأشجان :

فكانَ مَا كَان مما لستُ أذكُرُهُ * فَظُنَّ خيراً ولا تسأل عَنِ الخَبَرِ**[1]

حتى إذا مضى من الليل الثلث الأول، أمضى المشير الحكم بأن نذهب معه إلى قشلة أخرى ونتحول، حيث أن فيها من الأعمال ما هو أغرب، ومن الأفعال ما هو أجلب للقلوب وأخلب، فذهبنا وكلٌّ منا لقربها ماشي، ولم يُمَكَّن من الدخول فيها إلا الخواص والحواشي، فكان هناك من أعمال البارود العجب العجاب، وظهرت شموس ليس لها إلا فاضل ضيائها نقاب، وطلعت نجوم لو رآها بدر ابن المُقَنَّع[2] لتقنع، ولاعترف بأن كلاً منهما أجل قدراً منه وأرفع.

---

(١) البيت من شعر ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، من قصيدته التي مطلعها:

سقَى المَطيرةَ ذاتَ الظّلّ والشَجَرِ ... وديرِ عبدونَ هطالٌ منَ المطرِ
فطالمَا نبّهَتني للصّبوحِ بها ... في غُرّةِ الفَجرِ، والعصفورُ لم يَطِرِ

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٧٥/٣؛ صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، ٨١/٣ .

(٢) **المقنع الخراساني** (١٦٣هـ/٧٨٠م): عطاء، المعروف بالمقنع الخراساني: مشعوذ مشهور. كان قصارا من أهل مرو، وتعلق بالشعوذة، فادعى الربوبية (من طريق التناسخ) زاعما أنها انتقلت إليه من أبي مسلم الخراساني، فتبعه قوم، وقاتلوا في سبيله. وكان مشوه الخلق، فاتخذ وجها من ذهب تقنع به. وأظهر لأشياعه صوره قمر يطلع ويراه الناس من مسيرة شهرين ثم يغيب عنهم. قال المعري: "أفق، إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغي، مثل بدر المقنع" واشتهر أمره سنة ١٦١ هـ، فثار الناس وأرادوا قتله، فاعتصم بقلعة، فحصروه، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سما فمتن، ثم تناول بقية السم، فمات، ودخل المسلمون القلعة فقتلوا من بقي فيها من أشياعه وكانت قلعته في "سبام" بما وراء النهر.

الزركلي: الأعلام، ٢٣٦/٤.

وأرينا هناك خياليّاً يظهر من الأشكال ما وراء الخيال، ويبدي من الأعمال ما يخشى على رائيها داء الخبال، وقد سمعت له عبارات طريفة، وأحسست منه بإشارات [٤٤/ب] لطيفة، تعجب المولى المدقق، وتدهش الفاضل المحقق، فإن رأى هذا الخيالي عبدُ الحكيم، لكان له مواقف عن حل مقاصد ذهنه السليم.

حتى إذا خاف أن يكشف سره ويهتك ستره ظهور حواشي الصباح، جمع ما نثره ولف ما نشره وطفى بفم حيليه المصباح، فخطر في ذهني، ما قاله في مثل ذلك الشيخ عبد الغني:

رأيت خيال الظل أكبر عبــرة * لمن هو في علم الحقيقة راقي**

شخوص وأشباح تمر وتنقضي * وتفنى جميعاً والمحــرك باقي**

ثم انتشرنا إلى مضاجعنا، نابذين بأيدي الاستغفار ما علق بنا، على أني واللهِ كنتُ في شغل شاغل عما كان بين القوم، وكان عندي أَلَذّ مما هم فيه تعانق العين والنوم، وما سمعت من هذه العبارات العبقرية، إنما حاكها نسّاج القلم في هذه المقامات على منوال الفقرات الحريرية.

ولما وكرتُ على فراشي أطارت النومَ عن وكره الهموم؛ فبت أنكح الفكر عروبة ما أسكنه الواحد الأحد -سبحانه- من الأسرار في خيام خميس النجوم :

إلى أن رأيت النجم وهم معرّب ** وأقبل رايات الصباح من الشرق

وصار سواد الليل والصبح طالعٌ ** يحاكي بقايا الكحل في الأعين الزرق(١)

فقمت لأداء فرضي، ثم تمددت على فراش العناء بطولي وعرضي. وفي اليوم الثالث جاء محمد باشا أمير اللواء، في العساكر النظامية في الزوراء، وكان منذ شهران،

---

(١) من شعر الأمير تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله أبو علي، شاعر أهل بيت العبيديين، يقول:

كأنَ السحابَ الغُرّ أصبْحن أكؤساً ... لنا، وكأنَ الراحَ فيها سَنَا البَرْقِ

إلى أنْ رأيتُ النجمَ وهْو معرّب ... وأَقبل راياتُ الصباحِ من الشرق

كأن سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ ... بقايا مجال الكُحْلِ في الأعْيُنِ الزرْقِ

ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/٧٨؛ الحصري: زهر الأداب وثمر الألباب، ٢/١٥٦ .

ميرالاي في عساكر إيالة[1] كردستان، فعندما ولي العراق الكوزلكلي أحَلّ عليه أنظاره الإكسيرية، وصوب فيه نظره فصعّده إلى هذه الرتبة العلية، فذهبت لزيارته، واستكشاف أسرار عبارته وإشارته، فرأيته من خيار العسكرية، له سجايا حسنة مرضية، وهو من أهالي قواقاق، نال ما نال بالصدق وحسن الأخلاق.

وفي اليوم التاسع من المحرم، دخل ديار بكر وإليها راغب باشا الدستور المكرم، وكان يوم مررت على خربوت واليًا فيها، ولم أواجهه هناك إذا لم أر رفيقًا وجيهًا من وجوه أهاليها، [٤٣/أ] فأخبرني درويش أفندي أنه عند ملاقاته سأله عني، وقال: ما بال فلان أتى خربوت، فلم يمر بي ولم يواجهني. فاعتذر المولي المومأ إليه بنصب السفر، وأنه كم عاق خُطى أمري وقصّر، فقبل الاعتذار، وهكذا شأن الأحرار.

(١)**أيالة Eyalet:** أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إدارية إلى إيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق -ما عدا الحالات القضائية- عليها.

ثم سأل عن التفسير، سؤال عالم نحرير، فقال: إن كل مفسر يكثر الكلام، فيما له فيه اطلاع تام، فما الكثير في ذلك التفسير.

فقال له: إنه قد تشابهت فنونه، وتعانقت غصونه، وغدت غواني أبكار مَباحثه أترابا، وعادت عواني أفكار مُباحثه تجعل على رؤوسها ترابا.

فقال: هذا من غرائب الدوران، وصواب غلط به هذا الزمان.

فلمّا شرب سمعي هذا الخبر من مبتغاه، وحققت علو شأن ذلك الوزير دام علاه، لم أرَ بداً عن السعي إليه، والاعتذار مشافهة بين يديه، فذهبت في اليوم الثالث بعد قراءة الفرمان(١)، صحبة المشير نادر وزراء دولة آل عثمان، فاعتذرت بنَصَب الطريق، وفقد رفيق رفيق، فقبل العذر وتلطف، وتعرفت من أخلاقه ما لم أتعرف، وهو رجل مجتمع الأعضاء، تكاد تلثم يديه أفواه الغبراء، أنزع بطين، ذو وقار وتمكين، قد بلغ من العمر اثنين وخمسين عام، إلا أن شعر رأسه

---

(١) **فرمان:** في الفارسية بمعنى الأمر، وما يصدر عن السلطان من أوامر رسمية، وهو مكتوب، ويسمى كذلك برات، مثال، منشور، بيتي، حكم، توقيع، نيشان. يسرلغ. وفي رأس صحيفة الفرمان تكتب كلمة (هو) اختصاراً لكلمة (الله) وتحتها طغرا السلطان. ثم يذكر إن كان هذا المكتوب فرمان أو برات أو غير ذلك. ثم يذكر اسم ولقب المرسل إليه، وما يأمر به السلطان، ويرغب فيه، في إفادة غاية في الوضوح، ثم الدعاء بالتوفيق في تنفيذ الأمر، وفي النهاية يذكر تاريخ الفرمان والموضوع الذي أصدر منه، وتدون هذه الفرمانات في إدارة خاصة بالديوان السلطاني. كما يقيد مضمونه وفحواه في سجل خاص، ثم يوقع النيشانجي بالطغرا، ويرسل الفرمان أو يسلم لصاحبه يداً بيد. وفور وصول الفرمان إلى المرسل إليه ينظر فيه القاضي، وبعد التحقيق من أنه ليس مزوراً يدون في المحكمة الشرعية، ثم ينفذ ما جاء فيه من حكم، وكانت الفرمانات تكتب بخط جميل، وبعضها يذهب، وفي بعض الأحايين كان السلطان يكتب بيده مختصر الأمر بجانب الطغرا. وبعد التنظيمات كانت الفرمانات منحصرة في مسائل خاصة معينة. وقد حل محلها ما يعرف بـ (إرادة) ولها حيثية الخط الهمايوني .

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٠٠ .

ولحيته كالثُغام، محافظ على رسوم الوزارة، عليه من مخايل معرفة حدود الإمارة أوضح أمارة، شهريّ تغذي دَرّ الأدب في حجور حُجَر سراي همايون[1] صغيراً، ثم خرج فعرج في معارج الرتب حتى صار وزيراً كبيراً، وله معرفة ببعض الألسنة الإفرنجية، وقد ترجم بعض كتبهم باللغة التركية، مع تنزهه عن التخلق بما يسيء الظن به، ويوجب طعن الخلق في دينه ومذهبه.

وبالجملة هو من حيث الوقار يحكي متقدمي الوزراء، الذين شاهدناهم قبل الطاعون على تخت وزارة الزوراء.

---

(١) **همايون Humayum**: كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية. فـ " هما " باللغة الفارسية، و" أما " باللغة التركية تعني طائراً أسطورياً ذا حظ وقدرة، وقد اتخذها سلاطين الغز الأتراك رمزاً لهم، وانتقل منهم إلى السلاطين العثمانيين. كان يستخدم مضافاً للمتعلقات الخاصة بالسلاطين فيقال: الذات الهمايوني، الطغراء الهمايوني، الجيش الهمايوني، وهكذا.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٦ .

وقد جلست عنده نحو نحر جزور، وقمت معتذراً ببعض الأمور، خيفة أن يكون بين الوزيرين مذاكرة في أمور خوافي؛ فأكون بينهما على نحافة جسمي كثالثة الأثافي[1]، [٤٥/ب] وقعدت أنتظر المشير عند الدفتردار، مع فكاهة هي ألذ من رشف العُقار، حتى إذا قام المنتَظَر، قمت فتبعته على الأثر، وسرت في صحبته إلى مقامه الأرفع،

---

(١) ثالثة الأثافى قطعة من الجبل يضم إليها حجران فتكون أثافي القدر. وهي مثل في الشدة، يقال: رماه بثالثة الأثافي. قال علقمة بن عبدة:

وكل قوم وأن عزوا وأن كرموا ... عريفهم بأثافي الشر مرجوم

وكان يقال لجرير والفرزدق والأخطل لتهاجيهم أربعين سنة أثافي الشر وللبديع:

ولي جسد كواحدة المثاني ... له كبد كثالثة الأثافي

وقال الأصمعيّ: من أمثالهم في رمي الرَّجل صاحبه بالمعضلات: رماه بثالثة الأثافيّ، ثالثةُ الأثافيّ: القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان فتكون القطعة متّصلة بالجبل، قال خفاف بن ندبة: وإنّ قَصيدَةً شَنعاءَ منّي ... إذا حَضَرَتْ كَثالِثة الأثافي

وقال أبو سعيد الضّرير: معناه أنه رماه بالشّرّ كلّه فجعله أُثْفيّةً؛ حتى إذا رماه بالثّالثة لم يترك منها غاية، قال علقمة بن عبدة وخفّف ياء الأثافيّ،

بَلْ كُلّ قَوْمٍ وإنْ عَزّوا وإن كَثُروا ... عَرِيفُهُم بأثافي الشّرّ مَرْجُوْمُ

ألا تراه قد جمعها له. وقال الأزهريّ: ما كان من حَديد سموه منصباً ولم يسموه أُثفيّة. والآثف: التاع، وقد أثفه يأثفه -مثال كسره-: إذا تبعه. وقال أبو عمرو: أثفة يأثُفُه ويأثِفُه: إذا طلبه.

الزمخشري: ربيع الأبرار، ٣٠/١؛ الصاغاني: العباب الزاخر، ٣٦٥/١؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ١٠٢٢/١.

وسهرت معه إلى أن كاد سحاب الدّجنة بنسيم الصبح يتقشع، فتبوأت غرفة في ذلك المقام، وأخذت بناصية منصة المضجع حتى هدأ صبي العين في مهد المنام.

فلما أصبحت اجتمعت مع القاضي، الذي تعطرت أردان هذه الأوراق بذكر حاله في الماضي، جرى بحث العتيق من كل وصف مردي، صديقي الحبيب صديق بك أفندي، نجل الفاروق الفاضل، الفاصل بين الحق والباطل، رأس صدور الموالي، وسنان عوالي المعالي، عارف حقائق المنطوق ودقائق المفهوم، مولاي عارف أفندي القاضي بعساكر الروم(١)، لا زالت سحائب عوارفه هامرة على العالمين، وعَيَالِم معارفه غامرة للعالمين.

---

(١) **روم إيلي قاضي عسكر**: كان منصب قاضي العسكر منصباً واحداً على السلطان محمد الفاتح، وكان القاضي عسكر هو المرجع في كل أحكام الشرع الحنيف واعتباراً من عام ١٤٨١م، انقسم هذا المنصب قسمين، فكان للأناضول قاضي عسكر، وآخر للروم إيلي، وكان قاضي استانبول إذا رقي أصبح قاضي عسكر الأناضول. أما قاضي عسكر الأناضول فيرقى إلى منصب شيخ الإسلام، وقاضي عسكر الروم إيلي يتولى تعيين وعزل جميع القضاة في الروم إيلي، كما كان عضواً في الديوان الهمايوني.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٦٧ .

وكان لي هذا الصِّدِّيق، في الآستانة العلية أصدق صديق، يحرص على إدخال السرور عليّ، أشد من حرص أبويّ، ويسعى في أنسي، أكثر مما أسعى فيه لنفسي، ويذب عني بصارم همه، أعظم من ذَبِّ الغيور عن حرمه.

وكان ممن قرأ عليّ عقد الجوهر الثمين، للفاضل العجلوني الشيخ إسماعين[1]، فحليت بعقد الإجازة جيده، وقلدته عقود إجازات بكتبٍ عديدة، فهو حبيبي الغيبي، وولدي القلبي:

---

(١) **أبو الفداء العجلوني** (١٠٨٧-١١٦٢هـ/١٦٧٦-١٧٤٨م): أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبدالهادي بن عبد الغني الجراحي، العجلوني، الدمشقي، الشافعي. محدّث الشام وعالمها الزاهد، مؤرِّخ، محدِّث مفسِّر، نحوي. ولد بعجلون (في الأردن حاليًا) ونشأ بدمشق، وأخذ عن أبي المواهب الحنبلي ونجم الدين الرملي وإلياس الكردي وغيرهم، وأجازه النابلسي وغيره. أخذ عنه أحمد بن عبيد العطّار ومحمد بن سعيد السويدي وزاهد =الرومي وغيرهم. له عدة مصنفات منها :كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ الأربعون العجلونية وهما مطبوعان. ومنها شرح له على صحيح البخاري، قال عنه تلميذه العطار: شرحه شرحاً يرحل إليه، جعله خلاصة الشروح السابقة، وأطال فيه من الفوائد والنِّكات والأحكام سماه الفيض الجاري، وصل فيه إلى كتاب التفسير وأخذته المنية قبل إكماله. وله أيضاً تفسير سماه :إسعاف الطالبين بتفسير كتاب الله المبين؛ وله الكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة؛ الفوائد المحررة في شرح مسوغات الابتداء بالنكرة في النحو وغير ذلك كثير. توفي بدمشق.

انظر: الموسوعة العربية العالمية.

ولولا اتقائي عَتْبَه قلتُ: سيّدي *** ولكن يراها من أجَلّ ذُنوبي[1]

ولما جرى زلال بحث المومأ إليه، لا زال رواق السعد ممدوداً عليه، أَحَبَّ مولانا القاضي، لا برحت سيوف أحكامه مواضي، أن أحرر كتاباً لشريف حضرته، يتضمن الدلالة بالمطابقة على التزامنا نشر اثنيته، فكان ذلك عين حبي، فكأنه علم بالكشف ما في سويداء قلبي؛ إذ طالما يحوك ذلك في صدري، ويجول في ميادين فكري وسِرّي، أداءً لبعض حقوق أياديه التي أسداها، ودقق النظر في انتقاء لحمتها وسداها، لاسيما [٤٦/أ] وقد التمس منّي تعهدي إياه بالمآلك، فتعهدت له -ولا مَنّ- بإجراء ذلك، فحررت لذلك الجناب بعض ما حضر، وقصرت فرض الأطناب رعاية لحال السفر.

(١) البيت لعلي بن محمد الكوفي، من قصيدة مطلعها:

مَتَى أَرتَجي يوماً شِفَاءً من الضّنا ... إذا كان جَاذيهِ عليَّ طبيبي
ولي عائِداتٌ ضِفتهُنّ فجِئْنَ فـي ... لباسِ سوادٍ في الظلام قَشِيبِ

الحصري: زهر الأداب وثمر الألباب، ١٥٠/٢

وهذا ما حررت، على الوجه الذي ذكرت: ينهى العبد، الداعي من قبل ومن بعد، لدى حضرة مولى تبوأ من سنيّ الصدق سنامًا، وموئلاً نال من سميّ الحذق أعلامًا عظامًا، وفتى امتطى نجائب النجابة، ورمى بقوة ساعدٍ عن قسيّ الإصابة، وحاز أنواع الكمال أجمع، وحاز يفاع الأفضال إلى المحل الأرفع :

فلو أن ثوبًا حِيك من نسج تسعةٍ * وعشرين حرفًا في علاه قصير**

من هو عندي بمنزلة ولدي، حضرة صديق بك أفندي، لا زالت المراتب العلية آخذة بيده إلى أعلاها، ولا فتئت الفنون العلمية جابذة بضبعيه إلى أغلاها، آمين آمين، يا مجيب الداعين.

إني منذ حجبت طلعتكم البهية عن بصري، وبقيت أشاهد هيئتها السنية في مرآة سري وفكري، لم أزل ألطم وجه الصحصحان بخفاف أيدي الرواحل، حتى حللت عقد الحِل والارتحال في ديار بكر بن وائل، فصادف هناك المولى المكتسي من أردية الفضل حللاً مستجادة، مولانا أحمد أسعد أفندي الشهير بين أصحابه بعرياني زاده،

فرأيته من خلص مواليكم، وأخصّ شاكر لعموم أياديكم، فلم نزل في هاتيك الديار، نقضي بحلو حديثكم القديم ساعات الليل والنهار، ما حللنا معه روضة أزهار، إلا كان وردُ ذكركم وردها، ولا تخللنا وإياه جمعية أخيار، إلا كان خبر ما سلف في صحبتكم سالِفَها وخدّها :

فللـه أيـــام سلفـــن بقربكـــم * سقاها الحيا ما كان أطيبها عندي**

أداوى بذكراها سقامي وعلّتي * ولكن بها أزداد وجداً على وجدي**

وها أنا يا مولاي طول وقتي شاكر طَولكم، ومترصد في خلوتي وجلوتي أوقات الإجابة في الدعاء لكم، وحاشاني أن أنسى ما غمرتموني به من الإنعام، أو أنسى شكر جبركم كسر قلبي بمومياء الاحترام [٤٦/ب]:

فلأشكّرنك ما حييت وإن أمُت * فلتشكرذّك أعظُمٌ في قبرها[1]**

جزاكم الله تعالى عني خيراً، ووفاكم برّاً، ووقاكم في الدارين ضيراً. وأقبّل أيادي حضرة مولاي الصدر الأعلى[2]، ومن طأطأ لجلاله وأفضاله رأس كل مولي، لازال للمَوالي ملاذاً، ولا فتىء للمُوالي عياذاً.

وأهدي دعائي للمولى الأمين، والدر الأغلى الثمين،

---

(١) البيت روته عدة من كتب الأدب ولم تنسبه لأحد:

أوليتني نعما أبوح بشكرها ... وكفيتني كل الامور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وإن أمت ... فلتشكرنك أعظمي في قبرها

الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ٥٠٨/١؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ٨٩/١؛ اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ٣٢/١؛ ابن حبيب الحلبي: نسيم الصبا، ٣٠٨/١.

(٢) **الصدر الأعظم**: الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة، غير أن لقب الصدر الأعظم انتشر أكثر من غيره، واستمر استخدامه إلى اضمحلال الدولة العثمانية.

وكانت لديه صلاحيات كافة الأمور في الدولة، وكان لديه ختم السلطان، وكان رئيساً للديوان الهمايوني، وكافة الأوامر التي تصدر لنصب أو عزل أو قتل كانت تصدر منه. إلا أنه كان يستأذن للسلطان في موضوع يتعلق بأحد الوزراء أو القاضي عسكر أو شيخ الإسلام، وكذلك في توجيه التيمارات الأعلى من ٥٩٩٩ آقجة، لكن في حال الغزو أي الحرب لم يكن يستأذن من السلطان حتى في هذه الأمور، كما أن الطلب الذي كان يقدمه للسلطان كان حرياً بالموافقة والاستجابة من حيث الأصول المتبعة، مع أن السلطان لديه كافة الصلاحيات في عزل الصدر الأعظم من منصبه أو حتى قتله، وكان يطلق على الدائرة التي يعمل فيها الصدر الأعظم باب الباشا، والباب الآصفي.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٣-١٤٤.

داماد دئماء العوارف، لازال أميناً من المعاطب والمخاوف. وأبث أشواقي، للراقي أسمى المراقي، حبيبي الهيكل النوارني، السيد محمد أفندي الشيرواني.

وأنشر إخلاصي، وكمال اختصاصي، لذي الخلق العطر الندي، محب الآل عاكف بك أفندي.

وأختم كلامي، بوافر سلامي على دَرّاك دقائق المعاني، عبد الله أفندي الداغستاني[(١)]، وعلى جميع من حل في حضرتكم، وعقد قلبه على مودتكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أفندم.

وفي أولى الليالي البيض، جاء ذلك الوالي ذي الفضل العريض، لزيارة سلفه في الولاية على ديار بكر، والمستقل بين عساكرها في النهي والأمر، ونحن محدّقون على سفرة الطعام، بين نُقْل خندريس أنس ونَقْل نفيس كلام، فحثثنا كلنا يعملات الأنامل،

---

(١) **الداغستاني** (توفي بعد ١٣٠٤هـ/بعد ١٨٨٦م): حيدر بن عبد الله، ضياء الدين الداغستاني: أديب بغدادي. له (غاية المرام) في شرح البردة، أنجزه سنة ١٣٠٤.
الزركلي: الأعلام، ٢/٢٩٠

وكلنا جزافًا لأبي ضوطري مما بين أيدينا من المآكل، حتى إذا فرغنا رغنا فغسلنا الأيدي، ولم يغسل يده بحضور الوزيرين سوى الخواجة[١] أحمد أفندي، حيث كان من أصحاب الأعذار، وممن استوى في نظره الليل والنهار، وإثر ذلك قعدنا للسمر وعقدنا الحُبا في حل أخبار من عبر وغبر، وأترع الوالي، كؤوس المسامرة من سؤالي.

---

(١) **خواجه –خواجا– خوجه – خوجا:** لفظ أو كلمة فارسية معناها: الثري، التاجر، الكبير، وقد دخل إلى اللغة العربية في نهاية العصر العباسي، كلقب يطلق على كبار التجار، ثم كلمة فارسية الأصل انتقلت إلى اللغة التركية العثمانية، إلا أنها أصبحت تعني: معلم، أستاذ، سيد، تاجر، أما خواجة فتعني بالإضافة إلى المعاني السابقة: مولى، أكثر من معلم أو أستاذ. وفي قاموس شمس الدين سامي، خواجا تعني: أفندي، آغا، جلبي، سيد، صاحب، معلم، مدرس، أستاذ، ويقال: مكتب خواجه سي؛ أي: أستاذ المدرسة، وتعني: " المولى أو المنلا "؛ مثل "خواجة أفندي"، تمامًا كما يطلق على المولى سيد الدين شيخ الإسلام.

أما كلمة أو مصطلح "خوجة"، فهي منحوتة من اللفظ الفارسي "خواجا"، ومعناها: سيد، إنما استعملها الأتراك العثمانيون بلفظ "خوجه"، وجعلوها لقبًا من ألقاب التشريف، اختص به الشيوخ ورؤساء العلماء، ثم انحصر إطلاقها في العصر العثماني المتأخر بمشايخ الكتاتيب الذين كانوا يعلمون الصبية قراءة القرآن الكريم، ولا يزال الأمر كذلك حتى الآن في بعض الدول العربية. وفي تركيا ما زال لفظ "خوجه" يستخدم حتى الآن في اللغة التركية الحديثة، ويعني الأستاذ والمتعلم والمثقف.

انظر: أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، ٤٤١/١

فمن ذلك السؤال عن وجود الجنة اليوم مع قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]، فجمع الخواجة المومأ إليه حواسه الخمس وتوجه نحو الوالي ليوضح أمره ويوجهه، فقبل أن يشرع في التقرير، قال ذلك الوزير: هذا، وقد جاء في أحاديث صحاح أو حسان، أن الجنة سقفها عرش الرحمن، أفيهلك العرش، كما يهلك الفرش ؟!

فقرر الخواجة ما لم يقر في سمع، ولا أقر بصحته فرد من الجمع، فشرعت في نشر ما نسجه في ذلك العلماء والأعلام، [٤٧/أ] وذكر ما نسخه في بعض كتبه أبو حامد حجة الإسلام، وتشير إليه كلمة لبيد، كما لا يخفى إلا على بليد.

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.

فاستطرد السؤال عن السادة الصوفية -أفاض الله تعالى علينا من فيوضاتهم القدسية – فقلت: أما مَن كان منهم كأبي القاسم الجنيد [1]، مولاي سيد الطائفة سعيد بن عبيد، عليه الرحمة والرضوان، فذاك الذي لا ينتطح في علو شأنه كبشان، وأما من كان كالشيخ الأكبر -قدس سره-، فذاك الذي أشكل على الأكثر أمره، وقد كثر مادحوه، كما قد كثر قادحوه، والذي أنا أميل إليه، وأعول في سري وعلني عليه،

(١)**الجنيد البغدادي** (٠٠٠ - ٢٩٧هـ/٠٠٠ - ٩١٠م) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لانه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب

والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. له (رسائل - ط) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما

هو في التوحيد والالوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله (دواء الأرواح - خ) رسالة صغيرة . الزركلي: الأعلام، ٣٦٠/٤ .

أنه ظاهر كثير مما قاله هذا الصنف باطل، لا يقول به ناقص جاهل، فضلاً عن فاضل كامل، بل لا يكاد يخفى بطلانه على ابن يوم، فكيف يخفى طول العمر على أولئك القوم، فهم أجلّ من أن يقولوا بذاك، ويعقدوا عقد عقائدهم على ما هناك، فلابد أن كون له معنى صحيح هم به قائلون، وله في نفس الأمر معتقدون، وفي كهفه قائلون، إلا أن ذلك المعنى صعب المنال، لا يرقى إليه بسلالم المقال، وإنما يُرحل إليه على رواحل الرياضات والسهر، ويهتدي للوقوف عليه بمصابيح الأذكار والفِكَر، وكثيراً ما يتوقف ذلك على السلوك على يد عارف خِرّيت، يزيل بنسائم أنفاسه وأنوار نبراسه عن عين البصرية كل سِخْتِيت، فالحَزْم الكَفّ عن الوقيعة فيهم وشد الحُزُم للارتواء من وقيعة صافيهم.

نعم المتكلم بمثل ذلك الكلام، مما لا يخلو عن كدر، اللهم إلا أن تصح دعواهم أن الانتفاع بذاك أكثر من الضَرَر، وقد دل المعقول والمنقول على صحة ما قيل: لا ينبغي أن يترك الخير الكثير للشر القليل.

لكن قيل إن إثبات صحة تلك الدعوى، أصعب عند كل أحد من رفع أُحُدٍ ورضوى، وسمعت من بعض من يُنسب للعرفان، أن كلام القوم المشتمل على ذلك مثل بعض آي القرآن، فهو وإن لم يحط بجلالة قدره وصف الواصفين، يضل الله تعالى به كثيراً، ويهدي به كثيراً، وما يضل به إلا الفاسقين.

فقيل ليس للقوم أن يضلوا أحداً، فهم في ربقة التكليف [٤٧/ب] لن يخرجوا منها أبداً. فقال هم مظاهر لجميع الأسماء الإلهية، فما عليهم أن ضل بكلامهم بعض البرية.

فقيل له: هذا كعك من ذلك العجين، ولا يكاد يلوكه ذو دَرَدٍ من ضعفاء المؤمنين.

وأبـدى بعضٌ غيـر مـا ذكـر لما قالـوه عذراً ، فقال : إنما قالـوا إما قالوه سكراً ، ولعمري أنه أبرد من هواء جبل المحراب في كانون ، ولا يكاد يروج إطلاقه إلا على صبي أو مجنون ، ويرده أنهم كم أملوا منه للطلاب، وكم وكم مَلَوا منه إهاب كتاب،

وأدهى من ذلك وأمرّ ، ما قيل في الاعتذار عن حضرة الشيخ الأكبر[1]، أن نحو ما في الفصوص[2]،

---

(١) **الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي** (٦٥٠-٦٣٨هـ/١١٦٤-١٢٤٠م): أبوبكر محي الدين محمد بن علي ابن عربي الطائي، مفكر وأديب وشاعر ووشاح صوفي. أندلسي المولد. أثرى القاموس الصوفي بما أضافه من ثروة لغوية. فهو يرى أن لكل لفظ وتعبير واصطلاح معنييْن؛ أحدهما ظاهر والآخر باطن.

ولد بمرسيه ثم انتقل إلى أشبيليا والتقى في شبابه بابن رشد إلا أنه لم يسايره في تفكيره، واختار مساراً صوفياً متأثراً بالفكر الهرمسي وبآراء الحلاج والسهروردي. وعندما قارب الثلاثين من عمره غادر الأندلس -كما يقول- لأسباب سياسية ودينية، واستجابة لرؤيا كشفت له أن الحرية الفكرية التي يرومها هي في مكة. ولما نزل مكة عام ٥٩٨هـ/١٢٠١م اجتمع بعلمائها وأخذ عنهم، خصوصاً الشيخ زاهر الأصبهاني والشيخة فخر النساء. وتعلق في مكة بحب النظام ابنة شيخه، وملهمة قصائد ديوانه ترجمان الأشواق التي يشير بها كما يقول إلى معارف ربانية وأسرار روحانية، وجعل العبارة بلسان الغزل. غادر مكة إلى بغداد والموصل سنة ٦٠١هـ، ١٢٠٤م ثم إلى القاهرة سنة ٦٠٣هـ، وبها ألف مُصنّفَيه مشاهد الأسرار ورسالة الأنوار .ثم رجع إلى بغداد سنة ٦٠٨هـ، ١٢١١م، والتقى بشهاب الدين السّهروردي، ثم توجّه مرّة أخرى إلى مكة سنة ٦١٠هـ، ١٢١٣م حيث صنف شرحاً على ديوانه ترجمان الأشواق أطلق عليه ذخائر الأعلاق.

وغادر مكة إلى دمشق عام ٦٢٠هـ، ١٢٢٣م، حيث استقر بها وألّف كتباً كثيرة حمّلها رؤيته الصوفية القائلة بوحدة الوجود، وأن هذا الوجود المادي صورة ومرآة ينعكس عليها وجه الحقيقة، وأن الخلق سلسلة من التجليات الإلهية، كل حلقة فيها ابتداء ظهور صورة من صور الوجود واختفاء صورة أخرى. وقد عبر عن ذلك بمصطلحيْ الفناء والبقاء، وهو مصطلح يجمع فكرة الفناء التي قال بها الحلاج وفكرة البقاء التي أضافها إلى المعادلة الصوفية، مؤكداً ضرورة الشريعة للسالكين. فصّل رؤيته الصوفية في كتابيه فصوص الحِكَم والفتوحات المكية، إلا أن قراءتهما تتطلب جهداً ذهنياً لما =يُغلف عباراتهما من غموض ربما يرجع إلى رغبته في إخفاء مقاصده أو إلى إغراقه في استخدام الرموز الصوفية. وبعد وفاته في دمشق مقتولاً.

انظر: الموسوعة العربية العالمية.

(٢) **فصوص الحكم:** أحد أشهر كتب التصوف في التاريخ الإسلامي، لقي من العناية والشرح من لدن العلماء ما لا يحصى، كما لقي أيضا من انتقاداتهم وتكفيرهم لصاحبه ولأفكاره

مما يخالف الظواهر والنصوص، مما دسه بعض اليهود؛ ليحل به من ضعفاء المؤمنين العقود، ولا يكاد يقبل هذا إلا فتىً النقصانُ أبوه وأمه، والبلاهة -عافانا الله تعالى وإياكم- خاله وعمه، نعم قد دُسّ من بُغضٍ على بعض العلماء، وأُدْخِل من دَخَل في الدين شيء من الافتراء، ثم ظهر الأمر للمنصف، بالرجوع إلى نسخة المصنف، أو بنحو ذلك مما تتضح به المسالك، إلا أن ذاك عن هذا بمعزل، وبعيد عنه بألف ألف منزل.

وبالجملة إن أمر التكلم والتدوين لا ينكشف غباره إلا عن أعين أرباب التمكين. ثم إن ما قلناه إنما هو في بعض الأمور، لا في جميع ما هو في كتب القوم مسطور،

ما هو مستمر حتى الآن. وكان تدريس كتابيّ (فصوص الحكم) و(الفتوحات المكية) لـ(ابن عربي) وغيرها من كتب المتصوفة التي تطفح بعقيدتي وحدة الوجود والحلول هو شعار كبار العلماء من المتصوفة وغيرهم، وهو المنزلة العلمية التي لا يتبوؤها إلا الخاصة منهم، والمستوى العلمي الذي لا يرقى إليه إلا فحول العلماء.

إذ منه ما هو حري بالقبول، يشهد له المعقول والمنقول، ولم يعترض له برد، ولم يتعرض عليه أحد. ومنه ما هو من الأمور الكشفية، ولا تعلق له أصلاً بالأمور الدينية، كالذي يذكر في شأن أرض السمسمة مما أكثروا فيه الهياط والمياط(١)، ولا يكاد يلج في خريطة ذهن جغرافي حتى يلج الجمل في ذَمِّ الخياط، فاعتقاد مثل هذا وإنكاره بحسب الظاهر في الديانة سيّان، والأولى جعله من عالم المثال وتسليمه لأهل ذلك الشان :

---

(١) قال الأموي: يقال: ما كان ذلك إلا بعد الأين والصلعاء، وإلا بعد الهياط والمياط، أي لم يكن إلا بعد حين؛ ''بَعْدَ الْهِيَاطِ وَالْمِيَاطِ: ويروى الهيط والميط يراد المنازعة والمجاذبة وقولهم بعد الهياط والمياط، قالوا يقال ذلك في الأمر يكون بعد ما يكاد صاحبه يهلك.

أبو الهلال العسكري: جمهرة الأمثال١/٢٢٣؛ أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، ١/١٧٦؛ الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، ٢/٤٢.

وإذا لم تر الهلال فسلّم * لأناس رأوه بالأبصار**

ومنه ما قيل عن اجتهاد ورأي، لكنه خالف ظواهر الأخبار والآي، فلا يبعد من قائله الغلط، فمن ذا الذي لم يغلط من المجتهدين قط، [٤٨/أ] من ذلك القول بنجاة فرعون، فقد قاله الشيخ الأكبر اجتهاداً، وعزّ ناصر له فيه وفرّ عَوْن، وقد تناقض كلامه بذلك في كتابين، فختم في الفصوص وحتّم على القول بنجاته، وفتح في الفتوحات عليه باب الحين، بل تناقض في الفتوحات نفسها، كما لا يخفى على من أحاط خبراً بدرسها، وقد غلطه بذلك معظم المعتقدين والمنتقدين، لكن قال المنصف منهم: غلطه فيه عفو كغلط سائر المجتهدين.

ومن الشافعية من أكفر القائل بنجاة ذلك اللعين، لمخالفته ما ثبت بإجماع أهل الصدر الأول من صدور المسلمين، مع مخالفته لما نطقت به ظواهر الآي والأخبار النبوية، كالحديث الذي ذكره العلامة ابن حجر الهيثمي[1] في فتاواه الحديثية، فقد تضمن أن فرعون وغلام الخضر عليه السلام طُبعا على الكفر، ولم يولدا كغيرهما على فطرة الإسلام. والحق عندي عدم الإكفار في هذا الباب، وللجلال الدواني[2] -وهو شافعي- رسالة في إيمانه، لكنه أنكر نسبتها إليه الشهاب، والعجب أن التشنيع على الشيخ الأكبر في هذه المسألة شايع بين كل غادٍ ورايح، مع أنه اضطرب فيها ولم يضطرب فيما هو أعظم منها من نجاة المهلكين غير قومي لوط وصالح، والآيات الدالة على عدم نجاة أولئك المهلكين، أظهر في المراد من الآيات الدالة على كفر ذلك اللعين.

---

(١) **ابن حجر الهيثمي** (٩٠٨-٩٧٣هـ/١٥٠٣-١٥٦٥م): أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، فقيه عصره. ولد بمصر وتعلم فيها، كتب في أكثر علوم عصره، تعلم بالأزهر، ثم انتقل إلى مكة. من كتبه تحفة المحتاج شرح المنهاج؛ والإيعاب شرح العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعية والأصحاب؛ والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

(٢) رسالة في إيمان فرعون، لجلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني. أولها: (الحمد لله قابل توبة عبده إذا تاب..الخ) وشرحها المولى علي القاري في كراستين.

انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ١/٨٥٠ .

وما أحسن قول مالكٍ الإمام الحبر، كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار ذلك الإمام إلى قبر المصطفى-عليه الصلاة والسلام- فاقنع بذلك وإياك والتكفير، فإنه لعمري أمر مُرٌ خطير، ولا تظن أن الخطأ في بعض المسائل ينقص شيئًا أو يورث شيئًا في حق الكامل.

ثم إني على العلات أقول، غير مكترث باعتراض مكثار جهول، لا ينبغي بمن تلوث بالقاذروات الدنيوية، وتلبث بأثقال الشهوات النفسانية عن العروج إلى الحضائر القدسية، أن يدخل في مضايق كتب القوم، فيوجب على نفسه مزيد العتب واللوم، وقد اشتهر عن بعضهم وتحقق، أنه قال [٤٨/ب]: من طالع كتبنا وليس منِّا تزندق.

وقال الشيخ الربّاني، عبد الوهاب الشعراني[1]: إن بعض الخواص، قال لشيخنا عليّ الخواص: مالي لا أفهم كلام أخي فلان؟ فقال: كيف تفهم كلامه، وله ثوب واحد، ولك ثوبان.

وكم رأيت أنا مَن ترك الصلاة والقيام، بل أخرج عنقه عن ربقة جميع شعائر الإسلام، ولما أنكر عليه من أنكر، قرأ له قول الشيخ الأكبر:

العبد ربّ والربّ عبد * ليت شعري مَن المُكلَّف**

---

(١) **عبد الوهاب الشعراني** (٨٩٨- ٥٩٧٣/١٤٩٣ - ١٥٦٥م): عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد ابن محمد بن موسى الشعراني، الانصاري ، الشافعي، الشاذلي ، المصري (أبو المواهبة، أبو عبد الرحمن) فقيه، اصولي، محدث، صوفي ، مشارك في انواع من العلوم . ولد في =قلقشنده بمصر في ٢٧ رمضان، ونشأ بساقية ابي شعرة من قرى المنوفية، وتوفي بالقاهرة. من تصانيفه: الكثيرة: الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الاسرار والعلوم الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، لواقح الانوار في طبقات الاخيار، المقدمة النحوية في علم العربية، وشرح جمع الجوامع للسبكي في اصول الفقه.
كحالة: معجم المؤلفين، ٢١٨/٦.

وجعل يواري بالقطن المندوف لهب الاعتراض الوهاج، وينسج لعورته سترة من حليج قول الحسين بن منصور الحلاج [1]:

---

(١) **الحلاج** (ت ٣٠٩ هـ/٩٢٢م): الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة ٢٩٩ ه فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: أنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإلهية فيه.

وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث. قال ابن خلكان: وقطعت أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد. وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له. وقال ابن النديم في وصفه: كان محتالا يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي كل علم، جسورا على السلاطين، مرتكبا للعظائم، يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول. وأورد أسماء ستة وأربعين كتابا له، غريبة الأسماء والأوضاع، منها (طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية) و(الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية)و(قرآن القرآن والفرقان) و(السياسة والخلفاء والأمراء) و(علم البقاء والفناء) و(مدح النبي والمثل الأعلى) و(القيامة =والقيامات) و(هو هو) و(كيف كان وكيف يكون) و(الكبريت الأحمر) و(الوجود الأول) و (الوجود الثاني) و(اليقين) و(التوحيد).

ووضع المستشرق غولدزيهر Goldziher رسالة في الحلاج وأخباره وتعاليمه، وكذلك صنف المستشرق لويس مسينيون L.Massignon كتابا في الحلاج وطريقته ومذهبه. وأقوال الباحثين فيه كثيرة .

الشعراني: طبقات الصوفية ٣٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٣٢/١١؛ ابن حجر: لسان الميزان ٣١٤/٢. الأعلام: الزركلي، ٢ /٢٦٠ .

جحودي لك تقديس * وعقلي فيك منهوسُ**

فمـــــــــا آدم إلاك * وما في الكون إبليسُ**

إلى غير ذلك مما هو مبني على القول بوحدة الوجود(١)، التي أبى القول بها كثير من أرباب وحدة الشهود.

---

(١)**وحدة الوجود: لغة:** الوحدة مصدر الفعل "وحد" أي بنفسه. فهي ضد الكثرة. ويقال: كل شيء انفرد على حدة: أي متميز عن غيره. والخلاصة أن مادة "وحد" تشير إلى الانفراد والتميز، كما أنها تدل على التقدم في علم أو بأس.

واصطلاحا: تعنى أن الكائن الممكن يستلزم كائنا آخر واجبه الوجود بذاته، ليمنحه الوجود، ويفيض عليه بالخير والإبداع. وذلك الكائن الواجب الوجود هو الله جل شأنه، لأنه موجود أولا بنفسه، ودون حاجة إلى أي موجد آخر؛ كيلا تمتد السلسلة إلى ما لانهاية. وأن الكائنات الأخرى جميعها مظاهر لعلمه وإرادته، ومنه تستمد الحياة والوجود؛ ولهذا كان وجودها عرضا وبالتبع.

وبناء على هذا، فليس ثمة إلا كائن واحد موجود حقيقة وضرورة، بل هو الوجود كله، ولا تسمى الكائنات الأخرى موجودات، إلا بضرب من التوسع والمجاز. هذه هي النظرية التي تدعى "وحدة الوجود". وقد اعتنقها جماعة من الصوفية بعد أن أخذت الدراسات الفلسفية في الإسلام تضمحل وتتوارى.

وقد تكونت هذه الفكرة في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي. وشاع أمرها في بلاد الأندلس والمشرق، بعد أن اختلط فيها وجود التصوف بالفلسفة اختلاطا كبيرا. وكان من أكبر أنصارها ابن عربي (ت ٦٣٨) وجلال الدين الرومي.

ولم تكن فكرة وحدة الوجود من ابتكار غلاة فلاسفة الصوفية كابن عربي والحلاج والرومي، بل كان لها جذورها لدى فلاسفة اليونان القدماء، من أمثال طاليس وهيراقليطس والرواقيين، ثم أصحاب مذهب الفيض في الأفلاطونية المحدثة.

=ولقد سرت عدوى وحدة الوجود، إلى بعض فلاسفة الغرب، مثل بعض الفلاسفة الفرنسيين الماديين ومنهم"ديدرو"(١٧١٣م-١٧٨٤م) وإلى الفيلسوف الهولندي "سبينوزا" فى القرن الثامن عشر. كما تأثر بها بعض أدباء أوروبا الغربية، ولاسيما أصحاب النزعة الرومانتيكية، الذين اتخذوا الطبيعة موضوعا للتأمل في أدبهم.

وهي -على تقدير صحتها في نفس الأمر- ليس فيها صريح نقل، وإنها لطور ما وراء طور العقل، فلا تصطاد بعنكبوت الفكر وإن دقق، وإنما تفيض على طاهري السر من جانب حضرة الفياض المطلق.

والخلاصة أن وحدة الوجود فكرة خاطئة، لا يقرها عقل سليم ولا دين منزل. وأخطر ما فيها: أنها تنافى التوحيد الصحيح، وتؤدى إلى القول بوحدة الأديان، وإسقاط التكاليف، وإلغاء المسئولية والالتزام الأخلاقي.

انظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مادة (وحدة الوجود).

وقول الشيخ عبد الغني النابلسي[١] ....

عن ابن كمال[٢]

---

(١) **عبد الغني النابلسي** (١٠٥٠- ١١٤٣هـ/١٦٤١-١٧٣١م): عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والادب، مكثر من التصنيف، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عن المخطوطة "٩٧ حديث، تيمور" في دار الكتب المصرية. وتوفي بها.

له مصنفات كثيرة جدا، منها: "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية" و"وتعطير الانام في تعبير المنام" و"ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الاحاديث "فهرس لكتب الحديث الستة، و"علم الفلاحة" و"نفحات الازهار على نسمات الاسحار" و"إيضاح الدلالات في سماع الآلات" و"ذيل نفحة الريحانة" و"حلة الذهب الابريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز" و"الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز" و"قلائد المرجان في عقائد أهل الايمان" رسالة، و"جواهر النصوص" جزآن، في شرح فصوص الحكم. لابن عربي، و"شرح أنوار التنزيل للبيضاوي" و"كفاية المستفيد في علم التجويد" و"الاقتصاد في النطق بالضاد" تجويد، و"مناجاة الحكيم ومناغاة القديم" تصوف، و"خمرة الحان" شرح رسالة الشيخ أرسلان، و"خمرة بابل وغناء البلابل" من شعره، في الظاهرية، و"ديوان الحقائق" من شعره، و"الرحلة الحجازية والرياض الانسية" و"كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين" و"الصلح بين الاخوان في حكم إباحة الدخان" و"شرح المقدمة السنوسية" و"رشحات الاقلام في شرح كفاية =الغلام" في فقه الحنفيه، و"ديوان الدواوين" مجموع شعره، و"كشف الستر عن فرضية الوتر" رسالة، و"لمعات(أو لمعان؟) الانوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار" رسالة، و"خمس مجموعات" فيها ٣٢ رسالة، ذكر الزيات أسماءها في "خزائن الكتب".

قال عنه الزركلي: وأخبرني السيد أحمد خيري أنه أحصى له ٢٢٣ مصنفا.

المرادي: سلك الدرر٣/٣٠، ٢/٤٧٣؛ الجبرتي: عجائب الآثار ١/١٥٤؛ الزركلي: الأعلام ٤/٣٣.

(٢) **ابن كمال باشا** (ت٩٤٠هـ/١٥٣٤م): أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين: قاض من العلماء بالحديث ورجاله. تركي الاصل، مستعرب. قال التاجي: قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه. تعلم في أدرنه، وولي قضاءها ثم الافتاء بالآستانة إلى أن مات. له تصانيف كثيرة، منها (طبقات الفقهاء) و(طبقات المجتهدين) و(مجموعة رسائل) تشتمل على ٣٦ رسالة، ورسالة في (الكلمات العربية) نشرت في

، أنه يجب على السلطان جبر الناس على القول بها على كل حال، مما لا أرى له صحة أصلاً، وإن كان قد قاله فلا مرحبا به ولا أهلا؛ فهذا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم- لم يجبر على ذلك أحداً.

وقول الشيخ إبراهيم الكوراني أن كلمة التوحيد تدل على ذلك - وإن تكلف له - لا يتم أبداً.

والإمام الرباني مجدد الألف الثاني(١) يقول: قد يعرض للسالك، القول بذلك، لكنه لا يبقى، ولا يستقر عليه إذا ترقى؛ بل يعلم بلا مين، أن هناك وجودين، وحقيقتين متمايزتين. ويقول: أين التراب من رب الأرباب؟

وذكر قدس سره أنه اعتراه ذلك في أثناء سيره، ثم ترقى عنه بفضل الله تعالى ولطفه سبحانه إلى غيره.

المجلد السابع من مجلة المقتبس، و(رسالة في الجبر والقدر) و(إيضاح الاصلاح) في فقه الحنفية، و(رجوع الشيخ إلى صباه) مجون، سيأتي ذكره في ترجمة التيفاشي، و(تاريخ آل عثمان) و(تغيير التنقيح) في أصول الفقه.

طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية، ص ٤٢٠؛ الزركلي: الأعلام ١/١٣٣.

(١) **مجدد الألف الثاني**، يعني به: أحمد السهرندي (٩٧١ - ١٠٣٤هـ/١٥٦٣- ١٦٢٥م): أحمد بن عبدالاحد السهرندي(نسبة إلى سهرند بين دهلي ولاهور) الفاروقي النقشبندي. صوفي. من مصنفاته: آداب المريدين، اثبات النبوة، اثبات الواجب، المبدأ والمعاد، والمعارف الدينية.

كحالة: معجم المؤلفين ١/٢٥٩؛ عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ٢/٧٦٠.

وأنت تعلم أن كثيراً من الفلاسفة قالوا بذلك، وكلامهم ظاهر فيما يأبى أن يكون اعتقاد الوحدة حالاً من أحوال السالك. [٤٩/أ]

وبالجملة، خطر القول بالوحدة كثير، ولا يخفى ما هو الأسلم على الصغير والكبير، وما كان الله تعالى بمقتضى فضله وعدله، ليكلف العبد بما وراء طور عقله، ثم يرسل إليه رسولاً لا يفصح له بسلوك ذلك المنهاج، بل يكل أمره إلى أن يفصح له بعد برهة من الزمان الحلاج.

ونهاية الكلام، تفويض أمر القائلين بذلك إلى الملك العلام، مع اعتقاد أن منهم الأجلة الكبار، والسابقين الذين لا يشق لهم غبار.

* * *

ثم سأل عن صحة ما شاع بين الجهلاء والعلماء، من أن صخرة بيت المقدس معلقة بين الأرض والسماء.

فقلت : ومالك رِقّي، لم أعلم من ذكر ذلك إلا البَرْقِي ،

وهو في جـو سمـــاء الصـدق برق خلب ، وسكوت الناقلين له : كعلي القاري[1] والزرقاني[2] أعجب. فقال لي: صدقت، فقد أتيت الصخرة وحققت.

---

(١) **علي القاري:** الشيخ الملا علي القاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي الجامع للعلوم العقلية والنقلية، والمتضلع من السنة النبوية، أحد جماهير الأعلام، ومشاهير أولي الحفظ والأفهام. ولد بهراة ورحل إلى مكة وتديرها. أخذ عن خاتمة المحققين العلامة ابن حجر الهيثمي، قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القرآت والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وشرح المشكاة والشمائل الوترية والجزرية، وصنف كتبا كثيرة، منها "تفسير القرآن" ثلاثة مجلدات، و"الاثمار الجنية في أسماء الحنفية" و"الفصول المهمة" فقه، و"بداية السالك" مناسك، و"شرح مشكاة المصابيح" و"شرح مشكلات الموطأ" و"شرح الشفاء" و"شرح =الحصن الحصين" في الحديث، و"شرح الشمائل" و"تعليق على بعض آداب المريدين، لعبد القاهر السهرودي" في خزانة الرباط (٢٥٠٣ك) و"سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني" رسالة، ولخص مواد من القاموس سماها " الناموسن " وله " شرح الاربعين النووية" و"تذكرة الموضوعات" و"كتاب الجمالين، حاشية على الجلالين" جزء منه، في التفسير، و"أربعون حديثا قدسية" رسالة، و"ضوء المعالي" شرح قصيدة بدء الامالي، في التوحيد، و"منح الروض الازهر في شرح الفقه الاكبر" ورسالة في "الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد" و"شرح كتاب عين العلم المختصر من الاحياء" و"فتح الاسماع" فيما يتعلق بالسماع، من الكتاب والسنة ونقول الائمة، و"توضيح المباني" شرح مختصر المنار، في الاصول، و"الزبدة في شرح البردة" في مكتبة عبيد.، لكنه امتحن بالاعتراض على الأئمة لاسيما الشافعي وأصحابه، واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه، ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم، ومن ثم نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء.

المحبي: خلاصة الأثر، ١٨٥/٣؛ الشوكاني: البدر الطالع، ٤٤٥/١؛ الزركلي: الأعلام ١٢/٥ .

(٢) **يعني كتاب:** شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، وصاحبه الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الأزهري أبو عبد الله المصري المالكي الشهير بالزرقاني المتوفى سنة ١١٢٢ اثنتين وعشرين ومائة وألف. من تصانيفه أجوبة أسئلة إليه نظما ونثرا. شرح موطأ مالك في الحديث. شرح المواهب اللدنية للقسطلاني في إحدى شعر مجلدا مطبوع بمصر. مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي وغير ذلك.

الباباني، هدية العارفين، ١١٠/٢.

ثم قلت: وقريب من ذلك ما ذكره معظم الفضلاء، من أنها أقرب أجزاء الغبراء إلى الخضراء، ولو فرض في ذلك صحيح خبر، ينبغي فيما أرى أن يتبع بتأويل على الأثر.

فاستحسن ما قررت، وذكر شيئًا نحو ما ذكرت، ثم إن الخواجة أحمد أفندي ذكر من شأن تلك الصخرة، أنها تنقسم من تحتها مياه الأرض الحلوة والمُرة، فقيل له: هذا من ذلك القبيل، ليس لمن رشف من بحر التحقيق عليه تعويل. وقلت أنا -والله تعالى يعلم- أني لست بكاذب، قد ذكر هذا البرقي أيضًا في غريب الموطأ ونقله الزرقاني عنه في شرح المواهب.

ثم قال : ما تقول في أمر المهدي؟ فقلت: لا خفاء في ظهوره بعد حين عندي.

فقال: ضَعَّفَ أحاديث ظهوره عبد الرحمن بن خلدون.

فقلت: هو عند بعض الأجلة أجهل في علم الحديث من وَلادة[1] عشيقة ابن زيدون[2]، وعلى صحة ما قاله -على سبيل الفرض- هي كثيرة جداً فيقوي بعضها ببعض، وقد قالوا: إن الضعيف إذا عضد بمثله صار حسناً، وكان العمل بمقتضاه أمراً مستحسناً.

---

(١) **ولادة بنت المستكفي**(ت٤٨٤هـ/١٠٩١م): ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الاموي: شاعرة أندلسية، من بيت الخلافة. كانت تخالط الشعراء وتساجلهم. اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس، وكانا يهويانها، وهي تود الاول وتكره الثاني، حتى وقع بينهما ما وقع وكتب ابن زيدون رسالته التهكمية المعروفة، إلى ابن عبدوس. وفي شعر ولادة رقة وعذوبة إلا ما كانت تهجو به. توفيت بقرطبة.

الزركلي: الأعلام، ١١٨/٨.

(٢) **ابن زيدون** (٣٩٤ - ٤٦٣هـ/١٠٠٤-١٠٧١م): أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون، المخزومي الأندلسي، أبو الوليد: وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالأندلس) فكان السفير بينه وبين الأندلس، فأعجبوا به.

واتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد، فحبسه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف، فهرب. واتصل بالمعتضد صاحب إشبيلية فولاه وزارته، وفوض إليه أمر مملكته فأقام مبجلا مقربا إلى أن توفي باشبيلية في أيام المعتمد على الله ابن المعتضد.

وفي الكتاب من يلقب ابن زيدون بـ(بحتري المغرب). وأما طبقته في النثر فرفيعة أيضا، وهو صاحب (رسالة ابن زيدون) التهكمية، بعث بها عن لسان ولادة إلى ابن عبدوس وكان يزاحمه على حب ولادة بنت المستكفي. وله رسالة وجهها إلى ابن جهور طبعت مع سيرة حياته في كوبنهاجن. وطبع في مصر من شروحها (الدر المخزون وإظهار السر المكنون) وله (ديوان شعر) ولعلي عبد العظيم: (ابن زيدون، عصره وحياته وأدبه) وللاستاذ وليم الخازن (ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه) ويرى المستشرق كور A. Cour أن سبب حبسه اتهامه بمؤامرة لإرجاع الامويين.

ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٤٣/١؛ دائرة المعارف الإسلامية، ١٨٦/١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢١٥/٥؛ الزركلي: الأعلام، ١٥٨/١.

على أنه إذا نظر بعين الإنصاف، ظهر أن القدر المشترك بين أحاديثه متواتر وأن عد كل منها من الضعاف، [٤٩/ب] ولذا ذهب بعض الشافعية إلى كُفر مَن أنكر، ظهور ذلك الإمام المنتظر، وإن كان فيما قاله نظر.

ثم قلت: يا مولاي إن دولة آل عثمان، تبقى على حالها بعد انقراض دولة صاحب الزمان، وقد ذكر هذا الطحطاوي(١) محشّي الدر المختار، في رسالة ألفها في ذلك رأيتها عند شيخ الإسلام(٢) في جميع الأقطار،

---

(١) **الطهطاوي** (ت ١٢٣١هـ/١٨١٦م): أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي: فقيه حنفي. اشتهر بكتابه(حاشية الدر المختار) أربع مجلدات في فقه الحنفية. ولد بطهطا (بالقرب من أسيوط، بمصر) وتعلم بالازهر، ثم تقلد مشيخة الحنفية، وخلعه بعض المشايخ، وأعيد إليها، فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة. ومن كتبه أيضا (حاشية على شرح مراقي الفلاح) فقه، و(كشف الرين عن بيان المسح على الجوربين) رسالة. وفي تاريخ الجبرتي أن أباه رومي (تركي) حضر إلى مصر متقلدا القضاء بطحطا (وهي طهطا) وربما قيل له الطحطاوي.

انظر: علي مبارك: الخطط ٥٦/١٣؛ الزركلي: الأعلام ٢٤٥/١ .

(٢) **شيخ الإسلام**: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسئولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتياً، بدأت ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٢.

وقد أطال في ذلك الكلام، والمعول عليه عندي في هذا المقام، كشف غير واحد من الأولياء الكرام، ومن فروع ذلك الكشف الباهي الأبهر، أغصان شجرة حضرة مولانا الشيخ الأكبر، قدس سره الأنور، وكم قد شرحها فاضل، ولعمري إن جناها لممتنع إلا على كامل، وإني لأرى ذلك ببركة خدمتها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرذف وعظّم وكرّم، [وإنما قلت ذاك اعتماداً على فضل ملك الأملاك لما أن هذه الدولة العلية، لم تال جهداً في تأييد الملة المحمدية، وكم قد صدر منها حث على المعروف وحض، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وقد ذكر غير واحد من أهل الكشف بدوامها إلى خروج المنتظر، ولا يبعد من فضل الله تعالى أن تدوم أكثر](١) وإذاً نسأل المليك الذي بيده سبحانه إدامة الأمور، أن يديم الدولة العلية العثمانية إلى أن يُنفَخَ في الصور.

ثم قال: متى يظهر ذلك المنتظر؟

فقلت: الله تعالى أعلم وأخبر، وأمره عندي كأمر القيامة، فمن يوقِّت قيامها يوقت قيامه، بيد أني أقول: يظهر على رأس مائة من السنين، ولا أدري أي مائة هي من المئين.

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

ثم قال : أتبقى الدنيا أكثر من سبعة آلاف ؟

قلت: في ذلك بين العلماء خلاف، والأصح بل الصحيح عندي: نعم، ولسوف تأتي أمم بعدها أمم، والحديث في ذلك مضطرب المتن والإسناد، فلا يعول عليه عند أئمة الحديث النقاد. نعم، ما بقي من عمر الدنيا أقل مما مضى، وكأنك بهذا أيضاً قد تصرم وانقضى.

ثم استطرد مسألة الرجعة[١] التي يقول بها الشيعة، فقال: لعمري تلك مقالة شنيعة، فقلت: لشناعتها عند ذوي الكمال، أنكر بعض منهم تحققها إلا في عالم المثال،

---

(١) **الرجعة:** الإمامية الإثنا عشرية طائفة من الشيعة تعتقد أن هناك اثني عشر إماماً معصومين، وتتوفر فيهم شروط خاصة لتولي الإمامة وهم أحق بالولاية من غيرهم ويقدمون لذلك أحاديث وقرائن وأدلة على مقتضى مذهبهم. تلتقي الشيعة جميعاً حول قضية الإمامة ولكنهم يختلفون بعد ذلك في عدد الأئمة. ومن معتقداتهم الرجعة. تقول الإثنا عشرية برجعة الأئمة، ويريد أتباع هذا المذهب بذلك عودة الإمام إلى =الظهور بعد الغيبة، أو إلى الحياة بعد الموت. وذهب بعضهم إلى القول برجعة الأئمة وأنصارهم وأعدائهم ليقتص من هؤلاء لأولئك بينما يذهب آخرون إلى تفسير الرجعة بمعنى ظهور الدولة الشيعية وحاكمها الإمام. وقد ربط الشيعة بعض إقامة الدين وأحكامه وشرائعه برجعة الإمام. ولكن في العصور المتأخرة يغلب الرأي الذي يدعو إلى ولاية الفقيه التي تنص على أن الفقهاء يتولون أمر الحكم نيابة عن الإمام في غيبته، وينفذون الأحكام إلى حين ظهوره .والإثنا عشرية جميعاً يقولون بعودة الإمام المنتظر أو الإمام الغائب المهدي الذي يقيم دولة الإسلام كما يقولون.

انظر: الموسوعة العربية العالمية .

والذي اضطره إلى هذا الاستثناء، كثرة ما عندهم فيها من الأنباء، وأما آيات الكتاب الجليل، فلا تدل على ما يزعمونه من التفصيل.

ثم استنوق الجمل، وطويت هاتيك الجُمَل، حتى إذا كانت الساعة الثالثة قام، وودع سلفه المشير بسلام، وكان الداعي لزيارته، وسرعة عوده إلى محل إقامته، أن أخاه المشير، قد عزم على المسير، والاجتماع بأخيه والي بغداد [٥٠/أ] بخربوت، لا جعلها الله تعالى مسكنا إلا للبوم والعنكبوت، فجاء ليلاً لوداعه، وقام سريعًا لئلا يشغله عن مصالحة ومصالح أتباعه، ثم إذًا جميعًا ودّعنا المشير المشار إليه، وعدنا إلى منازلنا ونحن نحنّ عليه.

وفي الساعة الثامنة من تلك الليلة توجه لقصده، نسأل الله تعالى لنا وله الخير في توجهه وعوده، واقترح عليّ سليمان بك عريضة قصيرة، تبلغ الوالي الجديد أدعية عريضة وفيرة، فأجبته في الحال، خشية من سوء ظن ذلك الوالِ، وهذا ما قاله لسان القلم، وأنا في زوايا الهموم لا أعلم:

معروض عبد داعي، وراعٍ مراع في سرح آماله بمولاه أزكى المراعي، لدى حضرة وزير أخذ به الرشد إلى أقصاه، وجبذه السعد حتى صرف بهمته كل نحس وأقصاه، من غدت دائرة قطر العراق مترعة فرحًا بولايته، وبدت كرة الوفاق دائرة مرحًا على محور تدبيره عدالته، حضرة أفندينا ولي النعم، ومولى أنواع الكرم، جعل الله تعالى قناة الزوراء مثقفة بهمته، وطغات ذوي الشقاق والشقاء متفقة على طاعته، آمين.

إن الداعي لما حلّ ديار بكر، وحل إزرار كل نصب وضر، سمعت من حضرة مشيرها أخيكم الأمين المأمون، إن دار الخلافة بغداد قرت منها بولاية حضرة الرشيد العيون، فزال بالكلية تَرَحي، وكدت أطير من مزيد فرحي، وتمنيت أن أكون البشير لأهلها، فأدخل السرور على شيخها وطفلها، إلا أن حبي لأن أكون من بينهم أول رامق قمر معاليكم، وأسبق مُوالٍ انتظم بحسن الولاء في سلك مواليكم؛ أقعدني في ظل عناية أخيكم عبدي باشا، وأقامني لرفع أكف الدعاء لكم وله بما يزيدكم انتعاشًا، والآن قدّمتُ عريضة الإخلاص أمامي،

وجعلت صحيفة الاختصاص إمامي، ورجوت من عبدكم المخلص بحضرتكم فيما يسر ويبدي، كاتب ديوان الإنشاء سليمان فائق بك أفندي، أن يتخذ عند بلقيس سبا وجودي بحمل الكتاب يدا، وما كنت لولا جلالتكم لأرجو من سليمان أن يكون هدهدا [٥٠/ب]، وحسدته وإن لم أكن حسوداً، على أن يكون نور طلعتكم له قبلي مشهوداً.

وقد تواترت الكتب من سكنة بغداد بإظهار غاية السرور، وتضافرت الأخبار باستبشار الحاضر والباد باستقامة جميع الأمور، وأنهم يسألون الله تعالى ليلاً ونهاراً، ويبتهلون إليه -عز وجل- سراً وجهاراً، أن يعجل حلول ركابكم العالي، وبزوغ بدركم المتلالي، وإنهم كلهم إناثاً وذكوراً، ينادون بأعلى صوت: جعل الله تعالى هذا الرشيد منصوراً. و قلبي ولساني من هنا يقولان آمين، يا من يجيب الداعين ولا يخيب السائلين. إلى أدعية ملئت بها ديار بكر، ولم يدعها قبلي زيد ولا عمر، في سر أو جهر. والأمر لمن له الأمر ... انتهى.

وفي اليوم الرابع عشر، من أيام هذا الشهر، جاء لزيارتي أحمد بك أحد رؤساء النظام، فأفهمني أنه من قيصر وأنه قائمقام، وذكر لي أنه ذو قرابة من شعبان بك أفندي، فتضاعف لذلك توجهي إليه وودي، فشرعنا نسرد مزايا المومأ إليه، ونترجم سيرة والده ونترحم عليه، فأنعم بهذا الولد وذاك الوالد، وأكرِم ثم أكرِم بماجد نجل ماجد، ورأيت الرجل حيياً جداً، وأديباً لم أجد لأدبه حداً، وأفادني أن آبائه علماء أعلام، لكنه بسبب النظام لم يكن له في سلكهم انتظام، فقلت من المجاهدين، وفضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ثم تغدينا جميعاً، وبعد الغداء غدا إلى محله سريعاً.

وفي مونس الخامس عشر من المحرم[1]، ذهبت للاستيناس إلى بيت السيد المكرم، أعني به ذا القدر العلي، السيد أحمد أفندي القلعلي، فوجدته قد دخل الحرم، لإيناس مَن فيه من الحرم، فجعلت أطالع كتاباً رأيته في حجرته،

(١) يوم الخميس.

وأنتظر هناك بزوغ بدر طلعته، فبينما تسرح حواسي في حواشي رياضه، وتسبح غرانيق خيالي في سلسال حياضه، إذ رأيت رجلاً دخل عليّ الحجرة، وقد ظهر ما داخَلَه وأترع داخِلَه من المسرّة، فأمعنت فيه النظر، حيث كان في ثياب السفر، فإذا هو النائب المنيب، والمحب الحبيب [٥١/أ] ذو الفطنة الوقادة والفكرة النقادة، ولدي القلبي إبراهيم أفندي الحاج بكتاش زاده، فضممته إلى صدري، ودمع السرور يجري على خدي ونحري، فلم أزل أداوي بلثم خديه أسى وغرامًا، حتى عادت بفضل الله -تعالى- نار نمرود الفراق بردًا وسلامًا، فأين إبراهيمي المذكور، مما قال فيه الشاعر المهجور:

مَرّ وما سلّم من عُجبه *** وماسَ تِيهاً وتَثَنّى احتشام

فقلت إبراهيم بردًا أرى *** بنار خَدّيك فأين السّلام

قلما استقر به المقام، وزال بطيب الكَلَام الكِلام، جاء السيد المومأ إليه، لا زال الخير وافداً عليه، فابتدأه بالترحيب والتكريم، وقال: سلام على إبراهيم، فطاب لنا هناك جانباً اليوم، وبقينا إلى أن طالبنا صبي العين بالنوم، فقمنا إلى المنام وودعنا ذلك السيد بسلام.

ثم جاءني في اليوم الثاني، فسألته عما أطاره عن بيضه، وراعه حتى فَرّ من روضه؟

فقال: عُذْوى العِدى، وعَذوى ذوي الاعتدا، فقد رموني بَعد بُعدك عن قوس واحدة، وعزموا غِبّ غيبتك على إحراقي بنيران قلوب واجدة، وأيقظوا عليّ فتنة كانت نائمة، وقيضوا لي فتية في مراعي الفساد سائمة، وملأ خبيثهم الغُوَيرَ أبؤسا، وغدا خنيثهم عُثَيثَةً تقرم جلدا أملسا، فتجنبت عنهم لمّا هبتهم، وفررت منهم لمّا خفتهم، وودعت مدينة

السلام بسلام، وغدوت أرمي سلم الغرام بسلام، وتركت الأحبة والأولاد، وخرجت مع البازي عليّ سواد :

ولولا المزعجات من الليالي ... لما ترك القطا طيب المنام

وذكر لي أن قد جرت أمور، منها السماء تمور، وظهرت أشياء، تجعل الجبال هباءً، وبرزت خبايا، ما ضمتها زوايا، وبدت الدِعاث، واستنسرت البُغَاث.

فقلت: يا بني –وأبيك- لم تزدني علماً، ولم تكشف لي بوصفك عَمّاً غَمّاً، وإني لأعلم من خبر الأقوام فوق ما تقول، ومن خيّر العوام [٥١/ب] ما وراء طور العقول، وكم للزوراء إزورار عن أجلة أهلها، وكم لها إنكار على من اعترف بجليل فضلها :

وللـــزورا أحاديــث طِـوال * إذا تُلِيـت أحاديـث البـــلاد**

وكم قاسيتُ فيها من أمورٍ * يشيب لذكرها لمم المـداد**

لكن قل لي: أما كان لك من الأحباب منتصر ؟

فقال: هان علي الأملس ما لاقى الدَبِر[1].

فقلت: ألم يكن ثَمَ الثّمال والأشمّ الذي تهابه شُم الجبال، والدي وسيدي، عبد الغني أفندي؟ وأين كان ليث الوغى، جناب سليمان أغا؟

فقال: أنعمت وأكرمت، وهما فوق ما أشرت، ولم يقصرا -أطال الله تعالى عمرهما- في نصري، وبجناحي شفقيتهما طار واقع نسري، ومع ذا رأيت الأوفق الفراق، وقطع عرق الغرام بطلول العراق، فألقمت الخصم الحجر، وامتطيت مشمعلات السفر، فأنا اليوم ولله تعالى الحمد في عِزٍ عزيز، وحالٍ حالٍ مطنب القول فيه وجيز :

---

(١) هان على الأملس ما لاقى الدبر: مثل يضرب لمن لا يهتم بأمر صاحبه. كما قال الثعالبي، وقال الشيخ بهاء الدين العاملي: هذا مثل يضربونه في الرجل القليل الاهتمام بشأن صاحبه. والأملس: هو صحيح الظهر، والدبر: الذي قد دبر في ظهره. يعني أن صحيح الظهر يهون عليه ما يلقاه دبر الظهر من ألم ومشقة، لأنه لا يحس بالألم مثله. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ٧١/١؛ العاملي: الكشكول، ٣٠٠/٢ .

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب**

فقلت: أوشك أن يتحد مذهبك ومذهبي، إلا أنه تأبى ذاك بنات ألببي[1]:

وما أنا إلا من غزية إن غَوَت * غويتُ، وأن ترشد غَزِيةٌ أرشد**

وهيهات أن أسلو بغداد، أو أميز عليها -على علاتها- ما رأيت من البلاد [لمؤلفه][2]:

---

(١) تأْبَى لَهُ ذَلِكَ بَنَاتُ أَلْبُبِي: قالوا: أصل هذا أن رجلا تزوج امرأة وله أُمٌّ كبيرة فقالت المرأة للزوج: لا أنا ولا أنت حتى تُخْرِجَ هذه العجوز عنا فلما أكثَرَتْ عليه احتملها على عُنقه ليلا ثم أتى بها وادياً كثير السباع فرمى بها فيه. ثم تنكر لها فمرَّ بها وهي تبكي فقال: ما يبكيك يا عجوز ؟ قالت: طَرَحَني ابني ههنا وذهب وأنا أخاف أن يفترسه الأسد فقال لها: تبكين له وقد فعل بك ما فعل ؟ هلا تدعين عليه قالت: تأبى له ذلك بَنَاتُ أُلْبُبي

قالوا: بناتُ ألْبُب عُرُوقٌ في القلب تكون منها الرِّقَّة قال الكُمَيْت:

إليكم ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تطلَّعت ... نَوَازِعُ من قلبي ظماءٌ وألْبُبُ

والقياس ألُبٌّ فأظهر التضعيف ضرورة. يضرب في الرقة لذوي الرحم

أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال، ١٣٣/١

(٢) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

ديـــارٌ بهـــا حَـــلّ الشبـــاب تمائمـــي * وأوّل أرضٍ مـــسّ جلـــدي ترابُهـــا
فـــإن عجّـــزت يومًـــا لســـوء زمانهـــا * فـــإني لأرجـــو أن يعـــود شـــبابُها
وإن حاربَتْنـــي بُرهـــة بجهالـــةٍ * فعمّـــا قليـــل يتقينـــي حِرابَهـــا
هي الـــدار حاشاها تصـــرّ علـــى قِلـــىً * لمثلي وإذّي فـــي ســـماها (شـــهابُها)
وكـــم جَدّلتَهـــا مـــن عِهـــادي ديمـــة * ففـــاخر ســـُغداً ســـوحُها وهِضـــابُها
وكـــم ذُدتُ عنها من يروم هجاءهـــا * بصمصـــامة عَبلـــى الرقـــاب قِرابُهـــا
وكـــم خضّبـــت بيـــن الأنـــام مدائحـــي * لهـــا لِمَمـــاً لا ينصـــلنّ خِضـــَابُها
ومـــا أنكـــرتْ فضلـــي أُسُودُ عرينهـــا * ولســـت أبـــالي أن عـــوتني كلابُهـــا
ومن كان كالشمس المضيئة في الضحى * فعمّـــا قليـــلٍ عنـــه يُجلـــى
ومـــن كانـــت العَليـــاءُ مُغرَمَـــةً * ســـــــــــــــــــــحابُها[٥٢/أ]
بـــه * فليس يـــروع القلـــبَ منهـــا ذِقابُهـــا
كفانـــي أنـــي لـــم تلدنـــي لئيمـــةٌ ونفســـي بلـــؤم لـــم يُدَنّـــس إهابُهـــا

وفي اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور، أنعم الله تعالى شأنه صحاف أيامه ولياليه بموائد السرور، سالت بأعناق مطايا والي الزوراء بطاح[1] آمد، ولم يزل يأتي منهم إلى ديار بكر الواحد بعد الواحد.

بحث : حضرة ويسي بك أفندي المحاسبجي:

وأول جاءٍ مَن جمع كل ضرب من المفاخر، وقسّم منها ما قسّم على ضروب الأكابر والأصاغر، وقابل من رجاه بالإحسان حتى حصل له الجبر الأعلى بتلك المقابلة، واستخرج المجهولات بثاقب فكرٍ لا تجد مدى الزمان في كفة ميزان العقل معادله، المغنى بجداول رقيم حافظته عن الرقم الهندي، رئيس محاسبي العسكر الحجازي والعراقي (ويسي بك أفندي) فذهبت صباحًا للسلام عليه،

---

(١) التضمين هنا من الأبيات التالية:

ولمّ قَضَيْنا مِن مِنىً كُلّ حاجَةٍ ... ومَسّح بالأرْكان مَن هو ماسِحُ
وشُدّتْ على حُدْبِ المَطايا رِحالُنا ... ولا يَنْظُرُ الغادي الذي هو رائحُ
أَخَذْنا بأَطْراف الأحاديثِ بَيْنَنا ... وسالَتْ بأَعْناقِ المَطِيّ الأباطحُ

= وهي أبيات مشهورة نسبت لأكثر من شاعر، فقد نسبها أبو الحسن البصري في الحماسة البصرية إلى عُقْبَة بن كَعْب بن زُهَيْر؛ وعزاهما العباسي إلى ابن الطّثريّة، وغيرهم إلى كثير عزة. الجرجاني: أسرار البلاغة، ١/١١٥؛ أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، ١/١٤٩؛ العباسي: معاهد التنصيص، ١/١٧٥.

لما أن إخبار الأخبار شوّقَني إليه، فرأيته -سلمه الله تعالى- العجب العجاب، والفرد الكامل الذي لا يدخل في الحساب.

وزارني قبيل العصر، فعصرنا كرم المنادمة أكرم عصر، وأتحفني بكتاب أثار وجدي، حيث كان من آثار المولى الأمين خان أفندي، والذي قدّمنا ذكره، وشرحنا من قبل أمره، ففضضت ختمه، وتحققت رقمه، فإذا هو تحريره وتحبيره، وتسطيره السامي وتقريره، ولِوَلَهِ القلب به ومزيد أواره، أحبب أن أداوي ما بي بإثبات شيء من سنيّ آثاره، ولم أبال بأنه لم يتقشف، فتلك لعمري عادة السلف، وإنها عندي لأحلى من القَرْقَف، وهذا هو الكتاب، بلفظه المستطاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله، المهاجر في سبيل الله إلى حضرة السيد الكريم، والمولى الفخيم، آية العلوم والدين، وعلّامة العلماء والمفسرين، ومحيي السنة والدين المبين، ومجدد شريعة سيد المرسلين، عالم علوم القرآن العظيم، وكاشف معاني كلام الله القديم، سيدي ومولاي مفتي دار السلام بغداد، صانه الله تعالى من شر أهل العداوة والفساد، بالنبي وآله البررة الأمجاد، [٥٢/ب] التسليمات الزاكيات، والتحيّات الوافيات، عليكم ورحمة الله تعالى، ولا زالت سحائب رحمة ربنا تمطر عليكم وتتوالى.

أمّا بعد، فقد مضت الأيام والشهور، بعد مفارقتكم لنا يا أهل العلم والنور، وبلغت الأشواق إلى النصاب، وقربت نيران الفراق في قلبي إلى حد الالتهاب، فكتبت هذه العريضة إلى جنابكم المستطاب، فوالذي نفسي بيده ما أنا بعد الترحال، وفراقكم عنا [يا ملاذنا][١] إلا كمن قال:

---

(١) هذه الزيادة من النسخة المطبوعة.

تَرَحَّل بعضُنا والبعضُ باقي * ودمعي خمرة والجفن ساقي**

سقتني نائباتُ الدهرِ كأسًا * مريراً من أباريـق الفراقِ**[1]

ولله تعالى در من قال :

لله أيــام الوصـــــال كأنهـــا * كانـت لسرعـة مَرِّها أحلامًا**

يا عيشنا المفقود خُذ من عمرنا * أعوامــــه وأردد بهـــا أيامـًا**

فيا سيدي ومرادي، وحِبِّي وحَبَّة فؤادي، لولا بُعد المسافة وضُعف البدن، وعدم الطاقة لتحمل ما في السفر من المحن، لسرت مع القوم، لأزور مجلسكم الشريف كل يوم، ولو كان لي جناح لطرت إلى حضرتكم الباهرة، لأستفيد من بحار علومكم الزاخرة، لكن كيف الطيران بلا جناح، وهل على من لا يجد جَناحًا من جُناح،

---

(١) البيتان للشيخ حسن بن زين الدين العاملي من قصيدة مطلعها:

فــؤادي طاعـن إثــر النيـــاق ... وجسمي قاطن أرض العراق

ومن عجب الزمان حياة شخص ... ترحل بعضه والبعض باقـي

وحل السقم في بدنـي وأمسـى ... له ليـل النوى ليل المحـاق

بهاء الدين العاملي: الكشكول، ١/٩٠.

فوربِّ البيت ليس في قلبي المُعَنَّى أمل إلا التلاقي والوصال، ومرور الأوقات على دوام الاتصال، لكن الزمان يضنِّ ويبخل، بما يهوى القلب الشجيّ ويأمل :

ما كُلّ ما يتمنىَّ المرء يُدرِكهُ * تَجري الرِّياحُ بِما لا تشتهي السُّفنُ**(1)

---

(1) قائله المتنبي، من قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدي صاحب مصر ولم ينشدها له، وكان اتصل به أقواماً نعوه في مجلس سيف الدولة، وأولها:

بِمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

أريدُ من زَمني ذا أن يبلغَني ... ما ليسَ يبلغُهُ في نفسه الزمنُ

العباسي: معاهد التنصيص، ١/٥١؛ الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ١/٣٣٢ .

والله تعالى أعلم أني لا أنسى محبتكم ما دمت حيًا، أو صرت بعد الموت تحت أطباق الثرى نسيًا منسيًا، وأما المسئول الأسنى، والمقصود الأقصى، من كمال فضيلتكم، وصفاء مراحمكم ومحبتكم، أن تتفضلوا على أسير ودِّكم، في قربكم وبعدكم، بإرسال مكتوبكم العالي، وأمركم السامي إلى النجم المتلالي، لأخفف به حرقة الانفصال، وافتخر به بين الأقران والأمثال، بلغكم الله تعالى في الدارين إلى مناكم، وعمّر -جل وعلا- بفضله آخرتكم ودنياكم [٥٣/أ] بالنبي وآله الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

حرّر في الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة ١٢٦٨ المخلص الداعي الداغستاني الحاج محمد الشهير بخان أفندي الساكن في بلد توقاد.

ثم كتب في ذلك الكتاب هذين البيتين، الذين طافت بهما الركبان ما بين الخافقين:

كتبت وفي فؤادي نار شوق * لها لهب وفي جفني سحاب**

فلولا النار بلّ الدمعُ خطّــى * ولولا الدمع لاحترق الكتاب**

ثم كتب سلام الفاضل عبد الرحمن أفندي عليّ، حيث يعلم أنه من الأحبة الأعزة لديّ.

ولما كان الجواب لازمًا عرفًا وشرعًا، وقد عدوه وصلاً يقوى به حبل المودة قطعًا؛ سارعت الأقلام، إلى إرساله على بريد الأرقام، وشمّرَت على كَلالها للسعي في ذلك ولم تكسَل، وجدّت إذ وَجَدَت أن صاب السعي خير من عسل الكَسَل، وهذا أثر سعيها، مع فرط عِيّها وعَيّها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام سلم -بلا مراء- من كل عيب، ودعاء رفعته -بلا ادعاء- أكُفّ الإخلاص إلى عالم الغيب، وثناء تثنى بين كل جمع، وثنى ركبته على منصة الصدق بدليل العقل والسمع، يُهدى من عبدٍ عائذٍ بمولاه، عائد إليه بالتوبة مما أقصاه، إلى مولى أؤتمن على كرائم الأخلاق وما خان، ووفق لمراضي الملك الخلاق وما حان، فترى المحاسن ملء إهابه، والإحسان عنوان كتابه، ولم يترك منقبة إلا حازتها نقيبته، ولم يدع قربة إلا تحلت بها صحيفته، قد زهت بثمار زواهر طاعاته أشجار علومه، وأترعت بكبار جواهر تحقيقاته بحار فهومه، حضرة المهاجر الذي غدت القلوب أنصاره، والباهر الذي عَدّت الأيام من حسناتها آثاره سيدي وسندي الأكمل الأوحدي، أبو الفوز الحاج محمد خان أفندي، أولاه الله تعالى مزيد فضله وولاه، وعمّر -عز شأنه- بالصالحات أخراه وأولاه ..

[٥٣/ب]

وبعد..

فقد وَرَدَ عليّ كتابكم، ورَدّ إليّ شارد سروري خطابكم، وقد صادف ذلك إقامتي في ديار بكر، ولهجي بذكركم بين جماعتي لهج النحوي بزيد وعمرو، فجعلت أداوي بطيبه وجدي، وأتغنى به إذا خلوت وحدي، وغدوت أسترفده دَرّ لطيف الفهوم فيُرْفِد، وأستنجده في رد كثيف الهموم فيُنْجِد، فلله تعالى دَرّه من كتاب أبهى دُرّه، ومن خطاب ما أشهى لرضيع القلب دَرّه، وقد أفدتم فيه العبد، أنكم بَعد بُعده في مزيد وجد، فيا أيها المولى الجليل، ما أنا وأنتم إلا من قبيل ما قيل :

لئن غبتُ عنكم بالعباد فأنتم * مقيمون عندي في الفؤاد وفي الحشا**

وأرجو من الرحمن طيب وصالكم * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا**

ويشهد الله تعالى أني شاكر لأياديكم، ناشر حيثما كنت صفات مجد جمعت فيكم، لم أزل أنشد في المحافل، قول الشاعر الفاضل :

إن ترحلت أو أقمت فعندي * فيض دمع يجريه وجدٌ مقيمُ**

وفؤادي ذاك الفؤاد المعنّى * وغرامي ذاك الغرام القديم**

وحاشاني أنسى هاتيك الأيادي، أو أنسئ شكر ما شاهدته منكم في ذلك النادي، لا أخلى الله تعالى سماء تلك الديار من بدركم السامي، ولا أقفر عراصها القفار من وابل إحسانكم الهامي، ولا زلتم أنتم ومن يلوذ بكم في حَيِّزِ خيرٍ رحيب الفضاء، ملحوظين بعين الرضى محفوظين من أسر شر يأتي به فارس القضاء.

هذا وأرجو إبلاغ سلامي ومزيد وجدي، جناب أخي وحبيبي عبد الرحمن أفندي، وجناب ذي الخلق العطر الندي، أخي النجيب عبد السلام أفندي، وجميع أبناء العم، وقيتم وإياهم من الهم والغم. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تحريرا في ٢٩م [محرم] سنة ١٢٦٩. المخلص الداعي، ومن هو للحقوق مراعي، محمود الشهير بآلوسي زاده، غمرنا بأنواع الخير والسعادة. . انتهى.

* * *

وكتبت ما جاء عفواً إلي بناني، ولم أكلف أدهمي عدواً على شوارد المعاني [٥٤/أ] تأسياً بالفاضل المتفضل بإرسالي الكتاب، وليتطابق في ذلك الأصل والجواب، على أن الذهن أشغل من ذات النحيسين، وأذهل في ديار بكر من أم الرضيعين، والقلم قد ضج من لغب إلى باريه، والمداد قد شيب فؤادي فؤاده ما يعانيه:

وإني مللت السجع من أجل أنه * بمعظم أرض الروم قد كسد السجعُ**

وكم فقرة قد أحكمتها قريحتي * تلوت بأرجائها فما ساغها سمعُ**

وما كان من عيب بها غير أنها * عروبة عُرب والعراق لها رَبع**

فما حيلتي يا سعد والعيب ما ترى * بلى حيلتي أن لا يُرى مِني الصدع**

وقد كنت قلت أيضاً قبل ذلك، لِما أن شاهدت ما شاهدت من فضلاء تلك الممالك :

ألا إني كرهت السجع حتى * كرهت لذاك ساجعة الطيور**

ولم أكرهه من عيب ولكن * لما في السامعين من القصور**

ولعمري لقد ندمت على ما أسلفت من السجع، وإن كنت أعلم أن ليس للندم على ما ذَدَّ نفع، ولقد كنت أفعل وأنا الهزبر فعل الذباب حيث فقدت هناك أجناسي، فأحك راحتي ندمًا على ما تلوت من ذاك ثم ألطم بهما وعينيك رأسي، ولولا أن عزيمتي التوجه إلى أحباب، هم ورب الشِعرى رياض الآداب، لسكت إلي أن تنطق الجلود، ولأرحت خَلَدي إلى يوم الخُلُود.

وفي اليوم السادس والعشرين من محرم الحرام، وكان من حيث المطر والهواء أهون الأيام، ظهر خير خبر، وأبرّ أثر، وهو خبر عزم والي الزوراء وعلي الوزراء، على دخول مدينة آمد السوداء، وتنوير أرجائها بأنوار طلعته الغراء، فذهبتُ مع وجوه البلد، وهم كأصابع الكف في العدد، إلى حضرة واليها، ومن إليه مرجع أهاليها، فجلسنا عنده على أحسن حال، ثم قمنا جميعًا للاستقبال، فقعدنا برهة من الزمان، في خيمة نصبت عند كشك السيران، حتى إذا لاح خميس ذلك الوالي، وأقبل نحو نار كتابه العالي [٥٤/ب] أسرعنا لاستقباله، واستكشاف حالي حاله، فأدركنا ذلك الشهم، على نحو غلوة سهم،

فإذا هو والٍ رشيد ومشير مأمون، له احتفال برعيته حتى كأنه ينظر إليهم بأربعة عيون، وقد صحبه سليل الأجلة الأمجاد، مولانا محمد عبد الرؤف أفندي البرلبه وي قاضي بغداد، فرأيناه سجل المفاخر، قد ورث الفضل كابراً عن كابر، وكذا جناب ذو الخلق النفيس، عبد الله أفندي نائب بدليس، وكان منتسباً إليه منذ كان، مشيراً في إيالة كردستان، فيقال إنه جلبه إلى خربوت وتوسط له بالنيابة، فملأ من عباب رسومها على الوجه المرسوم أهابه، وقد أمره برفاقته، إلى محل إقامته، وهو حسب القياس والاستحسان حري بالاستصحاب، فقد وقع الإجماع على عمله في المصالح المرسلة إليه بالسنة والكتاب.

وقد جمعنا العَشاء مع المومأ إليه في بيت المفتي، فرأيت منه ما يقضي بمزيد نجابته ويفتي، ولم نزل نجتمع كل ليلة عند الوزير معه، فنكاد نحيي بحلو السمر الليل أجمعه، وقد علمت من أمر الوالي، في هاتيك الليالي، أنه لا نظير له بين الوزراء، ولا نظرت مثله عين الزوراء.

[العودة إلى بغداد] :

ولما كانت ليلة الخميس سادسة صفر، صنع المفتي وليمة لم يبق فيها ولم يذر، فبعد أن رفعت ألوان الطعام، ونصبت في البين موائد الكلام، أخبر بخير خبر، فقال: غداً -إن شاء الله تعالى- نمد سفرة السفر، فامتلأت آنية الفؤاد سروراً، وكنت من قبل بمعتّقة الهموم مخموراً.

المنزل الرابع والعشرون : الكرخ(١):

حتى إذا أفرغ من السرور قلب المشكوة المحرور، وفرغ لسان الصباح من تلاوة آية النور. قمنا لأخذ الأهبة للمسير، فسرت الساعة الرابعة متوكلاً على الله تعالى مع الرشيد المشير، ولم أنزل في البين إلا لصلاة الظهر ركعتين، ولم أزل أسير رفيق أخٍ ما قلت منه منذ عرفته أخ، حتى أتينا الساعة العاشرة قرية أكرادٍ تسمى (الكرخ) فذكرني ذلك كرخ بغداد، ودعا الداعي بها فكاد يفر من قفصي طائر الفؤاد. دعا باسم ليلى غيرها، فكأنما أطار بليلي طائراً كان في صدري.

---

(١) **الكرخ:** جعلها المقدسي في أحسن التقاسيم إحدى مدن سامراء، وقال الإدريسي: ومن سر من رأى إلى الكرخ ستة أميال والكرخ مدينة صغيرة عامرة بشرقي دجلة .
الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢١٢/١ .

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أطار بليلى طائرا كان في الصدر[٥٥/أ]**

وهيهات ما بين الكرخين وإن اتحدا في المقال، فما هما لعمري إلا كالمسيح بن مريم والمسيح الدجال :

لا يفيد الثرى حروف الثريا * رفعــــةً أو ينالهـــا استعــــلاء**

فنزلت في بيت رجل كردي، أنا وذلك الأخ سليمان بك أفندي، فجعل يرطن معنا بلسان كأنه عزيمة جان، ومن العجب أنه أعيى أمره -وحرمة من علم منطق الطير- سليمان، فوسطنا لمصالحنا الإشارة في البين، فقال ببنانه: على الرأس والعين. وربما أبدل باللسان البنان، فقال بوجه ضاحك: سرسران سرجوان.

فلما أعلن المؤذن بصلاة العِشاء، جاء رسول المشير يدعوني للعَشاء، وبعد أن أكلنا ما أكلنا، تناولنا من فواكه الحديث القديم ما تناولنا، حتى إذا قاربت الثريا تفرغ من ذرع قبة الفلك بشبرها، عدنا إلى حجرة تتراقص صبية زنوج البراغيث في حجرها، فطار نومي من وكره،

وبقيت أعاني دمّل الليل حتى ظفرت بفجره، وهناك خطر ببالي البالي، قول الأمير أبي الفضل الميكالي[1]:

أهلاً بفَجْرٍ قد نَضى ثوبَ الدّجى * كالسيف جُرّدِ من سَوَادِ قِرَابِ**

أو غادةٍ شقّتْ صِداراً أزرقاً * ما بين ثدييها إلى الأتراب**

فلما شارفت غادة النهار أن تسفر عن وجهها الوضاح، وهمت أن تجر فاضل ذيلها في بطون البطاح صليت الصبح بسنته، ثم اشتغلنا بمصالح الرحيل وأهبته، وفي أثناء المسير، نزلنا للغداء مع المشير، وبعد مضي ساعتين، انفردت فجمعت مقلداً الإمام الشافعي الصلاتين، وما على من قلد غير مذهبه من بأس، وإن لم يكن هناك أمر ماس، ما لم يحصل بذلك تلفيق، فإنه غير صحيح على ما هو التحقيق.

---

(١) **أبو الفضل الميكالي** (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٥م): عبيدالله بن أحمد بن علي الميكالي، أبو الفضل: أمير، من الكتاب الشعراء. من أهل خراسان. صنف الثعالبي " ثمار القلوب " لخزانته. وأورد في "يتيمة الدهر" محاسن من نثره ونظمه، ومختارات من كتابه "المخزون" المستخرج من رسائله. وسماه صاحب فوات الوفيات "عبد الرحمن بن أحمد" وأورد من شعره ما يوافق بعضه ما في اليتيمة، مما يؤكد أنهما شخص واحد، وذكر له من المؤلفات "مخزون البلاغة" و"المنتحل" سبق أن طبع منسوبا إلى الثعالبي، و"ملح الخواطر ومنح الجواهر" و"ديوان رسائله" و"ديوان شعره" وفي كشف الظنون أسماء بعض هذه الكتب وتسمية مؤلفها "عبيدالله بن أحمد" كما في ثمار القلوب واليتيمة.
الزركلي: الأعلام، ١٩١/٤ .

المنزل الخامس والعشرون : تزيان :

وبعد قليل من الزمان حططنا الرحال في قرية تسمى (تِزْيان)، وهي بكسر التاء المثناة الفوقية بعدها زاي ساكنة وياء مثناة تحتية، قرية تشتمل من البيوت على نحو ثمانين، وكلهم-والحمد لله تعالى-من المسلمين، وفيها جامعان [٥٥/ب] تقام في أحدهما الجمعة، وفيه بالنسبة إلى كثير من جوامع القرى سعة، ويبلغ الثلج أحياناً في شتاها ذراعاً، وقد يبلغ فيما حواليها بلا مبالغة باعاً. وكان أكثر سيرنا بين جنادل وصخور، ومياه عذبة تنبت في أفئدة السائرين أزهار السرور.

ولما جنّ علي الليل، حلّ بجبتي من مجانين البراغيث الويل، ولم تزل إلى الصباح في رياض جسمي سارحة، فيا لله تعالى العجب ما أشبه الليلة بالبارحة، وباتت على أهنئ قِرى عندي، ولم تقرب فراش سليم بك أفندي، فما أدري أحست بملوحة في مليح جسمه ؟ أم أهابته حين سمعت بشريف اسمه ؟

وأضاع دواتي في الطريق نصيف، وكم قد أضاع أدواتي ذلك الوصيف الكثيف، فعاد يفتش عنها فوجدها بين الصخور، وذلك -وحرمة اللوح والقلم- من عجائب الأمور.

ولما غرب القمر، وهب نسيم السحر، وقارب أن يرى غراب الدجا بين مخلبي بازي الصباح، فيندبه الديك ويملأ أسفاً عليه قفص الجو بالصياح. أخذنا الأهبة لصلاة الفجر، وثرنا من الفرش غير مبالين بمزيد القر، وأثر ما دلع الفجر لسانه، وهز على شريد الدجا سنانه، أدينا الصلاة المفروضة والمسنونة، وكل منا لفرط النعاس لا يستطيع أن يفتح جفونه، فترى أناسي الأحداق كأنها غرقى في لجة الكرى، تتشبث بحشيش الأهداب لما عراها ما عرا.

المنزل السادس والعشرون : ماردين[١]

وقبل أن يبدو قرن الغزالة، وتستغني مشكاة الليل عن ذباله سرنا طائعين، إلى مدينة (ماردين) ولم نزل نسير بين جنادل وجبال، هي حتى عند خفيف العقل أثقل من منن الرجال، حتى دخلنا في الساعة السابعة البلد، وهي على وتد لا يكاد يرتقي إلا بسبب التوفيق الإلهي أو سلم المدد،

---

(١) **ماردين:** ماردين Mardin (مريد Maride مارد Marde): مدينة في تركية الآسيوية -الأناضول- مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية كردستان. تقع على دائرة عرض ٣٧,١٨ وخط طول ٤٠,٤٤ على الحدود السورية.
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٥٢ .

فحططنا الرحال في بيت فخر السادة، جناب المفتي عمر شوقي أفندي أغا زاده، فرأيته قد جمع العدل والمعرفة، وحاز من صفات الفضل ما لا أقدر أن أصفه، وهو حسيني النسب، من جهتي الأم والأب، ولد في سنة [٥٦/أ] خمس بعد المايتين والألف، من هجرة واحد الآحاد النبي الصفي الذي لا يحيط بكماله وصف، وتولى الإفتاء في السنة الثامنة والخمسين، فسرّ إفتاؤه الإسلام والمسلمين، ولما انحلت عرى قواه، وعرى بصره ضعف قوي عجز به عن تحرير فتواه، قلد أمر الفتوى ولده ذا الخلق الرندي، عزيز مصر الحُسن يوسف أفندي، وكان مولده في السنة الثانية والثلاثين، وقد جمع من الفضل على صغر سنه ما تفرق في كبار ماردين، وللمفتي المومأ إليه– لا زالت ألسنة الأقلام مثنية عليه- نظم بالألسنة الثلاثة نفيس، وقد عرض عليّ منه عدة قصائد تحكي ريش الطواويس، قد أشبه الروض في وشى ألوانه، وتثنّى تثني أفنانه، وإشراق أنواره، وابتهاج أنجاده بأغواره، والوشي في اتفاق رقومه، واتساق رسومه، وتسطير كفوفه، وتحبير فوفه، والعِقد في التئام فصوله، وانتظام أصوله، وازديان ياقوته بدُرّه،

وفريده بشذره، يتحاشاه الأُبُن، ويتحاماه الهُجُن، يهدي إلى الأسماع بهجته، وإلى العقول حكمته، ولكوني في سم خياط السفر، لم يسعني تحرير شيء منه ولم يتيسر، وهذا بالنسبة إلى ما سمعته هناك من الشعر العربي للأتراك، فإنه لعمري يصدي الريان، ويصدئ الأفهام والأذهان، بمثله يتسلى الأخرس عن كلمه، ويفرح الأصم بصممه، أثقل من الجندل، وأمر من الحنضل، لم يميز قائله بين خبيث القول وطيّبه، ولم يفرق بين بكره وثيّبه، وإلا فبينه وبين شعر شعراء العراق، كما بين الأرض السابعة والسبع الطباق، فذاك الذي يبلغ في الإبداع الغاية، ولا يوقف لحسنه على نهاية:

يتحيّر الشعراء إن سمعوا به *** فـي حُسْـن صنعتـه وفـي تأليفـهِ

فكأنه في قُرْبه مـن فَهْمِهـم *** ونكولهم في العَجْزِ عن ترصيفه[٥٦/ب]

شجرٌ بَدَا للعَيْنِ حسْنُ نباتِـه *** وَنأَى عن الأيـدي جَنَى مقطوفـِه[1]

ولو أن شعراً أذيب به صخر، أو أطفئ به جمر، أو عوفي به مريض، أو جبر به مهيض؛ لكان هو ذلك الشعر الذي يقود، سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب جري الماء في العود

(١) الأبيات لأبي العباس الناشي من قصيدة يصف فيها الشعر: وقال أبو العباس الناشئ يصف شعرهُ، ويقول فيها:

فـإذا قرنت أبيّـه بمُطيعِــه ... وقرنتــــهُ بغَرِيبـــه وطريفــه

ألفيـت معناه يطابق لَفْظَـه ... والنظـم منــه جليّــهُ بلطيفــهِ

فأتاه متّسِقـاً علـى إحسانـه ... قــد ذيـط منـه رَزينـه بخفيفـه

هذبتُـه فجعلتُه لـك باقيـاً ... ومنعت صرفَ الدهر عن تَصْرِيفه

وقال الناشئ في فَصْل من كتابه في الشعر: الشعرُ قَيْد الكلام، وعقل الآداب، وسُورُ البلاغة، ومعدن البَراعة، ومجال الجنان، ومسرحُ البيانِ، وذريعة المتوسّل، ووسيلةُ المتوصل، وذِمام الغريب، وحُرْمَة الأديب، وعِصْمة الهارب، وعُدّة الراهب، ورحلة الدَاني، ودَوْحَة المتمثل، وروحة المتحمل، وحاكم الإعراب، وشاهِدُ الصواب.

انظر: الحُصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ٢٦١/١ .

، ويحكم له بالإعجاز والتبريز، ويحل أن يشبه صفاء سبكه بالذهب الإبريز، أوصلنا الله تعالى إلى رياضه، وروّى عطاش أسماعنا من زلال حياضه.

وزرت -تبركاً- الأخ الزاهد، المولى الشاكر الشيخ حامد، وهو في الطريقة العلية، للسادة النقشبندية[1] أحد الخلفاء الراشدين،

---

(١) **النقشبندية/نقشبندلك:** مذهب فرقة من الدروايش يسمون النقشبندية، تنتسب على شيخهم بهاء الدين الملقب بنقشبند، ونقشبند في الفارسية بمعنى النقاش. وقيل عنهم إنهم يزينون عقولهم بالرسوم والنقوش، وهم ينجون من أوضار الحياة وشرورها؛ فما غرتهم تلك الدنيا ولها تلون الحرباء. ولقد رسم نقشبند من العلم الإلهي صوراً منقطعة النظير، كما نقش نقوشاً خصبة للخلق الأبدي، وعندهم أن الإنسان إذا ما شاء أن يسمو إلى الكمال، فعليه أن يتجافى عن الحسيات، وأن يباعد بينه وبين الناس جهد المستطاع، والقرآن يتضمن التشريع الحاسم الجامع المانع، وعليه أن يتخذ من القرآن =الكريم والحديث هادياً ومرشداً له، وأن يستمسك بعروة الشريعة الوثقى، وعند النقشبندية أن من ينتسب إليهم ينبغي ألا يطيع إلا شيخه، وما ذاك إلا لأن هذا الشيخ إنما يستوحي خفي المعاني ويتلقى الحقائق، لأنه قريب من الله، ولا يجتمع النقشبندية إلا في تكيتهم واجتماعاتهم بتوجيه من شيخهم، والشيخ يعين لهم اسماً من أسماء الله ليذكروه. وهم يسبحون أسماء الله الحسنى وعددها تسعة وتسعون اسماً هي أساس العقيدة عندهم، ولذلك يسبحون تسعاً وتسعين مرة ومنهم من يسبحون ألف مرة ومرة، وإذا كان في التكية سبعون درويشاً فإنم يرددون خلف شيخهم اسم الله سبعين ألف مرة.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٥٠ .

وذوي الصفاء المرشدين، أخذ عن تذكرة الجنيد والسري(١) أبي الفيض الشيخ خالد الجزري، خليفة ثالث الشمس والقمر، ومجدد القرن الثالث عشر، الهيكل النوراني، أبي البهاء ضياء الدين حضرة مولانا الشيخ خالد السليماني، قدس الله تعالى سره، وأعلى في الخافقين ذكره.

واستجازني هو وولده الشيخ إبراهيم، وما ذاك إلا لحسن ظنهما بهذا العبد الأثيم، فوعدتهما بتحرير إجازة لهما، وإرسالها من بغداد إليهما، والله تعالى ولي التوفيق، والمتفضل بالوسمي والولي من وابل التحقيق.

---

(١) **السري السقطي** (...- ٢٥٣هـ/...-٨٦٧م) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن. من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره) .
الزركلي: الأعلام، ٢٠٦/٦ .

وزارني بعد سويعة ذو الرأي السديد، النائب الأسبق عثمان أفندي ومعه ابنه محمد سعيد، فرأيت ما لو رأته الحور العين لحاضت لفورها، أو رمقته عين الخنساء لاعتاضت برقيق شمائله عن صخرها[1]، ولولا سوء ظن الإخوان لقد رأيت ملكًا في صورة إنسان، بيد أنه سقى ماء الحسن شاربه، فاخضرّ، وأحس نهار خده بهجوم ليل صدغه فاستشاط عليه فاحمرّ، حفظه الله تعالى لأبيه، وحفظ سبحانه منه قلوب محبيه.

ثم زارني من زار، وما كل زائر يُشكر له المزار. وماردين بلدة مستطيلة على جبل متطاول، وعلى ذروته قلعة تقصر عنها يد المتناول، قد بعد في السماء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثرياها،

---

(١) **الخنساء** (ت٢٤هـ/٦٤٥م): تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشهرهن على الاطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه =شعرها فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء! أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها (ديوان شعر) فيه ما بقي محفوظا من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (سنة ١٦هـ) فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

الزركلي: الأعلام، ٢١٥/٤ .

فهي حمى لا يراع، ومعقل لا يستطاع، وتشتمل من البيوت [٥٧/أ] على نحو ألفين وخمسماية، وفيها عدة جوامع ومدارس بلغت سكنتها من القلة النهاية، وفيها ست كنائس، هي بجآذر النصارى أوانس، والنصارى فيها أكثر من المسلمين، وتلك كثرة لا تضر -والحمد لله تعالى- المكثورين:

ومَا ضَرَّنا أنّا قَليلٌ وجَارُنَا * عَزيزٌ وجَارُ الأكثرينَ ذَليلُ**(١)

وفاكهتها كثيرة قليلة الأسعار، وأكثر مياهها مما فيها من الآبار، وارتفاع ثلجها شتاء نحو ذراع، وقد يبلغ في بعض السنين مقدار باع، وهي مراتع غزلان، ومرابع حور وولدان، والفرق في ذلك بينها وبين ديار بكر، كالفرق بين الرياض الأريضة والقفر. وفي توجيه تسميتها بذلك ما تستبعده العقول، وهو على أعراف الرد والقبول.

وبتنا في بيت المفتي بأطيب ليلة، وقد وَفّى لنا من الإكرام وزنه وكيله، في دار هي دارة الميامن، ودائرة المحاسن.

---

(١) من شعر السموأل بن عادياء، وقصيدته التي مطلعها:

إذا المَرءُ لَمْ يدنسْ من اللؤمِ عِرضُهُ ... فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديه جَميلُ

وإنْ هو لم يَحملْ على النفسِ ضَيمَهَا ... فَلَيسَ إلى حُسنِ الثّناءِ سَبيلُ

ويروى لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، من شعراء الدولة العباسية .

أبو علي القالي: الأمالي، ١٢٨/١؛ الأصفهاني: الأغاني، ٣٣٧/٦؛ أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، ١٩/١ .

ولم تفتح أعيننا إلا عندما غمض عينه الخفاش، ثم تفقدنا الرفاق فإذا هم قد خرجوا بين راكب وماشٍ.

المنزل السابع والعشرون : عَمُودَه :

فأخذنا بأهداب المسير، وسرنا في طريق وعره يسير، فنزلنا في الساعة التاسعة قرية تسمى (عموده) وهو حقيقة اسم لربوة في مجازها موجودة، وتشتمل من البيوت على نحو سبعين، وكل أهلها على ما أخبرت من المسلمين، وفيها جامع تقام الجمعة والجماعة فيه، ومصلوها وإن اجتمعوا ليسوا بماليه.

وأنزلت في بيت رجل يدعى ملا سليمان، وهو شافعي المذهب قد قرأ قليلاً من فقهه منذ زمان، ففرح بإنزالي عنده، وأفادني أنه سمع يا سليمان بإسمي منذ سنين عدة، وكان يتمنى أن يراني عياناً، فالأذن تعشق قبل العين أحياناً.

وهذه القرية قرب قرية دارا، التي أدار الإسكندر عليه في فنائها من كؤوس الفناء ما أدارا، ومياهها من الآبار، وهي تحكي عذوبة مياه الأنهار، وثلجها قليل وكذا ما حولها من الأرض، على أنه إنما يكون في بعض الأعوام دون بعض [٥٧/ب] ولم نجد فيها أذى من البراغيث، وكنا نظن أنا منها إلى أن يصيح ديك الصبح نستغيث، وما نزلت منزلاً، ولا غدوت مرتحلاً، إلا أخبرت بسؤال الوالي عن حالي، وتفقده إياي -لا فقد- في حلّي وارتحالي، وذلك من صفات الكرام، الحري بها أحرار وزراء مدينة السلام.

المنزل الثامن والعشرون : نصيبين [١] :

وقبل أن يرمي صبي الفجر كرته الذهبية بصولجانه قام كل منا لأداء نسكه وإصلاح شانه، وبلا ريث نفرنا متوجهين، مع نفر من العسكر يحكي الجن إلى (نصيبين)، وبعد مضي أربع ساعات من النهار، طاب لنا في قرارة بعض بيوتها القرار.

---

(١) **قضاء نصيبين:** يقع على جنوب شرق ماردين على مسافة ١٢ ساعة، في هذا القضاء ٤ أحجار منصوبة بطول ستة أذرع، ويجري فيها نهر جاغجاغ، وعليه أبنية وآثار عتيقة، وفي قرية دالين نبعان، نبع الأبيض، ونبع الأسود، بعدما يسقيان بعض الأراضي ينصبّان في نهر الخابور، ومنه إلى نهر الفرات. وهو يتبع لواء ماردين، التابع لولاية ديار بكر.
أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ٢٣٢

وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو ثلثمائة وخمسين، وحولها قشلة حفيظة بناها حافظ باشا منذ عدة سنين، وليس فيها اليوم من العسكر نفر، وكأنك بها وليس لها بالكلية أثر، وقرب بابها جامع ذو منارة، قد أحكم هو أيضًا بناءه من أبيض الحجارة.

ويجري إلى القرية نهران أسود وأبيض، وعلى الأول تزرع الطبيعة في مزارع الأبدان حنضل المرض، ثم إنهما يتحدان، وبعد ذلك يتشعبان، ويكون منهما مناقع غريرة، ومنافع للحارثين كثيرة، وعليهما معًا قنطرة نحو مائة ذراع، وغاية ارتفاعها عن وجه الماء نحو قامة وباع، والماء يجري من تحتها بشدة جري مأمور، ثم ينصب ما يبقى منه بعد سقي المزارع في الخابور، ويختلط آخر الأمر بماء الفرات، فيتغير منه -لحسن العشير- بعض قبيح الصفات، ولرداءة مائها وفساد هواءها، أقامت- والعياذ بالله تعالى- في حِماها حُمّاها، وأخبرني غير واحد أن حُمّاها تصطاد بشباكها الهوائية الأطيار،

وكم شوهدت عصافيرها تتساقط ميتة من أعالي الأشجار! ولولا ذلك لغدت من أوسع بلاد الإسلام، ولعُدَّت منتزها أبهى من غوطة دمشق الشام، لِما أن ترابها ينبت ما لا يكاد ينبت بمكان، ويوشك لو خلّى وطبعه أن ينبت اللؤلؤ والمرجان، واشتهر أنها كانت قبل بلدة واسعة، فضيقتها كأمثالها جيوش بلاء متتابعة [٥٨/أ]، وفيها ثلاث قباب، كانت في إبان شبابها تحكي الخود الكعاب.

وتنسب إحداها لسيد التابعين مولانا (علي زين العابدين). والثانية لمن لم ينقص كماله عسى وليت، المولى المطرز برد فضله بطراز (سلمان منّا أهل البيت). والثالثة لرجل يزعمون أنه كان يحمل اللواء بين يديه، لا زال لواء رضوان الله تعالى جل شأنه خافقًا عليه.

ومن المعلوم والأمور المقررة أن مرقد الأول: في بقيع الغرقد مدفن المدينة المنورة. ومرقد الثاني: في المداين عند إيوان كسرى، وعليه من الجلالة ما هو الأليق بشأنه وأحرى.

ولم أقف لأحد من فريق المؤرخين العلماء على ذكر من كان يحمل بين يديه اللواء، ولم نسمع من الأسلاف أنه -رضي الله تعالى عنه- غزا هاتيك الأطراف، فما يزعمه أهل القرية فرية وزور، وإن كان الزائر على كل حال مأجور غير مأزور.

وكان سيرنا في يوم فاختي اللون، لم يشكُ فيه حر الشمس البيضاء جوادي الجون، على أرض أقوم من أرض الزوراء، لا يعثر فيها بحجر ولا مدر ساري الهواء.

ولم نشك نحن غير البعوض من المؤذيات، وهو لعمري هنا أكثر من الذباب بمئات، والحمد لله -عز وجل- أن حفظنا من عقاربها التي يضرب بها -كحيات ماردين- المثل.

ونصيبين هذه غير نصيبين التي منها نفر الجن المستمعون للقرآن، فإن تلك في اليمن على ما ذكره ذوو التحقيق والعرفان، فاحفظ هديت ذاك، ولا تغتر بموضع ينسب للجن هناك.

وعندما ضحك وجه النهار في قفا الليل الشارد، وأدرك عريف الأبصار في عكاظ البسيطة كل صادر ووارد

المنزل التاسع والعشرون : دُكُرْ :

سرنا براحة، على أرض تحكي الراحة، وبعد خمس ساعات حللنا قرية (دكر)-وهي بضم الدال المهملة، والكاف العجمية على وزن سُرُر- وتشتمل من البيوت على نحو ماية، وقد بلغ كل منها في الضيق الغاية، وهي على هام تل عال كبير، وبينها وبين نصيبين [٥٨/ب] تل الذهب وتل الشعير، وعندها ساقية ماء يحصل بها مع مياه الآبار اكتفاء، وأهلها مسلمون، وذميون أرمنيون.

حتى إذا استغنى الدُّجا عن سراج، وبدل الإصباحُ سبح الأفق بعاج أمرنا بإحضار البغال، وقمنا خفافاً فحملنا الأثقال، وسرنا متيامنين عن طريق جزيرة الحسن بن عمر(١)،

---

(١) **جزيرة آل عمر**: جزيرة عمرية Djezirei - O,meriye: مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول -، في ولاية كردستان، لواء ماردين، على جزيرة في نهر دجلة. وهي جزيرة ابن عمر، تقع الآن على الحدود التركية السورية الشمالية الشرقية، على دائر العرض ٣٧,٢٠، وخط الطول ٤٢,١٢.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٣٣ .

اختيارا لأسهل طريق موصل إلى الموصل وأقصر، ويقال إن ما سلكنا هو الجادة القديمة إلى بغداد، إلا أنه قلّ سالكوه لما كثر من الأعراب الفساد، ولم نزل نسير في بيداء يضيق الطرف عن ذرعها ذرعًا، ولا يجد الفكر المطلق في حصر اتساعها وسعًا.

المنزل الثلاثون : جلغا :

وفي الساعة السابعة جئنا (جلّغا)، فحط بها الرحال المأغى والأغا، وهي بجيم الأعجام وتشديد اللام، قرية تشتمل من البيوت على نحو تسعين، ومعظم أهلها -والحمد لله تعالى- من المسلمين، ولها ماء نمير يجري، وهواء لطيف يسر إذا يسري.

وبعد أن ألقت الشمس جمرات الظهيرة. رأيت في حرم مقامي طائفًا والي العراق مشيره، فجعلت أزمزم له بأحاديث هند وسعاد، فسمعت حبة فؤاده تنادي، ألا فاسقني معتقة من أحاديث العراق وبغداد، فأخذت أغرّه كأسًا فكأسًا؛ حتى ارتوى وطاب نفسًا.

فلما وضعت الشمس خدها الأرفع على الأرض، واقترن بها بعد عامل الرفع عامل الخفض قام مع خاصته، إلى محل إقامته، ولما ألبس الآفاق جناح الدجا ثوب دَعَج، وبدت الثريا وقد حفها الظلام كأنه فصوص من الماس أحاط بها سَبَج فر نومي، فبقيت أفكر فيما سيراه في الزوراء قومي، حيث غدا زمانهم كما شاء الحسود، وساء -والعياذ بالله تعالى- الودود.

وحينما حان أن يرتفع من الليل تاجه المرصع بالنجوم، وأوشك أن يتنفس الصعداء من مزيد غمه الصبح المغموم.

قمنا وحملنا الأثقال، وسرينا وللصخور ورىً من نعال البغال، وبعد حصة قطعنا الصخور، وتركناها وراء الظهور [٥٩/أ].

المنزل الحادي والثلاثون : أسكي خان :

حتى إذا انهزم من عسكر النور جند الظلام، واختفى سرب النجوم عن حدق الأنام.

نزلنا فصلينا، والبغال أمامنا تمشي الهوينا، ثم سرنا وغرنا، ولم نزل يظهرنا نجد، ويسرنا في بطنه وهد، في أرض يضل فيها القطا، وتقتصر عن مسح ساحاتها فسيحات الخُطا، تغوص في ثراها أيدي الدواب إلى الركب، وتبلغ مياه عناها من غير مبالغة إلى عَقد الكَرَب، حتى وصلنا آخر الساعة الحادية عشر إلى (آسكي خان)

وقد خانه الدهر، فلم يبق له غير أثر، وذلك قرب أرض تسمى (السويدية)[١] على ما يقال، ولعله كان هناك بلد فمحته من صحائفها البيض سود الليالي، وحططنا الرحال عند وادٍ فيه ماء جار، وقد نبت عنده قصب يكاد يسره عما حاز قصب السبق من الأبصار، ونُصِبَت هناك سبع خيام، تبوأنا إحداها لما أرخى الليل سجاف الظلام، وبات معظم العسكر تحت الخيمة الزرقاء،

---

(١) **السويدية:** جعلها المقدسي في أحسن التقاسيم إحدى مدن حلب، قال: ولحلب: أنطاكية، بالس، سميساط، المعرتين، منبج، بياس، التينات، قنسرين، السويدية. وقال الإدريسي في نزهة المشتاق: والسويدية على البحر وهي فرضة أنطاكية وبين أنطاكية والبحر اثنا عشر ميلاً وبالسويدية يقع نهر أنطاكية المسمى بالعاصي. وقال ياقوت الحموي: وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ولها مرسى في بليد يقال له السويدية ترسو فيها مراكب الأفرنج يرفعون منه أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية وكان الرشيد العباسي قد دخل أنطاكية في بعض غزواته فاستطابها جدا وعزم على المقام بها فقال له شيخ من أهلها ليست هذه من بلدانك يا أمير المؤمنين قال وكيف قال لأن الطيب الفاخر فيها يتغير حتى لا ينتفع به والسلاح يصدأ فيها ولو كان من قلعي الهند فصدقه في ذلك فتركها ودفع عنها.

وفي المعجم الجغرافي: سويدية Sueidiye: (سلوقية بيرية) بلدة في سورية في ولاية حلب، لواء أنطاكية، على البحر المتوسط، قريباً من مصبات نهر العاصي. أنشأ سلوقية بيريا الملك سلوقس نيكاتور، فكانت إحدى حواضر المملكة السلوقية الأربعة، =جعل منها بومبيوس مدينة حرة. وهي اليوم مدينة صمّان داغ Samanadag تقع ضمن الحدود التركية، على خط العرض ٣٦,٠٧ والطول ٣٥,٥٦ وإلى الشمال منها بقليل تقع آثار مدينة سلوقية بيريه القديمة، قديماً: سلوقية بيريه، مدينة ساحلية في سلوقية، بالقرب من أنطاكية.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣١١ .

وعليهم من ندى تلك الأندية أوفى غطاء، وتصاهلت الخيل، مما عراها في الليل من الويل، وجعلت تنادي في الحريم، نحن تحت خيمتك يا كريم، وجاء إلى خيمتنا المشير، ولم يجلس إلا اليسير، فقام وذهب، إلى خيمة يقضى منها العجب، وكان في طرفي الطريق نهران، وقد وقع في أولهما نصيف مع أخيه الحيوان، فابتل ما معه من الثياب، وكم قاسيت من هذا الزنجي القاسي شديد العذاب.

[تل موس]:

حتى إذا رفعت يد الفجر ذيل سجاف الليل، واستشعرت زهر النجوم ما سيجري على رأسها من الويل. استيقظت منا الهمم، فأيقظنا النائم من الخدم، فقاموا على عادتهم للبغال، وحملوها ما عندهم من الأثقال، فسرنا بين أغوار وأنجاد، وروابي ووهاد، وكم مررنا على أبطح، مُفعَمٍ بكلاء قد صَوَّح، وخلاله كلاء جديد يانع، ومنه ما ذوي من الجليد فهو أصفر فاقع، وبالجملة تفاوت الأسنان أوجب تفاوت ألوان النبات، وهكذا تتفاوت ألوان شعور من قرعت سِنَّه عصا الآفات. [٥٩/ب]

واشتعل المبيضُّ في مسوده * مثل اشتعال النار في جَزْلِ الْغَضَى**[1]

ومررنا في أثناء السير على تل يسمى تل موس، فأزلنا بـ(موسى) الاستراحة هناك شَعَث البوس، وصلينا الظهر حول نهر عنده، وشربنا منه حامدين ربَّاً أمده.

---

(١) البيت لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد)، من قصيدته المشهورة بـ (المقصورة) التي يمدح بها الشاه ابن ميكال وولده وهما عبد الله بن محمد بن ميكال وولده العباس إسماعيل بن عبد الله ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور وأولها:

إمَّا تَرَيْ رأسِيَ حاكى لونُهُ ... طُرَّةَ صبح تحت أذيال الدُّجى

ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٨/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٢٤/٤ .

[**الموصل القديمة**][1]:

ولم نزل نحث السير كما فعلنا بالأمس، فوصلنا (الموصل القديمة) وقد ابتلعت العينُ الحمئةُ عينَ الشمس، فكان مسيرنا من مطلع الفلق، إلى مجمع الغسق، وعبرنا في السير نهراً يجري كاللجين من عين تدعى عين مارية، وعليه قنطرة أنفع للضعفاء من الإكسير وهي صدقة جارية، ولم يتفق عبورنا عليها، وإنما صوبنا وصعدنا النظر من بعيد إليها، وبتنا على شاطئ دجلة، والسماء المطلة لجميع العسكر مظلة، فلم أزل، من فرط الجذل :

---

(١) **الموصل Moussoul:** (نينوى الجديدة Nova Vinus، موسيليوم Mausilium) الموصل إحدى ألوية ولاية وان الثلاثة (كارى، وان، الموصل) مدينة في تركيا الآسيوية - الأناضول- مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية وان، على نهر دجلة. تقع على دائر العرض٣٦,٢٠، وخط الطول ٤٣,٠٨ قريباً من أطلال مدينة نينوى القديمة. أنظر: س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٤، ٤٧٣.

أردد طرفي في النجوم كأنها * دنانير لكن السماء زبرجدُ**

رأيت بها والصبح ما حان ورده * قناديل والخضراء صرح مُمَرَّدُ**

(١)

[أم الربيعين] :

وقبل أن يطفح نهر الفجر على رياض الخضراء، وتبسط على مناص الغبراء بسط الأضواء. سرينا من ذلك النادي، نؤم أم الربيعين، وأبو اليقضان من خلفنا ينادي، لا عراكم في سراكم أَين.

حتى إذا بدل نور الصبح الوهاج، أبنوس الأفق الشرقي بعاج. وطئنا ظهر المروضة، لأداء الصلاة المفروضة، ثم ركبنا وسرنا، ولو أعارتنا القطا أجنحتها لطرنا، ولم نزل نسير بمرأى من دجلة ومسمع، ولعطاش الأعين من سلسبيل مائها مكرع، ومررنا على قُرَىً جعلها الدهر قِرَى النوائب، وأمطر عليها سحاب الغير صيِّب المصائب.

---

(١) البيتان من قصيدة للصاحب بن عباد، مطلعها:

لقد رحلَتْ سُعْدَى فهل لك مُسْعِد؟ ... وقد أنجدَتْ داراً فهل أنت مُنْجِدُ؟

رعيتُ بطرفي النجْمَ لمَّا رأيتها ... تَبَاعَدُ بُعْدَ النَجْمِ بل هي أبْعَدُ

الحُصري: زهر الآداب، ١٤١/٢ .

أمسَت يباباً وأمسى أهلُها احْتَملوا *** أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ[1]

[الحميدات]:

حتى إذا وصلنا قرية تسمى (الحميدات) هي عن الموصل المعروفة على نحو ثلاث ساعات، جاء الأحبة للتلاقي، وأولهم مجيئًا أبناء الأفندي عبد الباقي، وعلى الأثر أقبل أشبال الهزبر الوردي، ملقم كلاب العدا حجراً محمود أفندي، فلما رأيتهم حضروا غبت عن الكونين بسكري [٦٠/أ]، وصحت لما صحوت: يا رباه لك في الدارين شكري، فساروا بنا حسب مأمولهم إلى بيتهم المعمور، وغاروا على ظهور خيولهم ومياه السرور من بينهم تفور، والعسكر من كل حدب (إلى الحدباء) ينسِلون، والأتباع للتفرج على ما في هاتيك الأرجاء من بيننا ينسَدُّون، فجئنا جميعًا الدار، وقد كادت تصغر درة تاج الفلك الدوار، فضاقت بي أرجاء رحبتها وإن رَحُبت، وأعرضت عن إجدّاء جماعتها

(١) البيت للنابغة الذبياني، من معلقته، ويروى هكذا في كل المصادر:

أَضْحَتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احتملوا ... أَخْنى عليها الذي أَخْنى على لُبَدِ

الجوهري: الصحاح في اللغة، ١٩٠/١؛ ابن سيده: المخصص، ٣٣٤/٢ .

وإن رَجّبَت، حيث لم يكن في مقامها المحمود محمود المقام، وكان في بعض كور البلد لما كوّره عليه من الافتراء من بُغض بعض اللئام، حتى إذا هدأت منا الزفرات، وهدتنا الأمارات إلى أنه قريباً آت، نشرنا القدامى والخوافي، لعناق القادمين إلينا، وسلمنا الأمر إلى رب ليس بالجافي، وسلمنا على من جاء للتسليم علينا.

وأول من سرني بطلعته ووزرني بزورته؛ العالم الذي بُرى عَالمًا بفتح العين، والمَلا الذي ظهر بصورة الملّا بلا مين، شيخي الفاضل السري، معروف الآفاق المُلا عبد الله أفندي العمري[1]، ثم جاءت العلماء تترى، ولم يتخلف إلا خلف عادوا رب البيت سِرًا وجهرًا، والحمد لله تعالى على أن لم أر من عادى ربه،

---

(١) **عبد الله أفندي العمري**: قال المؤلف عند ترجمته في رحلته الثالثة (غرائب الاغتراب): الفاضل السري (عبد الله أفندي العمري) وهو نور الشجرة العمرية ونور فرق العصابة الفاروقية إليه انتهت رياسة العلماء وعليه حدبت طلبة العلم في الحدباء فعنه يروون ومن زلال فضله يرتوون جاء منذ ثلاثين سنة إلى بغداد وقرا فيها لأمرٍ ما عند غرباء العلماء الأمجاد فأصلد القدر له زنداً ونادته غواني الاستفادة مكانك أن حراسنا أسداً وفي أثناء هاتيك الأوقات قرأت عليه بعض القراءات فهو أحد مشايخي في القرآن وأنا =أفتخر به على سائر الأقران وقد تخرج على علامة عصره وعلامة الفضل في مصره حليف التدريس والإفادة علي أفندي محضر باشي زادة (وبالجملة) قد عدا فغدا للأمثال سباقاً وراق ففاق علماء بلده علماً وأخلاقاً عبد الله أفندي العمري رئيس من فيها من العلماء.

فأنا لا أحب أن أرى لصفاء حبي مكدر الأحبة، واعتذر المفتي الكلاك على ما سمعت بأنه ظرف مرض، وبعض يقول انه جرى في ترك المجيء على ماء من بغض من أرباب العرض، والصحيح أنه غير مريض، فلعله إن صح ما سمعت تخلص بالتعريض، وأنت تعلم أن من كان على ظهر الجواد متوجهاً إلى الأوطان، لا يبالي بعدم مجيء الكلاك إليه كيفما كان :

فمن أتى فمرحبًا * ومن تولى فإلي** [1]

ورأيت هناك قصيدة قدوميه لأبي سليمان عبد الباقي أفندي، نور فَرق جبين العصابة الفاروقية، أرسلها لي ولدي، المستولي حبه على حبة فؤادي وكبدي، بهاء الدين السيد عبد الله أفندي، كان الله[٦٠/ب] تعالى له فيما يسر ويبدي، فعندما قرأتها أسكرتني ألفاظها ومعانيها، وأذكرتني أيام كنت أسرح في رياض مدينة السلام وأمرح في مغانيها، فتلك لعمري أيام ساعاتها ألطف من دقائق خصور الغواني، وثواني دقائقها أشرف من أعطافهن الثواني، وقد افتتح ذلك ببيتين، هما لخد البلاغة كسالفين، وذلك قوله، دام فضله :

---

(١) البيت لابن الوَرْدِيّ من مقطوعته التالية:

إذا كرِهْتَ منزلاَ ... فدُونَكَ التّحَوّلاَ

وإن جَفاكَ صاحبٌ ... فكُن به مُستَبْدِلاَ

لا تحْمِلَنْ إهانةً ... مِن صاحبٍ وإن عَلاَ

فمَنْ أتى فمَرْحباً ... ومَن تَوَلّى فإلَى

الشهاب الخفاجي: ريحانة الألبا، ٤٢/١ .

سبقت إليك من المحب قصيدة * وأتتــك قبل أوانها تطفيــلا**

تعطو كما يعطوا الغزال ممدة * فمها إليك كطالبٍ تقبيلا[1]**

ثم قال ما يزري باللئال:

(١) لمجير الدين محمد بن تميم، كتبها على وردة وأرسلها إلى معشوقته:

سبقَتْ إليَكَ مِـنَ الحدائـق وَرْدةٌ ... وأتَتكَ قَبْل أوانها تَطْفِيلا

طَمِعتْ بلَثْمِكَ إذْ رأَتْك فجمَّعتْ ... فَمهَا إلِيَكَ كَطَالِب تَقبيلاَ

العباسي: معاهد التنصيص ١/٢٤؛ البهاء العاملي: الكشكول، ١/٥٦؛ ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، ١/٣٨٨ .

أعيدت إلى الزوراء روح معانيها * فكادت ببشراها تفوه مغانيها

وردت إليها الشمس مشرقة الضيا   ومن حكمة الإشراق نالت امانيها

واسحارها عن رقة السحر قد روت   * كما قد روت عنها لحاظ غوانيها

وقاسمت الكرخ الرصافة بالهنا * ودجلة قد سالت سيول تهانيها

تواست نواحيها صفىً فتطلعت * كما قد تساوت من ضلوعي حوانيها

وقد شملت أرض العراق مسرة * فعمت اقاصيها وخصت أدانيها

وأسحارها عن رقة السحر قد روت * كما قد روت عنها لحاظ غوانيها

وفي الروضة الغناء غنت حمائم * فأطربنا ترجيع لحن اغانيها

بأوب شهاب الدين محمود سيرة * مُرَوَّقَةٌ تحكي الطلا في

بتشريف مولانا الأجل أبي الثنا الـ * برانيهامفسر من أم الكتاب

كسا حمرة التوريد وجنة عصره * مثانيهاواحسن الوان المحاسن

وكم من يد فيها لروحي راحة * قانيهابمقدمة كف الزمان حبانيها

لي الله من ساعات غيبته التي * دقايقها ايام حشر ثوانيها

فكاهته منها العقول كم اجتنت * ثماراً بأيدي الفكر طابت مجانيها

اينكر منه حفظ اسرار جدّه * وفي يده اليمنى اليراع يمانيها

وكم ليلة سامرت منه أخا جدىً * تكذب عند المأنويّة مانيها

فتى فاق بالفتيا على ابن كمالها * كما في ثنا علياه فقت أبي هانيها

فتى غير وانٍ للعلى نهضت به * عزائم نفس لم يعقها توانيها

بروح معاني فضله ملأ الملا * فما الكون إلا من صغار أوانيها

وفازت بلاد الروم منه بحضرة * عُطارد يخشى في العلى ان يدانيها[٦١/أ]

واحيا رميم الفضل في عرصاتها * وشاد بإحياء العلوم مبانيها

وفي دست ديوان الصدارة حرمة * له الصدر أضحى للوسادة ثانيها

وعاد ولا عود الهزبر لغابة * برفعة شأن ارغمت انف شانيها

بأولاه مع عقباه لا زال عالماً * ليذخر باقيها ويهجر فانيها

ولا انفك مرتاحاً برحة رفعة   * كما ارتاح من حمل المشقات عانيها

وجاءني أسرع من الهواء العاصف، وأفرح من آمِلٍ نال المقاصد بعد طول المواقف، الأديب الزكي، والأريب الذكي، سليل السادة الأنجاب، نجم الهدى السيد شهاب، فأنشدني، ما أطربني، فمنه قوله في أمري، مضمناً شطراً من شعر ابن الأزري[1] :

شهاب الدين في فلك المعالي * (إلى السلطان رقاه الكمال)**

تنقل في منازله عزيزاً * وعز الشهب في الفلك انتقال**

ومنه قوله، علا فضله، مؤرخاً قدومي إلى الموصل أثناء ذهابي إلى فروق، وطروقي أهاليها إذ ذاك ضيفاً كطيفٍ طَروق :

(١) **الأزري** (١١٤٣-١٢١١هـ/١٧٣٠- ١٧٩٦م) كاظم بن محمد بن مهدي بن مراد الوائلي البغدادي الشهير بالازري: شاعر فحل، من أهل بغداد، يقال له شاعر أهل البيت. أشهر شعره قصيدة مطلعها: "لمن الشمس في قباب قباها" تزيد على ألف بيت. وله "ديوان - ط" مرتب على الحروف أكثره مدائح في أهل البيت، و "قصيدة" من المدائح النبوية خمسها جابر بن عبد الحسين الربعي الكاظمي، وسماها " قران الشعر الاكبر - ط".
الزركلي: الأعلام، ٢٩٩/١١ .

بسناء الشهاب يهدي الموالـــي ** وبــه يقذف المعـــادي رجومـــا

يمم الـــروم رائماً للمعالـــي ** فغـــدا إذ بـــدا لهـــن مرومـــا

ذاك حبـــر أقلامـــه بمـــداد الـــ ** فضل تستغرق البحار علومـــا

خف روحاً علـــى القلوب ولكن ** وازن الأرض والجبال حلومـــا

شرّف المدح فـــي عـــلاه وأرّخ ** "شرف الموصل الشهاب قدوما"

(سنة ١٢٦٧)

ومنه قوله، غمره من اللطف وَبْلُه، مؤرخاً قدومي وعودي إلى البلد، وأنا على ذلك العودِ والعودُ أحمدُ أحمد :

لاح شهاب الدين مفتي الأنام ** في أفق الخضـرا كبـدر التمام
وقام في الحدباء مذ حلهـا ** للديـن مهديـا قويـم القـوام
اهلاً بمن أقدامـه شرّفـت ** ونوفـت قبابنـا والخيـام
اهلاً بمن قد جاءنا بالهدى ** عن شمسه يجلو غواشي الغمام[٦١/ب]
قد جدّ يمحو الغي في سعيه ** وجده المختـار ماحـي الظـلام
ان ينتسب يومًا إلـى والـدٍ ** فالوالـد المولى علـيّ الإمـام
وفاطـم الأم التـي ذاتـه ** من ذاتهـا زكتـه قبـل الفطـام
علماً أرانا الحق عالي السنـا ** والمجد في علياه سامـي السنـام
احيا علوم الدين بعد البلـى ** مفسرًا فرقان محيـي العظـام
ورب وجناء تمد الخُطـا ** شوقًا إليـه لـو يخلـي الخطـام
لسانه المستعذب المنتضى ** أمضى مـن السيف الصقيل الحسام
سيرته الحسنى وأخبـاره ** تحلـو سماعـًا وتبـلّ الأُوام
مزاحم سمعي علـى وردها ** والمنهل العذب كثيـر الزحـام
وسجعـة مـن نثره هيمت ** شهب السمـا حسنًا فسـارت هيـام
وغايـة العلـم بـه أنـه ** أعلـم مـن تحـت السما والسـلام
خاتم أهل العلـم هـادٍ أتى ** آخرهـم عصـرًا وفيـه الختـام
من لي بأن أصحبه خادمًا ** صحبـة موسـى وفتـاه الهمـام
سار إلى الروم يزوم العلى ** فأدرك المجـد الـذي لا يـرام
قربـه السلطـان من حضرةٍ ** قـد رفعـت للعرش منه الدعـام
عبد المجيد ذو السعود التي ** دارت مـع الأفـلاك دور الـدوام
مجـدد الإسـلام مخدومنا ** وخـادم البيـت العتيـق الحـرام
رتـب ترتيبـًا بديعـًا ** قد أصبـح الملـك بديـع النظـام
بـه ** تخشـى وترجـو العفـو والانتقـام

دانت ملوك الأرض طوعًا لـه ** يثنـــي علـــى محمـــود ذاك المقام

ثم انثنـى أبـو الثنـا شاكرًا ** ميممـــــًا بغـــداد دار الســـلام

لمـــا أتـــى مكرمـًا سالمـًا ** وافـــى مـن الـروم ونيـل المـرام

أرخت بالأنعـام محمـود قـد (سنة ١٢٦٩)

وعرض عليّ فخرُ السادة الفخرية، ونور فجر التنزلات الموصلية، ذو الفكرة المحكمة المستجادة، حسن أفندي ابن إسماعيل أفندي قاضي زاده، شرحه لقصيدة فاتحة ديوان الشعراء، وخاتمة أعيان الحدباء [٦٢/ ب] والزوراء، الفاضل الذي هو عن الفضول عري، واحد الزمان عبد الباقي أفندي العمري[(١)]، التي مدح بها حضرة مولاي الشيخ الأكبر، والموقد ذُبالة العلم الأبيض في ليل الشك الأسود بكبريته الأحمر.

---

(١) **عبد الباقي أفندي العمري:** (١٢٠٤- ١٢٧٩هـ/١٧٩٠- ١٨٦٢م): عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصلي. شاعر، مؤرخ. ولد بالموصل، وولي فيها ثم ببغداد =أعمالاً حكومية، وتوفي ببغداد. وفيه: أنه كان يلقب بالفوري، لإنشاده الشعر على الفور. والروض الأزهر وفيه: أنه أرخ عام وفاته بنفسه وكتبه بخطه، فقال: (بلسان يوحد الله أرخ ذاق كأس المنون عبد الباقي).

له (الترياق الفاروقي) وهو ديوان شعر، و(نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر)، و(نزهة الدنيا) ترجم فيه بعض رجال الموصل من معاصريه، و(الباقيات الصالحات) قصائد في مدح أهل البيت، و(أهلة الأفكار في مغاني الابتكار) من شعره.

وقال المؤلف عنه (غرائب الاغتراب): (عبد الباقي أفندي العمري) ذي النظم الدري والنثر العبقري سلطان بني الآداب عبد الباقي أفندي العمري، وقال أيضا: ذو الهمة التي لا تجارى، والغيرة العمرية التي لا تبارى، من جرى وادي فضله فطم على القرى، حضرة مولاي(عبد الباقي أفندي العمري)، وكان لي سلمه الله تعالى في كل أموري مساعداً، وقال: حضرة مبتكر المعاني. من أيام منادمته ربيع عمري. عبد الباقي أفندي الموصلي العمري. ولله تعالى منه سمسار ابتكار ملأ بيواقيت المعاني مصانع حوانيت الألفاظ. فروج قس براعته على أورق ورق دقائقه مجامع سوق عكاظ. شقة أذهبت عني المشقة. وملكت رقبة فؤادي وره. وذكره بكثير من العبارات على هذا المنوال، ثم ذكر على طول الكتاب الكثير من أشعاره .

وكذا عرض طرفاً من حواشيه على الحواشي الداودية، الكاشفة سجف الخفاء عن مطالع بدور معاني الشمسية.

فرأيتهما لم يقصر فيهما، ولم تقصر يد المتناول عن اجتناء ثمار أشجار مغانيهما، فلله تعالى درّه من شابٍ أشاب بسطوات أقلامه لِمَمَ المداد، وكميٍّ اصاب بسهام أفكاره الدقيقة لبّات الرشاد.

ولم تزل زيارات شيخي العمري متتابعة، إلى أن خرجنا من الموصل يوم الثلاثاء الساعة الرابعة، وقد أقمنا لعذر المطر فيها غير يومي الدخول والخروج يومين، وقَرّت برؤية كثير من أكابر فضلائها منّا العين. وصنع لنا وليمة غريبة مغرب اليوم الثاني، جناب عصمة أفندي النائب في هاتيك المغاني، وبالغ في حسن المعاملة، وكان ذاك محض تفضل ومجاملة.

وكحلنا أجفان العيون، بثرى حضرة رسول الله تعالى ذي النون، على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، ما التقم حوت الدواة يونس الأقلام. ورأينا على مرقده الشريف من الجلالة والبهاء، ما يروي كل صادٍ ولا ينكره عين كل راءٍ، وبقينا في حضرته ننشق ريّا تربته، ولوابل الرحمة انصباب، ولذيل سحابها في الجو انسحاب.

المنزل الرابع والثلاثون : بُرْطِلَة :

حتى إذا علا رونق الضحى، وشعرنا بان الشمس قد همت أن تشوي كبد السما. سرنا وأناسيّ العيون غرقى بدموعها، وحبات القلوب غرقى بنيران ولوعها، ولم نزل والثياب من وابل المطر مبتلّة، حتى اتينا الساعة الثامنة قرية (بُرْطِلَة)، فوجدنا معظم أهلها من النصارى الأرمنيين، وما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، فبتنا هناك، ولسرح النوم على موارد الآماق اعتراك.

فقبل ان ينتصف الليل المعتم، وتستشعر زهر النجوم من نهر الفجر بالليل المفعم أرسلنا الحمول على الزاب، رجاء ان تعبره قبل حمول الاصحاب [٦٢/ب].

المنزل الخامس والثلاثون : الزاب [١]:

وعندما صبغت الشمس لثام الافق بعندم وجنتها، وارتاحت النفس باداء فرض صلاة الصبح وسنتها حثثنا المسير، حتى اتينا الساعة السابعة الزاب الكبير، فأوترنا لعبوره قوس العزم، وهو يجري-لا أبا له- جري السهم، وقد اتقم من العسكر خمس نفوس، وأراع الباقين بوجهه العبوس، فعبرنا متوكلين على من فرق البحر لموسى، فلم نجد -ولله تعالى الحمد- من فرعونه بوسا.

واجتمعنا هناك بمن ورث المآثر، كابرا عن كابر، الأخ الصفي السري، عبد الحكيم أفندي الصفوي الحيدري، وكان وارداً لملاقاة الوالي المشير، والاستخبار من الامارات عما في ضمير ذلك الأمير.

---

(١) نهر الزاب الأعلى يفصل ما بين قضاء أربيل وولاية الموصل.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ٢٥١.

المنزل السادس والثلاثون : كلك :

فسلكنا جميعا مع من سلك، حتى غدت ظرف إقامتنا قرية كلك. وأهلها قوم يزيديّة، عليهم كيزيدهم لعنة أبدية، وفيها ثلاثة بيوت من المسلمين، أمسينا في أحدها نازلين.

[**إرْبِل** (١)] :

وعندما احسسنا بسارية الشمس وراء السحاب سرنا متواصلين نقطع بصوارم الهمة الأباطح والهضاب، وجادت في اثناء الطريق بحبا حياها السماء، فجعلنا نسير باضطراب كثير بين طين وماء، حتى وصلنا إِرْبِل بعد خمس ساعات، فانقطع عنا من جيوش مظفر الوابل الغارات، ونزلنا في بيت فتىً ارتفع بين الخلائق قدرا، وهام في مكارم الأخلاق فاتخذ هام الفتوة وكرا، انفلق عنه صدف العناية فبدا دُرّاً نقيّاً، وانكشف له سجف الهداية فغدا هادياً مهدياً، بل هو -لعمري- بضعة الهداية، والآخذة بضبعيه يد العناية، حيث نقش بنده بطراز الطاعات فبرز نقشبنديا، وطهّر عن السّوى خلده بمياه المجاهدات

---

(١) **قضاء أربيل:** يقع على شمال اللواء المذكور، على مسافة ١٨ ساعة من طريق التون كوبري، أكثر أهالي القضاء أكراد، ٤ آلاف منهم من الذكور تقريباً.

في قضاء أربيل مدفون النبي عزير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص ٢٥٢

فظهر خالديا، حشبّي الذي له حُبّي وبه وجدي، الشيخ هداية الله زاده محمد سعيد أفندي، وقد بالغ في الإكرام، وانامنا على فراش الأفضال والاحترام، وقد أطعمنا من الكمثرى، ما هو ألذّ من السكر وأمرى، وهو في الكبر يحكي رمان شهربان، وفي لونه الاصفر الفاقع يحكي الزعفران، وأتى بمائدة، مثل عروس مائدة، تباعد بين [٦٣/أ] أنفاس الجلاس، وتزيل بركتها عن الآكل منها شر الوسواس، وحولها أرغفة حوارية تصفع قفا الجوع، وتوجب قسرا على الحاضرين ان يكون منها الشروع، ومما أعجبني دجاجة، هي للمائدة ديباجة،

عظمت فكادت ان تكون إوزّة * وغَدَت فكاد إهابها يتفطّرُ**

فظللت اقشر جلدها عن لحمها * فكأن تبرا عن لجين يقشرُ**

وأرسل لدعوتنا على نحو فرسخ ذا الخلق المحمود، المتدرع بسابغات الفضائل الملا داود، وكنا وعدناه بالحلول عنده والنزول، يوم واجهناه أثناء ذهابنا إلى إسلامبول.

[كِردمَلا] :

ولما جعلت فتاة الشمس تغازلنا من وراء شباك السحاب، وتارة تُري نورَ جبينها وأخرى تتوارى بالحجاب.

سرنا على أرض فيها قليل طين، ولها مزارع ممتدة ذات الشمال وذات اليمين، وفي أثناء الفلا زجرنا الصافنات، فأتت بنا قرية تسمى (كردمَلا) في أقل من أربع ساعات، وكِرْدِ بكسر الكاف العجمية وسكون الراء وكسر الدال المهملتين، معناه التل باللغة الفارسية والكردية على ما سمعت من الطائفتين، وملا بفتح الميم والتخفيف، يقولونه لطالب العلم الشريف، وتحقيق هذا اللفظ على ما في (نخبة الارتحال والسفر في رجال القرن الحادي عشر) للحموي الشيخ مصطفى، تجاوز الله تعالى عنه وعفى، أن أصله الأول، من لا يجهل، ثم خفف بحذف الصلة وأُدغمت النون في اللام، وذلك وجه تشديده عند أكثر الخواص والعوام، ويظهر منه وجه كتابة بعضهم إياه بنون متصلة، فما أجهل من أنكر عليه ذلك وجهله، نعم التعريف بأل على هذا منكر، مع أنه بها كثراً ما يذكر، وقيل أصله ملاء، صيغة مبالغة من الإملاء، ولعله أقرب من الأول، وعلى الوجهين ليس على ضم الميم معول.

وأما كون أصله كما قيل مولى، فأراه -يا مولانا- بعيدًا فضلاً عن كونه أولى، ولا عبرة بميل الأتراك، إلى ذاك، فاحفظ، وبالفتح تلفظ. ثم إنه يحتمل أن يكون مجموع اللفظين ركبا تركيبًا مزج كبعلبك [٦٣/ب]، لكن لم تراع فيه القاعدة المعروفة في كتب العربية لك، ويحتمل أن يكون ذلك من المركبات الإضافية، وإن كان المضاف فيه من الكلمات الفارسية.

وتشتمل القرية من البيوت على نحو تسعين، بعضها من الشعر وبعضها الآخر من طين، وأهلها أكراد مسلمون، ومعظمهم رجالاً ونساءً مصدّون.

وكانت ليلتنا حندسية، قد لبست من أسود الغمام حلة عباسية، وخيل لي من سواد لباسها أنها ثكلى، قد أصيبت بعزيزها النهار فشق عليها فقده وإن كانت الليلة حبلى، فهي عندي، كالليل الذي قال فيه ابن محكان السعدي :

وليل يقول الناس في ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها**

كأن لنا منــه بيــوت حصينــة * مسوح أهاليها** وساج كسورها[١]

[**قنطرة الذهب / ألتون كوبري**][٢] :

وقبل أن يشتد غضب النهار على الليل فيريه عينه الحمرا ، شددنا السرج على الخيل وتهيأنا للمسرى. ثم جعلنا نشق بأيدي السير أديم الضباب، وننشق بمشام المسام نسيماً أبرد من نسيم المحراب، وقبل أن يرتفع النهار، سالت من منهمر الوابل أنهار، فأقبل السيل ينحدر انحداراً، ويحمل أحجاراً وأشجاراً، كأن به جنة، أو في أحشائه أجنة، فجعلت أسبح أنا وسبوحي بمائين جار ومنهمر، وطفقت أسبح الله سبحانه أنا وإياه بلسانين بارز ومستتر، ولقد نفذ البرد إلى كبدي نفوذ السهم، وجرى الماء في أعماق جسدي جري الدم،

---

(١) الأبيات لابن محكان السعدي في وصف الليل. الحُصري: زهر الآداب، ٣١٣/١ .

(٢) **ألتون كوبري** Alton Keupru: مدينة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية بغداد وشهرزور، لواء كركوك، على نهر الزاب الصغير، أحد روافد دجلة. تقع حالياً في العراق، على خط العرض ٣٥،٤٥ والطول ٤٤،٠٩، هذا وقد كان يطلق على نهر الزاب الصغير اسم: ألتون كوبري صويي.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٩٣ .

ولم تزل السماء ترسل الأمطار أمواجًا، والرياح تسير الأمواج أفواجًا أفواجًا، والجواد قد هطل أذنيه من وقع ذلك الهطال، واضطربت أحواله لخوف الوقوع في وخيم تلك الأوحال، وبقي ذلك البلاء العظيم، ملازما لنا ملازمة الغريم، ولم يبرح يرينا العطب، ويوري نيران العجب، حتى وصلنا إلى قرية (قنطرة الذهب) فحمدنا الله تعالى على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بياض الأذيال والأردان، وشكرناه سبحانه على نجاة الأنفس والأرواح، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فُجِع بالأرباح، ودخلناها [٦٤/أ] أيضًا بمطر كأفواه القرب، ووحل والعياذ بالله تعالى إلى الركب، وحللنا في بعض دورها، وقد كادت الأنفس تغرق في مياه سرورها، فشكونا إلى كانون(١) فيها ما فعل بنا تشرين(٢).

(١) كانون الأول هو شهر ديسمبر، وكانون الثاني هو شهر يناير.
(٢) تشرين الأول هو شهر أكتوبر، وكانون الثاني هو شهر نوفمبر.

ولم نزل إلى أن هدأت من العيون مآقيها حول نار قراه محلقين، فلم يقصر جزاه الله تعالى خيراً معنا، وأطفى بناره ما أذاقنا الماء من مُرّ العنا، فيبس مبتل الثياب، وضحك أثر ما عبس مبتلى الاكتئاب، بيد أن السماء لم تزل تكِف ولا تكُف، والهواطل لم تبرح تجِف ولا تجُف، فبتنا بليلة من غصص الصدر، ونقم الدهر، قد قصر جناحها، وضل عنا صباحها، فجعلت أنشد وأنا من الهم في غواشي قول أبي العباس الناشي(١):

---

(١) ترجم له ابن كثير في وفيات سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال: أبو العباس الناشي الشاعر واسمه عبد الله بن محمد أبو العباس المعتزلي، أصله من الانبار وأقام بغداد مدة ثم انتقل إلى مصر فمات بها، وكان جيد الذهن يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والفروضيين، وكان شاعرا مطيقا إلا أنه كان فيه هوس وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة. قال ابن خلكان: كان عالما في عدة علوم من جملتها علم المنطق، وله قصيدة في فنون من العلم على روي واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة.

وقال عنه السيوطي: أبو العباس الناشي الشاعر المتكلم المعتزلي عبد الله بن محمد. أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى مصر، فمات بها سنة ثلاث وتسعين ومائتين. وكان شاعراً مطيقاً مفنناً في علوم منها المنطق، ذكياً فطناً، وله قصيدة في فنون من العلم على روىٍ واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصانيف وأشعار كبيرة.

ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٤/١١؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٣٢٤/١ .

خليلـي هـل للمـزن أجفـان عاشـق * أم النار في أحشائها وهي لا تدري**

أم أدكرت ما كان في الطف فانبرت * كما اللؤلؤ المنثور أدمعها تجري**

سحـاب حكـى ثكلـى أصيبـت بواحـد * فعاجـت له نحو الرياض على قبر**

تسربـل وشياً مـن خـزوز تطـرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتبر**

فوشـى بـلا رقـم ورقـم بـلا يـد * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر**[1]

وأهتف بالأسحار، بقول بشار :

خليلي ما بـال الدجـى لا يزحـزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضـح**

أضـل النهـار المستنيـر طريقـه * أم الدهر ليلٌ كلـه ليـس يبـرح**

كأن الدجى زادت وما زادت الدجى * ولكـن أطـال الليـل هـم مبـرح**

---

(١) الأبيات عزاها الحصري لأبي العباس الناشيء، مع اختلاف في بعضها، فقد أوردها الحصري في زهر الآداب كالتالي:

خليليَّ، هـل للمـُزن مُقْلـةُ عاشـق ... أم النار في أحشائها وهي لا تَدْرِي؟

أشارت إلى أرض العـراق فأصبحتْ ... وكاللؤلـؤ المنثورِ أدْمُعها تجْـري

سحاب حكَتْ ثكْلَـى أُصيبَـتْ بواحد ... فعاجَتْ لـه نحـوَ الريـاض على قَبْرِ

تَسَرْبَل وَشْياً مـن حـُزون تطـرزتْ ... مَطارفُها طرزاً من البَـرْق كالتبـرِ

فوشْـي بـلا رقـمٍ، ورقـم بـلا يـدِ ... ودمْـع بلا عَيْـن، وضِحْـكٌ بلا ثَغْـرِ

= بينما عزاها الثعالبي لأبي العباس أحمد بن محمد النامي، وهو شاعر من فحولة شعراء العصر، وخواص شعراء سيف الدولة، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة. وعزاها آخرون إلى ابن رشيق القيرواني الأزدي .

الحُصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ١/٨٠؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ١/٧٢.

وقنطرة الذهب زادت هي المشهورة (بألتون كوبري)، وليست قنطرة واحدة بل قنطرتان الماء من تحت كل منهما يجري، والقرية بين القنطرتين، تشتمل من البيوت على ما يقارب المائتين، وفيها نائب وجامع نفيس، وليس فيها مدرسة ولا تدريس، ومعظم أهاليها أنذال، ما ذاقوا شيئًا من طعم الكمال.

وزارنا الشاب الذي بهر عقله الشيوخ، ودرّه البحر العباب الذي حير بذهنه الجوال أرباب الرسوخ، النجيب الأوحدي (عبد الرحمن بك أفندي)، شبل حضرة الوزير، والوزير لكل مستجير[٦٤/ب] الليث الحامي للغني والغيث الهامي على الصعلوك، عليّ الهمة (علي باشا) والي إيالة كركوك، وكان قد جاء لملاقاة حضرة والي بغداد، الذي أخذ الجد بجِدّ يده حتى ساد.

وقد أدار على سمعي بجام كلماته الشافية، أنه يقرأ شرح مولانا الجامي -قدس سره- للكافية، فدعوت له، بما أرجو قبوله، وأبلغني سلام أبيه، دامت ديم أيديه.

وزارنا معه ذو الفكرة الوقادة، عمر بك نفطجي زاده، وقال: لابد من نزولكم في كركوك عندي. فاعتذرنا بسبق دعوة النائب السابق عبد القادر أفندي، وقد رأى رسوله، وعرف من عَرف كتابه مأموله، فقبل العذر جبراً، جزاه الله تعالى عنا خيراً.

وكان مدة سيرنا ست ساعات، كل ثانية من دقائقها بمنزلة سنوات.

وقبل أن يسل سيف الصبح من غمد الظلام، صرف لصرف فضل الله تعالى بوالي الصحو عامل الغمام، فرأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة بها رفضاً، ونتخذ الارتحال عنها على كل حال فرضاً.

وقبل أن يجيء لحراب الليل شقيق النهار، عارضاً رمحه، وقد عزم أن يمزق خيمته بصمصامه البتار، ويسكن بتنفس صبحه ريحه.

خرجنا بلا كلفة وحرج، فإذا سواد الليل مع نجومه يحكي زنجياً تبسم عن فلج، فعبرنا القنطرة للمسير، ثم غرنا على خيول يخيل أنها تطير.

المنزل الموفي أربعين : كركوك [(١)]

وقبيل أن أرى من نعامة يومي بيضته. نزلت عن ظهر الجواد، فصليت في بطن أبطح الصبح وسنته، ثم ركبنا على مثل أجنحة البرق، ولم نبالِ بنبال قر قد رق، ومررنا على عيون النفط تفور، وللنازفين منها وجوه كقلوب ذوي الكبائر والفجور، وعندها أرض فيها قليل وعر، تتأجج ناراً بأدنى حفر، وهناك أدركنا حضرة الوالي الرشيد، ومن غور نظره في لجي بحر المشكلات بعيد، ومعه حضرة الوزير الغيور (علي باشا) والي كركوك وشهرزور، وأثر التحية والسلام، سرنا معهما بسلام، وفي نحو سبع ساعات من القنطرة وردنا (جاي كركوك)، فإذا فيه وشل ماء لا يعرض للخائض فيه شيء من الأوهام والشكوك، فعبرناه إلى بيت الحبيب الصادق، عبد القادر أفندي النائب السابق [٦٥/أ] وكان جاء للقانا، ففتش عنا بين الرفاق ولقانا، وقد زاد في هذا السفر ما بيننا من العطف تأكيداً، فأنا اليوم لا أختار بدلاً عنه

---

(١) كركوك**Kerkouk**: مدينة في تركيا الآسيوية -الأناضول- مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية بغداد وشهرزور. تقع على دائر العرض ٣٥,٢٨، وخط الطول ٣٥,٢٨.
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٤٢٠ .

وإن كان نعته حميداً، وأرسل خلفه عبد الغني أفندي خلفي رسولاً، راجياً أن أتخذ إلى بيته مع الرسول سبيلاً، فقلت ذاك بيتي بلا شك، واعتذرت له بنحو ما اعتذرت لعمر بك.

ثم زارني وحل زنار العتاب، وذكرني وعداً له في الذهاب بالنزول عنده في الإياب، ومع ذا عذرني لما يعرف من قوة الرابطة بيني وبين المومأ إليه وأن ذلك سبب توجهي للحلول في بيته وحل عرى الرواحل لديه.

وكثر الزوار، في الليل والنهار، وذاك لمزيد نجابة أهل كركوك، وسلوك مشايخهم وعلمائهم مع البغاددة أحسن سلوك. ولما أن أسوَدّ من الليل جنحه، وخفنا أن يخفق بجناحيه في الخافقين صبحه.

جزمنا العزيمة على الذهاب للحمام، فطلبنا من أولئك القعود الرخصة بالقيام، فذهبنا إلى حمام أضيق من عين مستحدث النعمة بين الورى، وأشق على النفس من نفس أبخر تتصاعد أنفاسه من حياض الخرى، يكاد يفقد المرء فيه إدراكه وحسه، فهو أخس من حمامات الكرخ وهي النهاية في الخسة.

ولما كشفت الشمس قناعها، ونشرت شعاعها، وارتفع سرادقها، وأضاءت مشارقها. عرجًا إلى القلعة لزيارة الوزيرين، فحللنا في مجلسهما عصام الفكاهة نحو ساعتين، ثم ذهبنا لدعوة الخليل سليمان أفندي المفتي وناظر الأوقاف، فرأيناه على قدم حضرة إبراهيم -عليه السلام- في رعاية للأضياف، ولقد جاء بحمل ذهبي الدثار، فضي الشعار، مع بدايع مأكولات وغرائب طيبات. وقد كان دعانا قبل بيوم، حين جاء لزيارتنا مع القوم.

وعندما تناولت يد الأفق عين الشمس، وكادت تطير باليوم عنقاء مغرب[١] كما طارت بالأمس.

---

(١) قال الأزهري: العنقاء المغرب هكذا عن العرب بغير هاء، وهي التي أغربت في البلاد، فنأت ولم تر، وحذفت تاء التأنيث منها كما قيل حية ناصل وامرأة عاشق، وقال أبو بكر النقاش المفسر كان بالأرض التي فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بئر دون اليمامة، وعلى قول ابن عباس جبل عالٍ، وكانت العنقاء تأخذ الصبيان، وهي كأعظم ما يكون من الطيور، وفيها من كل لون، ثم أهلكها الله تعالى بدعاء نبي من الأنبياء. [المؤلف]

ذهبنا إلى وليمة الوزير الخطير، والسحاب الهامي المطير، الحائز من مكارم الأخلاق، ما لو تجسم لثمن السبع الطباق، ذي الفضل الجليل الجلي، والي البلد [٦٥/ب] (علي باشا الكوتاهيه لي)، فإذا فيها كل شيء يروق، لا فرق بينها وبين ولائم الصدور العظام في فروق، بيد أن فيها بعض أطعمة عراقية ألذ من العافية، وأشهى للقلب في هاتيك المغاني من وصال غانية :

قرّة عَينٍ وفَمٍ حُسّنَت *** وطُيّبَتْ حتى صَبا مَن صبا(١)

(١) البيت لابن الرومي في وصف اللوزينج، وهو نوع من الحلوى المعروفة حينها، ومطلع قصيدته:

لا يُخطئَنّي منكَ لوزينج ... إذا بدا أعجَبَ أو عجّبا

لو شاء أن يَذهَبَ في صَخرَةٍ ... لسهّل الطّيبُ له مَذهَبا

الحُصري: زهر الآداب ١١٩/١؛ المسعودي: مروج الذهب ١٦٣/٢؛ ابن أبي عون: التشبيهات، ٦١/١.

وبعد أن رفع الطعام، نصبت موائد الكلام، فرأيته أحد الوزراء الذين يشار إليهم بالأنامل، وتعقد عند ذكرهم الخناصر وتحل بهم عقد المعاضل، ذا تواضع مع نفس أبيّه، وفكاهة مع هيبة عمرية، يحب العلماء ويكرمهم، ويدني للفضلاء ويحترمهم، إلى أخلاق أرق من دمعة صب، وألطف من وابل غب الجدب، والظاهر أنه غير منحل العقيدة، ولا منتحل شيئاً من الآراء الإفرنجية الجديدة [1]، حيث إنه لم يسمع منه جليس، حديث لوندرة أو باريس، ويكفي أهل البلد اليوم رحمة، أن واليها سالم عن تلك الوصمة،

(١) يعني المصنف هنا الفكر الغربي الذي وفد من أوربا من خلال الطلاب المبتعثين إلى هناك، والكُتّاب الداعين إلى تغريب الدولة والاخذ بالنمط الغربي في كل شيء، وهو ما صار أمرا واقعا رسميا بإعلان التنظيمات .

وقلما تنال هذه الرحمة في هذا الزمن من الذميم ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1].

ثم ذهبت إلى شبله[2]، ومرآة كماله

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٥.

(٢) أقول إن حضرة المشار إليه لا زالت التأييدات الإلهية والتوفيقات الربانية متوالية عليه، هو صاحب الدولة المشير الأفخم والطود الأقوم السيد الحاج عبد الرحمن نور الدين باشا، لا برح المولى سبحانه له كما يحب في الدارين ويشاء، ومن غرائب الاتفاق أنه في أثناء طبع هذه الأوراق أن الله تعالى كان قد استجاب دعاء الوالد المبرور، وأخرج فراسته للعيان حسبما رقم في هذه السطور، فقد وجهت لحضرته العلية بعد أن ولي الولايات الجسيمة العديدة العظيمة مشيريه العراق وولاية بغداد المحمية في رجب المعظم من شهور السنة الثانية والتسعين بعد المائتين والألف من الهجرة الأحمدية على مهاجرها أفضل الصلوات الزكية، وحينما بزغت شمسه المشرقة، وانهمر وابل ألطافه المغدقة، وتراءى نور ذاته الشريفة، وشعت سبحات طلعته المنيفة على الزوراء، برح الأولياء، امتلأت القلوب سرورًا، وفاضت فرحًا وحبورًا، وأسر الجميع بأخلاقه الفاضلة وسياسته الكاملة، وآرائه الصائبة، ومزاياه الفريدة المهذبة، وصدره الرحيب، وحلمه العجيب، وشفقته على الأنام، ولطفه بالخاص والعام، فناه لسان الزمان:

فاسعد بدنيا قد نظمت أمورها * وسددتها بالرق أي سداد**
ورعيته أصلحتها بتألف * وتعطف من بعد طول فساد**
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها * وضربت دون الظلم بالأسداد**

وتلى فم الفقير والجليل ما نظم وقيل:

فبعبد الرحمن يعذب لي العيـ * ـش وفي ظله تطيب الجيات**
سيد لا تطيشه نوب الأيـ * ـام ولا تسطيره الحادثات** =
لا تفل الهواء آراءه قط * ولا تستميله الملهبات**
فهو طرف بحفظ أطراف ملك الـ * شرق ترتقي إليه السنات**
بعد أوصافه الندا والعلى و الـ * حلم والعلم والحجا والأنات**

وفضله، فوحق الواحد الأحد، المنزه عن الوالد والولد، إني لم أرَ من أبناء الملوك من جميع مكارمه، ولا رقى ذروة الكمال بنحو سلالمه، ولقد أخجلني لطيف معاملته، وجميل مجاملته، أسأل الله تعالى أن يحفظه مما يكره، ويخفض له مرفوع الرتب ليمتطي على أسهل وجه ظهره.

وقد لبثنا يومًا واحدًا في البلد، وكم وردنا غير الأنس ممن جاءنا من بغداد، وورد، ومن أولئك الكرام الجائين عندي، ابن أخي العمري أحمد عزت أفندي، وقد غبت عن شعوري بمُدام حضوره، وكاد يشرق قلبي من مزيد زلال سروره، وبعد أن صحوت من سكري، واسترجعت من غاصب الوجد فكري، سألته عما أطاره من عشه، وجعله يساور من السفر ضئيلة رقشه، فذكر لي ما أثار كربي، وكاد يأخذ بحلقوم قلبي، ثم أبرز لي كتابًا من أحبتنا الأفندية، يتضمن التماس استخدامه [٦٦/أ] لدى الحضرة الرشيدية، ثم ناولني هذه الأبيات، وقد أفصح فيها عما هو بسببه آت:

نسأل الله تعالى أن يديم وجوده العالي، وأن يبقيه في فلك السلطنة العظمى بدرًا متلالي، وأن يجعل له ولحضرة والده التوفيق خير قرين ما دعى الله داع من المسلمين .. آمين .

[السيد نعمان خير الدين، نجل المؤلف] .

لعلا جنابك قد حثثت ركابـــي **** وأنختهـــا في هذه الأعتـــاب

تبغي القرى من جاه مولانا الـــذي **** زان الورى من علمـه بشهـــاب

فلقد رماها الدهر عن قوس النوى **** في كف بعد في سهام مصـــاب

يا أيها المولى الذي قد جـــددت **** أيديـه بـــرد الفضـــل والآداب

أنت العليم بحال شخص قد قضـــى **** أوقاتـــه في جيئـــة وذهـــاب

هذا الرشيد مشير بغداد ومـــن **** آراؤه أغنـــت عن القرضـــاب

كن عنـده سبباً لأمـــر معيشتـــي **** فالأمر موقوف على الأسبـــاب

كم مترب مثلـــي بخدمـــة بابـــه **** قد بات من حلل الهنا بثيـــاب

لا بدع أن طالبت دهري بالغنـــى **** فالمرء مجبور على التطلاب

أبغي مساعدتـــي فإنـــي أرتجـــي **** منه الدخول بفضل هذا البـــاب

فمقامك المحمود صـار وسيلتـــي **** في أن أعد بزمرة الكتـــاب

حاشاك ترضى أن تكـون غنيمتـــي **** من هذه الأسفار محض إيابـــي

خذ في يدي شكوى المقل فإنهـــا **** يغني ملخصها عن الإسهـــاب

وأقبـــل مقدمتـــي فإنـــي راجيـــاً **** سلب الضرورة منك بالإيجاب

وأعذر حليف هوى عقيب بعادكـم **** نكصت رويته علـــى الأعقـــاب

فحرت في أمري، ولم أقدر أن أفصح له بسري، حيث إن الزمان اليوم قد طلق الكرم ثلاثًا لم ينطق فيها باستثناء، وأعتق المجد بتاتًا لم يستوجب عليه ولاء، سائله محروم، وراجيه ملوم، ليس عنده إلا مواعيد عرقوبية [1]، وأحزان لمن يأمله يعقوبية، يتعلق بأذناب المعاذير، ويحيل الحرمان على ذنوب المقادير، ولو أنه ظهر بصورة لأزرت بكل إِدّ، ولرأيته حمارًا مبطنًا بثور موكفًا بتيس مطرزًا بقرد، قد عادى ذوي الأدب، لاسيما من كان منهم من العرب [٦٦/ب] فهم لديه أقل من تبنه في لبنه، ومن قلامة في قمامة، إلى غير ذلك من مخاز ما خفي عليك منها أعظم، وكم كلفت القلم التكلم بها فقال: كسر سني أهون عليّ من أن أتكلم.

ثم إني عرضت الأمر لدى حضرة ولي الأمر، فلم ينطق إذ ذاك بخير أو شر، بيد أنّا فهمنا من هيئته، وتصويب وتصعيد حدقته، أنه يقول الأمور مرهونة بأوقاتها، ودقائق حقائق الأشياء تظهر في ساعاتها.

---

(١) **عُرْقُوبُ**: رجلٌ من أهل يَثْرب أكْذَبُ أهل زَمانِه موعداً، فذَهَبَتْ مَثلاً، قال كَعْبُ بنُ زُهَير: كانَتْ مَواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَواعيدُها إلاّ الأباطيلُ

انظر: الخليل بن أحمد: العين .

فرجعت إلى بدر الكمال الظاهر بخفي حنين، وخفي أسف ومزيد أين، وأنشدته قول من قال تسكيناً لبعض ما فيه من البلبال:

لا تيأسن إذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى إلى الفلك**

فبينما الذهب الإبريز مطرح * في الترب إذ صار إكليلاً على الملك**

وأشرت عليه بالبقاء في كركوك تحت ظل وزير تفخر به الملوك، حيث إني دققت فيه الفكر، فرأيته مصداق هذا الشعر :

له سيرة لم يعطها الله غيره * وكل قضاء الله فضل مقسم**

بل هو لعمري، كما قال عويف[١] في طلحة الزهري:

---

(١) **عويف القوافي** (٠٠٠ -نحو ١٠٠هـ/٠٠٠- نحو ٧١٨م) عوف (ويقال له عويف) بن معاوية ابن عقبة، من بني حذيفة بن بدر، من فزارة: شاعر. كان من أشراف قومه في الكوفة. اشتهر في الدولة الأموية بالشام، ومدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك. وعمر بن عبد العزيز. وسمي " عويف القوافي " ببيت قاله.

الزركلي: الأعلام، ١٠/٣٦٦ .

يُصَمُ رِجالٌ حين يُدعَون للندى *** ويُدعى ابن عوفٍ للندى فيجيبُ

وذاك امرؤ من أي عِطفَيه يَلتفِتْ *** إلى المجد يحْوي المجدَ وَهوَ قَرِيبُ[1]

ونهيته على ما به عن الذهاب إلى الموصل والانتظام بسلك كتابه، فإني سمعت عنهم أنهم في العزلة أعوان كما انفرج المشط، وفي الغلظة إخوان كما انتظم السمط، حتى إذا لحظهم الجد لحظة حمقاء، ووطد لهم ظهر الحدباء، عاد عامر مودتهم خرابًا، وانقلب شراب عهدهم سرابًا، فما اتسعت دورهم، إلا ضاقت صدورهم، ولا غلت قدورهم، إلا خبت بدورهم، ولا هملجت عتاقهم، إلا قطفت أخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فسدت أفعالهم، ولا كثر مالهم، إلا قل جمالهم؛ حتى أنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خطبًا، وعلى الأحرار مع الزمان الغشوم أَلْبا، فيسلك أحدهم في الغدر كل طريق، ويبيع [٦٧/أ] الدرهم الواحد بألف صديق.

---

(١) البيتان من شعر عُوَيْفِ القوافي في طلحة بن عبد الله الزهري .
الحُصري: زهر الآداب، ١/٢٤٤ .

وذكرته تألبهم على والده؛ حتى أنهم أخرجوه عن طريفه وتالده، وسألت الله تعالى أن يدر له أخلاف الرزق، ويمهد له أكناف العيش. هذا مع خجلي من جنابه، وغاية ألمي مما به.

وقبل أن يطفئ مصابيح الدجا نفس الصباح، وقد صدقنا الفجر الكاذب بقرب أن يخفق الصبح الصادق الجناح. خرجنا مع الحمول من البلد، فإذا أتباع المشير لم يخرج منهم أحد، فحققنا أنه قد تخلف للاجتماع بسلفه، فقد شاع في مبتدأ الليل خبر قدومه بكتاب جاء من طرفه، وكان قد عزم على الاجتماع به في الطريق، فأمر بالركوب، ثم عدل عن ذلك، ولم يبلغنا خبر عدوله على التحقيق، فسبحان مقلب القلوب، وكم له دام فضله عدول، من نحو هذا العدول، وما ذاك إلا لأن فكره الوهاج، له على عدد الدقائق إلى عرش الحقائق معراج.

المنزل الحادي والأربعون: تازه خرماتي[1]:

ولما عزلت نوافج الليل بجامات الكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور، ونشرت غانية الشمس على يد الصبح منديلاً بهيًا، فجعل يخفق به حتى أطفأ بنسيمه من فانوس الفلك قنديل الثريا.

نزلنا فصلينا بجماعة، وأدينا الصلاة على أتم وجه في نحو ربع ساعة، وبعد ثلاث ساعات أتينا (تازه خرماتي) فبتنا هناك على حال حالٍ، ننتظر من هو آتي، وكان في دقيق وعك، فلم أسلك إلى (داقوق) مع من سلك، ولم يزل يتزايد بي ذاك، حتى تناقض مني الإدراك، وشرعت أرتعد كالسعفة في الهواء، واضطرب كالسمكة في الماء، ومر على القرية وأنا في هذه الحال، أتقلب على فراش البلبال، حضرة والي بغداد سابقًا، لا زال لكتائب ذوي الفساد بسنانه نامقًا، فأحس أني في هاتيك المواقف، فأرسل لي سلامًا ومر كالبرق الخاطف، وكنت أود الفوز برؤيته، والارتواء من زلال طلعته، فأكدى البصر، وكل شيء بقضاء وقدر.

---

(١) تازه خورماتي Taza Khormati: بلدة في تركية الآسيوية/الأناضول، في ولاية بغداد وشهرزور، لواء كركوك. تقع جنوب كركوك، وتكتب أيضًا: طوزخورماتو، وهو اسمها اليوم، على على خط العرض ٣٤,٥٣ والطول ٤٤,٣٨ .

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢١١ .

وتشتمل القرية من البيوت على نحو سبعين، وأهلها جميعًا من جهلة المتشيعين، وتسمى عند الأعراب بـ (أم تل)، لتل هو منها بأقرب محل.

ولما كان [٦٧/ب] صباح اليوم الثاني، تحققنا بقاء الوالي اللاحق والسابق في هاتيك المغاني.

وعندما انتصف النهار، شرع بشري وشعري باقشعرار، ولم تزل ترد عليّ جيوش الاهتزاز، وأسناني -متعني الله تعالى بها- تدق لها على رغم أنفي طبل باز. ولما كانت الساعة الثامنة حمي الوطيس، وغدا لنيران الحمي في أقصى العظام نسيس.

حتى إذا تلفعت من البرد حوراء النهار بملفع الغروب، وجال فارس الليل على فرسه الأدهم السحوب.

تذكرت أولادي وأهلي، وما كان يصنعون في تمريضهم لي، فانحل مني عصام الزفرات، وانهل على ذقني غمام العبرات، وتوجهت إلى مولاي جل شأنه بشراشري، وأقبلت إليه عز سلطانه بظواهري وضمائري، فجعلت ترشح عرقًا كدنان خرماتي قربتي،

وطفقت كلما ازددت عرقاً ازدادت صحوتي، ولم يزل يسيل ذاك إلى أن سال نهر النهار، وانهال جرف الليل عليّ من هناك وانهار، فخمدت بأنفاس العناية الإلهية نيران أم ملدم، فحمدت الله جلت أياديه العلية علي جزيل ما أنعم.

وأظن أن ذلك العرق الذي يغرق في تياره سبوح العجب، هو ما تقاطر من لجين المطر في بوادق أعضائي يوم سيري لقنطرة الذهب، وقد صعده ما أودعه حبيبي الحسين في كورة قلبي من نيران كربلا، فقد رجوت منه الصلح مع ابن عمه أحمد عزت أفندي فأبى على نجابته إلا القلى، وإلا فمن أين لي من الماء هذا المقدار، وهل في جسدي سحاب ينهل بالوابل المدرار؟

وقد منّ الله تعالى عليّ وقت الحمى بالأخ الحميم، ذي الدين القوي المتين، والخلق الرزين القويم، سليمان بك أفندي، كان الله تعالى له فيما يسر ويبدي، فقد كان ينسى لما بي نفسه، ويفقد لما رأى من مزيد كربي حسه، وسهر معظم ليله لسهري، وحذر عليّ أعظم من حذري، وجعل يئن لكربي أنين السليم، ويحنو عليّ -على شيبي- حنو المرضعات على الفطيم، وضم إلى دثاري دثاره وشعاره، ولو اسطاع فتح جفنه لجرّني إليه وأسبلَ عليّ شفاره، وكم ارتوى ثديي بمص در الشفقة من أنامل يده، وانتثر من عيني دُر المسرة مما حوى من جليل مجده [٦٨/أ] فأسأل الله تعالى أن يمن عليه بواقية كوافية الوليد، ويقمصه ثوبًا من العافية يعم جميع جسده ويزيد.

وزارني وأعضائي تخفق كقلب خائف ولا تتحاشى لواء العساكر الحجازية والعراقية محمد باشا، فأنعِم به من نجيب، قد اتخذ الوفاء أحب حبيب.

المنزل الثاني والأربعون : داقوق[1]:

ولما حميت الظهيرة وقد بردت الحمى، وواصل كل من الرفاق مسيره، وقد انقطع عني ما ألَمّا، دققت بحوافر أدهمي هام السير إلى (داقوق)، وبعد أربع ساعات وصلت إليها وجبيني يتقاطر عرقًا كأنه راقوق.

ولما أربدت وجنات الضو، وتوردت حدائق الجو لم يمض إلا قليل، فابتل جناح الهوى، واغرورقت مقلة السما، وزأرت أُسُد الرعد، ولمعت سيوف البرق كثنايا دعد، فسحت ديمة روت أديم الثرى، ونبهت عيون الروض من الكرى، ومَنّ الله تعالى معها على البيوت بالثبوت، وعلى السقوف بالوقوف، ثم أرعدت وأبرقت، وأظلمت بعدما أشرقت، ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت، وحكت أنامل الأجواد وأعين العشاق بل أوفت عليها وزادت :

(١) ربما يعني بها **طاوق Taouk**: بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية بغداد وشهرزور، لواء كركوك. تقع جنوب مدينة كركوك، في العراق، على خط العرض ٣٥,٠٨ والطول ٤٤,٢٧.

س. موستراس، المعجم الجغرافي، ص ٣٤٣ .

فَمِـنْ لائِـذٍ بِفِنـاءِ الجِـدَار ... وآوٍ إلـى ذَفَـق مُهْمَـل

ومن مستجيـر يُنـَادي: الغريـقَ ... هناك، ومن صـارخٍ مُعْـوِلِ

وجـادَتْ علينـا سَمَـاءُ السقـوف ... بِدَمْعٍ مـن الوَجْدِ لم يهمـل

كـأن حَرَامـاً لهـا أن تَـرَى ... يَبيساً من الأرض لم يُبْلَـل[1]

---

(١) الأبيات للأمير أَبو الفَضْل عُبَيْدُ الله في وصف يوم ماطرٍ، ومنها:

دَهتنا السَّماءُ غَدَاة َالنَّجاب ... بغيمٍ على أُفقهِ مُسبَلِ
فجاءَ برعدٍ له رَنّة ٌ ... كَرَنّة ِ ثَكلى ولمْ تُثكلِ
وثنّى بوبلٍ عَدَا طَورَهُ ... فعادَ وبالاً على المُمحلِ
وأشرفَ أصْحَابُنا من أذاهُ ... على خَطَرٍ هائلٍ مُعضلِ
فمنْ لابذٍ بفنَاء الجِدارِ ... وآوٍ إلى ذَفَقٍ مُهمَلِ
ومن مُستجيرٍ يُنادي الغريقَ ... هناكَ ومن صائحٍ مُعولِ
وجادتْ علينا سَمَاءُ السّقوفِ ... بدمعٍ من الوَجدِ لم يُهملِ

وهو أبو الفضل الميكالي، كان واحد خراسان في عصره أدبا وفضلا ونسباً. وله ديوان رسائل، وديوان شعر، وتصانيف أخرى كثيرة، توفى سنة ٤٣٦هـ.

الحُصري: زهر الآداب، ٧٩/١ .

وعلى ذلك الحال جاءت الحمى للتسليم عليّ في تلك البقاع، فكان والحمد لله تعالى تسليمها على الوداع، والظاهر أنها كانت مخبوءة بين الشعر والبشر، وإلا فكيف جاءت من خارج مع كثرة المطر.

وبتنا في أضيق حجرة بين الحمول والخيول، وبلا تطويل تحيرنا - أجلكم الله تعالى- أين نبول.

وداقوق كانت في زمن العباسيين أكبر بلد، واليوم أخنى عليها الذي أخنى على لبد، فلم يبقَ فيها من البيوت إلا نحو ماية، وأهلها رفضة هائمون في سباسب الغواية، والعامة[٦٨/ب] يقولون لها (طاووغ)، والحق ما تقدم إلا أن العامي عن الحق يروغ.

المنزل الثالث والأربعون : طوز خرماتي[1]:

ولما بدا طيلسان الدجا ينجاب وتبسم الصبح تحت لثام السحاب. قمنا نمسح غبار النوم عن العيون، فأدينا مع القوم المفروض والمسنون، وإثر الأداء سرنا، وبأجنحة الصافنات الجياد طرنا، فبلينا برياح زمهريرية ترش على وجوهنا الرذاذ، ولم يكن لنا من أذاها سوى كهف العناية الإلهية عياذ، فأتينا (طوز خرماتي) بعد خمس ساعات، ورأينا هناك من البغاددة جماعات، ونزلنا عند نجل عبدي، النجيب سعد الله بك أفندي، فأكرم مثوانا، وعجل قرانا، ولم يقصر في الإكرام بوجه من الوجوه، وأبدى من أنواع الاحترام فوق ما نرجوه.

---

(١) **طوز خورماتيTouz Khourmati**: مدينة في تركية الآسيوية –الأناضول- في ولاية بغداد وشهرزور، لواء زانكاباد على نهر آق صو، أحد روافد نهر العظيم. طوز خورماتي وطوزخوراتو، تقع في العراق، جنوب مدينة كركوك،على خط العرض ٣٤,٥٣ والطول ٤٤،٣٨.

س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٣٥٣ .

حتى إذا طمست عين النهار، وحجب غين الظلمة الأبصار عن الإبصار:

وقد أَزْهَرَت بِيضُ النجومِ كَأنّها * على الأُفُقِ الأعْلى قلائدُ من دُرِّ**(١)

عادت إليّ محروقة الشيب أم ملدم، فجعلت -لا أبالها- تعركني عرك الأديم ولم ترحم، ولما شابت ذوائب الليل جرى العرق من قربتي جري السيل؛ حتى إذا سالت بضغث الظلمة الأنوار، واتضحت لكل ذي عينين أعيان الآثار.

انقطع عرقي الهطال، فقمت والحمد لله تعالى كأنما نشطت من عقال. (وطُزخرماتي) بطاء مهملة مضمومة، قرية تشتمل على نحو مائتين وخمسين بيتًا بالرفض موسومة، وحدثني بعض من سبر أحوالهم، وشبر أقوالهم وأفعالهم، أنهم في أودية الجهل هيام، لا يميزون بين ليل الكفر وصبح الإسلام، ولو أنهم دُعُوا إلى الحق لأجاب أكثرُهم،

---

(١) من شعر الأمير تميم بن المعز، ومطلعها:

وكأسٍ يُعيدُ العُسْرَ يُسراً، ويجتني ... ثمارَ الغِنى للشّرْبِ من شجر الفَقْرِ

يُوَلّدُ فيها المزْجُ دُرّاً منضّداً ... كما فتتَتْ فوق الثرى نُقَطُ القَطْرِ

الحُصري: زهر الآداب، ١/٣١٧ .

ولرجع عما هو عليه من الضلال أكفرُهم، لكنهم عدموا الداعي، فبقوا أنعامًا بلا راعي، ومتى وجب نصب عالم في كل مسافة قصرٍ للذّبِ، فنصبه في كل مسافةٍ لبيان أمر الله تعالى شأنه أوجب، لكن هذا أمر قد مات ومرت عليه الدهور، فإن أحيي في زمن نزول عيسى فذاك وإلا فتسلّ عنه بنفخ الصور.

المنزل الرابع والأربعون : كِفري :

وعندما أحسسنا من خد الأرض أنه لطمته ذات سوار، ولم يبق من طراز بردة السماء شيء من الآثار. حثثنا [٦٩/أ] ركاب المسير، وكم خضنا إلى قرب الركاب في ماء نمير، وبعد سبع ساعات تقريبًا قال جوادي: هذه (كفري) وهي بكسر الكاف، وقد يسبق ضمها على اللسان ويجري، فرأيتها قرية تسلسل ماؤها، وطاب هواؤها، واتسع فناؤها، ولها سور يشعر أن قضيتها لم تكن من قبل مهملة، إلا أنه تداعى بعضه لما أعرض عنه التعهد وأهمله، ونزلنا في بيت الحسيب النسيب السيد عمر، وقد رجا ذلك منا في كركوك

وأرسل إلى أهله من يخبرهم الخبر، فدلتنا مكارمه أنه حقا من أبناء الأكارم، وذكرتنا أواني طعامه جفنة جده هاشم، وقد رأينا هناك قدوراً تهدر كالفنيق، وتفوح عرفاً كالمسك الفتيق، كأنها قدور سليمان ﷺ، وبها كل آونة يطبخ للضيفان الطعام، وكان حلولنا في بيت ذلك السيد الأجل، ليلة الأحد مستهل شهر ربيع الأول، جعل الله تعالى أيامه ولياليه ربيعاً، وسقى سبحانه رياض آمالنا فيه من منهل البشرى غيثاً مريعاً.

وقد نفضنا هناك غبار المسير، وفضضنا ختام جامات السرور بأيدي ما حصل من التيسير، وفي القرب منا نهر طامية أرجاؤه، يبوح بأسراره صفاؤه، وتلوح في قراره حصباؤه، وبتنا في قبة حصينة، قد هيأت لنا فيها الفرش الثمينة.

فَقُلْ للسماء ارعُدي وابْرُقي * فإذّا وصلنا إلى المنزلِ** (١)

المنزل الخامس والأربعون : قره تيّه :

(١) الأبيات للأمير أَبو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله في وصف يوم ماطرٍ، والتي اورد الالوسي بعض أبياتها منذ قليل، ومطلعها:

فَجاَء برَعْدٍ له رَنة ... كَرَنةِ ثَكلى ولم تثكل

الحُصري: زهر الآداب، ٧٩/١ .

ولما انجلى عن وجه البسيطة الغيهب، وأبدت الغزالة أشعتها كأذني أرنب. سرنا إلى (قره تيّه) عجالاً، وحثثنا الرواحل وإن كانت هزالى، فلما قربنا منها بعد ست ساعات، شم القلب بخياشيم حدسه من الأحبة نفحات، فجعلت اتهم حدثه، وأعيب بالغلط حسه،

فبينما أنا في تلك الحال، قد شغلني شاغل الخيال، إذا بالبشير يناديَ: أيها الشيق الولهان، أبشر فقد جاء ولداك عبد الله(١).ونعمان(٢).
فطار شعوري، بأجنحة سروري، ولم أشعر إلا وأنا بين الأزقة حليف وجد وحرقة، فلما رأيتهما غبت أيضًا عن حِسّي [٦٩/ب]،

---

(١) **عبد الله الآلوسي** (١٢٤٨-١٢٩١ه/١٨٣٢-١٨٧٤م): عبد الله (بهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) بن عبد الله الآلوسي: فقيه بغدادي من قضاة الشافعية. تخرج بأبية، وترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس. ومرض وتصوف وباع كتبه وعقاره وقصد استنبول، فاعترضه قطاع الطرق فعاد إلى بلده صفر اليدين. واضطر إلى العمل الحكومي، فولي قضاء البصرة مدة سنتين وأكلت الحمى جسمه فرجع إلى بغداد، ففارق الحياة. ألف عند سنوح الفرص كتبا، منها: "المتنان في علمي المنطق والبيان" و"الواضح في النحو"، و"التعطف على التعرف في الأصلين والتصوف" بخط ابنه محمود شكري اللآلوسي، في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قسم الخزانة النعمانية الآلوسية، و" ترسلانة " في جزء لطيف مما جمعه ابنه محمود شكري.

الزركلي: الأعلام ١٣٦/٤؛ الباباني: هدية العارفين ٤٩٠/١ .

(٢) **نعمان الآلوسي** (١٢٥٢- ١٣١٧هـ/١٨٣٦-١٨٩٩م): نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي: واعظ فقيه، باحث، من أعلام الاسرة الآلوسية في العراق. ولد ونشأ ببغداد. وولي القضاء في بلاد متعددة، منها الحلة. وترك المناصب. وزار مصر في طريقه وعاد يحمل لقب "رئيس المدرسين" فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد. قال الاثري في وصفه: كان عقله أكبر من علمه، وعلمه أبلغ من إنشائه، وإنشاؤه أمتن من نظمه. وكان جوادا وفيا، زاهدا، حلو المفاكهة، سمح الخلق. من كتبه "جلاء العينين في محاكمة الاحمدين" ابن تيمية وابن حجر، و"الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح"، و"غالية المواعظ"، و"صادق الفجرين" في علي ومعاوية، و"شقائق النعمان" في الرد على بعض معاصريه.

الأثري: أعلام العراق، ص ٥٧ - ٦٨؛ محمود شكري الالوسي: المسك الأذفر، ص ٥١؛ الزركلي: الأعلام، ٤٢/٨.

وكادت تفارقني من شدة الفرح بهما نفسي، ونهاية ما شعرت به أنهما قد غلبهما مثلي من السرور البكاء، وقد أخذا بأطرافي وطرفي تارة ينظر إليهما وأخرى إلى السماء، وطوراً ينظر الواقفين نظر مبهوت، ومرة يغمض عينيه كأنه يريد أن يموت، وقد هدلت شفتي، وانحلت عرى قوتي.

ومجمل الكلام على ما هو عليه من الطول والعرض، أنك لو شاهدت الحال لخلت محتضراً أخذ بضبعيه اثنان فسارا به ورجلاه تخط الأرض.

وبعد برهة عاد طائر الحس إلى وكره، ورجع غائب الفؤاد إلى صدره، فحمدت الله تعالى بالعجز عن الحمد، على نعمه التي تجل عن العد والحد.

وقد لاقيت هناك نيري سماء المكارم، وذوآبتي ناصية فخر بني هاشم، من حازا من المجد طارفه وتالده، ونالا من الكمال أوانسه وأوابده، الليث الوردي، السيد أحمد أفندي، والغيث المجدي، نقيب الأشراف، ونقي الأطراف، السيد علي أفندي، فعاد لي بملاقاتهما شباب زماني، ورأيت بمرآة مرآهما جميع أحبتي وإخواني، وقد أجريا رسم وجوه البلد، فجاءا لاستقبال الوالي إلى هذا الحد، وبيضا بما صنعا وجوه سائر الوجوه، ورأى منهما المشير المشار إليه فوق ما يرجوه.

وقد رأيت أنا من حضرة النقيب مجداً فوق ما تركته عليه، ولا بدع في ذلك من شريف أحاط الشرف الأثيل بطرفيه، فأين وجوه البلاد، من وجوه بغداد، فكم رأيت فيمن سواهم، ممن يزعم أنه جاراهم، من جعل وارثه وكيله، وأسنانه أكيله، وأنيسه كيسه، وأليفه رغيفه، وأمينه يمينه، ودنانيره سميره، وصندوقه صديقه، فهو يجمع لحادث حياته، أو وارث وفاته، قصاراه من المجد أن ينصب تحته تخته، وأن يوطئ إسته دسته، وحسبه من الشرف دار يصرح أرضها، ويزخرف نقضها، ويزوق سقوفها، ويعلق شفوفها، وناهيه من الفخر تعدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، وكفاه من اللطافة، ثياب شفافة [٧٠/أ] يلبسها ملوماً، ويحشوها لوماً، ولو اتفق في بلدنا من يتحلى بحليته، فلعنة الله تعالى على لحيته.

المنزل السادس والأربعون : دلي عباس :

ولما أسفر وجه مسافر النهار، وظهر ما كتمه الليل من الأسرار. سرنا جميعاً على مطايا الاستيناس، وبعد سبع ساعات عقلت الرواحل بلوغ المنزل فتبسمت فرحاً عند خان (دلي عباس)، وكان مسيرنا في أرض رخوة، لا يكاد يخرج الجواد منها حقوه، ولولا ما كنت أتلوه من الأسماء، لغدوت مع الرفاق قرين قارون في مستقر الماء.

وبِتنا في خيمة عماد بيت آل عبد مناف، جناب السيد علي أفندي نقيب الأشراف، فكنا فيها بحال سعيد، حتى خُيِّل لنا أنا بتنا في ظل العرش المجيد.

المنزل الثامن والأربعون: الجديدة [١] :

ولما تقشع ظلام الليل وانجاب، ومدت من خيمة الأنوار على الآكام والتلاع الأطناب.

---

(١) **جديدة Djudeida**: بلدة في تركية الآسيوية /الأناضول، في ولاية بغداد وشهرزور، لواء الديوانية، على نهر الفرات. تقع على خط العرض ٣٥,٠١ والطول ٤٢,٢٨ .
س. موستراس: المعجم الجغرافي، ص ٢٣٢ .

سرنا إلى ثماني ساعات، فنزل الأمير والمأمور في (جديدة الأغوات)، وهي بساتين ومزارع كانت من قبل إقطاعًا لأغوات الينكجريه[1]،

---

(١) **يكيجري/الانكشارية:** قبل عهد السلطان مراد الأول المتوفي عام ١٣٥٩م لم يكن للعثمانيين جيش نظام ذو كيان ودوام، وكان إذا ما قامت الحرب استدعى لخوض غمارها كل قادر على حمل السلاح والقتال، غير أن هؤلاء وإن اتخذوا لأنفسهم صفة المحاربين الغزاة، إلا أنهم لم يقيموا هيئة ولا نظاما على حدة، فكانوا يسمون (يايا) بمنى المشاة (ومسلم) ولهم رواتبهم.

إلا أن هؤلاء الجنود ضعفت طاقاتهم عن خوض الحروب على مر الزمان، وهذا ما أفضى إلى التفكير في تشكيل جيش نظامي دائم، فشكلت فرقة الانكشارية، وهي من كلمة (يكي جري) بمعنى الفوج الجديد، أخذاً مما كان للسلاجقة من تشكيلات عسكرية. غير أن تشكيل هذا الجيش العثماني النظامي لا يعرف له تاريخ بالقطع، ولكن المقطوع به أنه شكل في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي بعد فتح مدينة (أدرنة). وقد أضيف إلى هذا الجيش أسرى المسيحيين، واعتنق هؤلاء الإسلام وتقاضوا رواتب، وصدر القانون بنقلهم إلى فرقة (غاليبولي). وكان لجاندرالي قرة خليل باشا دور من الأهمية بمكان عظيم في تشكيل الجيش العثماني. ولكن بعد فتح استانبول، تلقى الجيش مدداً من الأسرى، ومن الدوشرمة، وهي جمع الصبيان المسيحيين فكثر عدده. وكان الصبيان من العجم يلحقون بالخدمة في فرقة الانكشارية بعد أن ينخرطوا في الجيش، ويؤدوا الخدمة العسكرية مدة لا تقل عن ست أو سبع سنوات. كما أن الصبيان الذين يجمعون طبقاً للنظام المعروف بـ(الدوشرمة) يلحقون بالخدمة خارج القصر السلطاني، ثم ينخرطون في سلك الانكشارية كما كان غيرهم يلحقون بالخدمة العسكرية دون أن يكون إلحاقهم طبق نظام الدوشرمة. ويمكن تقسيم جنود الانكشارية إلى ثلاث فرق: هي (جماعت أورطه لرى)، والثانية (سكبانلر)، والثالثة (أغابلوكارى).

واعتباراً من القرن الخامس عشر انتسبت الانكشارية إلى الفرقة البكتاشية التي أسسها حاجي بكتاش، وإن قيل إنه لا علاقة في الواقع بين الانكشارية، وبين الطريقة =البكتاشية. ولكن ظل المعتقد عامة أنهم منتسبون إلى الطريقة البكتاشية، وكان هذا المعتقد سائداً على الدوام. وفي مقرهم وكلاء عن حاجي بكتاش، وكل وكيل له مقر في ثكنة طائفة منهم. وطوائفهم أربع وتسعون طائفة، وحقيق بالذكر أن الانكشارية كان لهم الفضل في تحقيق الظفر للعثمانيين في فتوحاتهم التي وسعت الأرض طولاً وعرضاً، إلا أن الغرور دخلهم، وأصبحوا طائفة تسعى في الأرض فساداً، وتستعلي حتى على السلاطين. وكان للجندي الانكشاري امتياز ينفرد به دون غيره، فإذا اقترف ذنباً أو عمل سوءاً لم

وبعد أن خبت نارهم أُلحقت بالأراضي الأميرية، وهي اليوم تمليك لابني الشيخ النوراني، أبى أكثر علماء العراق عبد الرحمن أفندي الروزبهاني، وكانت تمليكًا له من قبلهما، ثم لأمر ما يطول ذكره قصرها عليهما. وقد بتنا فيها بشرّ ليلة، وقد وفّى المطر بصواع السحاب لنا كيله .

يقبض عليه ولم يجرم؛ بل يسلم إلى فرقته لتتولى أخذه بما يستحق من عقوبة. حتى لو اقترف ذنبًا يستحق عليه القتل، فما كان يقتل علنًا أسوة بغيره ممن يستحقون هذه العقوبة، ويقتلون علنًا، ولكن قتل من يستحق منهم القتل بكيفية على حده، فيسقط اسمه من السجل الخاص بفرقته، ثم يخنق في مخزن الرصاص أو في القلعة المسماة(روميلي حصار) ليلاً، ثم يربط جثته في حجر ويلقى بها في البحر.

وفي عهد السلطان محمود الثاني حلت فرقة الانكشارية بعد أن استشرى شرها، فتخلص منهم وكف عاديتهم عن بلاده، ففي السادس عشر من شهر يونية عام ١٨٢٦م رفع الانكشارية راية العصيان، وهو محنقون، مغضبون معلنين على الحكومة أشد سخطهم، لأن مدربًا أوربيًا ضرب أحدهم، ولكن حقيقة الحال أنهم كانوا حاقدين في شدة على السلطان محمود الثاني الذي أراد إصلاح جيشه، فرأى من الخير أن يدمج فرقتهم في الجيش العثماني، فساءهم ألا يكون لهم وجودهم المستقل على أنهم كتبوا بدمائهم صحائف مجد بلادهم. فرأى السلطان أن يقضي عليهم قضاءً مبرمًا، فأمر بتقتيلهم، وهلك منهم أكثر من أربعين ألفًا، بعد أن حصدوا حصداً بنيران المدافع، وهذا مؤرخ عثماني يقول في هذا: (إن الوصف المفصل لشرور تلك الفئة الطاغية الباغية ليذهل أولي الألباب ولي قلم يعاف القبيح، ومن جبروتهم وتسلطهم سيكون حديث حفدتنا من بعدنا، ولسوف يشكرون الله على نعمة الخلاص منهم، ولقد أردت أن أحيط المسلمين علمًا بفضل سلطانهم الذي أرسى أساسًا لسعادتهم، وذلك بقطع دابر الانكشارية، ونزع دوحتهم من أصلها.

مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٦١ .

ولما أحس الليل من خصمه النهار بطلب، فلملم خوفًا منه أذيال ثوبه الأسود وهرب؛ سرنا نحو أربع ساعات مستوية، بين سواقي أنهار معوجة ملتوية فأنزلنا سليمان بك أفندي فيما عمره لفلاحي بستانه، قرب ما شيده في هاتيك الربوع للمارين من خانه، فانهل كرماً كالسحاب، وقدم لنا من غير سؤال جفاذًا كالجواب، ونزل الوزير الجديد في بيوت الجديدة، ومعه من خاصته نفوس عديدة .

ولاقاني مع بعض الأصدقاء في نواحيها، أخي الذي تنقل في منازل الأصلاب والأرحام التي تنقلت فيها، الحال مني محل روحي من جسدي، ابن جوزي وقته السيد عبد الرحمن أفندي، لا زال مجلي همي وغمي، ومرآتي التي تتجلى فيها صورة أبي وأمي. [٧٠/ب]

[مدينـــة الســلام]

ولما خفقت راية الصبح البيضاء، وأسفرت فرحًا بأوب غائبة غانية الشمس وجوه أرجاء الغبراء؛ سرنا سراعًا إلى مدينة السلام، وطارت بالقوم إلى الأوطان نعامى الوجد والغرام، فعما قليل انتشقنا نفحات روضة شقائق النعمان، وعطرنا الشفاه بلثم ثرى ضريح ذلك الإمام الأعظم السامي على كيوان، ثم سرنا مع من خرج لاستقبال الوزير، والمشير الذي عز أن يكون له نظير، فغبت عن حسي إذ لاح لي سور الزوراء، فلم أشعر إذ ذاك بنفسي هل هي في الأرض أم في السماء ؟ وبعد برهة عاودني ذهني، فجعلت أمسح قتام الشك عني، وطفقت أقول يا قوم، أنشدكم الله تعالى هذه رؤية يقظة أم رؤيا نوم، وبعد أن مَنّوا بالفُتيا، وتحققت أن الأمر رؤية لا رؤيا، شكرت المولى، على جزيل ما أولى، وأَدّى وهيهات يقوم الشكر بهذه الأيادي، ولو بقيت أصدح به وأصدع إلى الحشر في كل نادي، ثم ناديت أحبتي، بأعلى صوتي :

خَلِيلَيَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ *** قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[1]

ودخلت ربعي وقد مالت الشمس إلى ربع الغروب، فناديت: الحمد لله ﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[2]، وذلك يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين وتسع وستين من هجرة النبي الأكمل صلى الله تعالى عليه وسلم، ما عاد مسافر إلى وطنه ونسي ما جرعته الغربة من حنظل الألم.

---

(١) مطلع قصيدة مشهورة لكثير عزة، يقول فيها:

وما كُنْتُ أَدْرِى قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكَا ... ولا مُوجِعاتِ الحُزْنِ حَتَّى تَوَلَّتِ

وكانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنِى وبَيْنَها ... كَنَاذِرَةٍ نَذْراً وَفَتْ فأَحَلَّتِ

ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ١/١١٢؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٢/٢٠٠؛ أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، ١/١٥٦ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٣٥.

وقد كان من فرح الأحبة بي ما لم يخطر ببال، ولم يخط إلى عتبة تخيله فارس خيال، وأسرعت سحرة شعراء بابل بأسرهم، إلى تقديم حبال نظمهم وعصى نثرهم، فقدموا ما لو رأته العصا الموسوية لجعلت تهتز عجباً به كأنها جان، ولو شاهدته الرهبان العيسوية لأوشكت أن تقول: وحرمة الإنجيل هذا قبس من معجزات القرآن.

فمن ذلك [٧١/أ] قول الأبي ابن أبي، ومن تربى في حجري وتأدب بأدبي، فهو اليوم كابني عندي، السيد عبد الحميد أفندي :

هناء به صبح الوصال تبسما * وبشر به ليل البعاد تصرما

وغرد قمري البشائر صادحا * بألحان أفراح لها السعد ترحما

وقرت من الزورا عيون وجوهها * وقد طالما سحت لفرقتك الدما

قدمت قدوم البدر في حندس الدجا * أو الصبح في ساج من الليل أعتما

وجدت بوصل للعراق وقد غدا * لبعدك يحكي مستهاماً متيما

لقد شاقه منك التلاقي فلم يزل * يحن حنين النازحين إلى الحمى

اهنيك مولانا بأشرف مقدم * وإن كنت في ذاك المهنى المنعما

قدوم كسى وجه الرصافة بهجة * وألبس جيد الكرخ عقداً منظماً

ودجلة صفواً بالمسرات قد جرت * فحازت نواحيها من الخير موسماً

لقد زان فرق الشرق مقدمك الذي * انلت الورى فيه من الخير مقدماً

لأن لبست بغداد ثوباً من الهنا * وبرد سرور بالفخار منمنما

فقد لبست يوم النوى ثوب ذلة * وجرعها مر التباعد علقما

فصبراً جميلاً يا فروق * بها نالت الزورا من الوصل مغنما

لفرقة فمن عادت الأيام ما بين * يكون شقاً قوم لقوم تنعما

أهلها أخالك تبدين * وكم بلدة أبدت عليه التندما

الندامة بعده هو الشهم محمود * وندب خطوب دونها الليث أحجما

السجايا أبو الثنا هو الجوهر الفرد * سناه على الزهر الدراري مقسما

المجرد قد غدا هيولاه من روح * وهيكله من محض لطف تجسما

المعاني تصورت هو الآية الكبرى * وعيلم علم بالفضائل قد طما

وعلامة الورى وسيف لدين الله * من الفتك لم يفلل ولن يتلثما

ماضٍ على العدا وصبح بأنوار * إذا ما دجا ليل الظلال وأظلما

الهداية مشرق به الشرع * وأضحى قوام الدين فيه مقوماً

امسى ليله كنهاره لك الله خبراً * وبحر إذا ما استسقى الآل من ظما [٧١/ب]

أن فشى الجهل في الورى جلا عن * سناه فلم يترك من الليل مظلماً

ليالي المشكلات ظلامها * فأحيا بتدريس الأحاديث مسلماً

وأذكى مصابيح الهدى نور علمه * من الروم أضحى مقفر الأرض معدما
أما إن روض العلم لولا وروده * ببغداد أمسى دارسًا متهدما
وربع الندا لولا حلول أبي الثنا * وحصنًا منيعًا بالجلال مطلسما
فاصبح ركنًا للعلوم مشيدًا * وأسس ركنًا للنجابة محكما
وأحكم للشرع الشريف قواعدًا * ولا الغيث يحكيه نوالاً وإن همى
فلا البحر يحكيه بجود وإن طمى * غدا منجدًا في الخافقين ومتهما
لقد سامت النسرين قدرا وصيته * لديه غدا قسّ الفصاحة أبكما
وأخرس أرباب البيان بمنطق * فيا عجبًا من أخرس قد تكلما
وكلم أحشاء الأعادي يراعه * وكم قد زهت بالشهب ديباجة السما
زهت في شهاب الدين مرتبة العلا * لنيل المعالي سير الفضل سلما
ولا بد أن يرقى المراتب فاضل * ولو صغت من مدحي القوافي أنجما
ولست بمحص بعض وصف أبي الثنا * كساها الهنا بردا من الحسن معلمًا
فخذها تغيظ المبغضين قصيدة * إذا ما رمت ترمي أعاديك أسهما
خريدة فكر في الجمال فريدة * مشتت بال مدنف القلب مغرما
وسامح فدتك النفس عبدًا لبعدكم * فينثر عقد الدمع فذا وتوأما
يهيم بكم شوقًا إذا جن ليله * بسيف المعالي منه زندًا ومعصما
ودم مرغِما أنف الحسود وحاسما

ومن ذلك قول شاب الأدب الذي أعجز الشيوخ، ومن استولى على أوابد المعاني ففرى منها اليافوخ، ذي الإعجاز الجلي، أحمد عزت أفندي العمري الموصلي[1] أودعه في بغداد نزلا لي، يقدم إليّ إذا حللت منزلي:

---

(١) **أحمد عزت العمري** (١٢٤٤-١٣١٠هـ/١٨٢٨ - ١٨٩٢م): أحمد عزت باشا بن محمود الفاروقي العمري. شاعر، باحث، من أهل الموصل، رحل إلى الأستانة وولي بعض الأعمال، ثم عين (متصرفاً) في شهرزور فمتصرفاً في الأحساء -وكانت قاعدة نجد- فمتصرفاً في تعز (باليمن) وعاد إلى الأستانة فعكف على التأليف فجمع شعره في (ديوان -خ) كبير (في الخزانة التيمورية) وجمع شعر عبد الغفار الأخرس. توفي بالأستانة.

له: (العقود الجوهرية-ط) وفيه تراجم بعض شعراء عصره ممن مدحوا أبا الهدى الصيادي، و(رحلة إلى نجد)، ورسالة في (التصوير الشمسي -خ) وترجم عن التركية (احكام الأراضي -ط)، وله (سفينة -خ) جمع فيها بعض شعره ورسائله.

لا تقبلي ما قال فيَّ العاذلُ * كم من مقالٍ ليس فيه طائلُ
قد زين الأقوال منه بحلية * جيدي كجيدك من حلاها عاطل [١/٧٢]
لابد أن تبدو حقائق قوله * فالحق لا يعلو عليه الباطل
قد ظنه فصل الخطاب وأنه * ما بيننا لهو المقال الفاصل
ما قال إلا وهو يزعم أنه * ترضين يا سلمى بما هو ناقل
رام التباعد بيننا فسعى بما * لا يرتضيه في الحقيقة عاقل
فكأنني راء الفراق وأنه * في ربط أوصال القطيعة واصل
لا تأخذيني في مقالة عاذلي * فالمرء مأخوذ بما هو قائل
ناهضت حبك والسقام يعوقني * وكتمت سرك والدموع هوامل
يا إخوة الأيام يتبعونها * من منكم لي ناصر أو خاذل
قد كان غصن الوجد فيكم يانعاً * واليوم أمسي وهو منكم ذابل
كم خلة داويتها بدوائها * عادت علينا وهي سم قاتل
دميت قروحك يا جريح زمانه * تحت الخمول فهل لجرحك دامل
دهري يحاربني تحارب جاهل * والدهر في بعض المواضع جاهل
نصل الخضاب ولاح نصل الشيب قد * صقلته من مر السنين صياقل
فبمهجتي ذاك القراب ونصله * وبمهجتي ذاك الخضاب الناصل
ياغصن عمري كم هصرتك في الصبا * فلم انثنيت وأنت عني مائل
حيتك يا أرض العقيق مدامعي * وسقى مرابعك الغمام الوابل
كم لي وقوف في ذراك ومدمعي * عما جرى بربي ربوعك سائل
أيام أخطر في رداء شبيبتي * وبثوب أيام التصابي رافل
يا مربعا لم تقض حق عقوده * عين مقرحة وجفن هامل
أفديك لو أن الليالي ترتضي * مني وتقنع بالذي أنا باذل
هل راجع عصر التصابي باللوى * ولّى وكيف رجوع ما هو زائل
أيام وادي الوجد منه عامر * زاهٍ وربع اللهو فيه آهل
شغلتني الدنيا فلي في حربها * عن ذكر أيام التصابي شاغل

ما ضر يا لمياء قلبًا جائراً * لك لو يعلمه القوام العادل
لا تمنعي طيف الخيال فربما * تقضي لديك على يديه وسائل [٧٢/ب]
لا تجهلي شرفي العظيم وتحسبي * يا أخت سعد إن سعدي آفل
كم لي بأذيال الشهاب تعلق * ينحط عن إدراكه المتناول
بحر طمى بالمكرمات فما له * مع طيب منهل وارديه ساحل
عذبت به للواردين موارد * وصفت لديه للوداد مناهل
كم زرته ووعاء فكري فارغ * ثم انثنيت وضرع ذهني حافل
فلقد زكت منه أصول معاشر * طابت بهاتيك الأصول قبائل
شرف نمى بين الأنام فغصنه * في دوح آل محمد متمائل
يا غائباً عنا بأفخر بلدة * فبها تشير إلى علاك انامل
حسدت أهاليها بلادك مثلما * حسدت نزاراً قبل هذا وائل
حياك (عارف حكمة) بتحية * ما حازها من قبل هذا فاضل
أثنى عليك بما جنابك أهله * والليث يعرفه الهزبر الباسل
كم عالم قلدته بقلائد * كانت لجِنِّ الجهل منه سلاسل
ولكم هززت من اليراع مثقفاً * هو عامل بحشا عداك وفاعل
أحييت رسم العلم بعد دروسه * أيام ذكر الاسم منه خامل
ولكم حللت من المسائل مشكلا * عن فهم معناه الجميل ذواهل
فكشفته بدلائل هي في أكف * المعضلات أساور وخلاخل
أطلعت صبح العلم فيها إذ دجا * ليل الضلال وللصباح مخائل
فاحت علومك فيهم فتمسكت * بعرى شذاك مجالس ومحافل
علموا بأنك خير من علقت به * منهم وسائل بغية ورسائل
عرفوك مذ لاحت شمائلك التي * فيها ارتديت وللكرام شمائل
هل كان فيهم مع زيادة فضلهم * فرد يجانس ذاتكم ويساجل
ضحك العراق وأهله بقدومكم * والروض يضحكه الغمام الهاطل
أقبلت إقبال الهلال لبلدة * تطوي لديك مراحل ومنازل

وطلعت كالقمر المنير إذا بدا * زرت عليك من الفخار غلائل

حييت يا مولى الورى من قادم * فيه زمان البؤس عنا راحل [١/٧٣]

فلقد تحملت المشقة في السرى * وأجلنا من للمشقة حامل

فارجع كما رجع الهزبر لغابه * قد حاز ما يبغي له ويحاول

واحطط رحالك في مقام دائماً * فيها الوفود فوارس ورواجل

خذها عقيلة مفخر أيامها * بقدوم ذياك الجناب أصائل

هي نفثة السحر التي انتسبت إلى * نفثات ما أودعت فيها بابل

أنشأت فيك أبا الثناء مدائحا * هي في رياض السامعين خمائل

فاقبل قليل ثنائها فمدائحي * هي إن تكاثر مدحها فقلائل

واصفح ففكري عن مديحك قاصر * واعف فإن اليوم عفوك شامل

لا بدع أن وقف اليراع فإنني * عن مدح سحبان الفصاحة باقل

ومن ذلك قول الشاب الذي تحير في دقة فهمه شيخ فهمي، ورقي في سلالم الفكر إلى عرش الأدب فلم يدر إلى أين وصل جبريل علمي، محمد فهمي أفندي عمري زاده، حفته -وهو بها حفي- أنواع السعادة :

هــذي الديــار وذا حمــى بغــدادِ * فاعقل قلوصك واتئد يا حــادي
وانشـد فــؤادي في الربــوع فإننــي * خلفت في تلك الربـوع فــؤادي
لو لم أخلفه لما ألفيتنــي * أثر الفؤاد يلوح فــي أفــوادي
لم أنس يومــك يا فــراق غـداة إذ * نادى بتفريق الفريــق منــادي
جد الرحيــل فمن فــؤاد رائــح * إثر الظعون ومن مشوق غــادي
ذهبوا بواعية القلــوب فكــل بــا * ق بعدهم فقد الدليل الهــادي
من كل مسقوم الصبابة لــم يــدع * منه السقام سوى مثــال بــادي
لله موقف ساعــة يــوم النــوى * وضعت به الأيدي علـى الأكبــاد
وقف بي علــى دار ألفت بها الصبــا * وبها بلغــت من الزمان مــرادي
دار بياض العيش تحت سوادهــا * قضيتــه مــع فتيــة أمجــاد
من كل وضاح الجبين كأنمــا * قد صفته من خلة ووداد [٧٣/ب]
ما مر لي ذكر الحمى إلا أتــت * منه حشاي بقادح وزنــاد
قد صدق الرؤيا يا فؤادي إذ فــدى * في البعد طيفهم بذبح رقــادي
ماذا على مضنى يبيت وعينــه * مكحولــة أجفانها بسهــاد
ما للنياق غداة شاهدت الحمــى * سارت كسير المعجب المتهــادي
يا ويحها أو ما درت بمتيــم * يحدو لها طـول الدجـا وينــادي
يخشى تلاعــب ســرب أرام النقــا * ويخافهــا لا صولـــة الأســاد
ويروعــه منهــن لحــظ فاتــك * في القلب لا سيــف طويل نجــاد
جرد حســام العز منك وصل بــه * رغمًا على هذا الزمان العــادي
ليس الحســام إذا تجــرد متنــه * للضرب مثل السيف في الأغمــاد
ليس الهوى مني ولست من الهــوى * لولا اعتراض السرب حول الــوادي
خل ملامــك في الهــوى عن مغــرم * أبــدًا يقاســي لوعــة الأبعــاد
وكأنمـــا أحبابــــه وشبابــــه * يوم النــوى افترقا على ميعــاد
هيهات أصغى للمــلام بحــب مــن * أضحى ضلالي في هواه رشادي
أرجــو الوصــول إلـى ديــارِ أهلهــا * قطعوا بسيف الهجر حبــل ودادي

وسرَتْ نسائمهم إليَّ فأججت * من نار وجدي أيما إيقاد
يا سعد دعني من إعادة ما مضى * وتناس ذكر الهجر والأبعاد
واترك حديث أميم عنك فإنما الـ * أيام قد سمحت بوصل سعاد
وأتت تهز معاطفا منها وقد * لعب الصبا في قدها المياد
ورتعت في تلك الرياض وإنما * وصل الأحبة روضة المرتاد
إيه فإن لكل ضيق فرجة * والغيث بعد البارق الوقاد
هذا شهاب الدين قد وافى إلى الـ * زوراء فروى كل قلب صادي
وتبسمت تلك الوجوه كأنما * زهر تعاهده مُلِثٌّ عِهَاد
أقمرت يا ليل العراق بأوجه * غر إذا حجب النهار بوادي
لم أدر هل ورد النقاء أحبة * أم رد أرواح إلى أجساد
هي عودة سر العراق بها وكم * سر العليل بعودة العواد [٧٤/أ]
واضاء نادينا ولا عجب فأنـ * ـوار الشهاب يضيء منها النادي
واف بوجه أبيض فانجاب عن * قطر العراق بذاك كل سواد
ورثت يداه الجود عن آبائه * والجود وارثه بنو الأجواد
فارو حديث الجود منه فإنما * في ذاك تعرف صحة الإسناد
وسخى بما لم يسخ ذو كرم به * فطوى مكارم طيئ وإياد
لا زال يعلو رفعة وجلالة * حتى غدا طوداً من الأطواد
لم يتخذ إلا الجياد سرادقاً * وكفى بها بيتًا رفيع عماد
وتجود راحته بكل عقيلة * تبقى مآثرها بغير نفاد
هيهات ينكر فضل مولى ثابت * بشهادة الأعداء والحساد
أو ينكروا فضلا على تصديقه * أضحى جميع الناس بالمرصاد
لا غرو إن عدم النظير فإنه * في العلم أصبح مفرد الإفراد
ماذا أعدد من صنايع ماجد * جلت صنايعه عن التعداد
لم يبق فخراً حيث قام مفاخراً * بمفاخر الآباء والأجداد
قوم إذا ضل الطريقة في الورى * أحداً أروه طريقة الإرشاد

قوم إذا سفروا حسبت وجوههم * للناظرين أهلة الأعياد
كم ألحقوا في الفخر طارف مجدهم * في الدهر من علياهم بتلاد
في حلبة التعداد من أوصافهم * كم قد جرى ملىء العنان جوادي
ويكاد أن وطئ المنابر منهم * قدم تعود وريقة الأعواد
يا من بأشرف من مدائح ذاته الـ * عليا يراعي ما جرى بمداد
قد حذت من شرف العلوم مكانة * فيها سريت بسيرة الزهاد
يجري ذكاؤك في العلوم كأنه * مهما جرى مدد من الأمداد
فخرت بك الأقلام إذ قلبتها * فخر الحلي بأحسن الأجياد
نعم حباك بها الإله جليلة * وأجلهن نجابة الأولاد
خذها إليك قصيدة تستوقف الـ * أسماع رقتها لدى الإنشاد
وانقد فإن الدر يظهر حسنه * وتزيد قيمته لدى النقاد [٧٤/ب]
وابق أبا نعمان فينا آمنًا * من سائر الأرزاء والأنكاد

ومن ذلك قول الشاعر المجيد، ومن جمع من بضايع الفضل كل مجيد، الأطرقجي الملا عبد الحميد، مؤرخًا للقدوم، بما يزري بقلائد النجوم:

أهلاً بمـــن أصلـــه من سيـــد البشـــر * ونوره فاق نـــور الشمـــس والقمـــر
أهلاً بمن فسر القـــرآن وانشرحـــت * بشرحـــه سائـــر الآيـــات والســـور
أهـــلاً بمـــن فـــازت العليـــا برؤيتـــه * لولاه أضحـــت بـــلا عيـــن ولا أثـــر
أهـــلاً بمـــن ريحـــه عطـــر وراحتـــه * بحر تفيض علـــى العافيـــن بالـــدرر
أهـــلاً بمـن حفظ العلم الشريف وقـــد * أحاط فيه سوى الخافي مـــن القـــدر
تمنـــت التـــرك يومًا أن تـــراك بـــه * لكي تضمك بين السمـــع والبصـــر
فسرت تفري بطون الصحصحان دجى * وتستضـــيء بأنـــوار مـــن الفكـــر
لمـــا حلـــلت بهم لاحـــت لأعينهـــم * شمس المعارف فاستغنوا عـــن الخبـــر
ورحت ترمي سهامًا كـــي تنـــال بهـــا * سهمًا مـــن العيـــش مأموذًا من الخطر
فيا لهـــا مـــن سهـــام فـــي كنانتهـــا * تصمي البعيد بلا قـــوس ولا وتـــر
وقـــد رجعت إلى أرض العراق ضحـــى * بالعز والنصر والإقبـــال والظفـــر
زهت بزورتـــك الـــزوراء وابتهجـــت * كأنها روضـــة تزهو علـــى نهـــر
والصبـــح أسفـر عـن سعـد فأرخـــه * بالجد مفتـــي العلى وافـى من السفـر

٤٠ ٥٣٠ ١٤١ ٩٧ ٩٠ ٣٧١ ، سنة ١٢٦٩

ومن ذلك قول نابغة الزمان، ورب الفصاحة التي سحبت ذيل الفخر على سحبان، الفاضل الذي أخرس شعراء عصره، وعصر من كرم قريحته الكريمة حميا الأدب فأسكر الأفهام بعصره، ذي الشعر الريق الأنفس، السيد عبد الغفار أفندي الأخرس(١): [٧٥/أ]

---

(١)**عبدالغفار الأخرس**(١٢٢٠-١٢٩٠هـ/١٨٠٥-١٨٧٤م): عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب المعروف بالأخرس. شاعر. ولد بالموصل حوالي سنة ١٢٢٠هـ وسافر إلى بغداد فسكنها، شاعر من فحول المتأخرين. ولد في الموصل ونشأ ببغداد، وتوفي في البصرة. ارتفعت شهرته وتناقل الناس شعره. ولقب بالأخرس لحبسة كانت في لسانه.وتوفي بالبصرة في ٩ ذي الحجة. من آثاره: ديوان شعر جمعه احمد عزت العمري وسماه الطراز الأنفس في شعر الأخرس.

كحالة: معجم المؤلفين، ٢٦٨/٥؛ الألوسي: المسك الأذفر ١١٦؛ الزركلي: الأعلام، ٣١/٤

يميناً برب النجم والنجم إذ يسري * ومن أنزل الآيات من محكم الذكرِ
لقد اشرقت بغداد منذ اتيتها * كما تشرق الظلماء من طلعة البدر
فراحت كما راحت خميلة روضة * سقته الغوادي المستهل من القطر
وما سرها شيء كمقدمك الذي * يبدل منها صورة العسر باليسر
وكم فرح من بعد حزن وراحة * من النصب الجاني على العدل بالجور
فلا ذنب للأيام من بعد مذه * فقد جاءت الأيام للناس بالعذر
تناءيت عنا لا ملالا ولا قلى * ولكن رايت الوصل من ثمر الهجر
وما غبت عنها حين غبت حقيقة * وكيف ولم تخرج هنيئة من فكر
رايت مقاما لا يرى الفرق عنده * من العالم النحرير والجاهل الغمر
ولابد للأشياء من نقد عارف * يميز بين الصفر والذهب التبر
غضبت ولا يرضيك إلا نهوضه * إذا ربض الليث الهصور على الضر
فجردتها كالمشرقي عزيمة * تتبع آثار الخطوب وتستقري
واقلعت عن دار جدير بانها * تشين آبات الضيم فيها وأن تزري
وما زلت تطوي كل بيداء نفنف * وتركب منها ظهر شاهقة وعر
وسرت إلى مجد أثيل وسؤدد * فمن منزل عز إلى منزل فخر
إلى الغاية القصوى التي ما وراءها * إذا عدت الغايات مأوى لذي حجر
نشرت بارض الروم علمًا طويته * بجنبيك حتى ارتاح في ذلك النشر
وسُرَّ امير المؤمنين بما راى * وراح وايم الله منشرح الصدر
اشار إليك الدين أنك ركنه * وقال الإسلام اشدد به أزري
وما ظنت الروم العراق بانه * يجري عليها فيك أردية الفخر
وما شاد قسطنطين ما شدت من علا * مؤبدة تبقى على أبد الدهر
فدتك الأعادي من رفيع محلق * كان يبتغي وصلاً من الأنجم الزهر
كفى الروم فخرا لو درت مثلما تدري * وهيهات أن تدري وهيهات أن تدري
بما قد حباك الله منه بفضله * من الهبة العظمى ومن شرف النجر
وآيتك الآيات جئت بما انطوت * عليها من الأسرار في السر والجهر[٧٥/ب]

كشفت معماها وخضت غمارها * وأنفقت في تفسيرها أنفس العمر
وأوضحت أسرار الكتاب بفطنة * تزيل ظلام الليل عن غرة الفجر
وقفت على إيضاح كل عويصة * مواقف لم تعرف لزيد ولا عمرو
وأغنيت بالأسفار وهي كوامل * ثمانية عما حوت مائتا سفر
ومن حاز ما قد حزت علماً فإنه * غني عن الدنيا ملي من الوفر
إذا احتاجك السلطان تعلم أنه * بذلك يمتاز المقل من المثري
أرى دولة أصبحت من علمائها * مؤيدة الأحزاب بالفتح والنصر
أرعت أولى الألباب منها بحكمة * يروح أرسطاليس منها على ذعر
قضت عجباً منك العقول بما رأت * وما بصرت يوماً بمثلك في عصر
برزت مع البرهان في كل موطن * من البحث لا يبقى اللباب مع القشر
فأفسدت للإلحاد أمرا دحضته * فليس له فيها ولي من الأمر
عذوبة لفظ في فصاحة منطق * وعينيك لولا حرمة الخمر كالخمر
ورب بيان في كلام تصوغه * إذا لم يكن سحراً فضرب من السحر
وما زلت بالحساد حتى تركتها وقد * طويت منها الضلوع على الجمر
فتكت بها فتك الكمي بسيفه * كما يفتك الإيمان في ملة الكفر
وكنت أمني النفس فيك بأن أرى * صديقك في خير وخصمك في شر
وما زال قولي قبل هذا وهذه * لعلي أرى الأيام باسمة الثغر
فلله عندي نعمة لا يفي بها * بما قد بلغت اليوم حمدي ولا شكري
وما نلت مقدار الذي أنت أهله * على عظم ما نلت من رفعة القدر
كأني بقوم فارقوك فأصبحوا * ولوعتهم تذكو وعبرتهم تجري
تحن إلى مرآك في كل ساعة * فتأسف أن سافرت عنهم مع السفر
وإن سمحت منهم بمثلك أنفس * فما هي الا أسمح الناس بالبر
وما صبرت عنك النفوس وإنما * يصبرها تعليل عاقبة الصبر
تغربت عاماً طال كالشهر يومه * ويا رب يوم كان أطول من شهر
تكلفت مراً للحلاوة بعده * ولا تخطب الحسناء إلا على مهر [١/٧٦]

وانّي بتذكاريك آناً فمثله * صريع مدام لا يفيق من السّكرِ
مللت الثوى حتى طربت إلى النوى * وحتى رأيت الأرض أضيق من شبر
ولو انني أستطيع عنه تزحزحاً * قذفت إليك العيس في المهمه القفر
وليس لنفسي عنك في أحد غنى * وكيف يرى الظامي غنياً عن البحر
بعثت إلينا بالحياة لأنفس * على رمق يدعو إلى البعث والحشر
فضم إلينا ما يعيد حياتنا * كما ضم شطر الشيء يوماً إلى شطر
فيا كثر ما قد نولتنا بك المنى * وعادتها الإمساك بالنائل النزر
لتصفو لنا الأنبا فقد طاب عيشنا * وضاء محياها بأيامك الغر
أعادت علينا العرف من بعد فقده * فلا قابلتنا بعد ذلك بالنكر
نشير إلى هذا الجناب كأننا * نشير إلى رؤيا الهلال من الفطر
وما كان يوم العيد عندي بمثله * إذا كان في فطر وإن كان في نحر
وذلك يوم يعلم الله أنه * ليذهب تعبيس الحوادث بالبشر
لك الفضل والحسنى قريباً ونائياً * وايدٍ لأيدٍ من أناملها العشر
ولو حصرت أيديك فينا حصرتها * ولكنها مما تجل عن الحصر

ومن ذلك قول الفجر الأدب الصادق، وفخر كل صديق غير ماذق، الشيخ صادق الأعسمي، لا أعسمت عين حظه ولا برح شارد الفضل به محتمي، وإليه منتمي:

لقد أشرقت بغداد نوراً بمقدم الـــ * إمام شهاب الدين هالة سعـــده

وعادت رياض الفضل تزهو كما غدت * وجوه الورى زهراً بإشراق جـده

أهنيكم فيه ذوي الفضـــل والحجـــى * ونفسي كما هنيت شرعـة جـده

ومن ذلك قول الرضي المرتضى، ومن إذا نثرت دراري نظمه في الليل الداجي أضا، [٧٦/ب] الخدن الوفي، الشيخ راضي الحسيني النجفي[١] نجل الأخ النازل مني منزلة عيوني، الشيخ صالح الشهير بالقزويني، مخمساً ما تقدم من قصيدة شاعر الدنيا وفاضلها، ومأوى يتيمة الأدب وكافلها، عبد الباقي أفندي عمري زاده، لا زالت عوائد أفضاله على الداعي فوق العادة:

---

(١) **راضي القزويني** (١٢٣٥ - ١٢٨٥هـ/١٨١٩ - ١٨٦٨م): راضي بن صالح بن مهدي الحسيني القزويني. ولد في مدينة النجف (العراق) وتوفي في مدينة تبريز (إيران) ودفن في النجف. درس على أبيه مبادئ العلوم وأصول الأدب، وحين انتقلت عائلته من النجف إلى بغداد (١٨٤٣م) انتقل معها، وذاعت شهرته شاعراً. سافر إلى إيران غير مرة، واتصل بالشاه ناصر الدين القاجاري، فنال مكانة سامية عنده. تعرف في بغداد إلى أعلامها وسراتها ومدح الكثيرين، كما كانت له صلاته مع الشعراء البارزين في زمنه. أثبت له كتاب «شعراء الغري» عدداً غير قليل من القصائد، ويذكر أنه كان له ديوان فقد، فندب أخوه نفسه إلى جمع ما يعثر عليه من شعر المترجم له، وهو محفوظ (مخطوط) في مكتبته، ويقع في ١٢٤ صفحة. وصف الشاعر في بعض المصادر بأنه كان هجّاء يحسن التشطير والتخميس، وهذا وصف لا يفي بالمطلوب. شعره يسير في ثلاث شعب: في مدح آل البيت، وفي مدح علماء عصره، وفي الغزل الرمزي، ومع هذا فله قطع وقصائد في أغراض اجتماعية كالمراسلات وقصائد في الوصف، ومع اقتداره على الإطالة فإنه أكثر ميلاً إلى تنويع القوافي بمايقارب شكل الموشحة.

علي الخاقاني: شعراء الغري (النجفيات)، ٤/٣-٤٠؛ محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ص ٢١٣ .

عقار الهنا كف الزمان سقانيها *** ومـــا رمت من نيل الأماني حبانيهـــا

غــــداة بمحمـود المآثـر بانيهـا *** أعيدت إلـى الـزوراء روح معانيهـا

فكادت ببشراها تفوه مغانيها

زها ربعها من بعد ما كـان عافياً *** وقد غم نشر الطيب منها الفيافيـا

ودرت عليها السحب مغدقـة الحيا *** وردت إليها الشمس مشرقة الضيـا

ومن حكمة الإشراق نالت أمانيها

وأقبل يسعى طائر اليُمن معلنـــا *** يردد في الزوراء باللحـــن والغنـا

وطاولت الأرض الكواكب بالسنا *** وقاسمت الكرخ الرصافـــة بالهنـــا

ودجلة قد سالت بصفو تهانيها

تتابع وكف السحب فيها فأربعت *** وأغصانها ماست ســـروراً وأينعـــت

ولما بأنوار الشهـــاب تشعشعـــت *** تواست نواحيهـــا صفـــا فتطلعـــت

كما قد تساوت من ضلوعي حوانيها

وعاد فعادت فيــه للعيـــن قـــرة *** وللأرض من جدواه نور وزهـــرة

وعم الورى منه ابتهـاج ونضـــرة *** وقد شملت أرض العـراق مســـرة

فعمت أقاصيها وخصت أدانيها

زهت دارة الزوراء بشراً بما حوت *** وطالت مبانيها علا بعدما هــوت

وباناتها قد أينعــت بعدمـا ذوت *** وأسحارها عن رقة الشعر قد روت

كما قد روت عنها لحاظ غوانيها

وهبت كنشر الطيب فيها نسائم *** وحيى رباها عارض متراكم

أيطير بنا ظبي بوجــرة باغــم *** وفي الروضة الغناء غنت حمائم

فأطربنا ترجيع لحن أغانيها [٧٧/أ]

وأقبــل والعليــا بعيــن قريــرة *** يسيــر بنفــس للمعالــي خطيرة

فرحت أهنــي مسرعًا خير جيــرة *** بأوب شهاب الدين محمود سيــرة

مروقة تحكي الطلا في برانيها

فتى فسر الذكر الحكيم بما نــزل *** بمعرفة فصل الخطاب بها انفصـل

فلا غرو أن سرت بنوا العلم والعمل *** بتشريف مولانا الأجل أبي الثنا آل

مفسر من أم الكتاب مثانيها

همــام لعليــاه وشامــخ قــدره *** ترى الدهر منقــاداً مطيعًا لأمــره

وفي يمن يمنــاه وفاضــل بــره *** كسا حمرة النور يد وجنة عصـره

وأحسن ألوان الملاحة قانيها

شأت حاتم الطائي منــه سماحــة *** وأزرت بسحبــان لديــه فصاحــة

فكم قلدتني أنعمــا منــه راحــة *** وكم من يد فيها لروحــي راحــة

بمقدمه كف الزمان حبانيها

رعى الله ساعات بها نلـت منيتـــي *** عشية أنـــوار الشهـــاب تجلـــت

وكم قلت ساعات النوى والتشتت *** لي الله مـــن أيـام غيبتـه التـــي

دقائقها أيام حشر ثوانيها

عيون المعاني كم لعلياه قد رنت *** ورامت بأن تدنوا إليه فما دنـــت

وسل من بنات الفكر لما به انثنت *** فكاهته منها العقول كم اجتنتـت

ثماراً بأيدي الفكر طابت مجانيها

ليال بلقياه وفّى الدهـــر موعـــداً *** سموت بها هام الثريـــا وفرقـــدا

فلا عجب مني إذا قلـــت منشـــداً *** وكم ليلة سارت منه أخا جـــدى

تكذب عنه المانوية مانيها

أقمت مباني المجد بعـــد انثلالهـــا *** بيـــض مواضيها وزرق نصالهـــا

كما نال في العليا بعيـــد منالهـــا *** فتى فاق بالفتيا على ابن كمالها

كما بالقوافي الغر فقت ابن هانيها

فتى طبق الأقطار منهـــل سحبـــه *** فساغ إلى الوراد منهل عذبه[٧٧/ب]

فتى لسوى داعي الندى لـــم يلبـــه *** فتى غيـــر وانٍ العلا نهضـــت به

عزائم نفس لم يعقها توانيها

بما قد حوى من وافر الفضل والعلا *** يضيق على رحب الفلا واسـع الفلا

فيا لــك مولــى منعمًا متفضــلاً *** بروح المعانـي فضله مــلأ الملا

فما الكون إلا من صغار أوانيها

تهلل يطوي البيد من فوق جسرة *** بنـوار أخلاقـي وأثـوار غـرة

فحازت به الزوراء أوفى مســرة *** وفازت بلاد الروم منه بحضرة

عطارد يخشى في العلا أن يدانيها

حمى شرعة الإسلام بعد شتاتهــا *** وقوّمها مـن بعـد غمـز قناتهـا

وأوضح عن مكنون غر صفاتهــا *** وأحيى رميم الفضل في عرصاتها

وشاد بإحياء العلوم مبانيها

أخو همم أعلـى مـن الدهـر همـة *** وأوفى الـورى فضلاً وأوفر ذمة

شأى في العلى أهل العزائم عزمـة *** وفي دست ديوان الصدارة حرمة

له الصدر أضحى للوسادة ثانيها

تجلى كبدر قد تحلى الدجا بــه *** وهلّ كمنهلِّ الحيا من سحابه

وآب كمشحــوذ الشــا لقرابــه *** وعاد ولا عود الهزبر لغابه

برفعة شأن أرغمت أنف شانيها

فتى ملك المجد الأثيـــل بجـــده * ونـــال من العلياء غاية قصـــده**

فلا زال بالأسراق كوكب سعـــده * ولا انفك مرتاحًا برحبة مجـــده**

كما ارتاح من حمل المشقات عانيها

سما في الورى فضلاً وفاق مكارمًا * وأحرز ما أبقى له الفضل دائمًا**

تراه وكـــم للعلـــم شـــاد معالمًا * بأولاه مع عقباه لا زال عالمـــًا**

ليذخر باقيها ويهجر فانيها

ومن ذلك ما أرسله من النجف الأشرف، من الدر الذي عز ظهور مثله من بطون الصدف[٧٨/أ] علامة هاتيك الأرجاء، وعلامة الفضل التي لم يشنها خفاء، ذو الخلق العطر الندي، الشيخ صالح بن مهدي، وذلك كتاب يكبت الحاسد، ويكتب بسواد العيون على بيض خدود النواهد، وقصيدة يزري نظمها بالثريا، ويطلب فوقها مكانًا عليًا، وقد هنأ بذلك خاصة أحبتي، ومن أعظم الله تعالى بهم نعمتي، حفظهم الله تعالى بحرمة كل ولي.

أما الكتاب فهذا :

ليس لقيا حبيب أباح وصاله بعد الصدود، خلياً من الريب، ولا رشف رضاب المباسم المترقرق في ثغور ربات النهود، ما بين بارق والعذيب بأحسن من سلام تعطرت بنفحاته رياض الثناء، وتفتحت بنسماته أزهار حدائق الخلوص والولاء، إلى حضرة كعبة العلم التي ضرب لاستلام أركانها آباط الإبل، وبدر الفضل الذي طبع كل قلب على حبه وجُبِل، باكورة حديقة المجد والكرم، وعرار نجد طريقة الفخار الأقدم، كريم المنابت وطيب المغارس، ومحيي موات الشرف القديم الدارس، علامة الأنام، وفهامة العلماء الأعلام، وقدوة الأنام من الخاص والعام، وشيخ مشايخ المسلمين، وحامي ذمار الإسلام الأمجد الأفخم، والطود الأعظم، حضرة ملاذنا السيد محمود أفندي المحترم، لا زال علم علمه على رؤوس الخلائق خافقاً، وعيلم فضله في أقطار البلاد متدفقاً مغارباً ومشارقا، بحرمة النبي الأمين وآله وصحبه الغر الميامين.

أما بعد ؛

فالموجب لتنميق ألوكة الدعاء، وذريعة التحية والثناء، هو أنه بينما نتطلع إلى بزوغ شمس الهداية من مشارق الأنوار، ونتوقع سفور بدر الدراية على هذه الديار، من بروج السعد والافتخار، وإذا بأسعد طالع قد كسا الأكوان نورًا، وألبس الزمان بهجة وسرورًا، وصوت البشير بالتهاني، ونادى المنادي ببلوغ الآمال والأماني، فقمت إذ ذاك ناهضًا على ساق الشكر والثناء، لإله الأرض والسماء، مهنياً عموم أهل القطر العراقي وخصوص أهل الزوراء، لا سيما حضرتي [٧٨/ب] عبدي الغني والباقي، آملاً من مكارم ذلك الجناب، المحروس بعين عناية رب الأرباب، أن يلاحظ تهنيتي هذه بعين القبول، ويرنوا إليها بطرف الصفح عن معايبها كما هو المأمول، وأدام الله تعالى بقاءكم على الدوام، والسلام خير ختام.

وأما القصيدة مع مقدمتها فهذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

للفقير إلى الله تعالى الغني، صالح بن مهدي الحسيني الشهير بالقزويني[1] مادحاً حضرة علامة الوجود ونعمة الله سبحانه السابغة على كل موجود أبا الثناء شهاب الدين محمود، لا زالت أيامه ولياليه، وأعلامه ومعاليه، في بهاء وسعود، وارتقاء وصعود، إلى يوم البعث والخلود، ومهنياً جملة خلصائه وأحبائه الأماجد الفحول، بمقدم ركابه الشريف من محروسة دار السلطنة إسلامبول،

---

(١) **صالح القزويني** (١٢٥٧ - ١٣٠٤ هـ/١٨٤١ - ١٨٨٦م): صالح بن مهدي بن حسن الحسيني، الشهير بالقزويني الحلي. ولد في مدينة الحلة، وتوفي في مدينة النجف، وعاش حياته في العراق. تعهده أبوه بالرعاية، وتلقى علوم العربية عن بعض علماء الحلة، ثم هاجر إلى النجف فدرس على مرتضى الأنصاري الأصول والفقه، كما درس على مهدي كاشف الغطاء، فمنح إجازة الاجتهاد، وبذل عناية لإتمام ما كان ناقصاً من مصنفات والده. رثاه عدد من أعلام الشعراء في عصره. له أشعار في كتب التراجم.. ويرى الباحث الشاعر هلال ناجي أن خلطاً حدث في نسبة بعض القصائد إلى المترجم له وهي =لشاعر آخر هو: صالح القزويني النجفي البغدادي. وهذه القصائد عددها ست. و له رسالة في العبادات-(مخطوطة) ورسالة في فضل الإمام علي-(مخطوطة) يمضي المأثور القليل من شعره في موضوعات تقليدية: الشكوى والمراسلة والتقريظ والرثاء، ويحتفظ بتقاليد القصيدة القديمة من مخاطبة الصاحب، وضرب الأمثال، ووضوح المعنى.

انظر: علي الخاقاني: شعراء الحلة، ٢١٤/٣؛ محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ص ١٢٣ .

وذلك في السنة التاسعة والستين بعد المائتين والألف من هجرة سيد المرسلين، والله سبحانه وتعالى خير موفق ومعين:

قمر المجد في سعود التلاقي * بالتجلي جلى نحوس الفراق
يترقى كالبدر مرقى فمرقى * في المعالي لكن بغير محاق
وائتلاق البرق العراقي وَهناً * قاد شوقًا به زمام العتاق
ثاقب زندها كبا عنه جرياً * ثاقب الفكر مسرعًا باللحاق
فوقتها أيدي الهوى عن قسي * العزم كالسهم ما لها من فواق
كلما ضلت العتاق هداها * بنسيم الصبا عبير العراق
ذكرته دار السلام فهزته * لها أريحية الأشواق
رمقته على البعاد بطرف * قر عصراً بقربه في الرماق
ولها ساق كل أسوق منه * عاصف الريح هب من كل ساق
جانحات تطفو وترسب في الآ * ل جنوح البروق في الائتلاق
وتعدت بالركض ومض الفوادي * فاستشاطت بالرعد والإبراق[١/٧٦]
أقلقتها ذكرى العراق بعزم * سام شم الرعان بالأقلاق
إن أرتها الحداق أبعد شيء * بالحوامي أدنته لمح الحداق
قد براها بري القداح سراها * وحناها حنوه القسي الدقاق
قيدتها نعماء إسلامبول * فيه لو لم تمن بالإطلاق
أنفقت في السرى قواها فنالت * في الثواء الثراء بالإنفاق
خافقات قد استعارت جناحاً * حين طارت من قلبي الخفاق
ماسحات إن مدت البيدا عناقاً * وسوقاً بالسوق والأعناق
واردات نهر المجرة ترعى * في المضامير أنجم الآفاق
جاريات في البحر يحملن بحراً * سابحات في موجه الدفاق
حبذا الكرخ كم به قد عقدنا * مجلس الاصطباح والاغتباق
وصحونا صبابة وسكرنا * بكؤوس الثغور والأحداق
عَبدُنا الدهر فيه والشمس راح * والنجوم الندمان والبدر ساقي

نظرت خصـــره العيـــون فأضحـــى * حاليًا مـــن حداقهـــا بنطـــاق
احرقـــت خالـــه بنـــار فـــؤادي * وجنتـــاه فاخضـــل بالإحـــراق
هرقـــت عينـــه دمـــي فـــأدارت * اكؤس الراح من دمي المهراق
قتلتنـــي عقـــارب الصـــدغ لـــولا * أن في عـــذب ثغـــره درياقـــي
قام فـــي وجنتيـــه رضـــوان حســـن * مالكـــًا للملـــوك باسترقـــاق
إن تسالـــم أعطافـــه قامـــت الحـــر * ب على ساقهـــا مـــن الأحـــداق
يـــا بديـــع الجمال أسقمت جسمـــي * بتنائيـــك فاشفـــه بالتلاقـــي
إن يكن نعمة جمالـــك للدهـــ * ـــر فقـــد كان نقمـــة العشـــاق
قصرت عنك مثلما قصـــرت عـــن * وصف محمود السن الحـــذاق
رامقـــًا جـــوده الرصافـــة لمـــا * رمقته وعيشهـــا فـــي رمـــاق
وحـــرام أن تمطـــي الصيـــد قـــودًا * بلغتـــه الرهـــان يـــوم السبـــاق
طرقتها بمنجحـــات الأمانـــي * فوقتهـــا بوائـــق الطـــراق
عبقتهـــا بنشـــر أصيـــد منـــه * ضاع نشر الخلوق بالأخلاق[٧٩/ب]
أشرقت شمسه علـــى النـــاس حتـــى * قال فيهـــا من قال بالإشـــراق
يا ربيب العلـــى ورب الأيـــادي * وعميد الورى على الإطـــلاق
والمجلى بؤس الليالـــي المواضـــي * والمحلى عطلى الليالي البواقـــي
إن دوح الســـرور أورق بشـــرًا * بعدما كان ذاوي الأوراق
أشرق الكرخ فـــي قدومك سعـــدًا * وزهـــا بالأصيـــل والإشـــراق
كما بأفق العلـــى فضائـــل ســـاوت * لك مسرى النجوم في الآفـــاق
كنت فيها المحمود بالذكر والمشـ * ـكور بالسعي والعلى المراقـــي
نلت في سبقك العلوم بحـــق * وبلغـــت العليـــاء باستحقـــاق
وبكشف الطريق عن مبهـــم الذكـــر * تركت الكشاف في إطـــراق
وبفتـــح الأبـــواب للرمـــز فيـــه * كان فتح الرازي في إغـــلاق

بــــك تمتـــاز مشكـــلات القضايـــا * كامتياز المفهوم بالمصـــداق

لا كمـــالا تركـــت لابـــن كمـــال * كــان فيه أبو البقا غير باقـــي

وبيانـــاً زوجتـــه بكـــر فكـــر * حرمـــت بكر فكرهم بالطـــلاق

فصلت مجملاً بما خصصتـــه * مـــن عمـــوم موافق الانطبـــاق

وتحللت عواطل العقد في الحــ * ــل تحلّي الأعناق بالأطـــواق

مصدر الفضل قد تصرف منه * كل فعل للفضل بالاشتقاق

رصـــد اللمـــح بارعاً فـــي اقتباس * نشـــر اللف جامـــع الافتـــراق

هـــن عبـــد الغني قطـب مدار الـــ * ــعلم والألمعـي عبـد الباقـــي

والنقيـــب الـــذي عـــلاه علـــي * كأهاليه في الورى باتفـــاق

والفتى الواعـظ الـــذي بدقيـــق الـ * فكر أبدي رمز المعاني الدقـاق

وعميـــد الكـرام صالح مـــن كـــان * حقيقاً بالمكرمـــات الحقـــاق

والكريميـــن نجلـــه وأخـــــاه * المحرزيـــن الثنـــاء بالانفـــاق

فعليهـــم قصـــرت ممـــدود ود * ليس ينفك من شديد الوثـــاق

ولميثاقـــه علـــى النقـــض منهـــم * لم أزل محكماً عرى الميثـــاق

لست أنسى الجميل لابـــن جميـــل * ولعبدالباقي جليل الخلاق [١/٨٠]

شمخاً بالنهـى علـى النـــاس حتـــى * في مراقيهما هوى كـل راقـــي

قمـــراً ســـؤدد وبحـــراً نـــوال * وحسامـــاً عـز وطرفـا سيـــاق

قـل لمـــن حـــط رحلـــه بفناهـــم * مملقاً لا تخـف مـــن الإمـــلاق

فأقرع البـــاب للحوائـــج مـن مـــو * ســـى وبـــاب الجـــواد للأرزاق

فهمـــا الموسعـــان عيشاً وحاشـــى * بهما يعتريـك ضيـق الخنـــاق

وانهج القصد لا تحد عنـــه رشـــداً * إن نهج الوفاق غير الشقـــاق

يـــا أخـــا المجد هاك أبكار فكـــر * بك ضاعـــت بالعنبـر العبـــاق

*

يرتجين القبــول منـــك صداقـــاً * وصداق القبول خير صـــداق

ولكـــلٍّ دام الســـــرور بكـــــلٍّ باجتمــاع منكـم بغيــر افتــراق

ومن ذلك قول فخر أبناء الملوك، ومن له في النجابة على السِماك سموك، ذي الفكرة النقادة، والأخلاق الرائقة المستجادة، حضرة والي ميرزا فتحعلي شاه زاده، أناله الله تعالى من الولاية والفتوح مراده.

أحمد مرسل زخاك مكة جون هجرت كزيد * مدتي نخطه بود انشكت بردندان كزان

باريكربازاز تشريف ميمون مقده ش * زنده شدجون درسحر كاهان كل ازباد وزان

خواندم اين ايت كه تحيي الأرض بعد موتها * نوبها رأمدز بعد برك ريزي رزان

زا نصراف مفتي إسلام در دار السلام * روضة رضوان شده بغداد در فصل خزان

ومن ذلك قول الحسيب النسيب، والأديب الأريب، فائق أقرانه ذكاء وفهماً، ونثراً ونظماً، ليث الوغا، علي أغا، ابن المرحوم حبيب أغا :

بها راساً سر لدى فرش سيـره صـح صحرايـة

فرخدن جيقيلر سكان زوراً هب تماشايه

صفا سندن طاشوب دجلة كه بويله بر فرات أو لدي

صفا بخش أولمده دوندي همان جام مصفايه

كنار جوار أولدى جـوق كنـار أب ركـن أبـاد

دونوب صحر الرك زهاري كل كشت مصلاية

اسوب ياد صبا الدي نقاب غنجـه بـي سـردن

بوحالته دوب شوب مرغان خوش الحان غوغاية[٨٠/ب]

افوب بابنه جولر جابجا اندرجمن سروك

صار لدى نيلو فربا شدن أياغه سرو بالايه

أيدوب أغاز نغمة بليلان وكلمده كلملر

أولنجه جانب يزداندن بو لطف بيغايه

ايرشدي موسم نوروز صان فصل بهارا ولدي

كدفراش أولمش جن ازهر طرف صحراوي غبر ايه

بو ازهار ورياحين وفيجنزار وكل ونسرين

همان بالجملة بربادر لر استقبال والايه

نه والادرا والاكيم شروع ايتدكره تقريره

أيدر تأثير تقرير كلامي صخر صماية

هزار من بند مشكل حل ايدر ناخون ادراكي

ايننجه رستم عقلي همان ميدان معتابه

نه والادركه هر تلميذ جرسي علم وحكمتده

سزادر سعد وافلاطون ايله قالقشسة دعوايه

أو محمود السجايا دركه هر كاريمي أولوب محمود

موافق غير ممكن غيـر ينـك اسمـي مسمايـه

بودر قولا وفعلاً عالم وعـلا مـه سـي دهـرك

كيم أولمش جملة افعالي موافـق شـرع غرايـه

اولوب علم وعمل جـون لازم ومـازوم ذاتنـده

يقيمنـــدر موفقـــدر رضـاي حـق تعالايـه

اوخورشيد سماي علم وفضل وهم شـر فدركيـم

كه ويزمشدر ضيا بـرذره سيلـه جملـه دنيايـه

وجود لشرفـى بربويلـه جـه برهـان قاطغـدر

أيـــدر تعليـــم أييـن سخـن نـادان ودانايـه

نيجه اشرف رينلمز نسل باك مصطفايـه كيـم

ايرشدي باي جـدى قـاب قوسيـن او ادنايـه

وجودي عالمـه عيـن عنايـت جانب حقـدن

غبارخـا كبـاب توتيـادر جشـــم بينابـــه

قصور كلك فكـرم وارد در تحريـر وصفنـده

اميدم وار قصو رى غفوايده اول آسمـان سايـه

نيجه وصاف اولور طبع بشر بركنـز اكسيـره

كه برجزوي اولوب روح المعاني كلمز احصائه

نيجه روح المعاني كيـم كلامـه حـي يزانـك

ايدوب تفسير يني واضح عبـاره آيـه برايـه

فراقـك ما جـر اسيلـه دوجشمنـدن اقن جولـر

طاشوب صحر الراء اولدي مماثل مـد در بابـه

جكوب نقش خيـال بيكـرك دل بـرده جشمـه

بو رسمـه مردمـان اولمشـدي دائم ساكن سايه

عبابنده شب تاريك أيـدي رمـوز وشـب زورا

قدومنده منـور اولدى سيرايـت لطـف مولايـه

دونى كوندن متون اولدى هر جاي كـذر كاهـي

شعـاع برتـو نـوري شهابـك ايرمـدن جايـه

بو دم اولدمدر ازهار ايسه ارواحـه إذا وبـرى

مثـال اولـدى لطافتـه جمـن جنـات ماوايـه

بودم اولدمدر ايامي نـوروذ وشبـى جـون عيده

نسيم لطفى جان ويرمكـده دم ويـردي مسبحايـه

بشار تدر قودته جون محلى هم اولـوب روشـن

شماعـي اولشهابـك اوردي بوطـــاق معلايـه

منورا ولدى جون زورا دوشور دي عالي تاريخن

ايدونب عودت شهاب الدين محمود اهـل زورايه[٨١/أ]

يتربو كفتكولر سن دخـى قطـع مقـال ايلـــه

تضرع دستنـي دوت دركـه الطـاف مولايـه

اوله دائـم مقامنـده اقامـت اوزره تاحشـره

اقامتده دوته سايـه هـم اعلايه هـم ادنايـه

إلى غير ذلك مما ينحط عما ذكر قدرًا، ولا يحب لسان القلم أن يجري له ذكرًا:

فَما كُلُّ روْضٍ يُنْبِتُ الزَهْر طَيِّبٌ * ولا كُلُّ كحلٍ للنَّواظِرِ إثمدُ**(١)

---

(١) البيت من شعر (الشاب الظريف) من قصيدته التي مطلعها:

أَلينُ فَيَقْسُو ثُمَّ أَرْضَى فَيحْقِدُ ... وأَشْكُو فَلاَ يُشْكَى وأَدْنُو فَيَبْعِدُ

يهزُّ قواماً ناضراً وهو ذابلٌ ... إذَا ما تَثَنَّى فَهْوَ في الحُسْنِ مُفْرَدُ

وبالجملة؛ قد جل تهتان التهاني، وحل ما حل من وابل السرور في هاتيك المغاني، ونُظمت القصائد بكل لسان، ونُثرت المحامد في كل ديوان، وما ذاك إلا من طيب أعراق أحبتي في العراق، وسلامة أديمهم سلمهم الله تعالى من ذميم الأخلاق، وإلا فأنا ممن ليس له عليهم دَين، ولا هو ذو استحقاق لأن يمدح بكلمتين، فجزاهم الله تعالى عني خيرًا، وصرف عنهم عناءً وضيرًا.

وبعد أن انتهى التحرير إلى هذا الحد، وأحب طفل القلم أن يهدأ في المهد، أحس بنقرات فقرات، تهدى إلى معالم السرور في مهامهٍ حزن قفرات، وما هي إلا نقرات فقرات تقاريض، ألذ استماعًا من رنات المثاني في روض أريض. فقال لأبيه البنان : يا أبت هذه فقرات عظيمة، فوحرمة الباري لا أهدأ في مهدي حتى تجعلها لي تميمة. فقال له: على العين والرأس يا طفيل. إلا أنه لما أتم التميمة له عقلها رغمًا على أنفه بالذيل، وهنا نادت حياض الأوراق وابل الفكر قَدْنى، مهلاً رويدًا قد ملئت بطني، وجعلت تقول: إذا رأتها عين كل راءٍ من القاف إلى القاف، قد كفاني الله -عز وجل- من واسع فضله، أليس الله بكاف.

هذا؛ وكانت مدة غيبتي عن أوطاني، وفرقتي لخلتي وإخواني، أحداً وعشرون شهراً وخمسة أيام، إلا أن ثواني ساعاتها لديّ بمنزلة دهور وأعوام، والحمد لله تعالى أن طارت بها عنقاء مُغرِب، وسكنت بلابل الفراق وجعلت بلابل الأفراح بنغم سرور التلاقي تُعْرِب.

والصلاة والسلام على من سافر إلى مظهر السلطنة العظمى، ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى، حتى إذا كان قاب قوسين عاد بالسهم الأوفى الأوفر، فيا له من سَفَرٍ قَرّت به العين، وعُودٌ أينع منه عود الإسلام وأزهر. [٨١/ب]

وعلى آله وأصحابه الذين سافروا على يعملات القلوب، وهم في الأوطان، وعادوا وقد وقفوا على كثير من خفايا الغيوب مما يكون أو كان، صلاة وسلاماً دائمين ما لزم مقيم رخله، وما أتم بفضل الله تعالى وتوفيقه راحل رحله.

وكَتَبَ أفقرُ العِباد، وأرجاهم لطف ربه سبحانه في المعاد، السيد محمود الشهير بآلوسي زاده، أكرمهما الله تعالى بالحسنى وزيادة، وذلك سنة ١٢٦٩ في ٢٧ ج [جمادى الآخر].

ثم اعلم أنى وعلام الغيوب، وكاشف غياهب الكرب عن المكروب، لقد نثرت أكثر ما سمعت من كنانة فكري وأنا على ظهر الجواد، وهو يسير بي في بطون أغوار وعلى ظهور أنجاد؛ فليعذرني الناظر إذا وقف على تعبير سقيم، فللمسافر أعذار ليس واحد منها للمقيم.

والسلام ختام

التقاريـــض

التقريض الأول:

لمن ارتدى بسابغات البسالة، وأَوَّبَتْ معه جبال الجزالة، ذي النثر النفيس، والنظم المزري بريش الطواويس، السيد داود أفندي ابن السيد سليمان آل السيد جرجيس(1)، وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزهت في نضير روض هذه الرِّحلة، التي تنزهت كمنشيها العلامة الرَّحِلة، فإذا هي للعالِم بل العَالم أَمَّن من رحلة الشتاء والصيف، بل لا يدانيها شيء ولا يقال هي خير من غيرها، ألم تر أن السيف تحت طي كل كلمة نكات عدة،

---

(1) **أحمد الشيخ داود**(١٢٨٤-١٣٦٨ هـ/١٨٦٧-١٩٤٨م): أحمد الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس العاني البغدادي. ولد في بغداد، وبها توفي، وقضى حياته في العراق. نشأ نشأة دينية فتلقى علومه على علماء عصره، حتى أُذن له بالوعظ والإرشاد. اشتغل مدرساً، وواعظاً، وقائمقاماً، واختير عضواً لمجلس الولاية، فعضواً للجنة الولاية حتى صار وزيراً للأوقاف عام ١٩٢٨. عرف بوطنيته، ومقاومته الاحتلال الإنجليزي، وقد عانى النفي بسبب ذلك. ليس له ديوان، وقد تعددت موضوعات قصائده، وشُهر بتشطيراته لبردة البوصيري، ولامية العجم، ولامية ابن الوردي. وله رسائل علمية في مسائل عقدية وشرعية.

انظر: علي الخاقاني: شعراء بغداد، ٧٦/١.

فهي وحياة صاحبها لطالب كل فن عدة، كل سجعة منها أطرب من ساجعة غنت على فنن، وكل فقرة يفتقر لها أغنى الأدباء ويرقص لها، وإذا لم يرقص الأديب من نشوة المدام فمن، فلله تعالى در منشيها، أخرج من بحره العذب درًا، وأبرز من ضميره المستتر من نفثات فمه سحرًا، طرز برد طرسه [٨٢/أ] من وشي فصاحته بما لم يسبق إلى طرزه، وأظهر من عجائب أسرار بلاغته ما تنبهر العقول من لطائف إشاراته ورمزه، فهو -لا فض الله تعالى فاهُ فاهَ- بغرائب التحف، وفّاه الله تعالى بما وعد ووفاه، ولا زالت ألطافه سبحانه به تحف، فيالله تعالى ما أبهر شمس ذهنه تجري لا مستقر لها في عروج بروج المنازل، فتسيح وتسبح في فلك شهب المعاني ولتلك المنازل في القلوب منازل، فلا أقسم بمواقع نجوم هذا الشهاب، لقد أعجزت آيات بيانه فردت بلاغتها دعوى معارضها من قبس الاقتباس بشهاب، لقد أنشأ هذه النشوة واعتصرها إمام العصر، فعلت مع جدتها بما فعلت على كل معتقة سبقتها في العصر، وأسكرت كُمّل الإنس، وصارت لهم كَمَلَ الأُنس، فصارت بدايتها شرك العقول، وأزالت بخمارها خمار الهم، فهو بعقال لطائفها معقول،

إذا انتشى الأديب ريح راحها ولو كان مقعد مشى، أو ذاق ميت من رائق رقتها لأُحيي وانتعشا، فاقت بحرير ديباجها مقاماتها مقامات الحريري، ففي تحريرها الرقيق لعطاش الأدب وهو الحري ري ؛ بل لو أبصرها ذلك البصري لزاد ارتجاجه، ولضاقت عليه على سعة مسالكه فجاجه، أو شام البديع بديع إنشائها لقال هذا المنهل العذب الصافي، وما سواه آجنة وأجاجه، ولو قيس بها عصر سلافة العصر لفاقت عصر السلافة، ولو رأى صاحبها صاحبها لازدى مع تأخر أسلافه.

ولعمري لم أر ولم أسمع بمثلها، والحق يقال، إذ منشيها ممن يستظل بوارف ظل أفادته ويقال، لم يزل يتنقل في منازل البلاغة تنقل القمر في منازله فلم يبلغ أحد بلاغه، وتفنن في كل عبارة أوردها فانبجست منها اثنتا عشرة عيناً، فقررنا بها عينا، ولكل معنى منها بلا حاجب وعيناً، فكأنها لون الحرباء يتلون بألوان بهائه أو لطافة الماء؛ إذ يتكيف بكيفية إنائه، كيف لا، وهو رب روح المعاني الملتذة به روح أهل الكمال كلذة اعتناق الغواني، في معالي المغاني؛ إذ هو كتاب ما غادر من الفوائد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا ترك بادرة نادرة من الفرائد [٨٢/ب]

إلا حواها، فهو بنور شهابه لشمس الكشاف كساف، وبعذوبة ملاحة تعبيره أظهر ملوحة بحر أبي حيان فلم يكن منه ارتشاف، بل لو أنصف صاحب الإنصاف لانضاف إلى حزبه وعدّ نفسه في ربعة من الأرباع والأنصاف، وصاحب الكشف مع وصوله إلى حق اليقين لو تأمله لقال ليس كالروح كشاف، أفرغه في مجلدات تزيد على ثمان، وينقص عن قدرها ما عز من أثمان، إذ لا عوض للروح ولو بذل فيها من العيون الإنسان، بل وسائر ما يشاهد من الأعيان، هذا ولو أراد المنصف أن يثني على ما له من مصنف لانشقّ له القلم كلالاً وتنصف، أو لو ذكره المطري بما فيه لاستعفى عن استقصائه بملء فيه، فالبعض يستدل به على باقيه، وظاهر الحال يكتفي به عن خافيه، فلنمسك فم القلم قبل أن ينشق لسانه، ولنرش عليه من ماء الصحو قبل أن يسكره من نشوة المدام دنانه، ولنشفع ما أوترنا من قوس المنثور بالمنظوم، مصلين بالجامع بينهما بالإمام السابق، تالين آية الروم :

هذه "نشـوة المـدام" نشاهــا * أنف فكري أعظم بمن أنشاهــا

أطربتنا وأرقصتنا ولا بـــدع * لنفس سكــر لمـــدام اعتراهــا

تهت سكراً بها لذا فهت شكــراً * لإمــام فـــي عصرهــا صفاهــا

يا لــه فاضـــلاً شهـــاب عـــلاه * ثاقـــب حاز في سمـــاه انتهاهــا

كم له في الأنام آية فضـــل * أعجـــزت فهمـــه لـــه أوحاهــا

لم يزل في منازل السعد يبدو * شمس فضل وبدره قد تلاهــا

فسر السبعة المثاني فسر الـــ * ـناس طـــرا وللشكـــوك جلاهــا

بثمان قـــد وازنـــت بعـــلاهــا * لجنـــان أو عرشهـــا وسماهــا

لم يزل ناثراً لأهـــل ابتـــداع * درر كـــــم غمـــــة جلاهــا

لطروس الآداب كم قد وشاها * بفنــون باهـــت ملوكـــا وشاهــا

قد وفى للعلا بما هو أبـــدى * مــن بديـــع البيـــان حقاً وفاهــا

منه شاهت وجوه أهـــل شقـــاق * من وجوه البلاد فازداد جاها [٨٣/أ]

فثنائـــي أبـــا الثنـــاء تثنـــى * طربـــاً مـــن بيانكـــم وتباهـــى

زفه الفكر عاجـــلاً فاعـــذروه * دمتـم للعلـــوم قطـــب رحاهـــا

التقريض الثاني:

لبديع البيان والمعاني، الفاضل المرضي، الموصلي عبد الله أفندي الفيضي[١]، المدرس بمدرسة الصاغة، والمحلّي جيد الفضل بما صاغه، وهو هذا :

لما سرحت طرفي في مرأى جمال هذه المنازل، وارتسمت لها في سويداء القلب مني منازل، صادفت أزهار إشاراتها في أسفار بشاراتها بين جاذب ومجذوب، واعتناق محب بمحبوب، فطفقت أجول في ربيع أزهار بساتين معارفها، وطبقت أجوب من بديع أثمار أفانين لطائفها، فما هي إلا كقينة تُغني في تَغَنّيها عن الغواني، وتثني في ثنتيها عن المثالث والمثاني، وتحدت تطير بخوافي قوافيها في جو العلى، وتجلت تشير ببنان روح معانيها إلى روض المنى، فأصبحت تغلو بسبك نثرها على عقد اللآلي،

---

(١) **عبد الله فيضي** (كان حياً عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م): عبدالله فيضي الموصلي. كان حياً عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م. شاعر من العراق. نشرت له قصائد في جريدة «الجوائب». له أرجوزة من المزدوج، وقصيدة، وكلتاهما في مدح صحيفة «الجوائب» وصاحبها الشدياق. وفي الأرجوزة خاصة نجد وصف ما تعنيه الصحافة بالنسبة لقارئها ذلك العصر، وفي القصيدة تنديد بحواسد الشدياق وعجزهم عن مجاراته.

جريدة (الجوائب)، الآستانة ٢/٨/١٨٦٤م.

وتعلو بسمك قدرها على فرق جبين المعالي، إن شمت صدور سطورها خلتها عقوداً في نحور حورها، منتشية ترقص عند استماع أسجاعها أغصان القدود، ومتثنية تهتز طرباً لطيب ألحانها أثمار النهود، ولا بدع ولا عجب في لمحة ملحة هذا الأدب، أن تكتب باللجين بل بماء الذهب، إذ ما نسج على منوالها خير حبر نساج، ولا أحس ذو حس لمنهاجها من هاج، فلو صادفها صفي الدين لاصطفاها، ولو رآها الحريري لكان حرياً أن يقبل فاها، ولو سمع ابن ساعدة هذه الألفاظ، لقام بها خطيباً في سوق عكاظ، ولو خاض في تيار بيان معانيهما البديع، لاعترف بالعجز قائلاً: لا يبلغ الظالع شأو الضليع. وحين أدارت سلافتها الرواة، على أدباء مدينة السلام، أصبحوا يتمايلون في هاتيك العرصات، وأي أديب [٨٣/ب] لا يتمايل من "نشوة المدام"، ولا بدع، فقد حبّرها العالم الأشهر، الذي انطوى فيه العالم الأكبر، من سعد به الدين، وصعد إلى الثريا فخره المبين:

ولو أن ثوبًا حيك من نسج تسعة * وعشرين حرفًا في علاه قصير**

ولعمري لقد بلغ من المقاصد قاصيها، وملك من أوابد الفوائد نواصيها، وحاز قصب السبق في مضمار البلاغة، وفاز من رتب الأدب بما لا يبلغ أحد بلاغه، وقد قلد أعناق الفصاحة بصنوف قلائد العقيان، وقرط آذان البراعة بشنوف بديع المعاني والبيان، فكان جديراً بأن تشد لتقبيل أنامله الرواحل، وحريًا بأن تطأطأ لفضل فضائله رؤوس الأفاضل أعني به علامة الآفاق، ومفتي العراق، وحجة الإسلام والمسلمين، أبا الثناء شهاب الدين، مَن أيقظ بهمة مدده جدي ووجدي، سيدي وسندي السيد محمود أفندي، لا زال هو وأشباله ملحوظين بعين الرضا، محفوظين من سوء القضا، بحرمة جدهم خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

وكتب أفقر الورى إلى المولى العليّ، عبد الله فيضي الموصلي، غُفر له.

التقريض الثالث :

للكامل الذي رتق بكماله فتق نقص الزمان، والفاضل الذي سحب فاضل ذيل فضله على سحبان، الأمين السرى، محمد أمين أفندي العمري[(١)]، وهو هذا:

سافر إنسان عيني في مفاوز هذه الرحلة الغراء مسافرة القوافل السائرة، وقطعها مرحلة فمرحلة، وسرى بريد فكري في منازلها الفسيحة الأرجاء، مسرى البدور السافرة، وتعداها منزلة فمنزلة، فشاهد فيها عجائب وغرائب لم يفصح عنها معجم البلدان،

---

(١) **محمد أمين العمري** (١٢٢١-١٢٨٩هـ/١٨٠٦-١٨٧٢م): محمد أمين بن يوسف بن عبدالله الخطيب العمري. ولد في مدينة الموصل (شمالي العراق)، وتوفي في بغداد. قضى حياته في العراق. تلقى علومه الأولى على أجلة من علماء عصره. بدأ حياته العملية كاتباً لدى والي بغداد، وكان خطاطاً ماهراً مشهوراً. نشط اجتماعياً في قضاء مصالح الناس فواظبوا على مجالسته. له قصيدتان طويلتان في مدح والي الموصل، وبعض مقطوعات، وله مجموعتان شعريتان كتبهما بخطه. وله مراسلات مع أبي الثناء الألوسي. المتاح من شعره قصيدتان، كتبهما على البناء العمودي، في مدح والي الموصل، بدأهما بالمقدمات التقليدية، ثم تتبع صفات الوالي وخصاله، ونسب إليه قيم الفضل والشجاعة والنبل. نفسه طويل وتراكيبه حسنة، له مقطوعة صغيرة راسل بها أبا الثناء الألوسي، وهو في مجمل شعره متأثر بتراث المدح العربي، فجاء فصيح البيان، جزل اللغة، قوي التراكيب، بما يعكس تمكنه من صناعة القريض وسبك العبارة ونظم المعاني.

عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ٣٢١/١؛ محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر، ص ٥٦ .

وعاين في ألوان مراياها صوراً وهياكل لم تطبع في مرآة الزمان، وليس الخبر كالعيان، وجلا نظره الكيل بما انطبع فيها من غرائب الأشكال الجالية لكل ناظر، ورجع[٨٤/أ] قرير العين لا بخفي حنين كما قرّ عيناً بالإياب المسافر، وظهر له من سيره فيها بالطول والعرض، سر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُوا فِى الأَرۡضِ ﴾[(١)] ورأى كل رحلة طالت قبلها بلا طائل، بل دونها في الظرافة واللطافة بمراحل، وعاد من سفره نشوان من نشوة المدام، ولا عود الشهاب أبي الثناء إلى مدينة السلام، لا زال نشوان من مدام ألطاف ربه، مع جميع ندمائه وصحبه.

وكتب الفقير إلى مولاه العليّ، عمريزاده [(٢)] محمد أمين الموصلي، غُفر له.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٩ .

(٢) في الأصل كتبت هكذا (عمريزاده). زاده: الابن، الولد. في العادة تلحق بالأسماء فتفيد النسبة؛ مثل: عرب زاده، أي ابن العرب، علي زاده؛ أي ابن علي، ويقابلها في اللغة التركية " أوغلي ".

انظر: أمين خوري: رفيق العثماني (قاموس كلمات تركية وفارسية مترجمة إلى العربية)، مطبعة الآداب، بيروت، ١٨٩٤م .

التقريض الرابع :

لرحلة ذوي الآداب، والآخذ بزمام فصل الخطاب، من بني الخطاب، مُدامي وراووقي، حضرة عبد الباقي أفندي الفاروقي، وهو قوله :

لله رحلــة مولانــا الشـــهــاب فكم * طوت مفــاوز أعيت كل خريت

وأفحمت كل منطبق شــقاشــقها * أذّى وقد أسكنت مثلي ابن سكيت

فلو رآها ابن كبريت لقال سرت * أوائل النار في أطراف كبريتي

التقريض الخامس :

لعين أعيان العراق، ومن وقع على غيرته وشهامته الاتفاق، واحد الآحاد، وفخر العلماء الأمجاد، جامع المآثر، والكاسر بهمته ناب الليث الكاشر، ابن الجميل وأبوه، والجابر بمرهم فضله كسر قلب من يرجوه، رفيع العماد، عبد الغني أفندي المفتي الأسبق ببغداد، وهو قوله، دام إفضاله وفضله :

لله من رحلة حارت بها الفكرُ ** فلم نكن سواها اليوم نفتكرُ
جاءت من الروم تفري البيد ساحبة ** على العواصم أذيالاً وتفتخر
فما تلاها امرء إلا وكان له ** بكل لفظ لطيف معجب سُكرُ
كم أرشدت حائراً فينا بلاغتها ** فإن جحدت فهذي العين والأثر [٨٤/ب]
جلت عن الوصف لا شيء يشابهها ** أذّى وكل معانيها لنا غرر
ابكارها من زوايا الفكر قد برزت ** فيا لها من زوايا كلها درر
أضاء في العالم العلوي أشعتها ** فلاح للعالم السفلى بها قمر
هذه هي الشمس إن تمعن بها نظراً ** يوماً يغشى ويغشى عينك الضرر
لكنها في سماء القلب مشرقها ** تجلى بإشراقها الأحزان والكدر
كما تجلت على الآفاق ساطعة ** علوم محمود إذ تُتلى وتُدَّكر
هو الشهاب شهاب الدين لا حرج ** فإنه آية الرحمن فاعتبروا
وقد ضربنا به الأمثال حيث له ** فينا فضائل لا تُحصى وتنحصر
إن المعالي لديه جسمت درراً ** تسعى لعلياء إجلالاً وتعتذر
تأتي القوافي لديه وهي صاغرة ** وللقوافي بنو الآداب تفتقر
كم حاولوا فضله قوم فما وصلوا ** وكم أثاروا له حرباً فما ظفروا
يا ابن الكرام ومن سادت أوائلهم ** على الأواخر والقوم الألى غبروا
قد فزت بالشرف الأعلى الذي شرفت ** به قريش وسادت في الورى مضر
صفاتك الغر جلت أن نحيط بها ** كالماء لا يهتدي وصفاً له النظر
أتيتنا بكلام كله حكم ** وجئنا بكتاب ما به ذُكرُ
فكيف يحكيك في علم وفي أدب ** قوم رذال بغير المكر ما ذكروا
فإن أراع رعاء الجهل سحرهم ** فأمر يراعك يلقف كلّ ما سحروا
وانشر من الفضل ما أوتيته علنا ** وما عليك إذا لم تفهم البقر

رسم لخدمة حضرة سنيِّ الأخلاق، ومن فاق بكل كمالٍ جميع الوزراء على الإطلاق، صادق الدين والدولة، ومَن جعل جبرَ قلوبِ المنكسرين شُغْلَه، حضرة أفندينا وليّ النِّعَم، وفيّ الذمم، وافر الجود والكرم، محمد حمدي باشا، زاده الله تعالى انتعاشا، وأعطاه مرامه كما شا، ولا زالت أنظاره شاملة جميع الداعين له، مسبغا عليهم وإن أذنبوا عفوه وفضله، آمين .. آمين.

* * *

بلغ مقابلة على مسودة مؤلفه، وذلك على يد مؤلفه غريق إحسان حضرة المشار إليه، السيد محمود الحسيني الشهير بـ (آلوسي زاده)، كان الله تعالى له يوم العرض عليه. سنة ١٢٧٠، ٢٧ ر [ربيع الآخر].

* * *

الملحـــــق

تـرجمــة الألوســـي بقلمـــه

نقلا عن كتابه غرائب الاغتراب

ترجمة الألوسي بقلمه من كتابه غرائب الاغتراب

... **فأقول**: خرج خالص لبن وجودي من بين فرث العدم ودم الإمكان، بيد حلاب القدر إلى قعب عالم العيان، قبيل ظهر الجمعة رابع عشر شعبان، وذلك سنة سبع عشرة بعد المايتين والألف، من هجرة من لا يحيط بكماله نطاق وصف -صلى الله تعالى عليه وسلم- ما ولد مولود، وما وجد في عالم الكيان موجود، وقد أرخ عام ولادتي بكل من شطور بيتين، تراهما عين الأديب لخد غانية الفصاحة كسالفين، الشاعر المجيد الأطرقجي الملا عبد الحميد[1]؛ فقال:

---

(١) جاء في حاشية نسخة الأزهرية [ثم توفي عليه الرحمة سنة السبعين بعد المائتين والألف في ذا سنة ١٢٧٠هـ، ودفن قرب الشيخ معروف الكرخي عليهما الرحمة].

وزاد في حاشية نسخة الهند [وتفصيل وفاته ومراثيه في كتاب حديقة الورود وغيرها لمحرره].

لقد أشرق البدر السماوي من بدا ... سنا نوره عن مشرق لاح بالجود

به كمل[1] الدين الحنيف مؤرخ ... تكلمت العليا بميلاد محمود

وأثر ما فطمت من ارتضاع الألبان، شرعت أتحسى در قراءة القرآن، وبعيد ما حل عني بند قماط الطفولية، عقد علي لواء حفظ المقدمة الأجرومية[2]، وريثما كسرت عني البيضة حبست في قفص مكتب الملا حسين الجبوري، فأوفر من حسن تعليمه أيادي[3] الكتاب العظيم حبوري، وهو رجل قد كتب على أسارير جبهته الصلاح، ووفق للتقوى فلاح على صفحات وجهه أنوار الفلاح [٣/ب]، وكان مقيماً في مسجد قرب سوق حمادة، وقد أقام فيه -رحمة الله تعالى عليه- سوق العبادة، وقبل أن أبلغ من تسدية ما بين الدفتين الأمنية، طويت على نول قلبي رداء حفظ الأجرومية،

---

(١) في نسخة الأزهرية (أكمل) وما أثبتناه هنا مصححا من نسختي استانبول والهند .

(٢) مقدمة الآجرومية في النحو لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، ومعناه بلغة البربر: الفقير الصوفي، وكانت ولادته: سنة ٦٨٢، اثنتين وثمانين وستمائة، وتوفي: سنة ٧٢٣، ثلاث وعشرين وسبعمائة، وهي: مقدمة نافعة للمبتدئين ألفها بمكة المكرمة، كذا قال الشارح: أبو عبد الله الراعي، ولها شروح كثيرة .

انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون .

(٣) في نسختي الأزهرية والهند (إياي) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول .

وفي أثناء ذلك حفظت ألفية ابن مالك، وقرأت غاية الاختصار في فقه الشافعية، وحفظت في علم الفرائض المنظومة الرجبية.

كل ذلك عند والدي أسكنه الله تعالى أعلى عليين، وكان قبل أن أبلغ من العمر سبع سنين.

ثم أني لم أزل أقرأ عنده، وأحسو دره وشهده، حتى استوفيت الغرض من علم العربية، وحصلت طرفاً جليلاً من فقهي الحنفية والشافعية، وأحطت خبراً ببعض الرسائل المنطقية، والكتب الشريفة الحديثية.

وكان عليه الرحمة يزقني العلم ليلاً ونهاراً، ويزقني إن ونيت سراً وجهاراً. ولما بلغت من العمر عشراً، أذن لي بالقراءة عند غيره ولم يرهقني عسراً.

فقرأت على ابن عمي الأمجد السيد علي ابن السيد أحمد شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية، ووقفت والحمد لله تعالى على مضمراتها وإشاراتها الخفية، وقرأت عليه أيضاً حواشيها، وأزلت بمراجعة الوالد عليه الرحمة غواشيها، وهو رجل في بيتنا ربا، ولم يعرف غير أبي أباً، وأقرأه معظم العلوم النقلية، وطرفاً يسيراً من العلوم العقلية، ومعظم قراءاته المعقول عند من تقصر عن طويل شرح حاله عبارتي، صبغة الله أفندي ابن الملا مصطفى العلي الزيارتي، ثم اضطره ضعف الحال، فسلك طرق الاكتساب لدفع ضرورة العيال، حتى أشكل عليه البديهي الأولي، ولا يكاد يفهمه إياه إلا نبي أو ولي.

وقرأت شرح آداب البحث المسمى بالحنفية على رجل يدعى ملا درويش بن عرب خضر[١] في المدرسة الأحمدية[٢] وهو ممن أخذ العلم[٣] من العالم الرباني، الشيخ عبد الرحمن أفندي المدرس الروزبهاني، خريج صبغة الله أفندي المذكور، ضوعفت لنا ولهم الأجور،

(١) في نسخة استانبول (الإذن) .

(٢) نسبة إلى أحمد كهيا، كدخدا سليمان باشا الكبير [منه] .

(٣) في نسخة استانبول (حضر)، وفي نسخة الهند (الإذن) .

وذلك بعد أن قرأت منه درساً واحداً عند محمد أفندي ابن أحمد أفندي مدرس السليمانية(1) [٤/أ]، فلم أفهم منه ما قال كما لم يفهم مني ما قلت، كأن بعضنا يتكلم بالعربية والآخر بالعبرانية.

وقرأت حواشي الرسالة المذكورة، للفاضل مير أبو الفتح مع حواشيه المشهورة، وكذا آداب المسعودي وألغ وعبد اللطيف، وشرح السراجية في الفرائض للسيد الشريف، وأبعاض كتب عديدة ورسائل مفيدة، على ذي الأخلاق المستجادة، عبد العزيز أفندي شواف زاده، وهو أيضاً ممن تخرج على الفاضل الأوحدي، الزيارتي صبغة الله أفندي.

وكان علم العلم ومناره، ومقتبس الفضل ومستناره، شمائله معبرة عن لطف النسيم، ومحاوراته محدثة عن لذة التسنيم، ذا مزح أطيب من نفس الحبيب، وروح أخف من مغيب الرقيب.

ففيه مجال للتواضع والعلى ... وفيه نصيب للفكاهة والجد

وكان عليه الرحمة مشهوراً بعلم العربية بين القاصي والداني، حتى أنه كان يدعى لمهارته فيه بسيبويه الثاني.

---

(١) مدرسة تنسب إلى سليمان باشا، وهي مشهورة [منه] .

وقد قرأ ذلك على والده جليل الأوصاف، الفقيه الشهير الملا محمد الشواف، وكان غواص تأمله يستخرج الدرر، وقلما يجيب جواباً بأول النظر، ولا يأنف من قول لا أدري، ويجري مع الحق حيث يجري، وما رأيته غلط في جواب، بل كان يسكت أو ينطق بالصواب،

وكان أبعد العلماء من حمى المأثم، غير أنه للطفه يصحب الجنيد(١) ويحيى بن أكثم(٢)، وأغلب تدريسه في مسجد خال خاله ذي الصلاح، بل ولي الله تعالى بلا نزاع شيخ والدي الملا عبد الفتاح.

(١) **الجنيد البغدادي** (ت ٢٩٧هـ/٩١٠م): الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

له (رسائل - ط) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله (دواء الارواح - خ) رسالة صغيرة .

انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١/١١٧؛ الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/٢٥٥؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/٢٣٥؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ٧/٢٤١؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٨؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ٢/١٤١.

(٢) **يحيي بن أكثم** (١٥٩-٢٤٢هـ): يحيي بن أكثم بن محمد بن قطن، التميمي، الأسيدي، المزوري، أبو محمد، القاضي المشهور. فقيه صدوق، عالمي الشهرة، كثير الأدب، حسن المعارضة، ذكر الخطيب في تاريخه أن يحيي بن أكثم ولي قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة ببغداد وأضاف إليه تدبير مملكة المأمون. وذكر ابن خلكان: كان كتب يحيي في الفقه أجل كتب، فتركها الناس لطولها. سمع عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينه، وغيرهما. وروي عنه أبو عيسي الترمذي وغيره. وله كتب في (الأصول) وكتاب أورده علي مناظرات. وتوفي بأربد من قري المدينة .

انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/١٩٧؛ الزركلي: الأعلام ٥/١٦٧، الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ٢/٢١٠، اللّكنوي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ٢٢٤ .

وفي حجرته التي كان يدرس فيها دفن، فيا لها من مدفن بكل خير قمن.

وسبب ذلك تعذر الوصول إلى المقابر، لكثرة الماء وقلة الناصر، فقد طغى الماء ودخل البلد أيام الطاعون، وجرت من عيون السور على المطعونين عيون، ولا تكاد تجد [٤/ب] لكثرة الموتى في الكرخ، غير الشيخة الفانية والشيخ، ولذا كثر الدفن في المساجد والطرق والبيوت، ومن الموتى من كان قبره جوف كلب أو بطن حوت، وكان ذلك من شهر شوال إلى غرة ذي الحجة الحرام، سنة ست وأربعين بعد المايتين والألف من هجرته عليه الصلاة والسلام.

وقرأت من شرح الوضعية لمولانا عصام، إلى ما يعانق من الرسالة الختام، على ذي الفضل الجليل الجلي، السيد محمد أمين ابن السيد علي الحلي، وكان رب فصاحة وبيان، يخيل منه إذا نطق أن كلاً من أعضائه لسان:

إذا ارتج الخطاب بدا خليج ... بفيـه كأنـه بحـر الكلام

كـلام أم مـدام أم نظـام ... من الياقوت أم حب الغمام

إلا أنه كان مولعاً بنقل الغريب، ولا يبالي إذا تكلم أيخطئ أم يصيب، وقد كثر لغطه، فكثر غلطه، ولم ينق ما في سفطه، فسقط كلامه عن القبول لوافر سقطه، مع أنه أذكى من إياس[١]، وذهنه أضوأ من نبراس، وكان أكثر قراءته على الملا عبد العزيز [أفندي][٢] المذكور، قرأ عليه علوم العربية لما أنه في إتقانها مشهور، وقرأ على ذي المقام العلي، علاء الدين مولانا علي أفندي الموصلي، ولم يتحمل لسع نحل أخلاقه، ولم يستطب طبعه واستبشع مر مذاقه، فترك درسه الذي ما له في الحلاوة ثاني، وقرأ على الفاضل عبد الرحمن أفندي الروزبهاني.

وقبل أن يتخرج خرجت إلى الملأ الأعلى روحه، وتوفي في الطاعون بعد أن برأت بمرهم منصب الإفتاء جروحه[٣].

---

(١) من أمثال العرب. انظر: اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ٢٧١/١؛ الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ٩٢/١ .

(٢) هذه الزيادة من نسختي الازهرية والهند .

(٣) في الحلة الفيحاء [منه] .

ولما انقضت ثلاث عشرة سنة من عمري، وأنا مهتم في التحصيل وإصلاح أمري، شرعت بالقراءة مع إخلاص النية، وافتتحت بالخاتمة من شرح عصام للرسالة الوضعية، عند واحد العلماء، وأوحد الفضلاء، الضارب في كل [٥/أ] فن بسهم، والقارع صفات كل قريحة وفهم، فارس ميدان المباحث، والبحر(١) الذي عزز العلامتان منه بثالث، ذي القدم الراسخة في جميع العلوم، والرتبة الشامخة التي دون رفعتها النجوم، ذي القدر العلي علاء الدين علي أفندي الموصلي، ولم أزل أقرأ عنده، وأستنشق ريحه(٢) ورنده، إلى أن تخرجت به وتأدبت بأدبه، وكان عليه الرحمة ذا ذهن بحل كل عويصة ضامن، ووقار كأن ثبيراً فيه كامن، وأدب زرت على أعناق الإعجاز جيوبه، وهبت بغوالي غواني الإبداع صباه وجنوبه، إلى عبارات عذبة شريفة، وإشارات ظريفة لطيفة، وألفاظ رائقة، ومعان فائقة، والحق أنه كان في كل علم آية الله تعالى الكبرى، وجنته التي لا يجوع فيها طالب علم ولا يعرى:

---

(١) في نسخة استانبول (والحبر) .

(٢) في نسخة استانبول (سيحه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية .

هو الشمس علماً والجميع كواكب..إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب[1]

بيد أنه لضيق ذات يده ضاق صدره، ولمزيد كلف في نجم سعده؛ كلف بدره، ولذلك ساءت أخلاقه، وشائت فراقه رفاقه:

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراة الورى أمر مهم

وعلى العلات أن حظه[2] حطه، وأوفر من الحرمان قطه، وأعانه على ذلك الزمان المشوم، والدهر الجائر الغشوم.

ومن العجيب أن داود باشا-على فضله- لم يعرف فضله، وأحله في غير محله وما أجله، وذلك لأنه ما صانعه ولا دارا، ولم يكن في دفتره لما كان دفترداراً، واتفق أن أمر له إذ ذاك ببرده، فأبى أن يقبل كرمه في المجلس ورده، فأسرّ ذلك في نفسه حتى استوزر، فأظهر من سوء معاملته إياه ما أظهر،

---

(١) أخذ المعنى والألفاظ من قول النابغة :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذاَ طَلَعتْ لم يَبْدُ منهنّ كَوْكَبُ

(٢) في نسخة استانبول (خطه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية .

وكان يتتبع عثاره، ويزيد بعثير الغارة عليه غباره، حتى أنه أمر بنفيه إلى الحدباء، فحدب [٥/ب] عليه ورجا إثباته بعض أجلاء الزوراء، فأثبت ولكن في هم لا يحد، وبقي منكسر القلب إلى أن ضمه اللحد، وقد ضم في شهر ضمه أباه، وكان تاريخ ذلك قولي: (عنهما رضى الإله)، ودرج على الأثر في الطاعون جميع أهله وبنيه، وبقي بيته خالياً ليس سوى الصدا والحزن فيه.

أتى على القوم أمر لا مـرد لـه ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من علم ومن أدب...كما حكي عن خيال الطيف وسنان[1]

ولم يتخرج عليه إلا جمع هم أقل من أنصاف الزمان، بل المتخرج إذا تتبعت واحد أو اثنان، وذلك لقلة تحمل الطلبة كثرة دله، وعدم وقوفهم على وافر فضله، ولا ينقص العالم قلة طلبته، كما لا ينقص النبي عدم أمته، وأنا -ولله تعالى الحمد- صبرت على مره، وصيرت شغلي السعي في صفاء سره، وتأدبت معه غاية الأدب، وانتهى أداء رسم خدمتي إياه إلى حد العجب، وإني لأرجو أن أنال ببركة ذلك مزيد الآلاء، فبركة بركة خدمة الشيخ بحر لا تنزحه الدلاء.

---

(١) البيتان لأبي البقاء الرندي (هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء؛ كان فقيهاً حافظاً متفنناً في النثر والنظم؛ وله مقامات ومختصر في الفرائض وكتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي، انظر ترجمته في، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ١٣٧/٤؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٤٨٠/١١، والبيتان من قصيدة عنوانها (رثاء الأندلس) التي مطلعها:

= **لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ ... فلا يُغر ّ بطيب العيش إنسانُ**

وقد بد ّل المؤلف في البيت الثاني لمناسبة المعنى الذي هو بصدده، وأصله:

وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ

انظر: المقري التلمساني: نفح الطيّب من غصن الأندلس الر ّطيب، ٤ /٤٨٧ .

وكان له شعر تحكيه غمزات الجفون الوطف، وتماثله إشارات البنان الذي يكاد ينعقد من اللطف، ويضاهيه السحر، إلا أنه خال عن تعقيد العاقد، ويشبهه الدر، إلا أنه كله فرائد.

فمن فرائده المنظومة، ونوافح مسكه المختومة، التي تغار[1]

منها درر الأسلاك، وتغور لحسنها دراري الأفلاك، قوله -غمره إحسان الله تعالى وفضله -:

لئن لم تشاهدني أخافش أعين[2] * فلي من عيون الفضل شاهد رؤية
وإن أنكرتني الحاسدون تجاهلاً * كفاني عرفاني بقدري وقيمتي
يمثلني بالمدعين مكابر * وقد حكم الفضل اختلاف الحقيقة
فأيان شمس الاستواء من السها * وأين زلال من سراب بقيعة
وليس الذي في الناس كالحي ميته * لفضل، وأفضال كحي كميت[٦/أ]

وقوله:

(١) في نسخة الأزهرية (يغار) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول .
(٢) جاء في حاشية نسخة الهند [عيون أخافش] .

وبي أهيف حلو الدلال مهفهف * مليح التثني ساحر اللحظ أغيد
حكى قده سمر القنا وجفونه * حكي البيض والثغر الأقاح المنضد
ترقرق ماء الحسن في وجناته * على أن فيه جمرة تتوقد
كتمت هواه عن سواه فليس لي * به عاذل يرمي ولا لي مفند
وفي هذه الدنيا ملاح كثيرة * وليس كمثل السيد المتسود
قد امتزجت روحي قديماً بروحه * وقام لنا في عالم الذر مشهد
له مقلة تعطي الصبابة حقها * وأخرى حقوق الحسن ترعى فتجحد
ويعجبني منه إذا مر في ملا * يصد كما صد الغزال ويحرد
وإن خلوة حانت أبان دلاله * فنون ابتهاج هكذا الحب يحمد
أوحده في الحب فليشهد الورى * بأني في دين الغرام موحد
أجدد فيه كل يوم صبابة * بها يقتدي أني الإمام المجدد

وقوله:

ما غير ندب على الأيام ينتـدب * ولا سوى نجـب تحـذي لهـا النجـب
وليس كل فتى يدعـى لحادثـة * ولا بكـل مـلاذ تكشـف الكـرب
وليس يدفع من ضيم وينفع من * مؤمـل قـط إلا السـرج والقتـب
لا أكذبنك ما صبح كغاشية * ولا بمغـن غنـاء الأثمـد التـرب
هذا الزمان لحـاه الله همتـه * أن لا يـرى عنـده حـاج ولا أرب
وفي ضمير الليالي أن تكلفنـي * خلق الذي أنـا وهـو الـرأس والذنـب
لا أسعد الله جدي إن أكن رجلاً * يشين عرض علاه الجاه والنسـب
وزند فضلي يوماً أن قدحت بـه لا * زند اللئـام فـلا جافتنـي النـوب
أرتضي(١)الرتبة القعسا وسلمها * نقصي ولـو خدمتني السبعـة الشهـب
وأيمـن الله هـذا المطمع العجب[٦/ب] * أأبتغـي عـز نفسـي فـي مذلتهـا
وأدعي المجد والعليـا وتملكنـي * كف الأماني لعمـري هكـذا الكـذب
على حرثـي وبذلـي فـي مواسمه * ومـا علي إذا لـم تسعـد السحـب

---

(١) في نسخة الأزهرية (أرتقي) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول .

فداء صان بوجه الماء مكسبه * غنى مال بماء الوجه يكتسب

ما ينقم الدهر مني حيث أهملني * لا عيب عندي إلا العلم والأدب

ولي فؤاد إذا حركت جانبه * لنحو ضيم ينادي الويل والحرب

ونفس حر إذا حدثتها لعلا * تقول لي في سوى الإذلال تصطحب

إن قمت يوماً على أعواد منبرها * فذيل فضلي على سحبان منسحب

إذا رأيت تساوي ناقص وأخو * فضل لدي مجلس العليا فلا عجب

هذي الكواكب تبدو للعيون على * بعد سواء ولكن بينها رتب

فضائلي ما لهذا الدهر من سفه * لم يقض من حقكم[1] ببعض الذي يجب

حتى متى أنا في بؤس أكابده * أحشاء عيشي في كف العنا نهب

هل رحمة لفتى أودت شهامته * بقدره فرثاه الحزم والأدب

تهوى النوائب لقياه فيمنحها * وصلاً ويهوى سنا العليا فتحتجب

كأن بيني وبين الحادثات جرى * عقد الموالاة أم ما بيننا نسب

فكلما فارقته نكبة فرقا * أمدها للرزايا عسكر لجب

---

(١) في نسخة الهند (حقها) .

وقوله :

وزمــــان عـــدت علـي لياليـه * وقصدّـــت قوادمـــي وجناحـــي

ودعتنـــي صروفــه فـــي شتـــات * وعنــــاء وخيبـــة ونـــــزاح

لا لذنـــب أتيتــه غيـــر أن الـ * فضـــل لـم تلقـه قـريـن نجـاح

وإذا مـــا الصـــلاح فيكـــم فســـاد * ففسادي[1] الذي لديكـم صلاحي

وقوله:

قلماً دعاني مشق قامة كاتب * ثلث الملاحة منـه في الولدان(٢)**

يرجو رقاعـي المـلام لعـارض * نسخي هواه وليس ذاك بشاني [٧/أ]**

علقت قلوب الناس فـي تعليقـه * حسنـاً وهمـت بخطـه الريحانـي**

---

(١) في نسخة الأزهرية (ففساد) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول .

(٢) في نسخة استانبول (ألوان) .

وقوله:

شجاك من الربع اليمانيين عينه * واشجاك أن حث الرحيل ظعينه
واما هوى الأزماع يقضي طعينه * هو الحين أما الهجر يذكو سعيره
عدتك العوادي خل داعية الهوى أتدري بنات * فمستوعر سهل الهوى وحزونه
الحيف أي دم امرئ وهل ذكرت والبان * أحلت ومن ادمت عليها شؤونه
آخر عهدنا * بها عهد صب أقسمت لا تخونه
وعيشاً قضيناه بمنعرج اللوى لها طلل * ذوت بعد ذياك النضار غصونه
بين العذيب وبارق * تفيئه والآن لا أستبينه
ونؤي عفاه الدهر بعد وضوحه خيال لذات * كما بان بعد الحك في الخط نونه
الخال شوش خاطري * وطيف بدا لي ثم أسرت ظعونه[1]
تكلفني وجداً بنجد وإنما * هوى كل قلب حيث حل قرينه
مضت حجج والشأن في المطل شأنها * وعندي شؤون الحفظ فيها شؤونه
كأنّا تراهنّا لعود فرهنُها * فؤادي والصب[2] الخيال رهينه
ترى هل أتى تلك المليحة والهوى * أحاديث أن الصبر بان معينه
وهل جاءها والعشق ميل ونزعة * عن القلب أن لا يستفيق جنونه
علي بها في الجزع اية وقفة * بها للهوى العذري تقضي ديونه
ونظرة مستام يغار على الحمى * فطوراً يراعيه وطوراً يصونه
كفى حزناً اني أرى العيس ترتمي * بهودجها والبين حتى يقينه
وابصر ربات الحجال تفرقت * ايادي سبا والربع خف قطينه
ولم انسها يوماً بجمع وشملنا * بجمع ووجه الوصل زاه جبينه
تقول كأني بالخيام تقوضت * جميعاً وحادي الركب خفت لحونه
وظن بأني قد سلوت غرامها * فتى غير ديني في المحبة دينه[٧/ب]
معاذ هواها من سلوى وإنني * بذاك بخيل لا يجود ضنينه

---

(١) في نسخة استانبول (ضعونه) وما أثبتناه هنا مصححا من نسخة الأزهرية .

(٢) في نسخة الأزهرية (والطيف) وما اثبتناه هنا مصححا من نسخة استانبول.

وقوله:

دعي ما كل ساجعة حمـام * وما النخل السحـوق هي الثمام
هي الأيام يوم عـُـدّ عامـاً * ويوم فـي الحسـاب يعد عـام
لقد لهجت بذم الفضل قوم * لـه قمنـا على قـدم ونامـوا
ناظرني بهذا العصر ناس * أنـا الألـف القويـم وهـن لام
وشتان الذي صفع هـواه * ومـــن بالعـز لذلـه الغـرام
رماني الحاسدون بكل أمر * بـه عرفـت مكانتـي الكـرام
فقالوا حدة طـوراً وحينـاً * بـه كبـر وطـوراً لا يـــرام
وفي بغداد جثماني وفضلي * تراعـي حقـه حلـب وشـام
وفتية فرية قدحـت بحقـد * وغير الحزم مـا ضـم الحـزام
وإنّ الجاهلين بكـل عصر * لأهـل الفضـل أعـداء عظـام
فإن نبحت على أثري كلاب * فليس بمدركـي نقـص وذام
وكيف تنـال أرجلنـا بعيب * رؤوس خنـاً مطهرهـا الحسام
*

وقوله:

قل لم همت في هوى ذي عذار * طرز الشعر منه حلة خده
قلت والعشق ذو فنون لكي يقـ * طع عني الرقيب أسباب صده
وكذا العاذلون تقصر عن لو * مي فيخلو لي الحبيب بوده
والجمال الذي به فتن العـ * شاق ما له الزمان بفقده
أفتور بجفنه زال لا والله * ما زال أم رشاقة قده
خده خده وما ذاك العا * رض إلا دخان لهبة قده

وقوله:

وقالوا تأخرت في ذا الزمان *** ومنك التقدم حاز الرجال[٨/أ]
فقلت يرى الصدر صفا أخيراً *** إذا أولاً عد صف النعال

وقوله:

لعلة جسمك قلبي شكا *** وعلة جسمي عندي أحب
لجسمك قلبي جسم غدا *** وما صح جسم إذا اعتل قلب

وقوله:

أسفي على فضلي قضيت ولم أكن * أملـي قضيت وللفنون ديون**

وأخذت في كفنـي علومـا لـم أجـد * مستودعاً هي في الدفين دفين**

وقوله مشطراً له:

أسفي على فضلي قضيت ولم أكن * أبصـرت عارف حقـه فيبيـن**

ومـن العلــوم الغامضـات ورمزها * أملـي قضيـت وللفنون ديـون**

وأخذت فـي كفني علوماً لـم أجد * من يحفظن حقوقهـا ويصـون**

ورقيـق أسـرار جعلـت لها الحشـا * مستودعاً هي في الدفين دفين**[1]

إلى غير ذلك من شعره، وما ذُكر زهرة من زهره، ومعظمه مما أنشده في مدينة السلام، وفيه أشعار بما أضر به من رخص أسعار فضله عند اللئام، والتشطير المذكور آخر شعر أحكم نظامه والحمام قد نصب بباب داره خيامه، وكلٌ أرويه عنه وأدريه منه.

---

(١) في نسخة الأزهرية جاء على حاشية الصفحة تشطير آخر بتوقيع (فاروقي) هكذا:

أسفي على عمري قضيت ولم أكن ... فرضي قضيت وللإلـه ديـون

وأخذت في كفني زنوبـا لم أجـد ... لي مخلصا هي في الدفين دفين

إلا إذا لطـف الإلـه برحمـة ... فإذا قضى أمـرا فسوف يكـون

وشفاعـة الهـادي النبـي محمـد ... خير البريـة كنزنا المخـزون

وقد دفن -عليه الرحمة- في قبة حذاء قبة الشيخ عبد الله العيدروسي، في محلة حضرة الباز الأشهب أظلنا الله تعالى بظلال جناحه القدوسي.

وقرأت شرح النخبة للهيكل النوراني، المحدث الحافظ ابن حجر العسقلاني، عند الفاضل الأوحدي الشيخ علي أفندي السويدي وكان ذا جاه كبير عند والي بغداد سليمان باشا الصغير، فكان لا يصدر إلا عن رأيه، وهو يسعى في نصحه غاية سعيه، وامتحن بعد قتله بسبب ذلك، وكاد يهوي -لولا بركة العلم- في مهاوي المهالك.

ومن الغريب أنه على كمال عقله وتنزه نفسه، ارتكب ما لا يكاد [٨/ب] يرتكبه أحد من أبناء جنسه، حيث ذهب إلى البصرة محاسباً لواليها، ضابطاً رسم الكمرك[١] الذي فيها، وكان ينسب إليه سيئ الإنكار، على أكثر الأولياء الكبار، وأنه وهابي[٢] العقيدة، وله فيها وَلَهٌ ومحبة شديدة، وأنه دعا إليها سليمان باشا، وملأ من علل الخروج على الدولة أهابه فخرج عليها، ولم يرسل شيئاً من خراج العراق إليها، فأثارت عشائر الأكراد وبعض الأعراب عليه، فتوجهوا في معية رئيسهم الداهية الدهماء إليه، فخرج لقتالهم إذ قربوا من سور الزوراء،

---

(١) **الكمرك** لفظة تركية تعادلها في العربية المكس، تطلق في الاصطلاح على ديوان الضرائب الداخلة أو العابرة.

انظر: حسان حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات، ٢٨ .

(٢) **الوهابية** ليست مذهبا مغايرا ولا عقيدة مختلفة، إنما هي دعوة إصلاحية دعت إلى تنقية عقيدة المسلمين من البدع والشركيات التي ألحقت بها على يد المبتدعين والجهلة والعوام من الناس، وبالطبع فقد لقيت الكثير من المعارضة لما تنهى عنه مما اعتاده الناس والعوام من السلوكيات والعادات، وكان التصوف هو سيد الموقف في ذلك الوقت لاسيما في العراق حيث انتشار مقامات الأولياء والطرق الصوفية ومشايخها، الذين عارضوا الدعوة الوهابية معارضة شديدة .

وقابلهم بجنود تغبر غيظاً من كثرتهم وجوه نجوم الخضراء، حتى إذا التقى الجيشان، واعتدل الصفان، خانه رؤساء العسكر، فبقي مع مثل عدة الأصابع ففر، ومر فاراً على قبيلة الدفافعة[1]، فقطعوا عنه ماء الحياة وسدوا عنه مشارعه، والإنصاف أن السويدي لم يسود قلبه بعقائد جهلة الوهابية، وإنما عقده على العقائد السلفية الأحمدية، ولعمري-ولا حاجة إلى اليمين- أن ذلك ظاهر من درر كتابه العقد الثمين، وأن خروج ذلك الوزير إنما جر إليه أمر آخر لسوء التدبير.

---

(١) ذكرهم عباس العزاوي ببعض التفصيل في كتابه عشائر العراق وقال: الدفافعة: رئيسهم سعود المحمد العلي. نخوتهم (عروس) يدعون أنهم من عبادة. وبعضهم يقول أنهم من عبودة من (العجرش). وهم أولاد محمد العروس جد الدفافعة. ونجاد جد النجادات، و(حميد) جد الحميدات. وان قاتل سليمان باشا الصغير. من المماليك علي الشعيب منهم وهو الجد الأعلى لعلي بن شخناب بن إبراهيم بن حمد بن علي الشعيب. ولا يزال له عقب. وأفخاذهم:

١ - بحارنة. رئيسهم جبارة البلبول.
٢ - جبيرات. رئيسهم علوان الكونة.
٣ - سوالمة. رئيسهم سرهيد الفهد.
٤ - مهيات. رئيسهم كاظم الشهاب.
٥ - حميدات. نخوتهم (حمدة). ومنهم: بيت دفرة، وآل حلاوة، والحمود.
= ٦ - نجادات. رئيسهم كريدي الكضكاض نخوتهم (رشدة). ومنهم: بيت دهيّم وبيت سليمة وبيت هليّل والمسالمة.
٧ - سعيدات.
٨ - فضيلات. رئيسهم محمد السلمان.
٩ - جواملة. رئيسهم علي الحسين. انظر: عباس العزاوي: عشائر العراق، ١١/٤ .

وبالجملة؛ كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين، وكان لأهل السنة برهاناً، وللعلماء المحدثين سلطاناً، ما رأيت أكثر منه حفظاً، ولا أعذب منه لفظاً، ولا أحسن منه وعظاً، ولا أفصح منه لساناً، ولا أوضح منه بياناً، ولا أكمل منه وقاراً، ولا آمن منه جاراً، ولا أكثر منه حلماً، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علماً، ولا أغزر منه عقلاً، ولا أوفر منه في فنه فضلاً، ولا ألين منه جانباً، ولا آنس منه صاحباً.

ولولا ونيم ذباب الذهاب إلى كمرك البصرة على ثيابه لقلت هو في جمع المحاسن الغراء[1] فرد أسلافه وأصحابه، اختارت روحه في دمشق الشام من الملأ الأعلى فريقاً، وهو يقرأ قوله تعالى:﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2]

وجاء [٩/أ] تاريخ وفاته، أسكنه الله تعالى أعلى جناته: (إن المدارس تبكي عند فقد علي)[3].

---

(١) في نسخة الهند (الغر) .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٣) جاء في حاشية نسخة الأزهرية واستانبول والهند [سنة ١٢٣٧ في ٢٧ رجب].

وقد أوقفني على جميع إجازاته، وأجازني كأولاده بجميع مروياته. وقرأت مسألة الصفات من الخيالي، على حضرة مولى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي، المجددي المجدي حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ [خالد][1] النقشبندي، وهو صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث جلالته، وأجمع المنصفون على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، وانتشر صيته في كل وادٍ ونادي، بهر بجبل صفاته أطوار العقول، ونال منه تلامذته غاية الوصول، امتد في المقامات والأحوال باعه، وعمرت بالفضل والأفضال رباعه، كان حريصاً على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حل دقيقة علمٍ أو طاعة، حسن السمت والسيرة، نير القلب والسريرة، إن توجه إلى قلب مريد ملأه نوراً، أو ربط على إكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سرورا:

---

(١) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الهند .

الإمام الجليـل غـــوث البرايـا * غيثها المرتجـى نـدى إحسانه**

ذو سجايا مثل الرياض سقاهـا * وابل القطـر مـن نـدى هتانـه**

بحـر جـود له جـداول عشـر * فـي يديـه تدفقـت مـن بنانـه**

سار في الخافقين ذكر عـلاه * وعـلا قـدره علـى كيوانـه**

فائـض العلـم عن روية فكـر * كـاد يجلـو ستر القضا بعيانه**

ثابت الذهن كم خفايا علـوم * قد جلاها بالكشف عن برهانـه**

فهو كشـاف مشكـلات معـان * حـل ألفاظهـا بديع بيانـه**

وبالجملة؛ ما حوى أحد في عصرنا فضله، وأنا لم أر مثلاً له، وأظن أنه هو أيضاً ما رأى مثله، وإنكار بعض الأجلة عليه، وتوجيههم سهام الطعن -وحاشاه- إليه، كان بعضه محض نفسانية، وبعضه الآخر كان عن غير روية، ومن المنكرين من كان كالبائل في بئر زمزم، أراد أن يشهر اسمه بالإنكار على ذلك العالم العيلم،

وله-قدس سره- في ذلك سلف أجله، ابتلوا بالإنكار عليهم مثله، وتحملوا من معاصريهم [٩/ب] حملاً ثقيلاً، وصبروا على ما نالوا من معاديهم صبراً جميلاً، تلك: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾(١)

على أن ذلك إنما نقص قدر من آذاهم، ولم ينقص قدر ذرة من شامخ علاهم:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

من كان فوق محل الشمس رتبته *** فليس يرفعه شيء ولا يضعه[1]

وقد كان له-قدس سره- عليّ شفقة شفيقة وقد أمرني بالاشتغال بالعلم وضمن لي أن لا أحرم من بركة الطريقة، وها أنا إلى هذا الزمن الزمنِ منتظر تحقق ما ضمن، وكأني في بركة تلك البركة، أسبح إن شاء الله تعالى ولا سبح السمكة، وقد طارت روحه إلى حضيرة القدس في دمشق الشام، فحبست في أقفاص الأسى لطيرانه قلوب المسلمين والإسلام.

وقيل في تاريخ ذلك، غير ما قيل هنالك، ومنه قول السياه بوش[2] من قصيدة مرثية، شرحتها شرحاً نفيساً سميته الفيض الوارد في شرح مرثية مولانا خالد[3]:

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدته التي مطلعها:

غَيرِي بأكْثرِ هذا النّاسِ يَنْخَدِعُ ... إنْ قاتَلُوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا

(٢) **الجواد سياه بوش** (ت ١٢٤٧هـ/١٨٣١م): محمد جواد سياه بوش بن محمد الزيني بن أحمد زين الدين، الحسني الحسيني البغدادي النجفي: شاعر اشتهر بهجاء أهل بلده. له قصيدة في رثاء الشيخ خالد النقشبندي، شرحها السيد محمود الآلوسي بكتابه (الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد) وله (ديوان شعر) كبير، في مكتبة الحكيم، بالنجف و (دوحة الأنوار في الرائق من الأشعار) بخطه في النجف .

انظر: الزركلي: الأعلام، ٧٤/٦ .

(٣) في نسخة استانبول والهند (الروضة الأحمدية) .

ولما هويت الحق قلــت مؤرخــاً * هوى للقاء الحق في القدس خالــد**

وحين بكت أهل الطريقة أرخــوا * بكــى فقــدك الدرس الإلهي خالــد**

وحين نحوت القدس قلت مؤرخاً * دنى بازاء القدس في القرب خالد**

وحين اتحدنا في الطريقة نسبــة * وقــد طهــرت أعراقنــا والمحامــد**

نبغت بصدق عن لسانــي أرخـــوا * مقامك صدق عند مــولاي خالــد**

وأجازني بما تجوز له روايته، وصحت لديه درايته، جامع العلوم البعيدة والقريبة، والفنون المعروفة والغريبة، سيدي وأستاذي ملحق الأصاغر بالأكابر الشيخ يحيى المزوري العمادي[1]

---

(١) ممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض أهل الفضل ممن لم نعلم من أحوالهم إلا النزر القليل، فمنهم (الشيخ يحيي المروزي العمادي) أصله من العمادية من قرى الأكراد قرب الموصل برز في التدريس وصار عليه المعول في مذهب الأمام إدريس وكان أحد مشايخ الشهاب الآلوسي الذي أثنى على زهده وعلو في نفسه. توفي الشيخ العمادي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .

انظر: لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية، ١/١١٥ .

وهو إمام علامة أشهر من أن ينبه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، حامل أعباء التدريس، والمعول عليه في مذهب الإمام ابن إدريس[1]، بل لعمري أنه كان واسطة قلادة علماء عصره، يعجز البليغ عن وصف فضله ولو بلغ النثرة بنثره، والشعرى بشعره، كان عليه [١٠/أ] الرحمة للعلماء جمالاً، لكن إذا رأيته حسبته لعدم اعتنائه بنفسه حمالاً، ولسان الإنصاف يقول على لسانه لو تعي، نحو ما قاله في [شأن][2] نفسه الإمام الشافعي:

---

(١) يعني به الإمام الشافعي

(٢) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند .

عليَّ ثياب لو يباع جميعهـا * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا**

وفيهن نفس لو تباع بمثلهـا * نفوس الورى كانت أعز وأكبرا**[١]

توفي في بضع وخمسين بعد الألف والمايتين من هجرة سيد المرسلين، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ودفن في مقبرة باب الأزج، لا زال لثرى قبره من غالية الرحمة أرج.

وأجازني أيضاً علماء أعلام، كل منهم في حلبة الفضل إمام، كالفاضل السري، محدث دمشق الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والسارح بقلبه في رياض الملكوت [الشيخ][٢]

---

(١) عن قصة هذين البيتين يقول ياقوت الحموي: عن أبي بكر بن بنت الشافعي قال: قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها قطع المهامة والقفر

فـوالله ما أدري أللفـــوز والغنـــى ... أساق إليهـا أم أساق إلى القبر؟

قال: فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد، وليس عليه إلا خرقة فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال: :

علـــى ثيـــاب لو يبـــاع جميعهـا ... بفلـس لكان الفلـس منهن أكثرا

وفيهــن نفس لو يقـاس ببعضهـا ... نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضباً أيـن وجهته فرى؟

انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٢/٢٥١ .

(٢) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند .

عبد اللطيف ابن الشيخ علي مفتي بيروت، وقد كتبا لي بذلك من دمشق الشام، وصرحا فيما كتبا بعدة اثبات لعلماء فخام، ونظم في أثناء ما كتب الثاني، أبياتاً حسنة المباني والمعاني، فقال:

أحســن ببغــداد التــي * تحوي المكارم والكــرام**

فاقت على كل البــلاد * بحسنهــا عنــد الأنــام**

فكم انتشــى من عالــم * وكــم انتشــى فيها إمــام**

من حسنها أن قد غـدت * دار المحاســن والســلام**

وكان ناس آخرين من علماء الآفاق، والفضلاء القاطنين في أرجاء العراق، قد انتظموا في سلك فضل قلادة، وكلهم وسطي فناهيك من عِقد، ولعلي أترجم الكل في كتاب، يكون إن شاء الله تعالى ثانياً لنزهة الألباب.

ولما بلغت من العمر نحو إحدى وعشرين، جمع لشهود إجازتي علماء بلدتي شيخي علاء الدين، فكان يوم الجمع يوماً مشهوداً مشهوراً، أفاض على العدو شروراً، وأغاض من الحاسد سروراً، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية [١٠/ب]، قريباً من الحضرة القادرية، ونصبت يومئذ مدرساً في مدرسة الباجة جي الحاج نعمان، وهي جوار بيت قصر التماثيل متصلة بجدار البستان، في المحلة المشهورة اليوم بسبع بِكار، وكانت من قبل مشهورة بمحلة نهر المُعَلَّى في الأقطار، وعندما نصبت تأججت نيران قلوب الأعداء، فلم يطفها إلا خروجي فخرجت من هاتيك الأرجاء.

ثم عَمَّر الحاج أمين شقيق النعمان في محلة رأس القرية مدرسة وجامعاً مقدساً، فنصبت هناك على رغم الحاسدين خطيباً وواعظاً ومدرساً، فصدعت بالخدمات الثلاث في ذلك المحل الأرفع، وصدحت على أفنانها بمرأى من العدو الشاني ومسمع، إلا أني عددت الخطابة نقمة، حيث أني أجهل خطباء العراق بأصول النغمة، والناس اليوم لا يسمعون خطيباً، ما لم يكن عندليباً، ولا يدخلون مسجداً،

ما لم يكن خطيبه مَعْبداً، ومعظم أهل العراق يكرهون الخطبا، إذا لم يغنوهم بنحو الحسيني والصبا[1]، ويحسبون الإخلال بالألحان لحناً، وترك الأوزان العجمية في الدين وهناً، وكذا ثقل عليّ أن أعظ، لعلمي بأني غير متعظ.

وإني لأستحيي من الله كلما ... رأوني خطيباً واعظاً فوق منبر

ولست برياً بينهم فأفيدهم ... ألا إنما تشفي المواعظ من بري

وكان يغص الجامع بالسامعين، وتَشرق الجيوب والأكمام بدموع الباكين، وربما أبقى في تفسير الآية الواحدة شهراً، وأنا كل يوم أتلو عليهم -والحمد لله تعالى- من أسرارها ذكراً، وشرعت في الوعظ وأنا ابن عشر سنين، ووعظت في كثير من مساجد[2] المسلمين، وأقرأت شاباً وكهلاً. وأنا ابن ثلاثة عشر حولاً،

---

(١) من المقامات الموسيقية.

(٢) جاء في حاشية نسخة الهند [كالحضرة القادرية وجامع القمرية وجامع الحنان وجامع محمد الفضل وجامع الحيدر خانة وجامع مرجان وجامع شيخ صندل. منه].

وتعلمت ضم الحرف إلى الحرف، وعمري نحو أصابع الكف، كل ذلك من فضل الله تعالى [عليّ][1] ثم بركة دعاء والدي، حتى إذا جاء الطاعون، وسارت بعلماء الكرخ وساداته الظعون.

خلت الديار فسدت غير مسودٍ ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد[2][١١/أ]

[ترجمة والد المؤلف]:

وتوفي إذ ذاك -والأمر لله سبحانه- والدي، ومن هو بعد الله تعالى مساعدي، وفي تناول ما يصلح حالي زندي وساعدي، سيدي وسندي السيد عبدالله أفندي تغمده الله برحمته،

---

(١) هذه الزيادة من نسخة استانبول والهند .

(٢) البيت مشهور كثير الاستشهاد به، وقد نسبه الجاحظ في البيان والتبيين لحارثة بن بدر، ونسبها الزمخشري في ربيع الأبرار للخشعمي، وهو ما وافقه عليه اليوسي إذ قال: قال رجل من خثعم، وأورد البيت، ورواه أبو هلال العسكري بصيغة مختلفة فقال:

ذهب الكرام فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٤٩٤/١؛ الزمخشري: ربيع الأبرار وفصوص الأخبار ٣٢٠/١؛ أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ٣٧٥/١؛ اليوسي: زهر الأكم ٢٥٤/١ .

وأسكنه غرف كرامته في أعالي جنته، وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدور رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائماً، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائماً، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاه، إلا وجده يبكي خشية بين يدي مولاه جل علاه، وقد درّس نحو أربعين سنة في الحضرة الأعظمية[١]،

---

(١) ربما يعني بها مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهو يدعى مسجد الأعظمية، قائم الآن في حي الأعظمية ببغداد، وهو قطعة فنية معمارية رائعة .

وكان يذهب إليها ماشياً إعظاماً لما ضمته من عظام محيي السنة الأحمدية، وكان مع ذلك يدرس في مدرسة المولى خانه، التي جعلها داود باشا خاناً[1] وسوقاً وبنى فيها لقهوة البن حانة[2]،

---

(١) **الخانات** منازل صغيرة ونوع من المؤسسات الخيرية التي تقدم خدماتها من الطعام والمثوى للمسافرين والمحتاجين، والنوع الكبير منها يسمى كروانسراي، وكان يشيد كالقلاع في طرق المسافرين ليقدم لهم الطعام والمأوى ويحمي بضائعهم من اللصوص وقطاع الطرق، وكان من الناحية المعمارية قطعا فنية رائعة .

انظر: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ٢/٢٩٤ .

(٢) كانت قضية شرب البن في الحانات واحدة من القضايا الاجتماعية السياسية التي أثارت جدلا عنيفا في الدولة العثمانية إذ انتشر شرب القهوة أولا في المناطق الشرقية/ الجنوبية للدولة وانتشرت حوانيت القهوة (القهوة خانه) في دمشق الشام منذ عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم انتقلت تلك الظاهرة إلى العاصمة استانبول، ووصل الأمر أخيرا إلى شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ثم إلى السلطان سليمان القانوني. وتذكر بعض المصادر أن مجيء القهوة للمرة الأولى من الشرق الأقصى إلى عاصمة الخلافة كان في هذه السنوات مما دفع علماء الدين

على معارضة هذا النوع من الكيف، بل إن الشيخ محمد الحسيني قاضي الشام طالب بإبطال شرب القهوة البنية عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م وعرض الأمر على السلطان فوافق بناءا على فتوى شيخ الإسلام أبي السعود الذي رأى في شربها تشبه بالفجار من اجتماع الفسقة على الملاهي والغيبة والنميمة، رغم ما عرف عن أبي السعود من التسامح إلا أنه كان في تلك المسألة متشددا لأن الأمر يتعلق بظاهرة أخلاقية اجتماعية تمس الدولة كلها. حتى أن مسألة تحليل وتحريم القهوة ظل مثارا بين العلماء مدة طويلة بعده. وقد تناولت هذه المسألة الطريفة والمهمة الكثير من الأبحاث.

ونقل التدريس إلى بعض منها يسمى اليوم بالآصفية، ونصب فيها مدرسين للعلوم النقلية والعقلية، ودرس نحو أربع سنين في مدرسة الشهيد علي باشا التي أعدت لرئيس المدرسين، وهو عليه الرحمة ثالث[1] مدرس درّس بها، وكنت في أيامه محافظ كتبها، ووعظ وخِلّ الشباب غير مماذق، في جامع محمد[2] الفضل بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وكانت الطلبة تتبرك بالقراءة عليه، وتعد من أسباب الفتوح عليها تقبيل يديه، وقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وذهب إلى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن فوجده يوم دخل قد مات، وينتهي نسبه الذكي الزكي إلى الريحانتين، فمن جهة أمه إلى الحسن ومن جهة أبيه إلى الحسين، ويحلق نسب أمه إلى ذلك بجناح الباز الأشهب، ومن نصب له وكر العناية الأزلية في حظائر الغيب الأغيب، قدس سره، وغمرنا بره.

---

(١) جاء في حاشية نسخة استانبول والهند (الأول محمد أمير أفندي مفتي الحلة، والثاني عبد الله أفندي الحيدري مفتي الشافعية) [منه] .

(٢) وهو الأخ الصغير السيد سلطان علي، فليحفظ [منه] .

والأمر مفصل في (حديقة الورود)، فقد زهت فيها نظماً ونثراً أسماء الآباء والجدود، وكذا في شجرة [١١/ب] الأنوار، ونوار الأزهار، التي أَلَّفناها في إسلامبول، وجمعنا فيها ما شاء الله تعالى من ذرية الزهراء البتول، ولعمري أنه نسب يصلح أن يجعل تميمة فطيم، ويتخذ لبركة من حوى رقيمة سليم.

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نوراً ومن فلق الصباح عموداً**(١)

فهو - عليه الرحمة - محبوك الطرفين، قد طابق شرفه في نفسه شرف الجدين، فلا بدع أن نال بيد مجده الثريا، أو تفيأ في الشرف مكاناً عليا.

---

(١) البيت لأبي تمام من قصيدته التي مطلعها:

طَلَلَ الجَميعِ، لَقَدْ عَفَوْتَ حَميداً ... وكفى على رزئي بذاكَ شهيدا

انظر: أبو هلال العسكري: ديوان المعاني ١/٢٤؛ أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام، ١/٩.

ما عذر من ضربت به أعراقه * حتى بلغن إلى النبي محمد**

أن لا يمد إلى المكـارم باعـه * وينال غايات العلى والسؤدد**

مرتقياً حتى تكـــون ذيولـــه * أبد الزمان غمائماً للفرقد(١)**

وبالجملة؛ كان نقي الذات، بهي الصفات، زكي الأعراق، زكي الأخلاق، وافي الوفاء، لا يخل بحقوق الأخلاء، قد طهر الله تعالى سره، وأعلى لديه بطاعته قدره، فلو أقسم على الله سبحانه لأبره.

هذا أبي جامع ما قد سمعت به... هيهات ما للورى يا دهر مثل أبي

---

(١) الأبيات للشريف الرضي من قصيدة مطلعها:

هل ربع قلبك للخليط المنجد ... بلوى البراق تزايلوا عن موعدي

بينما نسبه الثعالبي في لباب الآداب إلى: أبو الفتح علي بن البُسْتي.

انظر: ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١٥٩/١؛ الجرّاوي: الحماسة المغربية، ٧٥/١؛ الثعالبي: لباب الآداب، ، ٦٦/١.

ولما توفي عليه الرحمة في الطاعون، وسارت معه من أهل البيت الظعون، لبس لي الزمان جلد النمر(١) وجعل يكر عليّ ويفر، وجرت أمور منها السماء تمور، ووقعت مواد تشيب لذكرها لمم المداد.

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فـؤادي فــي غشاء من نبال**

وصرت إذا أصابتنــي نبــال * تكسرت النبــال على النبال(٢)**

---

(١) من أمثال العرب، ومن المجاز، وأورده ابن سلام في باب إظهار العداوة وكشفها، يقال لبس فلان لفلان جلد النمر كشف له عداوته، وقال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: معناه: أظهرت له العداوة الشديدة، وجعلوا النمر مثلاً في ذلك، لأنه من أجرأ سبع وأشده، وأقله احتمالاً للضيم .

انظر: ابن سلام: الأمثال السائرة، ٦٦/١؛ المعجم الوسيط؛ ١٣٩/١؛ الزمخشري: أساس البلاغة، ٤٩٠/١ أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال، ١٧٩/١ .

(٢) الأبيات للمتنبي من قصيدة مطلعها:

= **نعـد المشرفيـة والعوالي ... وتقتلنا المنـون بـلا قتـال**

ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي

وثمة اختلاف في البيت الثاني الذي أورده المؤلف، وأصله:

فصرت إذا أصابتني سهامٌ ... تكسرت النصال على النصال

وقد صححها المؤلف أو الناسخ على حاشية نسخة الأزهرية هكذا (النصال على النصال).

انظر: عبد الرحمن البرقوقي: ديوان المتنبي مع شرحه، ١٩٦/١؛ البديعى: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ١ /٧٥؛ ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ١٩٤/١.

واضطررت إلى أن تركت سكنى داري، وارتكبت -والأمر لله تعالى- فراق سكني وجاري، وسكنت في ظل جناح باز الله الأشهب [المشرق][(١)] عليه ما يبهر العقول من النور الشعشعاني الذي يحجب ولا يحجب، قدس الله تعالى سره، وأعلى في حظائر القدس ذكره.

حتى إذا كان رمضان سنة الخمسين، وهي مبدأ انحلال ما عقده القضاء علي من البلاء المبين، أمرني النقيب إذ ذاك بالوعظ في الحضرة الغوثية، فأجبته [١٢ / أ] مكرهاً لاشتغال ذهني بأمور كلية.

فاتفق أن ساق حسن القضا لاستماع وعظي الوزير الخطير علي رضا فسمعه فصلاً فصلاً، وفهم أسراره بلاً بلاً، فدهش واستغرب، وعجب غاية العجب، وقال في مدحي ما قال، مما يضيق عن التلفظ به فم المقال، ثم أمر بأن أذهب إليه في العيد، والنقيب السابق ملقي السمع وهو شهيد، فضاق لذلك فسيح صدره، وندم على ما مر من أمره، فلما جاءه العيد، ذهبت إلى سرايه فعايدته،

---

(١) هذه الزيادة من نسخة استانبول .

وشاهدت من الإكرام ما لم أكن شاهدته، وأعاد إليّ ما كان من الوظائف علي، وكان أخذها مني ودفعها عني، فكنت أكحل برؤيته العين، وأذهب إليه في الأسبوع مرة أو مرتين، وفي عيد الأضحية نصبني خطيب الأعظمية، وشغف بي من بين صحبي، فجعلت أذهب مع الأعيان[١]،

---

(١) **أعيان Ayan**: أشراف البلد ويطلق على فئة إقطاعية بدأت بممارسة النفوذ منذ القرن الثامن عشر الميلادي في مختلف مناطق الدولة العثمانية، وأصبحت ذات امتيازات وصلاحيات، وقد قضى عليها السلطان محمود الثاني بعد صراع طويل معها.

وهو الاسم الذي أطلق أيضاً على الوسطاء الذين يقومون بتنظيم العلاقات بين الدولة والمجتمع العثماني في المدن والقرى. ويشمل بشكل عام القاضي والمفتي والمدرس والسيد وشيخ الطريقة، وكبار رجال الجيش، وكبار التجار، وأعيان البلد. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ٣٣ .

كل جمعة للديوان، فأكون في الأغلب المخاطب له وحدي، كأن لم يكن في الديوان غيري أفندي[1]، وفي كل ليلة أجتمع معه، وأكاد أحيي في مسامرته ليلي أجمعه، وفي هاتيك الأثناء شرحت (البرهان في إطاعة ظل الله تعالى السلطان)، فقدمته إليه، وعرضته عليه،

---

(١) **الأفندي:** كلمة رومية – بيزنطية انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وقد بدئ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف، حيث حلت محل كلمة جلبي المماثلة لها باللغة التركية، وأصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء، ثم أصبحت اللقب الرسمي للأمراء بعد أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

وقيل استخدمها العثمانيون في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، للدلالة على الإنسان المثقف ذي التربية القويمة، ثم أطلق على العالم وعلى بعض رجال الدولة، ثم استخدمت لقباً رسمياً للأمراء العثمانيين وكبار علماء الدين في الدولة، بالإضافة إلى استخدامها للضباط من رتبة الملازم حتى رتبة البكباشي، كما كان طلاب المدارس العسكرية يخاطبون بها رسمياً، ثم ألغيت الكلمة من دائرة الألقاب الرسمية في تركيا بالقانون رقم ٢٥٩٠ الصادر عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٤م. وقد استخدمت كذلك لرئيس الكتاب (ناظر الخارجية) قبل عهد التنظيمات ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٣٤ .

فأجاز لؤلؤه بوقف مرجان، وبجلب رتبة تدريس الأستانة[1] من حضرة السلطان، ثم نصبني مفتي الحنفية، وكان قد وعدني بذلك يوم سمع وعظي في الحضرة الغوثية.

نعم سعى غاية السعي في إنجاز ذلك الوعد، وأصر على عدم تأخيره من يوم إلى غد، ذو الهمة التي لا تجارى، والغيرة [العمرية] [2] التي لا تبارى، من جرى وادي فضله فطم على القرى، حضرة مولاي عبد الباقي أفندي العمري، وكان لي -سلمه الله تعالى- في كل أموري مساعداً، ومتى عطلت يدي عن مصالحي كان لي يداً وساعداً، أدام الله تعالى حيا حياته على رغم كل مبغض، ولا زال فاتحا عين قلبي بميل ميله لي حتى يغمض العين مغمض.

---

(١) كان رجال الهيئة العلمية يتخذون طريقهم إلى العمل في القضاء أو التدريس، وقد تشابهت الرتب والدرجات في المجالين، وبالطبع كانت العاصمة هي قمة التدرج الوظيفي للقاضي أو المدرس، وبعدها يدخل في مصاف كبار رجال الدولة ليصبح قاضيا للعسكر أو شيخا للإسلام. ورتبة تدريس الأستانة تعادل التدريس الجامعي في عصرنا الحاضر ولا ينالها إلا عالم كبير قضى مدة في التدريس.

(٢) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الأزهرية .

ولم يزل ذلك الوزير يعلي لي الشان، حتى قلدني من أيادي السلطان بنيشان[1]، ولم يسبق ذلك لأحد من علماء البلد وذلك بعد أن وردت عدة أسئلة علمية [١٢/ب] من إيران، فأحجم عن جوابها قبلي فضلاء الزمان، وكل ذلك مفصل في ترجمتي (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين محمود).

حتى إذا أراد الله تعالى فيه إظهار سابق علمه ، وأوصله بلطفه

---

(١) نيشان أو وسام مجيدي من الدرجة الأولى (برنجي مجيدي نيشان): وهو الوسام الذي أحدثه السلطان عبد المجيد في عام ١٢٦هـ-١٨٥٢م، ويحمل اسمه، وكان هذا الوسام في البداية ذات رتبة واحدة فقط، ويسمى الوسام المجيدي فقط، وفي عهد السلطان عبد العزيز، تم إحداث تطوير في استخدام هذا الوسام، وأصبح ذات رتب ودرجات، ويشمل ٦ درجات، أو رتب بحيث أصبح هناك وسام مجيدي مرجع الدرجة الأولى، الثانية، الرابعة، الخامسة، وكان ذات قسمين "مجيدي عسكري"، "مجيدي ملكي أو رسمي"، وكان يمنح لعدد كبير من موظفي الدولة العثمانية بمختلف وظائفهم ورتبهم، كما كان يمنح لأعضاء مجلس المبعوثان العثماني، وأعيان المدن، وجهاء القرى والأرياف، وشيوخ العشائر البدوية، والموظفين العاديين.

انظر: أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، ٢/٢٢٥.

الجزيل إلى آخر أيام حكمه، وجهت إيالة[١] مدينة السلام إلى محمد نجيب باشا والى[٢] دمشق الشام، وأمر هو بالتوجه بدله إلى دمشق

---

(١) **إيالة Eyalet**: أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إدارية إلى إيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق –ما عدا الحالات القضائية–عليها.

(٢) **الوالي/ميرميران/البكلربكي**: وهو رأس الحكم في الإيالة، وأطلقت عليه المصادر العثمانية إلى جانب ذلك أسمي: ميرميران، وأمير الأمراء، ثم أصبح اسمه الوالي مع مقدم القرن الثامن عشر. وكان يستخدم في النظم العثمانية في البداية بمعنى القائد "قومندان" صاحب الصلاحيات العسكرية الواسعة، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية، ولما اتسعت الفتوحات وتشكلت الإيالات أصبح البكلربكي يتمتع بالصلاحيات الإدارية والعسكرية معاً. كما كانت تستخدم البكلربكية في القرن الخامس عشر رتبة ودرجة تُمنح لكبار رجال الدولة، ولا سيما بكلربكية الروملي.

وتتوزع مهام البكلربكي على حالتين أساسيتين؛ الأولى هي: حالة السلم، والأخرى: حالة الحرب. وكانت عملية توفير الأمن في الإيالة واحدة من بين مهامه الأساسية. ونظراً لأن البكلربكي كان رأس النظام العسكري في إيالته، والقائد العام عليها، فقد تعددت صلاحياته، وازدادت مسئولياته. وكان يقضي ثلثي حياته الوظيفية تقريباً وهو يخوض الحرب بالفعل، أو أن ينشغل بالإعداد لها. وكانت تختلف بكلربكية الروملي عن باقي البكلربكيات من حيث أنها كانت الأولى في الدولة، ومن حيث منطقة الروملي نفسها باعتبارها "دار الجهاد"، كما كان يشارك بكلربكي الروملي في اجتماعات الديوان الهمايوني.

وعلى الجانب الآخر فإن البكلربكيين الذين تولوا على إيالات مهمة مثل: مصر، وبودين، والشام، وبغداد، والحبشة، والأحساء، واليمن كانوا يحوزون رتبة الوزراء. والمعروف أن للبكلربكي مكانة مهمة في التشريفات "البروتوكول". والحاصل منهم على رتبة الوزراء كان يلقب بلقب " أمير الأمراء الكرام "؛ بينما يلقب غير الحاصل عليها بلقب " الدستور المكرم ".

انظر: أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ١/١٩٨.

، فلم يسعه إلا الامتثال وإن شق، فلما جاء النجيب جعل حاله يتلون [معي][1] تلون الحرباء، فطوراً وصال وطوراً - والعياذ بالله تعالى- جفاء، وأنا في كلتا الحالتين أطوع له من ظله، وأسرع في امتثال أمره من خاصة أهله، وكم صمم على عزلي وما عزل، حيث دفع بصدره عدم انتهاء الأجل، فقد قدر جل شأنه وعلا، لكل شيء حتى المناصب أجلا.

فلما انتهى ما قدره، وقضى به في الأزل وقرره، أطاع اللاحي فعزلني عن منصبي، ففرحت بذلك كأنه غاية مطلبي، حيث كنت مشغولاً بإتمام تفسيري روح المعاني، وكان الاشتغال بالإفتاء قاضياً بتضييق زماني.

نعم رفع عني وقف مرجان، فأسبل عليّ بذلك سجف الأحزان، وقطع مني بشفرة إعراضه نياط قلبي، فصرت عثيثة أثاثي، وفويرة كتبي، حتى كدت آكل الحصير، وأشرب عليه مداد التفسير، وأرتقي هضبة عزلي، على وجه لم يَخبُ إليه طفل عقلي،

(١) هذه الزيادة غير موجودة في نسخة الأزهرية.

وذلك أني دعيت من قبل الدولة العلية أيدها وأبدها رب البرية، لحضور سور همايون[١]، الذي هو بالخير مقرون، فعلاني من ذلك سرور، وضرب عليه من الكآبة سور، فأفهمني إشارة أني إن خرجت من البلد، أتردى بخنائق الكمد، ثم أشار علي بالاعتذار، وعرض تعذر السفر لبعد الدار، مع الاشتغال بالتفسير، والقيام بمصالح الوزير، فكتبت حسبما أشار، وكتب هو أيضاً إلا أنه أولج الليل في النهار، ومع ذا أوصل كتابي إلى حضرة شيخ الإسلام[٢] وولي النعم، الآخذ من مطايا الحق بمذود لا ومقود نعم، على يد الباليوز الفرنساوي[٣]، فأهوى بي لذلك إلى وخيم المهاوي، فكان ما كان، والله تعالى المستعان.

---

(١) **همايون Humayum**: كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية. فـ "هما" باللغة الفارسية، و"أما" باللغة التركية تعني طائراً أسطورياً ذا حظ وقدرة، وقد اتخذها سلاطين الغز الأتراك رمزاً لهم، وانتقل منهم إلى السلاطين العثمانيين. كان يستخدم مضافاً للمتعلقات الخاصة بالسلاطين فيقال: الذات الهمايوني، الطغراء الهمايوني، الجيش الهمايوني، وهكذا.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٦ .

(٢) **شيخ الإسلام**: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسئولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتياً، بدأت ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية. انظر: المعجم الموسوعي، ١٤٢.

(٣) السفير أو القنصل أو الممثل السياسي لبلاده، وفي نسخة الهند (الإفرنساوي).

الفهـــارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأشعار العربية
- فهرس الأشعار الفارسية
- فهرس الأمثال والأقوال المأثورة
- فهرس البلدان
- فهرس الأعلام

أولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ﴾	٧٠	الإسراء	٩٧
﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾	٧٠	الإسراء	٩٧
﴿وأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾	١٠٦	هود	٩٧
﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ ﴾	١٩	مريم	٩٧
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	الفاتحة	٩٨
﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	٣٥	النور	١١٤
﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَداًّ﴾	٨٩	مريم	١٣٨
﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾	٨٥	الإسراء	١٤٧
﴿حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِيَاطِ﴾	٤٠	الأعراف	١٤٩
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	البقرة	١٦١
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾	٦	التوبة	١٦٧

﴿ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾	١٦-١٧	الانشقاق	١٧٠
﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾	١٥-١٦	الغاشية	١٧٢
﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾	١١، ١٢	الطارق	١٧٢
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾	٨٨	القصص	٢١٢
﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	٣٥	فصلت	٢٧٢
﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾	٣٥	فاطر	٢٨٩
﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾	١٠٩	يوسف	٣٢٣

□

ثانيا: الأحاديث النبوية والأخبار

الحديث
(لا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا)
(الفقر فخري)
(من أخاف أهل المدينة أخافه الله تعالى وكانت عليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين)
(إن الله تعالى وتر يحب الوتر)

ثالثا : فهرس الأشعار العربية

مطلع القصيدة أو المقطع	عدد الأبيات	الشاعر
وإذا اختبرت بني الزمان *** وجدت أكثرهم سقط	١	الحريري
سلوا عن مذهب الولدان غيري *** وعن دين العذارى فاسألوني	١	صالح التميمي
من قال بالمرد فإني ** امرؤ إلى النسا ميلي ذوات الحجال	٢	صلاح الدين الصفدي
وفي عينيه نرجسة ذبولُ *** تعلق بالقلوب لها ذبال	١	غير معروف
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ *** مصبّغة والبعض أقصر من بعض	١	ابن الرومي

فبت كأني ساورتني ضئيلة *** من الرّ ُقْش في أنيابها السّم ناقع	١	النابغة الذبياني
تطاول ليلي في قواق ولم يكن * بوادي الفضا ليلٌ عليّ يطولُ	٢	غير معروف
بأية آية يأتي يزيد ** غداة صحائف الأعمال تتلى	٢	عمر الهيتي
فبت أشكو إلى مولاي من فئة ** لا يقنعون بشيء غير شرب دمي	١	غير معروف
حتّى أقامَ على أرْباضِ خَرْشنةٍ *** تَشْقَى به الرّومُ والصّلبانُ والبِيعُ	٢	المتنبي

رب سوداء في الكؤوس تجلّت ** تهب الروح نفحة من حياةِ	٢	غير معروف
يقول شراب البُنّ فيه مــرارة ** وشربة صافي الشّهد ليس لها مثل	٢	برهان الدين إبراهيم بن المبلط
يا أيها المولى الذي *** علم العروض به امتزج	٢	غير معروف
وصرت بحيث لو كلفت جفني *** بكاء كان يبكي لي نعاساً	٢	غير معروف
لو مُثّلَ اللطفُ جسماً *** لكان للطف رُوحاً	١	غير معروف

كانت مسائلة الركبان تخبرني ** عن جعفر بن سعيدٍ أطيبَ الخبر	٢	أبو بكر عبد القادر محيي الدين البكري الصديقي
فالشمس أقرب من دينار صرته ** والصخرة أندى يدا منه لطالبه	١	غير معروف
خوَانٌ لا يلِمّ به ضيوفٌ *** وعِرضٌ مثل منْدِيل الخوِان	١	أبو الغنايم بن أبي المكارم الرملي
وتفصيل ذا الإجمال يقصر دونه ** خطا قلمٍ مضنىً بعلّة أسفارِ	٢	غير معروف
وكم لله من سِرّ خفيّ * يدق خفاء عن فَهْم الذكيّ	١	الإمام علي –كرم الله وجهه

كل قومٍ لهم نذيرٌ ولكن *** خُلِقَ السيفُ للئيم نذيراً	١	غير معروف
إن فاتكم أصل امرئ ففعاله ** تنبيكم عن أصله المتناهي	١	صفي الدين الحلي
الفقر فخري حديث مفترى ذكروا *** فاحذر روايته من غير تنبيه	١	غير معروف
وكان فتى من جند إبليس فارتقى * به الحال حتى صار إبليس من جنده	١	غير معروف
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ** والصور في نشر الخلاق يُنفخ	٢	يوسف بن الأمير حسام الدين قز أوغلى

وليلة باتت براغيثها *** ترقص إذ غنى لها البق	٢	علوي بن إسماعيل البحراني
من يستقم يُحْرَم مناه ومن يرغ *** يحظ بالإسعاف والتمكين	٢	غير معروف
وخز الأسنة والخضوع لناقصٍ * أمران عند ذوي النهى مُرّان	٢	أبو إسحق الغزي
والسيف ما لم يُلْفَ فيه صَيقل ** من نفسِه لم يَنتفع بصقال	٢	أبو تمام
قل لمن يدعي انتسابًا لسلمى ** لست منها ولا قلامة ظفر	١	أبو نواس

إلى الله أشكو ما ألاقي من العنا ** ومن غربة في الروم أوهنت العظما	٢	غير معروف
لم أدخل الحمام لأجل تلذذي *** وكيف ونار الشوق بين جوانحي	٢	ظهير الدين المرغيناني
هي حُزْوى ونشرها الفيّاح ** كل قلب لذكرها يرتاح	١	كاظم الأزري
ولكم أدعو وما لي سامع *** فكأني عندما أدعو أبحّ	١	فتح الله بن النحاس
قوم إذا نزل الأضياف حَيَّهم * لم ينزلوهم ودلّوهم إلى الخان	١	بشار بن برد
وما أصاحب من قوم فاذكرهم ** ألا يزيدهم حبًا إلى هم	١	المرار العدوي

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره *** هو المسك ما كررته يتضوع	١	المؤلف
وكِلت للخلّ ِ كما كال لي * على وفاء الكيل أو بَخسه	١	الحريري
مر بحزوي فثم عالم لطف *** من بقايا أجساده الأرواح	١	غير معروف
قد تراخى الأمر حتى أصبحت ** هملاً يطمع فيها من يراها	١	البحراني
أريد وصاله ويريد هجري *** فأترك ما أريد لما يريد	١	ابن المنجم الواعظ
قوم لهم في سماء المجد منزلة ** زهر الكواكب منها النور يقتبسُ	٢	غير معروف

نسبٌ كأنَّ عليهِ من شمس الضُّحى *** نُوراً ومن فَلَقِ الصَّباح عَمُودَا	١	أبو تمام
وعيرها الواشون إني أحبها *** وتلك شَكاة ظاهر عنكِ عارها	١	أبو ذؤيب الهذلي
ووشكت أقطع حسرة وتلهفًا ** مني على أيامها إبهامي	١	عبد الغفار الأخرس
(أسرب القطا هل من يعير جناحه) ** لِذِي وَلَهٍ منه الجناح الكسير	٢	الألوسي، أبو العباس أحمد بن يحيى
وأبرح ما يكون الوجد يومًا *** إذا دنت الخيام من الخيام	١	غير معروف
ولم تزل العشاق تتخذ الهــوى *** رسولاً بإبــلاغ السلام خليــلا	٤	المصنف

جمعوا يا لدرهم كل حسن *** وكمال بين الأنام تفرق	٢	غير معروف
خلت الرقاع من الرخاخ *** وتفرزنت فيها البيادق	٢	ابن شرف
ألا قاتل الله الزمان فدأبه *** إهانة ذي فضل وإكرام عاطل	٢	غير معروف
وكم لله من لطفٍ خفيّ *** يدق خفاه عن فهم الذكي	٢	الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كتاب بهاء الدين دام بهاؤه * على قلبي المضني ألذّ من الشهد	٢	غير معروف
وإذا الفتَى بلَغ السّماكَ بِفضْلهِ ** كانتْ كأعْدادِ النّجومِ عِداهُ	٢	غير معروف

أهيم بآثار العــراق وذكره** وتغدو عيوني من مسرتها عبــرى	٦	غير معروف
وقف الجمال بوجهه *** فسمت له حدق الأنام	٢	أبو حاتم السجستاني
غلالة خده صبغت بورد *** ونون الصدغ معجمة بخال	١	ابنُ المعتزّ
وعُذّالٍ أبوا إلا سلوّي *** لأهيف قد أبى غير ازوراري	٣	تقي الدين صالح سعدي الموصلي
حار ابن مقلة في هلال جبينه * وغدا بياقوت اللمى كالعاني	٢	تقي الدين صالح سعدي الموصلي
فلما دعاني مشق قامة كاتب *** ثلث الملاحة منه في الولدان	٣	علاء الدين علي

بُليتُ بعقاد عقود تصبّري *** به انفصمت ما بين وعد وإبعاد	٢	علاء الدين علي
ومهفهف حاكى السّجنجل جسمه *** في الصقل إذا بدى مثال الناظر	٢	علاء الدين علي
تلافَ مُحباً أتلفته يد القِلى *** وأودى به منها تباريح أسقام	٣	علاء الدين علي
يا عروضيّاً له فطن ** بحره بالفكر يضطربُ	٣	غير معروف
إذا أَلِفٌ به أَلِفَان حَفّا *** وصار الباء ممزوجًا بجيم	٢	غير معروف

وصرير يراعاتي لرسم عويضة *** ألذ على سمعي من النغمات	١	غير معروف
لقد لامني الأحباب جهـلاً وعنفوا *** غداة رأوا جسمي تقاسمه الضنا	٣	
ثلاث هن في البطيخ زَين *** وفي الإنسان منقصة وذلّـة	٣	غير معروف
أرض إذا مرت بها ريح الصبا *** حملت من الأرجاء مسكًا أذفرا	٦	المصنف
زمان بما فيه انقضى فهو ما ترى *** أحاديث تجلوه على السمع أفواه	١	غير معروف

من كان فوق محل الشمس رتبته *** فليس يرفعه شيء ولا يضعه	١	أبو فراس الحمداني
لا يدرك الواصف المطري خصائصهم *** وإن يكن سابقًا في كل ما وصفا	١	غير معروف
كأن لَمْ يَكُنْ بينَ الْحَجُونِ إلى الصّفَا *** أنيسٌ ولم يَسْتَمِرْ بِمَكّةَ سَامِرُ	١	الحارث بن مضاض
فليس اعتقاد المرء ما خَطّ كفّهُ ** كما أن حاكي الكفر ليس بكافر	١	غير معروف

عباراتنا شتى وحسنك واحد ** وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير	١	غير معروف
فكانَ مَا كَان مما لستُ أذكُرُهُ ** فَظُنَّ خيراً ولا تسأل عَنِ الخَبَرِ	١	ابن المعتز
رأيت خيال الظل أكبر عبرة ** لمن هو في علم الحقيقة راقي	٢	الشيخ عبد الغني
إلى أن رأيت النجم وهم مغرّب ** وأقبل رايات الصباح من الشرق	٢	الأمير تميم بن معد بن إسماعيل
ولولا اتقائي عَتْبَه قلتُ: سيّدي ** ولكن يراها من أجَلّ ذُنوبي	١	علي بن محمد الكوفي

فلو أن ثوبًا حِيك من نسج تسعةٍ ** وعشرين حرفًا في علاه قصير	١	غير معروف
فلله أيام سلفن بقربكم ** سقاها الحيا ما كان أطيبها عندي	٢	غير معروف
فلأشكّرنك ما حييت وإن أمُت ** فلتشكرنّك أعظُمٌ في قبرها	١	غير معروف
وإذا لم تر الهلال فسلّم *** لأناس رأوه بالأبصار	١	غير معروف
العبد ربّ والربّ عبد *** ليت شعري مَن المُكَلّف	١	الشيخ الأكبر (ابن عربي)
جحودي لك تقديس ** وعقلي فيك منهوسُ	٢	الحلاج

مَرَّ وما سلّم من عُجبه ** وماسَ تِيهاً وتَثَنّى احتشام	٢	غير معروف
ولولا المزعجات من الليالي ... لما ترك القطا طيب المنام	١	غير معروف
وللزورا أحاديث طِوال ** إذا تُلِيت أحاديث البلاد	٢	غير معروف
وكل امرئ يولي الجميل محبب ** وكل مكان ينبت العز طيب	١	غير معروف
وما أنا إلا من غزية إن غَوَت ** غويتُ، وأن ترشد غَزِيّة أرشد	١	غير معروف
ديارٌ بها حَلّ الشباب تمائمي ** وأوّل أرضٍ مسّ جلدي ترابُها	١١	المصنف

تَرَحَّل بعضُنا والبعضُ باقي ** ودمعي خمرة والجفن ساقي	٢	حسن بن زين الدين العاملي
لله أيـام الوصـال كأنهـا *** كانـت لسرعـة مَرِّها أحلاما	٢	غير معروف
ماكُلُّ ما يتمنىّ المرء يُدرِكهُ ** تَجري الرِّياحُ بِما لا تشتهي السُّفنُ	١	المتنبي
كتبت وفي فؤادي نار شوق ** لها لهب وفي جفني سحاب	٢	الداغستاني
لئن غبتُ عنكم بالعباد فأنتم ** مقيمون عندي في الفؤاد وفي الحشا	٢	غير معروف

إن ترحلت أو أقمت فعندي ** فيض دمع يجريه وجدٌ مقيمُ	٢	غير معروف
وإني مللت السجع من أجل أنه ** بمعظم أرض الروم قد كسد السجعُ	٤	المصنف
ألا إني كرهت السجع حتى ** كرهت لذاك ساجعة الطيور	٢	المصنف
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما *** أطار بليلى طائرا كان في الصدر	١	غير معروف
لا يفيد الثرى حروف الثريا *** رفعةً أو ينالها استعلاء	١	غير معروف

أهلاً بفَجْرٍ قد نَضى ثوبَ الدّجى ** كالسيف جُرِّدِ من سَوَادِ قِرَابِ	٢	الأمير أبي الفضل الميكالي
يتحيّر الشعراء إن سمعوا به ** في حُسْنِ صنعته وفي تأليفهِ	٣	أبو العباس الناشي
ومَا ضَرّنَا أنّا قَليلٌ وجَارُنَا ** عَزيزٌ وجَارُ الأَكثرينَ ذَليلُ	١	السموأل بن عادياء
واشتعل المبيضُّ في مسوده ** مثل اشتعال النار في جَزْلِ الْغَضَى	١	ابن دريد
أردد طرفي في النجوم كأنها ** دنانير لكن السماء زبرجدُ	٢	الصاحب بن عباد

أمسَت يباباً وأمسى أهلُها احْتَملوا *** أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ	١	النابغة الذبياني
فمن أتى فمرحباً**ومن تولى فإلي	١	ابن الوَرْدِيّ
سبقت إليك من المحب قصيدة ** وأتتك قبل أوانها تطفيلا	٢	أبو سليمان عبد الباقي أفندي
أعيدت إلى الزوراء روح معانيها *** فكادت ببشراها تفوه مغانيها	٢٥	أبو سليمان عبد الباقي أفندي
شهاب الدين في فلك المعالي **(إلى السلطان رقاه الكمال)	٢	ابن الأزري، السيد شهاب
بسناء الشهاب يهدي الموالي ** وبه يقذف المعادي رجوما	٥	السيد شهاب

لاح شهاب الدين مفتي الأنام ** في أفق الخضرا كبدر التمام	٢٦	السيد شهاب
عظمت فكادت ان تكون إوزّة ** وغَدَت فكاد إهابها يتفطّرُ	٢	غير معروف
وليل يقول الناس في ظلماته ** سواء صحيحات العيون وعورها	٢	ابن محكان السعدي
خليلي هل للمزن أجفان عاشق ** أم النار في أحشائها وهي لا تدري	٥	أبو العباس الناشي
خليلي ما بال الدجى لا يزحزح ** وما بال ضوء الصبح لا يتوضح	٣	بشار ابن برد

قرّة عَينٍ وفَمٍ حُسّنَت ** وطُيّبَتْ حتى صبا مَن صبا	١	ابن الرومي
لعلا جنابك قد حثثت ركابي *** وأنختها في هذه الأعتاب	١٥	أحمد عزت أفندي العمري
لا تيأسن إذا ما كنت ذا أدب ** على خمولك أن ترقى إلى الفلك	٢	غير معروف
له سيرة لم يعطها الله غيره * وكل قضاء الله فضل مقسم		غير معروف
يُصَمُّ رِجالٌ حين يُدعَون للندى *** ويُدعى ابن عوفٍ للندى فيجيبُ	٢	عويف
فَمَنْ لائذٍ بِفِناءِ الجِدَار ... وآوٍ إلى دَفَق مُهْمَل	٤	أَبو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله

وقد أَزْهَرَت بِيضُ النجومِ كَأَنّها *** على الأُفُقِ الأعْلى قلائدُ من دُرِّ	١	الأمير تميم بن المعز
فَقُلْ للسماء ارعُدي وابْرُقي** فإذّا وصلنا إلى المنزلِ	١	الأمير أَبو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله
خَليلِيَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ *** قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ	١	لكثير عزة
هناء به صبح الوصال تبسما ** وبشر به ليل البعاد تصرما	٤١	عبد الحميد أفندي
لا تقبلي ما قال فيّ العاذلُ*** كم مِن مقالٍ ليس فيه طائلُ	٦١	أحمد عزت العمري الموصلي

هذي الديار وذا حمى بغدادِ** فاعقل قلوصك واتئد يا حادي	٦٢	محمد فهمي عمري زاده
أهلاً بمن أصله من سيد البشر ** ونوره فاق نور الشمس والقمر	١٣	الأطرقجي عبد الحميد
يميناً برب النجم والنجم إذ يسري** ومن أنزل الآيات من محكم الذكرِ	٦٤	عبد الغفار الأخرس
لقد أشرقت بغداد نوراً بمقدم الـ**إمام شهاب الدين هالة سعده	٣	صادق الأعسمي
عقارالهنا كف الزمان سقانيها *** وما رمت من نيل الأماني حبانيها	٤٦	راضي الحسيني النجفي، عبد الباقي عمري زاده

قمر المجد في سعود التلاقي *** بالتجلي جلى نحوس الفراق	٧٠	صالح بن مهدي
فَما كُلُّ روْضٍ يُنْبِتُ الزَهْر طَيِّبٌ *** ولا كُلُّ كحلٍ للنَّواظِر إثمدُ	١	الشاب الظريف
هذه "نشوة المدام" نشاها ** أنف فكري أعظم بمن أنشاها	١٤	داود ابن سليمان آل السيد جرجيس
ولو أن ثوبًا حيك من نسج تسعة ** وعشرين حرفًا في علاه قصير	١	غير معروف
لله رحلة مولانا الشهاب فكم * طوت مفاوز أعيت كل خريت	٣	عبد الباقي الفاروقي
لله من رحلة حارت بها الفكرُ * فلم نكن سواها اليوم نفتكرُ	٢٢	عبد الغني أفندي

رابعا : فهرس الأشعار الفارسية

الشاعر	عدد الأبيات	مطلع القصيدة أو المقطع
ميرزا فتحعلي شاه زاده	٤	أحمد مرسل زخاك مكة جون هجـرت كزيد *** مدتي نخطه بود انشكـت بردنـدان كـزان
علي أغا ابن حبيب أغا	٣١	بها راساً سر لدى فرش سيـره صـح صحراية *** فرخدن جيقيلر سكان زوراً هب تماشايه

خامسا : فهرس الأمثال والأقوال المأثورة

مواعيد عرقوب
نغمة معبد
هان علي الأملس ما لاقى الدَبِر
الهياط والمياط
وذهبوا شذر مذر
وعدت بخفي حنين
يعدو عَدو السّلَيك

سادسا : فهرس المواضع والبلدان

البلد / الموضع
آدنة
إربل
أرزن الروم
أرغني
أرغوان
أزغر
إزمير
الاستانة (العليا)
أسكي خان
اسكي كوي
إسلامبول
ألاجه خان
ألاش
أم الربيعين
أم تل

أماسية (خرشنة)
آمد (آمد السوداء)
أناطول
باب الكاظم
باريس
باقر معدن
البحر الأزرق(الأسود)
البحر الأسود
بحر قرم
برطلة
البصرة
بغداد
بغدان
بلاد الروم
بياس
تازه خرماتي

تجر
تزيان
تفليس
تل الذهب (تل الشعير)
تل موس
توقات (توقات)
جانك
الجديدة (جديدة الأغوات)
جزيرة الحسن بن عمر
جقال خان
جلغا
جنكل
جيحان (سيحان)
حسن جلبي
حصن زياد
حلب

حلقوم الجمل (جبل)
الحميدات
حومة الجندل
خان ازينه بازار
خان الحكيم
الخان الصغير
خربوت
خرماتي
دار الخلافة (استانبول)
دار الخلافة (إسلامبول)
دار السلام
دار السلطنة (إسلامبول)
داغستان
داقوق
دجلة
دكر

دلكلي طاش (دلكلي داش)
دلي عباس
دمشق الشام
الدولة العلية (العثمانية)
دولة المسقوف
الديار الرومية
ديار بكر
الرصافة
الزاب الكبير
الزوراء
سر من رى
سوق عكاظ
السويدية
سيناب
سيواس
شهرزور

صمصوم
طاهر كندي
طربزان
طرسوس
طورخال
طوره (نهر)
طوز خرماتي
العراق
عموده
غازي قمق
الفرات
الفرات
فرنكة
فره
قارقين

قره تيه
قره دره
قرية كلك
قزل اورماق(نهر)
القسطنطينية
القطر العراقي
قطر بل
قنطرة الذهب (ألتون كوبرى)
قنقال (قنقل)
قواق
الكرخ
الكرخ (قرية الأكراد)
كرخها
كردستان
كردملا

كركوك
كزين
كفري
كمش معدن
كوردستان
الكوفة
لاديق
لوندرة
ماردين
المدينة
مدينة السلام
مزرى
مصر
ملاطية (ملطية)
الموصل
الموصل (الحدباء)

الموصل القديمة
نصيبين (بندنيج)
نهر دجلة
النيل
هيت (تكريت)
وادي بك
واسط
يسري
يلدز طاغي
اليمن

سابعا : فهرس الأعلام

أبو السعود أفندي (شيخ الإسلام)
أبو العباس الناشي
أبو الفضل الميكالي
أبو القاسم الجنيد
أبو تراب -عليّ كرم الله وجهه-
أبو حامد (الغزالي)
أبو عمرو (صاحب القراءة)
أبو موسى (الأشعري)
أبو نواس
أحمد أسعد أفندي عرياني زاده
أحمد أغا
أحمد أغا ابن حسن
أحمد أغا بينباشي
أحمد أفندي
احمد أفندي (الخواجة)
أحمد أفندي القلعلي

الأطرقجي الملا عبد الحميد
الأعمش
الإمام الشافعي
الإمام مالك
أوليا أفندي
الباز الأشهب (عبد القادر الجيلاني)
بدر بن المقنع
بكتاش أغا
بلقيس
بهاء الدين أفندي (المفتي)
بهرام باشا
تقي الدين صالح سعدي أفندي الموصلي
تيمورلنك
جبرائيل –عليه السلام-
جعفر بن سعيد
الجلال الدواني

الحاج أحمد أغا
الحاج عثمان
حافظ باشا (أمير اللواء)
حافظ محمد أفندي جانكلي زاده
الحريري
حسن أفندي (ابن إسماعيل أفندي قاضي زاده)
حسن أفندي الدرندلي
حسن أفندي الملاطيلي
الحسن البصري
حسين
الحسين الحلاج
حسين الكردي
الحسين -عليه السلام- (ريحانة الرسول)
الحصكفي
حلمي باشا (والي الموصل)

حليم أفندي بياسي زاده
حميد أفندي
خالد العثماني السليماني (النقشبندي)
خان أفندي (محمد الداغستاني)
الخضر-عليه السلام-
خليل أغا القسطموني
الخليل/إبراهيم -عليه السلام-
داود أفندي ابن سليمان آل جرجيس
داود باشا (والي بغداد)
درويش ابن داود البحار
درويش أفندي (المفتي)
راضي الحسيني النجفي
راغب باشا
راغب بك أفندي
رشنة بن روم بن سام
رشيد باشا (الكوزلكلي)

الزرقاني
سرخي خان زاده (خان أفندي)
السري (السقطي)
سعد الله بك أفندي
سعيد بن عبيد
سليم باشا
سليم بك أفندي
سليمان (السلطان القانوني)
سليمان أغا
سليمان أفندي
سليمان أفندي المفتي
سليمان أفندي الملاطيه لي
سليمان بك
سليمان بك أفندي
سليمان -عليه السلام-
سليمان فائق بك أفندي

السيد أحمد أفندي
السيد خليل أفندي
السيد عبد الرحمن أفندي
السيد علي أفندي (نقيب الأشراف)
السيد عمر
سيف الدولة الحمداني
سيفي بك
شريف أفندي ابن الحاج أمين أفندي
شعبان بك أفندي
شمس تبريز
شمسي أفندي
الشنفرى
الشيخ إبراهيم
الشيخ الأكبر

الشيخ بكر
الشيخ حامد
صادق الأعسمي
صالح (خادم المصنف)
صالح أفندي الدفتردار
صالح التميمي
صالح باشا
صالح بن مهدي القزويني
صالح -عليه السلام-
صبغة الله أفندي
صديق بك أفندي
ضياء يوسف باشا
الطالباني
الطحطاوي
طلحة الزهري
عارف أفندي (قاضي العسكر)

عارف حكمت
عاكف بك أفندي
العامرية (ليلى)
عبد الباقي (نجل المصنف)
عبد الباقي أفندي العمري (الفاروقي)
عبد الباقي الحكيم
عبد الحكيم أفندي الصفوي الحيدري
عبد الحميد أفندي
عبد الرحمن أفندي
عبد الرحمن أفندي الروزبهاني
عبد الرحمن أفندي الطالباني
عبد الرحمن أفندي الفرنكوي
عبد الرحمن أفندي علي
عبد الرحمن باشا
عبد الرحمن بك أفندي
عبد الرزاق (نجل المصنف)

عبد السلام أفندي
عبد السلام أفندي القاضي
عبد الغفار أفندي الأخرس
عبد الغني أفندي
عبد الغني أفندي (المفتي)
عبد الغني أفندي (النائب)
عبد الغني النابلسي
عبد القادر أفندي (النائب)
عبد القادر باشا (الكمركي)
عبد الكريم نادر باشا (عبدي باشا)
عبد الله أفندي (الحافظ)
عبد الله أفندي الإمام
عبد الله أفندي الداغستاني
عبد الله أفندي العمري
عبد الله أفندي الفيضي

عبد الله بهاء الدين (نجل المصنف)
عبد المجيد خان (السلطان)
عبد الوهاب الشعراني
عبدي أفندي
عثمان أفندي (النائب)
عثمان الأرزنرومي النقشبندي
عثمان الدرندلي (الملا)
عثمان النقشبندي
عصمت أفندي (النائب)
علاء الدين السلجوقي (السلطان)
علاء الدين علي أفندي الموصلي
علي (السيد)
علي أغا (ابن حبيب أغا)
علي أفندي (النقشبندي)
علي افندي (نقيب الأشراف)

علي القاري
علي القواس
علي باشا (والي كركوك)
علي باشا الكوتاهيه لي
علي رضا باشا
علي زين العابدين
عمر أفندي الأقشهرلي
عمر أفندي المفتي
عمر أفندي الملاطية لي
عمر باشا
عمر بك نفطجي زاده
عمر شوقي أفندي أغا زاده
عويف (القوافي)
عيسى أفندي الشرواني
عيسى –عليه السلام-

فاطمة البتول –عليها السلام-
الفيروز آبادي
قادر أفندي الشواني
القاضي مير حسين
قس (بن ساعدة)
قسطنطين
كجك بكر أفندي
كسرى
الكوبه لي (رئيس الطباخين)
كيسك باش
لوط –عليه السلام-
ليلى (العامرية)
مالك بن دينار

المتنبي
مجدد الألف الثاني (السهرندي)
محمد أفندي
محمد أفندي (كاتب الفارسية)
محمد أفندي ابن إسماعيل أفندي الشرواني
محمد افندي التوقاتي
محمد أفندي الشيرواني
محمد أفندي القروي
محمد القادري البندنيجي
محمد أمين أفندي البرزنجي
محمد أمين أفندي العمري الموصلي (عمريزاده)
محمد أمين بك
محمد باشا (أمير اللواء)
محمد باشا (لواء العساكر الحجازية)

محمد باشا كوبرلي زاده
محمد حمدي باشا (حمدي باشا)
محمد سعيد
محمد شاكر أفندي الدفتردار
محمد عبد الرؤف أفندي البرلبه وي
محمد فهمي أفندي عمري زاده
محمد نامق باشا
محمود أفندي (ابن عبد الباقي)
محمود أفندي الجهارشنبلي
محمود أفندي العمري
محمود أفندي النقيب
محمود الموصلي
محمود خان (السلطان)
مراد خان (السلطان)
مسعود أفندي

المسيح الدجال
المسيح عيسى –عليه السلام-
مصطفى أفندي كمرباشي
مصطفى الحموي
مصطفى النقشبندي
مصطفى باشا الأكينلي
مصطفى ظريف باشا
مصطفى نجيب بك أفندي
مفتي أفندي
الملا بكر
الملا دواد
ملا سليمان
الملا موسى
موسى ابن السيد محمد
موسى الكاظم
موسى الكردي

موسى –عليه السلام-
ميرزا فتحعلي شاه زاده
النابلسي
نصيف (خادم المصنف)
نعمان (نجل المصنف)
نوح -عليه السلام-
نيقو بك (الترجمان)
هاشم بك الداغستاني
هداية الله زاده محمد سعيد أفندي
وجيه أفندي (جاشغون)
ولادة (بنت المستكفي)
يزيد (اللعين)
يلدرم (السلطان)
يوسف أفندي
يوسف أفندي (النائب)

ثبت المصادر والمراجع

- الأبشيهي(شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي): المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- ابن أبي الدنيا (عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس) : قرى الضيف، تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٧
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن الجوزي ت٥٩٧هـ): صفة الصفوة أبو الفرج، دار صادر، بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار الإمام ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م.

- ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر بن علي ت ٨٣٧هـ): ثمرات الأوراق في المحاضرات، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٣٠٠ه.

- ابن حجة الحموي (تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري): خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م

- ابن حمدون(محمد بن الحسن بن محمد، ت ٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٤٨م.

- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي): المخصص في اللغة، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

- ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن عبد الملك ت٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤١هـ.
- ابن عربشاه (أحمد بن محمد الحنفي ت ٨٥٤ هـ): فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، طبع مع ترجمة لاتينية باعتناء الأستاذ فريتاغ، بون ١٨٣٢ و١٨٥٢، بولاق ١٢٧٦هـ.
- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة النحوي الدينوري ت ٢٧٦هـ): عيون الأخبار، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.
- ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

- ابن معصوم(علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن مَعْصُوم ت ١١١٩هـ): سلافة العصر في محاسن أعيان العصر، شركة دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر، ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- أبو الحسن البصري (صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، ت ٦٥٦هـ): الحماسة البصرية، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م
- أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال مجمع، دار المعرفة، د.ت.، بيروت

- أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ): أخبار أبي تمام، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ
- أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت ٢٢٤هـ): الأمثال السائرة، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٦م
- أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون ابن عيسى بن محمد بن سليمان القالى ت ٣٥٦ هـ): الأمالي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت نحو ٣٩٥هـ): ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٦
- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت ٣٩٥ هـ): جمهرة الأمثال، دار الفكر، دمشق، ط. ٢، ١٩٨٨م
- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م
- أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، اربد، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

- أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، محمد عبد العاطي، ياسر أحمد: جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير، القاهرة، ٢٠١٨م.
- الأزرقي(أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية.
- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م
- إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٤، ١٤٠٥هـ
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين ابن محمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأغاني، شرح علي مهنا، وسمير جابر، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م.

- أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١م
- الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة، ١٤١٥ هـ.
- أمين خوري: رفيق العثماني (قاموس كلمات تركية وفارسية مترجمة إلى العربية)، مطبعة الآداب، بيروت، ١٨٩٤م.
- أنور الجندي: تراجم العلماء المعاصرين في العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠١ه/١٩٨١م.
- البديعى (يوسف الحلبي ثم الدمشقي المعروف ت ١٠٧٣هـ): الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن الخطيب(ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ. وطبعة بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م
- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، طبعة بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ القاهرة، ١٩٤٧م.
- البلاذري: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣م،
- يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات، مكتبة مرعشى، القاهرة، ١٩٢٨م
- بلشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- البهاء العاملي (الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي): الكشكول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ت ٤٢٩هـ): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): لباب الآداب، تحقيق جليل العطية، طبعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩هـ): التمثيل والمحاضرة، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): البيان والتبيين، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. ٧، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.
- الجرّاوي: الحماسة المغربية، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م
- الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- حاج حمد تاج السر حاج حمد: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥) صفر ١٤٣١هـ فبراير ٢٠١٠م.
- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- الحريري (القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري): مقامات الحريري، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨م.
- حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م
- حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨١م
- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الحُصري (أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، ت٤٥٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م

- الحنفي (محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله الحنفي): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م
- الخادمي (أبو سعيد محمد بن مصطفى الخادمي، ت ١١٧٦هـ): البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية لمحمد بن بير علي المعروف ببركلي، المتوفى ٩٨١هـ، تحقيق: أحمد فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الخفاجيّ (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ت ٩٧٧هـ/١٠٦٩م): ريحانة الأَلِبّا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م

- الخليل بن أحمد (أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى): العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر.
- خليل مردم بك: أعيان القرن الثالث فى الفكر والسياسة والاجتماع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ
- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .
- داود الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م
- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها للعربية محمد ثابت القناوي، أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشي، القاهرة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري): أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢م
- س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، الجفان والجبالي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م
- السبكي (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م
- السخاوي(الحافظ شمس الدّين أبوالخير محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي القاهري الشّافعي): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٥/١٣٥٣هـ.

- سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعة ورتبه يوسف إليان سركيس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
- الشوكاني (محمد بن علي): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- الشيخ كاظم بن الحاج محمد التميمي البغدادي: ديوان الأزري الكبير، حققه وقدم له وأعد تكملته: شاكر هادي شكر، دار التوجيه الإسلامية بيروت الكويت، ١٩٨٠،
- الصاغاني: العباب الزاخر، دار الفكر، ط. ٢، ١٩٨٨م.
- الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي): الوافي بالوفيات، النشرات الإسلامية، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية بعناية: محمد عدنان بخيت، ومصطفى الحياري، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية، تحقيق: أحمد الشرقاوي (تحت الطبع).

- الطرطوشي: سراج الملوك، طبع بمصر ١٢٨٩هـ.
- الطيب أحمد عبد الله: منهج الإمام الألوسي في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان
- عباس العزاوي: عشائر العراق، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢م
- عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- العباسي (عبدالرحيم بن أحمد العباسي ت٩٦٣هـ/١٥٥٥م): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م
- عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت
- عبد الرحمن البرقوقي: ديوان المتنبي مع شرحه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

- عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٨م
- عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، طـ ٥، ٢٠٠٦م.
- العسقلاني(الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) (ت٨٥٢هـ): لسان الميزان منشورات، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط. ٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.
- العصامي (عبد الملك المالكي): سمط النجوم العوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- علي الخاقاني: شعراء الحلة(البابليات)، منشورات دار البيان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
- علي الخاقاني: شعراء الغري (النجفيات)، منشورات دار البيان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- علي الخاقاني: شعراء بغداد، مطبوعات أسعد، بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، مكتبة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م

- علي علاء الدين الألوسي: الدر المنتثر في رجال القرن الثاني والثالث عشر، دار الجمهورية، بغداد، العراق ١٩٦٧م

- علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

- عماد الدين الأصبهاني (محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله أبو عبد الله عماد الدين الأصبهاني ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

- العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت٧٤٩هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الأولى، ١٤٢٣ هـ.

- الفضل بن عاشور: التفسير ورجاله، مطبعة الاستقامة، تونس ١٣٦٦هـ

- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ ٦، ١٩٩٨م.
- القنوجي (صديق بن حسن القنوجي): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.
- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م.

- اللكّنوي (أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكّنوي الهندي): الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبي فراس النعساني، نشر دار الكتاب الإسلامي، بيروت
- لويس شيخو(رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ت ١٣٤٦هـ): تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م
- ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني. رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- محسن الأمين: أعيان الشيعة، دمشق، ١٩٣٦م.
- محسن عبد الحميد، الآلوسي مفسراً، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م
- محمد الأمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة القاهرة، ١٢٨٤ه/١٨٦٩م

- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
- محمد بهجة البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٣هـ.
- محمد بهجت الأثري: أعلام العراق، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ
- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٩٦م
- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان فى علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦
- محمد عبد اللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

- محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٣م.
- محمود شكري الألوسي (أبو المعالي): المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق عبدالله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م. محمود شكري الآلوسي: المسك الأزفر، مطبعة الآداب، بغداد، ١٩٣٠
- محمود شكري الآلوسي: المسك الأزفر، مطبعة الآداب، بغداد، ١٩٣٠
- محمود شهاب الدين الآلوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، مطبعة الشابندر، بغداد، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م
- محمود شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ

- المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المطبعة الحنفية بدمشق، ١٣٠١هـ.
- المرزباني (أبو عبد الله: محمد بن عمران بن موسى المرزباني ت ٤٦٩هـ): نور القبس (نور المقتبس)، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م.
- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية. دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- المقري التلمساني (المقّري أحمد بن محمد التّلمساني): نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- منق علي (علي بن أوزون بالي بن محمد، ت ٩٩٢هـ/١٥٨٤م): العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، تحقيق: أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، ٢٠١٥م.

- الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية، النسخة الالكترونية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٧٧م.
- نخبة من تلاميذ الآلوسي: أريج الند والعود في ترجمة أبي عبد الله محمود، مطبوع في مقدمة تفسير روح المعاني، الدار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م
- نعمان الألوسي: جلاء العين في محاكمة الأحمدين، دار المدني للطباعة، القاهرة، ١٩٨١م
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وأحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- النيسابوري (أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ (إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ ت ١٣٢٤هـ): نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٥م
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م
- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م
- يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥.
- اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد الزفراف وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م

فهرس المحتويات

المركز الثقافي الآسيوي

- مؤسسة بحثية مستقلة، تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، تخضع لقانون الجمعيات الأهلية المصري، مشهرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم ١٣٢٨ لسنة ٢٠٠٢م.
- يتكون **المركز الثقافي الآسيوي** من الوحدات التالية :

١) وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية.

٢) وحدة الدراسات الإيرانية.

٣) وحدة الدراسات التركية والعثمانية.

٤) وحدة الدراسات الأرمنية والقوقازية.

٥) وحدة الدراسات اليهودية والإسرائيلية.

٦) وحدة دراسات الشرق الأقصى.

٧) وحدة دراسات الفنون والتراث.

٨) وحدة دراسات تركستان الشرقية – شينجيانج

- يهدف **المركز الثقافي الآسيوي** إلى عمل البحوث والدراسات المتعلقة بقارة آسيا في النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكافة النواحي الحضارية.
- يعمل **المركز الثقافي الآسيوي** على طباعة ونشر الدراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدراسات التي يتقدم بها الباحثون المتخصصون في مجال اهتمامات وحدات المركز.
- كما يقوم **المركز الثقافي الآسيوي** بترجمة الإصدارات العالمية الخاصة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصة.
- يسعى **المركز الثقافي الآسيوي** إلى إصدار عدة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصصة والتي تخدم الدراسات الآسيوية خاصة، والثقافة الإنسانية بشكل عام.
- يمد **المركز الثقافي الآسيوي** يد التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلمية الأخرى، للقيام بالأنشطة العلمية والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها.

harpgeneration@yahoo.com